

~~د. بخاری لکھنؤ~~

~~د. محمد رفیع~~

~~د. جیدہ سعید لغامی~~

~~۱۴۱۰/۸/۵~~

~~۱۴۱۰/۹/۵~~

~~توفیق اللہ~~

~~۵۲ م~~

~~۱۴۱۰/۹/۵~~

وزارة التعليم العالي
 جامعة أم القرى
 قسم الدراسات العليا والتاريخية



3. 1. 2. . . . 1780

الملك الوهاب

محمد بن الخليفة زين الدين عبد الملك

(51-5-1-1)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
في التاريخ الإسلامي

1-2134

إعداد الطالب

محمد بن حسين الشيرازي الشرفي

اشراف

الفوسفاط الكبريتي / محمد السيد مراد

الجزء الأول

131-





بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الدولة الاموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك

تبرز أهمية الموضوع - على الرغم من قصر خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ) - في أنه لم يسبق دراسته من قبل ، وفي مجيء عهده بعد عهد عمر بن عبد العزيز الذي يعتبر عهده ذروة في جبين الدولة الاموية ، ولاعتبار بعض الباحثين أن عهد يزيد يمثل فترة حاسمة في تاريخ الدولة الاموية ، وأنه كان بداية النهاية لها .

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه الى ستة فصول ومقدمة وتهييد . في المقدمة بينت أهمية الموضوع وخطته ، وفي التمهيد عرضت في ايجاز لاحوال الدولة الاموية مطلع القرن الثاني الهجري ، أما الفصل الاول فقد خصص لدراسة سيرة الخليفة يزيد ، والفصل الثاني لدراسة الحركات الداخلية في عهده ، وفي الفصل الثالث درست مرسومه المتعلق باهل الذمة والقاضي بتكسير الاضام والتماثيل والمطبان وازالة المور وهدم الكنائس المستحدثة ، وعولج في الفصل الرابع الفتوحات في عهده ، وكان موضوع الفصل الخامس سياسته الادارية والمالية في ضوء السياسة الادارية والمالية لملفه عمر بن عبد العزيز ، ودرست في الفصل السادس مسيرة الحياة العلمية في عهده .

- وفي الخاتمة ابرزت اهم النتائج وتتلخص فيما يلي :
- (١) أن سيرة الخليفة يزيد بن عبد الملك لم تكن على تلك الهيئة السيئة التي صورت بها في كثير من المصادر ، وأن سيرته الذاتية لم يكن لها أثر سلبي ملموس في تهريفه لشئون الحكم .
 - (٢) نجاحه في القضاء على الحركات الداخلية التي شهد عهده الكثير منها .
 - (٣) استمرار الفتوحات في عهده ، حيث واصل الجهاد في ارض الروم وبلاد الفال ، كما افلح في التصدي للاعداء وحماية حدوده في بلاد ماوراء النهر وارمينية .
 - (٤) تجاوز أهمية مرسومه الخاص باهل الذمة حدود دولته ، عندما تآثر به الامبراطور البيزنطي ليو الايسوري ، فانتهج نفس السياسة في الدولة البيزنطية ، والتي أدت الى قيام الحركة اللايقونية (حركة تحريم عبادة المور) .
 - (٥) اتضح أن يزيد لم ينكث كل اصلاحات عمر بن عبد العزيز ، وإنما خالفه في بعض الاجراءات المالية والادارية ، وأن عهده شهد الكثير من المنجزات والاصلاحات والتنظيمات .
 - (٦) تطور وتنامي الحياة العلمية في عهده ، وبخاصة العلوم الدينية ، وكذلك الادب ، والكتابة التاريخية ، فكان عهده استمرارا لعمر القوة من عمر الدولة الاموية .

الطالب

المشرف

عميد كلية الشريعة

عبدالله بن حسين الشنبري الشريف د. احمد السيد دراج د. سليمان بن وائل التويجري

مشهور و عفا
بسم

شكر وعرفان

حمدا لك اللهم على نعمائك وشكرا ، نحمدك ان جعلتنا
لادم فكرممتنا وفعلتنا وهديتنا لاسلام ، وجعلتنا من امة محمد
عليه الصلاة والسلام ، خير امة اخرجت للناس .

ولك الثناء ان جعلتنى من طلاب العلم ، فوفقت واعنت
ويسرت ، فلك الحمد كما اثنيت على نفسك .

واتباعا لسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى
قال : "لم يشكر الله من لم يشكر الناس" ^(١) ، فانى اشكر كل
صانع معروف ، واعترف بجميل اولى الفضل ، وادعوك ربى ان
تثيب كل من كان سببا فيما اسبغته علينا من النعم .

واخص بالشكر والعرفان استاذى الدكتور احمد السيد
دراج ، الذى كان له بعد الله ، الفضل فى اخراج هذا البحث
بالصورة التى ظهر بها ، والذى ماقتى، يعلمنى مناهج البحث
العلمى الجاد ، مانحا اياى علمه وتوجيهه وجهده ، محيطتى
برعايته واهتمامه .

فما انفكيت آخذ عنه ، واستنير بآرائه ، فوجدت عطاء
شرا ، ومعينا لاينضب ، جزاه الله عنا خير الجزاء .

واخيرا دعوة ماذقة لوالدى - رحمه الله - الذى اخذ
بيدى فى بداية حياتى الدراسية ، وحثنى على طلب العلم ،
وسلوك طريقه ، اسكنه الله فسيح جناته ، وجعل ذلك فى
موازين اعماله . والحمد لله رب العالمين .

(١) روى الحديث ابو هريرة رضى الله عنه ، انظر/مسند
الامام احمد ، ٢٤٦/٣ - سنن ابى داود مع شرح عون
المعبود ، ١٦٥/١٣ - جامع الترمذى بشرح تحفة الاحوذى ،
٨٧/٦ .

المقصد

المقدمة

الحمد لله الذى علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم ،
والصلاة والسلام على من بَعَثَ فينا لِيُعَلِّمَنَا الكتابَ والحكمة ،
نبيّنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومنّ مار على نهجهم
واتّبع هداهم إلى يوم الدين .

أما بعد ، فهذا موضوع رسالة ماجستير فى التاريخ
الإسلامي ، بعنوان (الدولة الأموية فى عهد الخليفة يزيد بن
عبد الملك " ١٠١ - ١٠٥ هـ ") .

ومن المعلوم أنّ اختيار الموضوعات العلمية الجامعية
يقوم على أسس يأتى فى مقدمتها ، أهمية الموضوع وجدته .
والحق أنّ عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، له أهميته
البالغة ، فهو جزءٌ من العصر الأمويّ ، الذى هو فى أمسّ
الحاجة إلى دراساتٍ علميةٍ جديدةٍ ، تقوم على أسس البحث
العلميّ وتطبق مناهجه ، لإعطاء صورةٍ ناصعةٍ ، لايشوبها الكدر
لتاريخ ذلك العصر ، وإنما لتقديم صورةٍ واضحةٍ ، هى أقرب
ماتكون إلى المحقّ والحقيقه ، وإنّ شأها شيءٌ من الكدر ،
فالتاريخ البشريّ ، هو تاريخٌ لحياتٍ أممٍ وأفرادٍ ، فيهم
الخير والشر ، والمصواب والخطأ ، وهو رصدٌ لحضاراتٍ تزدهر
وتضمحل ، ولها جوانبٌ مشرقةٌ كما لها جوانبٌ أخرى مظلمةٌ .

وإنّ مما يؤكد أهمية دراسة تاريخ العصر الأمويّ ، هو
معرفةنا بأنّ ماوصل إلينا من تاريخه ، لم يُكتب إلا فى العصر
العباسيّ ، وهذا ماأدى إلى تشويه بعض الحقائق ، من إخفاء
لبعض محامده ، وتقليل من شأن منجزاته ، وإبراز وتغخيم

لسلبياجه ، وهذا لايعنى عدم وجود مؤرخين ، كانوا بمنأى عن
 الهوى فى كتاباتهم عن تاريخ بنى امية ، فهناك من التزم
 الحق فيما دَوَّنَ ، ومنهم مَنْ جمعَ وقَيَّدَ ما بلغَ علمه عن تاريخ
 ذلك العصر ، حسنه وسيئه ، لثته وسمينه . وهذا مستند قولنا
 فى حاجة تاريخ ذلك العصر ، بل والعمور الإسلامية الاولى
 جميعها ، إلى دراسات علمية جديدة ، ولعل الدراسات
 الجامعية تقوم بهذا الدور ، وهى بلاشك اقدر الدراسات على
 ذلك ، إذا ما توخى الحق ، وتجنبَت الهوى ، ووعت المسئولية
 وادركت الهدف . بل إنها ستكون خطوة فى طريق إمداد كتابة
 التاريخ الإسلامى ، الذى لايعنى بحال من الأحوال ، نكت
 التاريخ القديم ، واختلاق تاريخ جديد ، او تصفيته من كل
 شائبة ، بل تصحيح ذلك التاريخ بدراسات جديدة ، تقوم على
 اسس ومنهج علمية ، غايتها الحقيقة ، ولاغير الحقيقة .
 فيكفى امة الإسلام أن تجلوا حقائق تاريخها المجيد ، وفى
 حقائقه من السمو والمجد والرفعة ، مافيه فخرها وعزها ،
 كيف لا ، وهو تاريخ امة تشريعها وجوهر حضارتها ، دين الإسلام
 ورائد تاريخها رسول السلام ، صلى الله عليه وسلم .

اما الاهمية الثانية لعهد الخليفة يزيد بن عبد الملك
 فتأتى من كونه جاء بعد عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز
 (٩٩ - ١٠١هـ) ، الذى قام بدور مميز فى إصلاح احوال الدولة
 الاموية من جميع الجوانب ، والعودة بالخلافة إلى سيرة
 الخلفاء الراشدين - وسنبيّن اهم إصلاحاته ومعالم سياسته فى
 التمهيد - وتكمن هذه الاهمية فى قول عدد من المؤرخين ، بأن
 يزيد بن عبد الملك ، نكت إصلاحات عمر بن عبد العزيز ، وعمد

إلى كل ما منعه عمر مما لم يوافق هواه فردّه .
وتتضح أهمية هذا الجانب أيضًا ، فيما قيل عن شخصية
الخليفة يزيد ، وطقن بعض المؤرخين عليه في دينه ، واتهامه
بالفسق والفجور ، والقول بحبه للنمّ والملذات ، من شرب ،
ونساء ، وغناء ، وانصرافه عن القيام بمسئوليات الحكم إلى
ذلك ، مما أدى إلى ضياع أثر جهود الخليفة عمر ، وفساد
أحوال الدولة .

كما أنّ مجيئه بعد عمر ، مع ما بين شخصيتي الرجلين من
تفاوت واختلاف ، واستحواد عمر وعمره على اهتمام المؤرخين ،
لما تمّ فيه من خير وإصلاح ، وعودة إلى سيرة الراشدين ،
وتطبيق شرع ربّ العالمين ، الذي إليه تطمئن النفوس ، لقيام
الحقّ والعدل به وعليه ، جعل عهد يزيد يتوارى في ظلال عمر
وعهده .

وتلك المقولات على ما فيها من باطل ومبالغة ، فإنّ فيها
بعض الحقّ وليس الحقّ كلّهُ - وهذا سيتضح من خلال دراستنا
لسيرة يزيد ، ومناقشتنا الجدية لسياساته ومنجزات واحداث
عهده من جميع الجوانب - ومع ذلك فقد اتخذها بعض المؤرخين
مرتكزاً للقول بأنّ عهد يزيد ، يعتبر من ادقّ مراحل العمر
الأمويّ ، لانه يمثل بداية النهاية للدولة الأموية ، ولأن
عوامل الضعف والانحيار اخذت تنسج خيوطها حول جسم الدولة ،
على يد هذا الخليفة .

ومن هنا جاء دورنا في تحقيق مدى صحة هذه الأقوال ،
وتسليط الأنوار على تلك الفترة من عمر بني أمية وذلك من
خلال دراسة عهد يزيد وسيرته ، عرضاً وتحليلاً ، مناقشة

ومقارنته ، استنباطاً واستنتاجاً ، وهو عملٌ هُمنا الأولُ فيه معرفةُ أحوالِ الدولةِ الأمويةِ في عهدِ هذا الخليفةِ . أما سيرتهُ ، وإنْ عرَفْنَا لها في شيءٍ من الإيجازِ فإنَّ الذي يهْمُنَا من دراستِها في المقامِ الأولِ ، هو مدى أثرِها على الدولةِ ، وسياساتِ حاكمِها ، وجلاءُ بعضِ الحقائقِ حولَها .

ولنْ نستعجلَ القولَ بما توصلْنَا إليه من هذه الدراسةِ ، فبيانُهُ في ثناياها ، ومجمُلُهُ في نتائجِها ، لكن من المستحبِ أنْ نشيرَ إلى أنَّ يزيدَ لم يكنْ بخلِكِ الصورةِ السيئةِ التي رسمَها له بعضُ المؤرخينَ ، من القدماءِ والمحدثينَ ، وأنَّ في عهدهِ من المنجزاتِ والأحداثِ ، ما هو جديرٌ بالدراسةِ ، وتحقيقِ بالبحثِ . وأنَّ الدراسةَ الجديةَ لعَهدهِ وسيرتهِ ، وإنْ كشفتْ عن حقيقةٍ جانبٍ مما ذُكرَ حولَهِ ، فإنَّ ذلكَ لم يؤثرْ بشكلٍ ملموسٍ على الدولةِ في عهدهِ ، بل إنَّ الدولةَ في عهدهِ استمرَّتْ في مسيرتها وحققَتْ عدداً كبيراً من الإنجازاتِ ، وعاشتْ في وحدةٍ ونموٍ ، ونجحَ الخليفةُ يزيدُ إبَّانَ عهدهِ في درءِ الأخطارِ الداخليةِ والخارجيةِ ، وحفظِ حدودِها ، وصانَ بيفتحها ، وحمى دينها وأهلها .

إنَّ دورَ الباحثِ ومبعثَ فخره كما يقولُ استاذي الجليلُ الدكتورُ أحمدُ السيدُ دراج ، ليس في التعرفِ لعمورِ الأزدهارِ ، وشخصياتِ المشاهيرِ من رجالِ التاريخِ ، بل يكونُ في بحثِ ما يكونُ أحوَجَ إلى الدراسةِ من الموضوعاتِ البكرِ ، والفتراتِ المعمليةِ ، والشخصياتِ المغمورةِ ، إذا ما كانت تمثلُ مراحلَ دقيقةً ، وتجلو حقائقَ مبهمَةً ، وتمسحُ ببعضِ المفاهيمِ التاريخيةِ .

والحق أنَّ العناءَ والجهدَ في مثل هذه الموضوعاتِ اشدُّ واعظُمُ ، والمماعبُ أكثرُ واكبرُ ، لما يواجهه الباحثُ من ندرةِ المعلوماتِ ، والمطرابِ الأقوالِ ، وعموضِ الحقائقِ ، وقلةِ الدراساتِ المساعدةِ والموجهةِ .

إنَّ عهدَ الخليفةِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، يمثلُ هذه النوعيةَ من الدراساتِ ، وتنطبقُ عليه دواعي البحثِ التي اشرنا إليها آنفاً ، كما أنَّ هناك سبباً أخيراً اسهمَ في اختيارِ هذا الموضوعِ ، وهو أنَّ هذا العهدَ لم يُدرَسْ من قبلُ في دراسةٍ علميةٍ جامعيةٍ ، ولا كتابٍ علميٍّ مستقلٍّ ، حسبَ ما وصلَ إلى علمينا فقد تَقَصَّيْتُ ما استطعتُ الرسائلَ الجامعيةَ التي تناولتِ العصرَ الأمويَّ ، فوجدتُ أنَّها قد تعرَّضتْ لجلِّ الخلفاءِ الأمويينَ وعمودِهِم بـل إنَّ بعضهم كُتِبَ فيه أكثرُ من رسالةٍ وكتابٍ علميٍّ ، كما صاويةً رعى الله عنه ، وعبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، وعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ وغيرِهِم . وتبيَّنَ لى من خلالِ هذا الاستقصاءِ ، عدمُ وجودِ أيِّ دراسةٍ جامعيةٍ عن عهدِ يزيدَ أو شخِصِهِ . كما حاولتُ معرفةً إذا ما كان قد أُلِّفَ حوله كتابٌ علميٌّ غيرُ جامعيٍّ ، يخدمُ الموضوعَ ويغنى البحثَ ، فتعقبتُ قوائمَ المراجعِ الملحقةِ بكتبِ التاريخِ الإسلاميِّ ، وبالأخصِ مايتعلَّقُ بالعصرِ الأمويِّ ، وبحثتُ في فهارسِ مكتباتِ جامعةِ أمِّ القرى ، وجامعةِ الملكِ عبدِ العزيزِ ، ومعظمِ الجامعاتِ العربيةِ ، وسالتُ أهلَ العلمِ وطلابهَ المتخصصينَ في التاريخِ الإسلاميِّ ، فاتَّضحَ لى أنَّه لم يُؤلَفْ أيُّ رسالةٍ جامعيةٍ أو كتابٍ علميٍّ ، عن يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، أو عهده .

وعلى أساسِ أهميةِ هذا العهدِ ، ودواعي البحثِ في هذه الفترةِ ، جاءَ اختيارُنا دراسةَ الدولةِ الأمويةِ في عهدِ يزيدَ

ابن عبد الملك ، موضوعا لهذه الرسالة .
وقد قام بناؤها ، واستقرت خطتها ، بعد الدراسة وجمع
المعلومات ، والتصوير الاموي والاصح ، وفق التبويب التالي :
هذه المقدمة ، وعرض لاهم المصادر والمراجع ، وتمهيد ، وستة
فصول ، وخاتمة .

وقد حوت المقدمة كبيان اهمية موضوع الرسالة ، ودواعي
اختياره ، ثم دراسة نقدية لاهم المصادر والمراجع .
اما التمهيد فهو تحت عنوان : عرض موجز لحالة الدولة
الاموية مطلع القرن الثاني الهجري ، بيننا فيه ماوصلت إليه
هذه الدولة من تطور ونماء ، وماحققت من منجزات قبل عهد
الخليفة يزيد ، في عرض عام وموجز ، وبشكل يوضح كيف اصبحت
مورة الدولة في نهاية القرن الاول ، ثم عرشنا بعد ذلك لاهم
معالم عهد عمر بن عبد العزيز ، واهم سياساته ، لكون عهده
(٩٩ - ١٠١هـ) جاء في نهاية القرن الاول من الهجرة ، وبداية
الثاني . فكان حلقة الوصل بين إنجاز الماضين من خلفاء بني
امية ، ويزيد بن عبد الملك ، ومن تبعه من الخلفاء
الامويين .

وتكمن اهمية عرض سياسات عمر بن عبد العزيز ، ايما ،
لأنه قام بإصلاح كثير من احوال الدولة الاموية ، وتمحيص بعض
اوضاعها ، وسياسات بعض خلفائها وفقا للنهج الإسلامي .
وتزداد اهمية هذا العرض الموجز لمعالم سياسته ، لأننا
سنكون امام مواقف مختلفة للخليفة يزيد ، من سياسات عمر
وإصلاحاته - كما اشرنا إلى هذا في المقدمة سالفا ، وهو
ماساناقشه في كل موطن يرد ذكر ذلك فيه ، خلال هذه

الدراسة - ومن الجدير ذكره ، أنَّ ما سنعرِّفه من معالم سياساتٍ عمرَ خلالَ التمهيدِ ، لا يغنيُنا عن ذكرِ تفصيلٍ بمعنى تلك السياساتِ والإصلاحاتِ والمنجزاتِ ، ومناقشتِها ، في ثنايا هذه الرسالةِ ، مقارنةً وتحقيقًا ، أو توضيحًا وتمحيصًا ، وذلك عند ذكرِ مواقف الخليفةِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ منها ، سواءً كان موافقًا أو مخالفًا لها .

أما الفصلُ الأولُ من الرسالةِ ، فقد خصَّصناه لدراسةِ سيرةِ الخليفةِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، وقد تناولنا فيها بشكلٍ موجزٍ نسبه ، وحياته قبلَ الخلافةِ وبعدها ، مارفين للمعهدِ له بالخلافةِ وتوليها ، وما حولَ ذلك من الأخبارِ . وقد ركزنا اهتمامنا على شخصيةِ يزيدَ والعواملِ المؤثرةِ فيها ، وما قيلَ عنها ، مالها وما عليها ، وأخيرًا الخروجَ بصورةٍ أقربَ ما تكونُ إلى الموضوعِ ، تمكُّنًا من معرفةِ مدى أثرِ تلك الشخصيةِ على الدولةِ الأمويةِ .

والفصلُ الثاني من الرسالةِ تناولَ الأحداثَ الداخليةَ للدولةِ الأمويةِ في عهدِ يزيدَ ، وينقسمُ إلى خمسةِ مباحثٍ : المبحثُ الأولُ : تحدثنا فيه عن حركةِ يزيدَ بنِ المهلبِ ، وقد قدمناها ، لأهميتها حدثًا ، وأسبقيتها زمنًا ، وهو مبحثٌ كبيرٌ فاقَ بقيةَ مباحثِ الفصلِ الأخرى حجمًا ، وذلك راجعٌ لأهميةِ هذه الحركةِ التي كادت أنْ تطيحَ بالحكمِ الأمويِّ ، ولوفرةِ المعلوماتِ عنها ، فقد اهتمَّ المؤرخونَ بها ، حتى إنَّ مادتها في بعضِ المصادرِ ، قد طفتُ على ما ذكرَ عن بقيةِ أحداثِ عهدِ يزيدَ مجتمعةً . وهذا ما أدى إلى طغيانِ هذا المبحثِ على المباحثِ التي تناولتْ الحركاتِ الأخرى ، مع أنَّ من تلك

الحركات مالا يقل أهمية وخطراً عن حركة ابن المهلب ، وذلك راجع إلى شح كثير من المصادر بالمعلومات عن تلك الحركات ، بل إن بعض المصادر أغفل ذكر بعضها أو كلها تماماً .

أما المبحث الثاني : فعرضنا فيه لحركات الخوارج زمن يزيد ، وكانت أربع هي : حركة شاذب ، وحركة مسعود العبدى ، وحركة مصعب الوالبي ، وحركة عقبان . واطرها الحركة الاولى وقد اوردنا احداثها ، وناقشنا بعض الحقائق المختلفة عليها عارضين لممارسة الخليفة الاسلوب السلمى بجانب العسكري ، فى القضاء عليها .

والمبحث الثالث : تحدثنا فيه عن حركة شيريم اليهودي فى بلاد الشام ، وهدفها واحداثها واثار الفكر اليهودي فى قيامها مع مانع به اهل الذمة من رعاية وامن فى حوى الدولة الاسلامية .

ومثلها حركة بلاي ، التى مثلت محتوى المبحث الرابع ، وماحبها من نصارى الاندلس ، كؤن اول قوة من المتمردين النصارى ضد الحكم الاسلامي . وتمثلت خطورتها واهميتها ، فى كونها نواة المقاومة النصرانية للوجود الاسلامي فى الاندلس واساس الممالك النصرانية التى قامت هناك ، وتمكنت من اخراج المسلمين من تلك البلاد على مدى ثمانية قرون . وهذا مادعانا لاستعراض الحركة من اولها حتى موت صاحبها واثارها مركزين على دور عمالي يزيد على الاندلس فى مقاومتها ومحاولة القضاء عليها . وإن امعب ماواجهنا فى دراستها ، اختلاف المصادر والمراجع على التاريخ لقيامها ، وتطورها ، فعملنا على دراسة النمو ومقارنتها ، وترجيح مآرائنا اقرب إلى المحة .

أما المبحث الخامس والآخر من هذا الفصل ، فقد احتوى على الحديث عن حركة نصرانية أخرى ، قامت في الأندلس أيضا ، وكانت بقيادة أخيل بن غيطشة ، وكان هدفها استعادة مملكة القوط التي كان يحكمها أبوه قبل لدريق .

وفصل ثالث : اختص بالحديث عن مرسوم الخليفة يزيد القاسي بتحطيم الأضرحة ، وكسر الملبان ، ومحو الصور ، وإزالة التماثيل ، وهدم الكنائس المستحدثة . وهو مرسوم بالغ الأهمية ، اقل جل المؤرخين ذكره ، وجعل الكثير أمره وتكمن أهميته ليس في آثاره ونتائجه الداخلية ، ولكن في مداه خارجيا ، وبالأخص في الدولة البيزنطية وخلال مناقشة هذا المرسوم ، عرضنا لبعض حقوق أهل الذمة ، وما صولحوا عليه ، وحكم التموير في الإسلام ، وأسباب هذا المرسوم ونتائجه ، وآثاره داخليا وخارجيا .

ورابع الفصول ، كان تحت عنوان : الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة يزيد ، بيننا فيه نشاط الفتوحات في عهده ، ورفع راية الجهاد الإسلامي في كل الجبهات ، ويتكون من أربعة مباحث .

الأول منها عن الفتوحات فيما وراء النهر ، وقد عرضنا فيه إلى جهود عمال يزيد على خراسان في إخماد تمرد الصفد في ذلك الإقليم ، وإعادة السيطرة الإسلامية على تلك البقاع . وقد برز سعيد الحارثي كقائد فذ ، أعاد السيادة الإسلامية على كل البلاد التي فتحها قتيبة بن مسلم في مارواه النهر .

والمبحث الثاني ، تناول الفتوحات في أرمينية ، وقد تعرضنا فيه إلى تحرك الخزر على تلك الجبهة ، وغزو الممالك

الإسلامية هناك ، وتمدّي المسلمين لذلك ، وبرز الجراحُ الحكيُّ عاملُ يزيدَ على ذلك الإقليم ، كقائدٍ مقتدرٍ ، تمدي للاعداء ، واعادَ هيبةَ المسلمين في قلوبهم .

أما المبحثُ الثالثُ ، فكان عن الفتوح في ارض الروم ، برا أو بحرا . عارفين فيه للموانئ والشواطئ وتغير نظامها في عهده ، والحملة البحرية وخاصة في الحوض الاوسط والغربي للبحر المتوسط عن طريق اسطول افريقية ، وبقاء زمام المبادرة بأيدي المسلمين في حربهم مع الروم .

أما المبحثُ الرابعُ ، فكان عن الفتوحات في بلاد الغال وقد شهد عهدُ يزيد حملةً من اشهر الحملات الإسلامية في تلك البقاع ، وهي حملةُ السمح بن مالك الجولاني ، والإعداد لحملةٍ تاليةٍ قادها عنبسة بن سحيم الكلبي في اول خلافة هشام ، مواملا الفتوح في تلك البلاد . وقد حرصنا على تحقيق تاريخهما ، لمعرفة في أيّ عهدٍ تم قيامُ واحداثٍ كلٍّ منهما ، ثم عرّفنا لاحداث الاولى بالتفصيل ، وعالجنا اخبارها وبرزت نتائجها ، وكذلك عرّفنا لآخرى بإيجازٍ ، مبينا سبب فشل الحملات الإسلامية في تلك البلاد من احداث فتح شامل ودائم .

ومن اهم فصول هذه الدراسة ، الفصلُ الخامسُ ، الذي اشتمل على سياسة الخليفة يزيد الإدارية والمالية ، وفيه تعرفنا على كثير من سمات التنظيم المالي والإداري في ذلك العصر ، وماوصل إليه من تطورٍ وضبطٍ ودقةٍ .

وينقسم هذا الفصل إلى مبحثين :

المبحثُ الاولُ عن السياسة الإدارية ، ويحضرع إلى عددٍ من النقاط ، الاولى : عما قيل عن سياسة يزيد الإدارية ، وموقفه



(١١)

من سياسة عمر في هذا المجال ، وحقيقة ذلك ومناقشته في ضوء
حقائق عصره ونماذج سياسته ، والخلوص أخيراً إلى معالم
وسمات سياسته الإدارية . والنقطة الثانية : عن رجال الإدارة
في عاصمة الدولة دمشق . أما النقاط من الثالثة وحتى
العاشرة ، فقد عرفت فيها لذكر عماله على أقاليم الدولة
الإسلامية كلها . وقد تناولت بالدراسة ولاية كلٍّ منهم
والتاريخ لها وإيرادهم وفق الحرتيب الزمني ، والتحقيق في
اضطراب الروايات حول أسمائهم وتاريخ ولاياتهم وحثيبتهم .
إلى جانب ما توفر لدينا من معلومات حول سياساتهم في إدارة
تلك الأقاليم ومنجزاتهم الإدارية ، من أعمال استحدثوها ، أو
أنظمة طوروها ، أو فساد إداري أصحوه . كوضع الديوان
الرابع لأهل مصر ، وتنظيم الحكومة الإسلامية في سبتمانيا
بجنوب بلاد الفال وغير ذلك ، وتطوير بعض الأنظمة الإدارية
والمالية ، ومبطلها ، والتصرف على شكل الهيكل الإداري من
تلك المعلومات مجتمعة ، وما استحدث من وظائف ألزم التطور
واتساع الدولة إنشائها ، وإلقاء اللواء على وظائف كانت
شبه مجهولة من قبل . كإهتمام بوظيفة المرزبان في خراسان ،
والتصرف بوظيفة الخابوت في مصر . كما أشرنا إلى جهودهم
في نشر الدين والعلم والأمن ، وتعمير البلاد .

أما المبحث الثاني من الفصل الخامس ، ففي سياسته
المالية ، ويتكون من عدد من النقاط ، أولها : عما قيل عن
سياسته المالية ، ومدى صحة ذلك وسمتها الحقيقية ، وبعض
مظاهرها . عارفين لبعض أوامره في هذا الشأن ، وبعض مظاهر
التنظيم المالي والقبض ، كتجويد العملة ، ومبطل المكاييل

والمسوازين ، وتطور استخدام السفاح . اما النقطة الثانية فمن الجزية ، ومناقشة القول بإعادة فرضها من قبله على من اسلم ، عارفين بمدى صحة القول بفرضها على من اسلم من قبل ورفضها عنهم من قبل عمر بن عبد العزيز ، كما تعرضنا لفرضها على رجال الكنيسة ، وخاصة في مصر ، وناقشنا ذلك . وكذلك ما كان مفروضاً على ثمارى النجرانية ، وقبرص ، وغير ذلك في هذا الصدر . اما النقطة الثالثة ، فمن الخراج ، وموقف يزيد من سياسات عمر الخراجية ، والعمل على ضبطه وتنظيمه وزيادته ، كمنح السواد ، عارفين لاسباب ذلك وآثاره وفرض هريبة الخراج على املاك الكنائس والاساقفة ، وغيره مما ذكر في هذا الجانب .

ونقطة رابعة : كان مدار الحديث فيها عن الضرائب ، وما اعاد يزيد فرضه منها بعد ان رفعه عمر . وقد عرفت خلال ذلك لمناقشة بعض الاقوال ، مستقمية الحقيقة ، متطرقاً لكل انواع الضرائب التي اخبر عن فرضها وفي اي الاقاليم والاسباب الداعية لذلك .

اما العطاء ، فكان موضوع النقطة الخامسة ، وذكرنا فيه تسخير من قبل يزيد لخدمة الدولة ، واثار شخصيته فيه . وخامسة ، عن الإقطاع ، وسياسة يزيد في هذا الصدر ، وتوجيه لخدمة اغراض الحكومة ومكافاة رجالها المخلصين . اما الفصل السادس والاخير من هذه الرسالة ، فقد درسنا فيه اهم مظاهر الحياة العلمية في الدولة الاموية في عهد يزيد بن عبد الملك . وينقسم إلى اربعة مباحث .

المبحث الأول عن العلوم الدينية ، ويتفرع إلى أربع نقاط ، الأولى : عن القراءات ، والثانية عن التفسير ، والثالثة عن الحديث ، والرابعة عن الفقه .

أما المبحث الثاني ، فمن الأدب ، مقدمين باهتمام يزيد بالأدب ورعاية أهله ، عارفين لأهم فنون الأدب آنذاك ، وهي الشعر والخطابة ، والكتابة ، ذاكرين القمصن والوعظ .

أما المبحث الثالث : فتناول بالدراسة الكتابية التاريخية ، من حيث ما وصلت إليه آنذاك من تطور ، وأشهر رجالها ، ونحاجهم ، وأشر ذلك في مستقبل الكتابة التاريخية .

وأخيرا المبحث الرابع ، عن بعض مظاهر النشاط العلمي في ذلك العهد .

ولقد اعتمدت بشكل كبير في هذا الفصل على تراجم رجال كل علم وفن ، لما وجدته في ثناياها من قيم المعلومات التي امانتنا على رمدها ما وصلت إليه تلك الفنون من تطور ونماء في ذلك العهد ، وإبراز دور رجالها ، جهودهم ، ونحاجهم ، وأثارهم ، بشكل يمكن من تصور واضح لتلك الجوانب .

وأخيرا اتممت هذه الرسالة بخاتمة عن أهم نتائج هذه الدراسة وما توصلنا إليه من حقائق ومفاهيم .

دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع

طبيعة الموضوع تحدد أساليب معالجته ، ونوعيات مصادره ونحن بمقدور دراسة عامة عن الدولة الأموية في هذا العهد ، تناولنا من خلالها سيرة الخليفة وسياسته ، والحركات الداخلية والفتوحات الخارجية ، والسياسة الإدارية والمالية ونظمها ، كما خصصنا مظاهر الحياة العلمية بجانب من هذه الأطروحة .

وهذا مادعانا الى العودة الى عدد وافر من المصادر والمراجع ، ونوعيات مختلفة منها ، فأخذنا عن مصادر التاريخ العامة ، وكتب العمال ، ولجاننا لكتب الفتوح والاموال ، والمعاجم ، وتراجم الرجال ، وغير ذلك ، والغاية تغطية مجالات البحث واثراتها .

ومن أهم تلك المصادر التي اعتمدنا عليها في هذا البحث : كتاب الخراج لأبي يوسف (١١٣ - ١٨٢هـ) ، وهو يعقوب ابن ابراهيم بن حبيب الأنصاري ، ولد ونشأ بالكوفة ، وتعلم بها ، وكان من أبرز تلاميذ أبي حنيفة ، وقد عرف بالفقه مع علمه بالتفسير والمغازي وأيام العرب والحديث . قال عنه أحمد بن حنبل : صدوق . وقد تقلد القضاء لثلاثة من خلفاء بني العباس ، وهو أول من دعى بقاضي القضاة .

أما مصنفاته فعدة ، منها هذا الكتاب ، وهو أشهر وأقدم ما وصل اليها من المصنفات المالية . وقد ألفه بناء على رغبة هارون الرشيد في أن يلصق له كتابا عن جباية

الاموال . فدونه في مقدمة وستة وثلاثين فصلا ، مقسمة على
 اساس الموضوعات ، وبميغة السؤال والجواب ، تناول فيها
 موارد بيت المال ، وطرق جبايتها ، واحكامها ، وماعومل به
 اهل البلاد المفتوحة ، وحقوقهم ، مالههم وماعليهم ، وقد
 ناقش آراء الفقهاء حول ذلك ، وماينبغي للسلطان فعله ، في
 أسلوب علمي رصين ، ملتزم بالاسناد آخذ بتعدد الروايات ،
 جامع بين الدراسة الفقهية والاحداث التاريخية ، فقد كان في
 استطراذه كثير من الاخبار والحقائق التاريخية القيمة .

وقد افدنا منه في الفصل الرابع عند دراستنا للسياسة
 المالية ، وبخاصة الخراج والجزية ، والضرائب والقطائع ،
 وغيرها ، كما افدنا منه في حقوق اهل الذمة واحكامهم ،
 وبعض ماصولحوها عليه ، عند مناقشتنا لذلك خلال مرسوم
 الخليفة يزيد في الفصل الثالث ، وقد وجدنا لديه معلومات
 وحقائق متميزة ، وآراء فقهية حول بعض القضايا التي عرطنا
 لها .

والطبقات الكبرى لمحمد بن سعد الماشمي ، وقيل :
 الزهري بالولاء (١٦٨ - ٢٣٠هـ) المعروف بكاتب الواقدي ، ولد
 بالبصرة ومات ببغداد ، وارتحل الى مكة والمدينة ، وتلقى
 العلم على مايقارب الخمسين شيخا من علماء هذه المدن ،
 واخيرا لازم الواقدي ببغداد ، مما كان سببا في لقبه ،
 وقرينة لابن النديم في قوله : ان ابن سعد الف كتبه من
 تمنيفات الواقدي .

وقد شملت دراساته القرآن والحديث والفقه والانساب
 والتاريخ وعلم الرجال واللفة والنحو ، ثم تعدد للتدريس ،

وعنى بالتأليف ، فكان كتابه هذا أهم مؤلفاته وأشهرها .
وقد صدره بمسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في مجلدين ، ثم
عرض لتراجم الصحابة والتابعين ، ثم لتراجم النساء ، على
أساس الطبقات . وقد نشر هذا الكتاب في تسعة مجلدات ،
التاسع منها للفهارس ، بعناية وتحقيق المستشرق سخاو
وعاونه فيه آخرون ، وطبع في ليدن فيما بين سنة ١٩٠٤م وسنة
١٩١٧م . كما طبع عدة طبعات أخرى . وقد سقطت بعض طبقاته ،
فحققها أخيرا بعض الباحثين : الباحث زياد محمد منصور^(١) ،
والباحث محمد بن مامل المسلمي^(٢) ، والباحث عبد العزيز بن عبد
الله السلومي^(٣) .

وقد تميز أسلوبه بسوق الخبر عن مجموعة من العرويات ،
مع ذكر الأسانيد مجموعة ، وإن قل استعماله للأسانيد في
الأجزاء الأخيرة ، وبخاصة لتراجم القصيرة . كما تميز
برواية السيرة في قمة مترابطة ، ونقد الروايات أحيانا ،
والإشارة إلى وظائف صاحب الترجمة ، وورود بعض الحقائق
التاريخية وبخاصة العسكرية ، والعلمية والاجتماعية ، في
شأيا تفعيلات الترجمة .

وتتمثل افادتنا منه في كثير من المعلومات والتراجم
المتناثرة في معظم الفصول ، ولاتعود أهميته بالنسبة لنا في

(١) حقق طبقة تابعي المدينة ومن بعدهم (من ربيع الطبقة
الثالثة إلى منتصف الطبقة السادسة) وكان عمله موضوع
رسالة دكتوراه بعنوان : الطبقات الكبرى القسم المتتم
دراسة وتاريخ ، (مطبوع) ، طبعة الجامعة الإسلامية ،
بالمدينة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
(٢) حقق طبقة صفار الصحابة ، وعمله موضوع رسالة دكتوراه
قدم لجامعة أم القرى ونوقش عام ١٤١٠هـ .
(٣) حقق طبقة من أسلم عام الفتح ومن بعدهم ، وعمله موضوع
رسالة دكتوراه ، قدم لجامعة أم القرى ، ولم يناقش
حتى الآن .

مخازن المادة العلمية التي استقيناها منه ، فانها قليلة ، ولكنها قيمة بحكم انه اول كتاب وصل اليها من كتب الطبقات والتراجم ، وتركزت افادتنا من طبقة التابعين ، حيث ترجمنا لبعض الاعلام عنها ، واكتسبنا مما حوته من معلومات وحقائق . وتاريخ خليفة بن خياط ، لخليفة بن خياط العمري (١٦٠ - ٢٤٠هـ) بعري من بيت علم ودين ، الف عدة كتب . وصل اليها منها ، كتاب الطبقات ، والكتاب الذي نحن بمصد الحديث عنه . وقد تميز أسلوبه ومنهجه في هذا الكتاب ، باتباع طريقة الحوليات ، وذكر سند الروايات ، وتعدد المرويات حول الحدث الواحد ، مع عدم الاكثار من ذلك ، والاهتمام كثيرا عن الجمع بين المتناقض منها ، وايراد ذلك في ايجاز كبير .

ويعد تاريخ ابن خياط من أهم الكتب التاريخية التي اعتمدنا عليها وافدنا منها ، فهو من اقدم المصادر التي بين ايدينا ، ومصدرا لكثير ممن جاء بعده ، فقد كان ثقة المحدثين ، لذا قدمنا قوله على كثير غيره . وبرزت افادتنا منه في الفصل الثاني والرابع والخامس . اذ تحدث عن حركة ابن المهلب ، ولعل ذلك لاهميتها ، لكنه اغفل معظم حركات الخوارج . كما تحدث عن الفتوح وتميز عن غيره من المصادر المشرقية ، بالحديث عنها في معظم الجبهات ، وبالاخص في البحر المتوسط عن طريق اسطول افريقية ، لكنه اغفل الفتوح في بلاد الغال ، كما وجدنا عظيم الفائدة من القوائم التي ديل بها عمر كل خليفة ، والتي حوت ذكر عماله على الاقاليم وموظفيه على الدواوين ومرافق الدولة المختلفة . حيث

اعتمدنا عليها في العمل الخاص بالسياسة المالية والإدارية خصوصا أنه أوردتهم مرتبين حسب توليهم تلك الأعمال .

وكتاب فتوح البلدان ، لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ) قيل : أنه فارسي الأصل ، كان من رجال البلاط العباسي ، نشأ ببغداد ، أخذ العلم على عدد من الشيوخ ، وجمع الكثير عن طريق الرحلة في طلب العلم ، إلى كثير من البلدان الإسلامية . وكان أحد النقلة عن الفارسية ، وله عدد من المؤلفات أشهرها ، هذا الكتاب وأنساب الأشراف .

وقد تميز أسلوب البلاذري ومنهجه في فتوح البلدان ، بتقسيم الكتاب على أساس الموضوعات ، مع المحافظة على الترتيب الزمني في عرض الفتوح ، وتتبع جهود المسلمين في فتح الأقليم الذي يتحدث عنه حتى زمنه ، مع ذكر كثير من الأخبار المتعلقة بذلك الأقليم ، كالتعريف به أسما وموقعا وتاريخا ومكانا ومدنا وأنهارا ، وغير ذلك . كما ضمن الكتاب كثير من الموضوعات المالية والإدارية والثقافية والعمرائية ، كالتعرض لعهود الملح والجزية والخراج وتمصير الأمصار ، والدواوين وتعريبها وضرب العملة والكتابة ، وغير ذلك . كما اشتمل على بعض الآراء الفقهية ، والمعلومات القيمة في ثنايا استطراده . وقد اتبع طريقة الإسناد في بعض أخباره ، لكنه يروي عن مجاهيل أحيانا ، كما لجأ إلى تعدد الروايات حول الخبر الواحد ، لكنه لا يجمع بين المتناقضات كثيرا ، وأحيانا نجده ناقدا لبعض ما أورده من مرويات ، منسقا وممفيا لما جمع وأورد .

وأفدنا من هذا الكتاب عن أمر الفتوح فائدة عظيمة ،

فهو كتاب عظيم الاهمية لتاريخ الفتح ، وان كانت عن فترة البحث قليلة وموجزة ، ونالت اقاليم المشرق اكثر اهتماماته بينما قل حديثه عن الاقاليم الشمالية ، والمغرب الاسلامى ، والغفل الحديث عن الفتح فى بلاد الغال ، كما قدم لنا معلومات ادارية ومالية قيمة ، اعتمدنا عليها فى الفصل الخامس .

وكذلك اخذنا عن كتابه انساب الاشراف ، ولكن ليس كثيرا اذ ان فترة البحث لايشتمل عليها ماطبع من اجزائه ، مما تيسر لنا الاطلاع عليه منه ، اما المخطوط ، فما وجد من اجزائه بالجامعة ، فان خطها ردىء ، فعاقنا من الافادة منها الا نورا يسيرا .

وتاريخ الامم والملوك لمحمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ - ٣١٠هـ) ، ولد بمدينة آمل من طبرستان ، وتعلم بها ، ثم رحل فى طلب العلم الى الرى وبغداد والبصرة وواسط والكوفة والشام ومصر ، فاخذ عن علمائها ، حتى انتهت اليه الرئاسة فى التفسير والفقه والتاريخ ، وكان عالما جامعا ، واخيرا استقر ببغداد ، وتفرغ للدرس والتأليف . فمنذ عددا من الكتب ، ندين له منها بكتابين من اهم كتب الثقافة الاسلامية وهى التفسير والتاريخ .

ويهمنا كتابه عن تاريخ الامم والملوك (ويسمى تاريخ الرسل والملوك) ، الذى بلغ من خلاله الطبرى بالتدوين التاريخى ، نهاية عمر الحكوين والنشأة ، وكان كتابه من اهم مصادر التاريخ الاسلامى ، بل والمعول عليه فى تاريخ القرون الثلاثة الاولى . وتاريخ الطبرى عالمى عام وشامل ،

بداه بمبدأ الخلق ، وانتهى بعصره ، وينقسم الى قسمين :
الاول ، عن تاريخ ما قبل الاسلام واورده على اساس الموضوعات
والثاني ، عما بعد الاسلام واورده على اساس السنين .

وقد تفوعت مصادره ، وسار في تدوينه على طريقة
المحدثين ، بذكر الاسناد ، مع تعدد الروايات حول الحدث
الواحد ، لكنه عمل على تقديم اقوى الروايات سنداً ، ثم
الروايات المعززة لها ، ثم ايراد ما عداها من الروايات ،
وان كان مخالفاً لها ، او غير معقولاً . وقد حاول انتقاء
مادته وتمييزها ، وان لم يصرح بنقد او ترجيح ، ولعل
اسلوبه هذا اعانه على ان يكون محايداً ، بعيداً عن العوى .
وقد بين منهجه في مقدمته ، واوضح عدم التزامه بالمحيط او
الراجع ، وايراد الروايات المختلفة ، وان ما عطف هو
مسئولية الراوى ، وليس هو .

وقد افدنا منه في بحثنا عظيم الفائدة ، فكان رفيقنا
في كثير من فصوله ، وقدم لنا معلومات غزيرة ، كان بها على
راس المصادر التي اعتمدنا عليها ، وتركزت الافادة منه من
الجزئين السادس والسابع ، وتبين من خلالهما فيما يخص فترة
البحث ، اهتمامه باحداث المشرق الاسلامى ، بينما قلت
معلوماته عن الحجاز واليمن والشام والاقاليم الشمالية
كأرمينية وآسيا الصغرى ، وكذلك مصر وافريقية ، اما الاندلس
وبلاد الغال فاهمل ذكر احداثها .

ومع شمول هذا الكتاب ، الا انه اغفل بعض الحركات
الداخلية ، ذاكرة اهمها في المشرق الاسلامى ، كحركة ابن
المهلب ، وشوذب الخارجى . وصرف همه للحديث عن الامور

السياسية والمشاكل الداخلية وان لم يخل كتابه من اللمحات
الخبارية . وكان يذيل اخبار كل سنة بذكر الاحداث الموجزة ،
فمنها الحديث عن الولاة والقضاة ، وقد اهدنا منها في ذكر
عماله ومعرفة بعض التنظيمات الادارية والمالية وهيكل
الادارة .

ومن اهم مصادر هذا البحث ، تاريخ مدينة دمشق لابن
عساكر ، على بن الحسن بن هبة الله الشافعي الدمشقي (٤٩٩ -
٥٧٢هـ) ، كان من اسرة معروفة بالعلم والدين ، فطلب العلم
منذ صغره ، ورحل من اجله الى كثير من البلدان الاسلامية ،
ثم عاد الى دمشق ، فجلس للحديث حوالي اربعين سنة . واثناء
ذلك اشتغل بالتدوين ، فمكث عددا من الكتب ، كان منها
انجازه الكبير ، وهو تاليف تاريخ دمشق في ثمانين مجلدا ،
الذي صرف في جمع مادته وتدوينه ما يزيد على ثلاثين سنة .
وقد كان شاملا لتاريخ دمشق فضائلها وخطتها وعمارتها
ورجالها ، بل ويتسع نطاق دمشق عنده الى الشام احيانا ،
حين يتطرق الى الترجمة لرجال بعض مدنها كميدا وحلب
وغيرهما . وقد قسم مادة كتابه حسب الموضوعات ، ثم الترجمة
لاعلام دمشق وفق الترتيب الابجدي ، ولم يطبع منه الا الجزء
الاول وبعض الثاني والعاشر ، والباقي مخطوط . وقد تعددت
مصادره ، واتبع طريقة المحدثين ، بذكر السند معما طال او
تعدد . وجمع بين الروايات المختلفة ، وهو كالطبري همه
الجمع مع اهمال النقد وان كان قد عمد الى التحليل بالحديث
والقول المأثور على ما اورده . وقد ظهر على كتاباته التعصب
لدمشق والرفع من شأنها وجمع فضائلها وان كانت غير صحيحة

ولا يقرها العقل . ومع ذلك فقد حفظ لنا مؤلفه هذا ، ما احتوت عليه كثير من المصادر التي فقدت ، وعلم مشائخ ذهبوا أو ذهب ما ألفوا .

وقد أفدنا منه فى النواحي المالية والعمرائية ، أما السياسية فقليلة ، لأن المطبوع لا يغطى فترة البحث ، كما أن اطلاعنا على صورة المخطوط التى نشرت ، أظهرت قلة تعرفه للأحداث السياسية من خلال تراجم الاعلام ، كترجمته ليزيد بن عبد الملك الذى نحن بمعدد دراسة عنده . ومع ذلك لم نعدم الفائدة المتميزة ، من معدر هذا شأنه ، ومؤرخ هو أحد قمم التاريخ الإسلامى .

وكتاب سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد لابن الجوزى جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد (ت ٥٩٧هـ) ومأخذه من مشهورى المؤلفين والحفاظ والوعاظ ، يعد واحدا من بضعة نفر فى التاريخ الإسلامى . والف فى فروع العلم المختلفة ، منها (٩٢) كتابا فى التاريخ والجغرافيا والرجال . ومجموع آثاره (٤٠٢) كتابا ، بين مخطوط ومطبوع . ويهمننا الكتاب الذى نحن بمعدده ، وأفدنا منه فى بحثنا ، وهو واحد من كتبه فى مناقب بعض المشاهير ، ويعد من أوسع وأشمل الكتب التى حوت أخبار عمر . لكن الغالب عليه الاهتمام بسيرة عمر لأحداث دولته ، وهو مع ذلك يقدم معلومات جيدة ومتميزة ، عن سياسته المالية والإدارية ، فأفدنا منه فى الحديث عن سياسة عمر بن عبد العزيز المالية والإدارية ، وإصلاحاته العامة ، ومناقشة سياسة يزيد بن عبد الملك فى ضوء ذلك وموقفه من تلك السياسات فى الفصل الخامس

وقد أورد مادة كتابه على أساس الموضوعات ، أما أسلوبه فتميز بذكر السند على طريقة المحدثين ، وإيراد عدد من الروايات المختلفة عن الخبر الواحد ، مع إغفال النقد أو الترجيح .

أما كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري ، عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (٥٥٥ - ٦٣٠هـ) فيعد من أهم مصادر التاريخ الإسلامي ، وصاحبه من أبرز المؤرخين المسلمين بعد الطبري ، ومؤلفاته التاريخية تبرر ذلك . وقد ولد ابن الأثير بجزيرة ابن عمر على نهر الفرات ، ونشأ بالمومل مع أبيه في كنف الأمراء الزنكيين ، فتعلم على علمائها ، ورحل في طلب العلم إلى بعض بلدان المسلمين ، فبرع في التأليف التاريخي ، ومن أشهر مدونات هذا الكتاب الذي نحن بمقدد الحديث عنه ، والذي يتكون من (١٢) مجلدا ، وهو كتاب تاريخ عالمي عام وشامل ، بدأ بمبدأ الخلق وانتهى به إلى عمره . وقد اتبع فيه النظام الحولي ، وأعطاه الأحداث العامة خلال ذلك عناوين خاصة بها ، وأحيانا يستطرد في تتبع الخبر وإن خرج بذلك عن النطاق الزمني لتلك السنة أما الأحداث المفيرة فجمعها بموجز في نهاية أخبار كل سنة ، عارفا لذكر الظواهر الجوية والأرضية .

وهو في عرض مادته محافظ على التوازن بينها موجز أياها ، ناقد لبعضها ، ومقدم ما ارتفع من الروايات ، وإن شك فيها أو رد الرواية الأخرى ، وترك الحكم للقارئ ، وقليل ما يفعل ذلك وترك طريقة المحدثين ، فقدم رواياته بدون سند . ومع ذلك وقع فيما نقد فيه غيره ، من

ايراد شيء من الاساطير والخرافات والمبالغات ، وخاصة عن تاريخ ما قبل الاسلام والسيرة ، لكنه كان اكثر اتزاناً وجدية وشأناً في التاريخ الاسلامى بعد السيرة ، وهو ما نقل عنه المؤرخون ، واعطى كتابه تلك القيمة . ولاغربة في ذلك ، فقد اعتمد ابن الاثير على من سبقه وخاصة الطبرى ، الذى نقل عنه كثيراً ، بل انه في بعض الاحيان ينقل عنه حرفياً ، ولم يزد دوره من محض ومرجح لبعض ما اورده ، او مفيفا اليه ما عند غيره .

وابن الاثير لم يخل من الهوى كمؤرخ ، ومن ذلك تعامله على ملاح الدين الايوبى ، بحكم علاقته الطيبة بآل زنكى ، وان كان ذلك لا ينقص قيمة كتابه .

ولقد افدنا من هذا الكتاب كثيراً ، ورافقنا في عدد من فصول هذا البحث ، لشموله ، وغزارة مادته . وقد تميز لدينا بما قدم من جديد ، وما انفرد به عن غيره ، وبخاصة في ذكر بعض حركات الخوارج التى لم نجدها عند غيره كابن خياط والطبرى ، كما قدم معلومات وحقائق جيدة عن الفتوح ، وقدم ايضاحات عن اخبارها في الشرق وفي ارمينية وارض الروم ، لانجدها عند غيره وتميز بها عن سبقه ، ومع حرصه على التوازن ، لم نجد له كبير اهتمام ، باحداث المغرب الاسلامى وجزيرة العرب والسند ، وان لم يعملها تماماً .

اما الاخبار الحفارية ، فلم يوليها اهتمامه ، وكذلك النظم المالية والادارية ، وان اكتسبنا بعض المعلومات الادارية ، من خلال ذكره لتولية العمال وبعض اخبارهم .

ومن مصادر هذا البحث العامة ، كتاب البداية والنهاية

لابن كثير ، أبو الفدا عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي (ت ٧٧٤هـ) ، ولد بدمشق وتعلم بها ، ثم رحل في طلب العلم إلى بغداد ومصر ، وتعلم على ابن تيمية والذهبي ، فحاز الكثير من العلوم والمعارف ، فاشتهر بالفقه والحديث والتفسير ، بالإضافة إلى العلم بالتاريخ والسير . وله في تلك الميادين عدد من المصنفات ، يهمنها منها كتاب البداية والنهاية ، الذي يعد من أهم مصادر التاريخ الإسلامي ، وهو كتاب عام وشامل ، بداه مؤلفه بذكر بدء الخليقة ، حتى سنة وفاته ، كما تحدث عن الآخرة وعلامات القيامة ، ووعظ ديني بمخافة الله ورجاء رحمته . وقد عد بهذا الكتاب ومصنفاته الأخرى ، مع كبار المؤرخين ، كالطبري وابن الأثير .

وقد قدم مادته على طريقة الحوليات ، مستفيدا من تاخر عمره ، وتقدم العلوم فيه ، وتوفر التواريخ المدونة ، فجمع مادة غزيرة ، أورد أصح الروايات منها ، حيث عمل على التثبت من الأخبار ونقد الأسانيد . وإن كان قد عد الروايات أحيانا . ولم يكتف بنقد الأسانيد والتثبت من الروايات وذكر أصحها . بل كان يصدر أحكامه ، ويدحض بعض أقوال المؤرخين السابقين ويردها كخبرثة الخليفة يزيد ، والرد على من طعن في دينه . وحرص في كل ذلك على توزيع جهده واهتماماته ، زمنا وموضوعا ، وإن كان قد أغفل بعض الأقاليم كالاندلس وبلاد الغال والسند والحملات البحرية .

ومما زاد أهمية كتابه ذكر وفيات كل سنة ، مع الترجمة لأعلامها ، وقد نال علماء الدين جل اهتمامه ، فأسهب في

الحديث عنهم ، واستطرد في ذكر اخبارهم وشيء من علومهم ، ومع أن ذلك مغل بالفكرة والتسلسل المنطقي ، إلا أنه ساعد على احتواء تلك التراجم على معلومات تاريخية وعلمية وإدارية ، جيدة ، أفدنا منها في الفصل السادس المتعلق بجوانب الحياة العلمية ، وكذلك في الفصول التي اعتمدنا على هذا الكتاب فيها كثيرا .

ومن المصادر العامة التي أثرت هذا البحث ، وبخاصة الفصل السادس المتعلق بالحياة العلمية ، معنفان من كتب الطبقات والتراجم ، استخرجت من ثنايا ماحوته من تراجم للأعلام كثيرا من المعلومات والحقائق ، وبخاصة من تراجم علماء الدين ، فأفدنا منها عند دراسة العلوم الدينية خاصة وغيرها . كما اعتمدنا عليهما في الترجمة لرجال تلك العلوم وبعض الأعلام الآخرين . وأولهما :

سير أعلام النبلاء للذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان قايماز (٦٧٣ - ٨٧٤هـ) ، تركمانى الأصل ، من أسرة تميمية بالولاء ، ولد بدمشق ، ومات بها ، رحل في طلب العلم إلى البلاد الشامية والمصرية والحجازية ، وتركزت دراسته على العلوم الدينية والتاريخ واللغة والأدب ، وبعد أن حظى بنصيب وافر من العلوم ، اهتم بتدوين معنفاته الكثيرة والكبيرة التي تقارب المئة ، واشتغل إلى جانب ذلك بتدريس الحديث في أمهات دور الحديث بدمشق والتي كان يتولى مشيختها ، وقد برزت مكانته العلمية في الحديث والتاريخ والنقد . وكان مفهوم التاريخ عنده يتحمل احتمالا وثيقا بالحديث النبوى الشريف وعلومه ، وظهر ذلك في عنايته بكتب

التراجم التي قامت عليها شهرته كمؤرخ .

أما كتابه هذا، فيتكون من (١٤) مجلدا، الأولين منهما عن السيرة النبوية ، والخلفاء الراشدين . وقد نظمته على الطبقات وخمسة بذكر الاعلام ، واغفل المشاهير والمفمورين ، وشمل به الاعلام من كل الفئات ، وان كان قد آثر المحدثين . وقد تميز أسلوبه في فن الترجمة ، بحسن المياغة والعرض ، ناقدًا للمترجمين مبينًا أحوالهم ، حاكما عليهم ، مقوما لهم ناقدًا مصادره ومؤلفيها . وقد اعتمد الاسناد ونقده كما نقد المتن ، بعيدا عن الهوى ، وفمن تلك التراجم كثيرا من علوم اصحابها وجهودهم وآثارهم ، فحوت بذلك علما عظيما .

كما افدنا من بعض كتبه التاريخية الأخرى ، وهي تاريخ الاسلام . وهو مصنف فخم ، وقد لمتنا موافقة الذهبى فيما أورده فيه من مادة علمية ، بعض ما عند ابن خياط والطبرى وابن الأثير . وكذلك كتابيه دول الاسلام ، والعبر في خبر من غبر . والآخران ليسا كسابقيهما ، وان لم نعد الفائدة منهما .

أما الكتاب الثانى من كتب الطبقات ، فهو تهذيب التهذيب لابن حجر ، شهاب الدين أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى الأمل ، والمصرى المولد والنشأة (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) . تلقى العلم في مصر ، وبلاد الحجاز والشام واليمن واهتم بالحديث خاصة ، وعلوم الدين عامة واللغة ، وانتهت اليه الرحلة والرياسة والحفظ في الحديث ، وانكب على التأليف ، فبلغت كتبه نحو (٢٨٢) مصنفا ، وتولى القضاء ، واشتغل بالتدريس ، والفحوى ، وبلغ مجده العلمى آخر حياته

وشهد جنازته السلطان والخليفة والاكابر وعامة الناس .
وان كان ابن حجر من اقطاب الحديث والعلوم الدينية ،
فهو مؤرخ فذ له تراث تاريخي قيم ، ومن كتبه التاريخية ،
انباء الفمر بانباء الفمر ، والدرر الكامنة في اعيان
المنة الكامنة ، ورفع الاصر عن قضاة مصر ، والاصابة في
تمييز الصحابة ، وقد اهدنا من الاخير ، وغيرها .

والكتاب الذي نحن بمددته وان كان مؤلف ديني في الرجال
وهو اختصار لكتاب تعذيب الكمال في اسماء الرجال للمزى ،
مع زيادات تبلغ ثلث الملخص . وبديهي ان يتبع طريقة
المحدثين في الاسناد ، كما ذهب الى تعدد الروايات ، ونقدها
وامدار الاحكام ، وابداء الرأي . لكن الذهبي فاقه في حسن
صياغة الترجمة وسلامة عرضها .

وقد استقيننا منه مادة علمية جيدة حول جهود العلماء
في خدمة العلوم الدينية وبعض اخبارهم وآثارهم ، والترجمة
لأعلامهم ، سواء كان ذلك في الفصل السادس او غيره واكتساب
بعض المعلومات الادارية او المالية او العسكرية وغيرها ،
فقد يورد في ترجمة الرجل شيئا عن وظائفه او جهاده . مما
افادنا في اكثر من فعل ومنحى .

واعتمد البحث الى جانب المصادر على عدد كبير من
المراجع الحديثة العربية والمعرّبة ، منها الكتاب العلمي ،
ومنها الرسالة الجامعية ، مطبوعة او غير مطبوعة ، ومن
أهمها :

تاريخ بنى أمية لنبيه عاقل ، وقد عرض لتاريخ الدولة
منذ الاحداث التي أدت الى انتقال الحكم لبنى أمية ، حتى

سقوط دولتهم ، وقد عرض لاحداث الدولة وفق عهود خلفائها ، عارضا لسياساتهم ومنجزاتهم والتنظيم المالى والادارى والفتوح والحركات . وقد اهتم بالخطوط العريضة والاحداث العامة ، فى دراسة علمية شاملة ، قامت على التحليل والاستنباط والاستنتاج وابداء الراى وتفنيد التهم والوصول الى حقائق ومفاهيم جديدة . ومن مناقشاته دحض بعض ما اتهم به الخليفة يزيد ، ومناقشة بعض اقوال المؤرخين القديمة حول سقوط الدولة الاموية . ويعاب عليه عدم توثيق كثير من معلوماته ، واهمال تتبع الاحداث وان كان قد بين ذلك فى منهجه .

وكتاب فجر الاندلس لحسين مؤنس . من افضل ما كتب عن تاريخ الاندلس فى عصر الولاة ، وهى دراسة مستفيضة لتلك الحقبة ، اتسمت بالشمول والعمق ، وتطبيق المنهج العلمى فى دراسة النصوص ، فى محاولة من المؤلف للوصول الى حقائق الامور . وقد ادى به ذلك الى استقراء النصوص المختلفة ومقابلتها ومناقشتها والوصول الى ارجح الاقوال ، معتمدا على الكتب العربية والاجنبية ومقابلة ماورد فيها من النصوص وقد خدمنا فى التعرف على السياسة المالية والادارية فى فترة البحث وجهود العمال ، والفتوح فى بلاد الغال ، وقد قدم دراسة مستفيضة عن حركة بلای وحركة اخيلا ، وبقدر اعتمادنا عليه واتفاقنا معه فى كثير من الامور فقد كان لنا عليه بعض الملاحظات ، ابديناها فى نطاق الحديث عن تلك النقاط .

ومن المراجع التى خدمت البحث فى دراسة احوال افريقية

والمغرب ، رسالة الماجستير التي أعدتها فاطمة رضوان تحت عنوان : المغرب في عصر الولاة الأمويين ، وهي لم تطبع .

وكتاب ممر في فجر الاسلام لسيدة كاشف . وهو رسالة جامعية في الأصل ، اتسم بالشمول والعمق وتناول الأمور السياسية والعسكرية والإدارية والحضارية والعلمية في عصر الولاة . وقد ظهر عليه أثر الاعتماد على عدد من المصادر المتنوعة وحسن العرض والمناقشة الجادة الموصلة إلى حقائق وآراء جديدة ، أفدنا منها فيما يخص أخبار ذلك الاقليم .

ومن المراجع العامة كتاب "الأمويون والبيزنطيون" لابراهيم العدوي ، وقد شملت الدراسة الحديث عن البيت الأموي قبل الاسلام وبعده ، ودولة بني أمية ، ومنجزات خلفائها ، والفتوح بأرض الروم ، بل وفي المشرق والمغرب ، والعلاقات مع الدولة البيزنطية . وأهم دراساته الفصل الخامس المتعلق بالتجاوب الحضاري بين الدولتين وفيه عرض للإدارة والعمارة والاتصال الثقافي والسياسي ، والأفادة منه جيدة ، وإن كانت قليلة .

ومن المراجع العامة في دراسة التاريخ الأموي في الاقاليم الشمالية والعلاقات مع الروم ، كتاب الحدود الاسلامية البيزنطية لفتحى عثمان ، ودراسات تاريخية عسكرية عن الثغور البيزنطية العربية منذ الفتح العربي للشام حتى نهاية العصر العباسي الأول لهاشم اسماعيل الجاسم (رسالة ماجستير غير مطبوعة) ، ودراسات في تاريخ الدولة البيزنطية لحسنين محمد ربيع ، ودراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية لوسام عبد العزيز فرج وغيرها .

أما فى الناحية الادارية والمالية ، فيأتى كتاب النظم الادارية والمالية فى الدولة العربية الاسلامية لفرج محمد الهولى وهى (رسالة ماجستير مطبوعة) ، ومرجعا مميذا فى هذا المجال .

أما عن الناحية العلمية والتدوين ، فكتاب الحياة العلمية فى الشام لخليل داود الزرو (رسالة ماجستير مطبوعة) ، والحياة العلمية فى المدينة النبوية خلال القرن الثانى الهجرى لسعد موسى (رسالة ماجستير غير مطبوعة) ، وتوثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى لرفعت فوزى عبد المطلب (رسالة جامعية مطبوعة) ، والسنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب (ماجستير مطبوعة) ، وغيرها من الكتب كفجر الاسلام لاحمد امين ومالا يقل اهمية عما ذكرنا .

أما البحوث فنكتفى بذكر اثنين منهما ، الاول :

حول انهيار الدولة الاموية دراسة مقارنة فى سياسة يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥هـ) ، لعماد الدين خليل ، وهو بحث جيد ، الا ان مؤلفه الذى دون كتاب ملامح الانقلاب الاسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، كان مبهورا بشخصية الخليفة الزاهد ، متأثرا بفقدان كثير من املاحاته بعد مماته ، مما جعل دراسته ليزيد مقارنة بعمر ، متأثرة بميله الى عمر ، مما دفعه الى التحامل على يزيد واهمال منجزات عصره .

والثانى للممشرق فازيليف ، وعنوانه :

(THE ICONOCLASTIC EDICT OF THE CALIPH YAZID 11, A.D.721)

وهو عن مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك الخاص

بتحريم المور ، والحق انه دراسة مميزة افدنا منها ، حيث
جمع فيه ماورد حول هذا المرسوم فى المصادر المصرية
الاسلامية والقبطية ، فضلا عن المصادر اليونانية والسريانية
والارمنية واللاتينية والمراجع المسيحية الحديثة ، وقد
ناقشنا بعض ماورد فيه خلال دراستنا لذلك المرسوم فى الفصل
الثالث .

وسيجد القارىء فى نهاية هذا البحث ، كتابا كاملا
بالمصادر ، والمراجع العربية والمصرية ، والبحوث التى
رجعنا اليها فى كتابة هذه الرسالة .

واخيرا ، نسال الله تعالى ان يمدنا بعونه ، ويرزقنا
توفيقه ، وان يلهمنا الرشاد والصواب ، ويجنبنا الزلل
والهوى ، انه ولى ذلك والقادر عليه .

الطالب

عبدالله بن حسين الشنبرى الشريف

مكة المكرمة

جمادى الاولى ١٤١٠هـ

العميد

عرض موجز لأحوال الدولة الأموية
مطلع القرن الثاني الهجري

التمهيد

عرض موجز لاحوال الدولة الاموية

مطلع القرن الثانى العجرى

كانت الدولة الاسلامية مطلع القرن الثانى العجرى ، قد اكتملت مقوماتها ، وتميزت شخصيتها عما عداها ، وبلغت شأوا بعيدا من السعة والقوة والتطور والنماء . اذ ترامت اطرافها وشميت حدودها مساحة كبيرة من المعمورة آنذاك . واصبحت من القوة ماجعلها مماعة الحدود ، مهابة الجانب ، مقاتلة فى سبيل الله لامقاتلة . ولا ارانى اعدو الحقيقة اذا ماقلت انها احدث اكبر دولة ، واعظم قوة ، واكرم امة .

كما تطورت التنظيمات الادارية والمالية والعسكرية تمشيا مع التطور العام للدولة ، وخطا المسلمون خطوات حثيثة نحو التقدم العلمى ، وبخامة فى العلوم النظرية ، والعمران ، والزراعة ، والصناعة . وصبغوا مظاهر حضارتهم بمبغة الاسلام ، وجعلوا اللغة الرسمية لغة القرآن ، معتمدين على موروثات الامة ، آخذين بما عند الآخرين ، مما يناسب الدين الاسلامى ودولته .

ولاشك ان الفضل فى كثير من المنجزات التى حققتها دولة الاسلام حتى ذلك الوقت ، يعود للخلفاء الامويين ، وينسب الى دولتهم . وسنعرض فيما يلى هذا القول لمعالم الدولة الاموية واهم منجزاتها حتى مطلع القرن الثانى العجرى ، لتصبح مورثها جلية امام اعيننا ، ونحن نتناول بالدراسة عهد يزيد ابن عبد الملك ، الذى جاءت خلافته مطلع ذلك القرن .

ان من المتفق عليه ان اعظم انجازات الدولة الاموية ،
 هي تلك الفتوحات الكبرى التى شهدها ذلك العصر ، حيث بلغت
 الدولة الاسلامية على اثرها ، اقصى اتساع لها - تقريبا - ،
 اذ لم يكد ينقضى القرن الاول (قرن الفتوح العظمى) ، حتى وصل
 المجاهدون المسلمون فى دولة بنى امية ، براية الاسلام حتى
 حدود الصين شرقا ، والمحيط الاطلسى غربا ، وبحر خوارزم
 وبحر الخزر شمالا ، والمحيط الهندى وصحراء افريقية الكبرى
 جنوبا .

لقد كان القيام بالدعوة الى الله ونشر دينه القويم ،
 وحرية العقيدة وحماية اهلها . الهدف الاسمى لدولة الاسلام
 منذ نشأتها . فبعد ان اقام الرسول صلى الله عليه وسلم
 الدولة الاسلامية ، وتم له فتح جزيرة العرب ، وكان قد دعا
 رؤساء القوى المجاورة للاسلام ، فلم يستجيبوا ، كانت غزوة
 مؤتة (سنة ٨هـ) فى زمنه ، الخطوة الاولى فى تحقيق ذلك
 الهدف ، والقيام بالفتح خارج نطاق جزيرة العرب . ثم توالى
 الفتوح بعد وفاته عليه السلام ، امتدادا لما بدأه ،
 وتحقيقا لغايات الفتح واهدافه ، وقيامه بمسؤوليات الدولة
 وواجب الحكام المسلمين ، فتم للمسلمين فى عصر الخلفاء
 الراشدين القضاء على دولة الفرس ، وفتح ممالكها من
 العراق وحتى خراسان وسجستان شرقا ، وفتح الشام حتى جبال
 طوروس والجزيرة وارمينية شمالا ، وفتح مصر حتى بلاد النوبة
 جنوبا ، هذا بالاضافة الى محاولات فتح افريقية التى لم

(١)

تتمخض من فتح تام ودائم لها .

وفى العصر الأموي ، استأنف المسلمون فتوحاتهم ، وحمل الخلفاء الأمويون وعمالهم وقوادهم راية الجهاد الاسلامي ، في حركة فتح كبرى ، بدلت باعادة السيادة الاسلامية على بعض المناطق التي تمردت على سلطان المسلمين كخراسان وارمينية مستغلة الفتن الداخلية التي عاشتها الدولة الاسلامية ، واواخر عصر الراشدين واول العصر الأموي . وبلغت اوجها في عهد الوليد بن عبد الملك ، ففتح من الناحية الشرقية بلاد السند والبنجاب على يد محمد بن القاسم الثقفي ، الذي وجه الى تلك البلاد من قبل الحجاج الثقفي ، عامل الخليفة الوليد بن عبد الملك على العراق والمشرق ، حيث سقطت على يده مدنها واقاليمةا كالدجيل ، والعاصمة راور والبغداد والملتان والكيرج حتى ومل كشمير ، وقد قتل ملك السند داهر وهم السند لدولة الاسلام ، ونشر الاسلام بين اهلها . وبتوجيه (٢)

(١) عن حركة الفتوح الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين انظر / البلاذري : فتوح البلدان ، راجعه وعلق عليه رفوان محمد رفوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م - الواقدي : فتوح الشام ، بيروت ، دار الجيل - ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب واخبارها ، تحقيق محمد مبيح ، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر - ابن اعثم : الفتوح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ - شكرى فيصل : حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول ، دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الاسلامية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٢م - محمد فرج : الفتح العربي للعراق وفارس ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ - احمد عادل كمال : الطريق الى المدائن ، دار النفائس ، بيروت ، ١٣٩٧هـ - احمد عادل كمال : الطريق الى دمشق (فتح الشام) ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

(٢) عن فتوح المسلمين في بلاد السند ، انظر / فوزي محمد عبده ساعاتي : انتشار الاسلام في بلاد السند والبنجاب حتى نهاية العصر الأموي ، رسالة ماجستير مقدمة لقسم =

من هذا العامل وفي خلافة الوليد ايضا ، قام قتيبة بن مسلم الباهلي بفتح بلاد ماوراء النهر ولحقها للدولة الاسلامية .^(١) اذ تمكن من فتح مدنها واقاليما ، كبخارى وسمرقند والمغد وفرغانة والشاش وغيرها . وسار الى الصين فاتحا ، فصالحه ملكها ، فكان ذلك اقصى مدى وصلتته الفتوح الاسلامية شرقا . كما عمل قتيبة على اجتثاث الوثنية من تلك البلاد ، فحطم الامنام ، ودعى الى الاسلام ، الا ان دخول اهالى تلك البلاد في الاسلام كان بطيئا ، وولاءهم سطحيًا ، لذلك كثيرا ما سئرى في بقية العصر الاموى تمردهم ، وخروجهم على سلطان المسلمين كلما حانت لهم الفرص .

كما فتح على يد يزيد بن المهلب ، كل من جرجان وطبرستان وقوهستان ، في خلافة سليمان بن عبد الملك .^(٢)

اما الفتح شمالا ، فقد عمل الامويون على تثبيت سلطان المسلمين في ارمينية ، التي لم تخضع للمسلمين خفوعا تاما

= الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م
عوف السميوي : محمد بن القاسم وفتح بلاد السند ، رسالة جامعية ، جامعة الاسام محمد بن سعود .
(١) لم يكن قتيبة اول من عبر نهر جيحون الى بلاد ماوراء النهر فاتحا ، لكن الفتح لم ياخذ شكلا منتظما ، ويتم في تلك البلاد الا على يد هذا القائد . انظر عن فتوحاته / ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، مراجعة وتعليق نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربي ، بيروت الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ٤ / ١٠٥ - ١٤٢ - راضى عبد الله عبد الحليم : دراسات في تاريخ خراسان في العصر الاموى ، الاندلس للاعلام والنشر ، مطبعة جامعة القاهرة ، والكتاب الجامعي ، ١٩٨٧م ، ص ٣٥ - ٤٣ - نبية عاقل : تاريخ خلافة بني أمية ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ٢٠٢ - ٢٠٥ ، ٢٤٠ .
(٢) عن فتوح يزيد بن المهلب لهذه الاقاليم ، انظر : نبية عاقل : نفس المرجع ، ص ١٥١ - ١٥٣ - راضى عبد الله عبد الحليم : نفس المرجع ، ص ٤٥ - ٤٩ .

ودائما ، مثلما حدث في بعض الاقاليم الاخرى ، كالشام ومصر وغيرهما ، والتي اصبحت جزءا لا يتجزأ من الدولة الاسلامية ، حيث ظلت ارمينية منطقة صراع سياسى وعسكرى ، بين المسلمين والامراء المحليين من الارمن من ناحية ، وبين المسلمين والقوى المجاورة من الروم والخزر والقبائل القوقازية من ناحية اخرى . وقد ساعد على ديمومة هذا الصراع ، وعدم استقرار الفتح ما عاشته الدولة من فتن واضطرابات كاحداث الفتن الكبرى ، وكذلك الاحداث التى تعرضت لها الدولة الاموية بعد وفاة يزيد بن معاوية ، وكادت تقضى عليها حتى نجح عبد الملك بن مروان ، فى القضاء على ابن الزبير والسيطرة على الاوضاع ، وبسط نفوذ الدولة الاموية على كامل الامصار الاسلامية من جديد ، الى جانب شدة مراس الشعب الارمنى ، وبأس اهله ، وقسوة طبيعة ارضه ، وانقسام امرائه على انفسهم ، فاعادوا الى فريق دولة الاسلام ، مال الفريق الآخر للروم ، او حالف الخزر . وهذا ما ساعد الارمن على الانتفاض كلما حانت لهم الفرصة ، واستغل الاعداء تلك الظروف لاشغال المسلمين بالجبهة الارمنية . وقد تمكن الامويون فى فترات الاستقرار السياسى داخل الدولة الاسلامية ، من بسط نفوذهم على تلك المنطقة ، وضمها لدولتهم ، وقد اعطوا للامراء المحليين ، نوعا من الحكم الذاتى على اقاليمهم ، وهؤلاء يخضعون للوالى المسلم على ارمينية .^(١)

(١) عن ارمينية انظر / صابر محمد دياب : ارمينية من الفتح الاسلامى الى مستهل القرن الخامس الهجرى ، الناشر دار النهضة العربية ، مصر ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ص ٢٠-٤٩ .

أما الفتح في أرض الروم فقد استلزم أمرين ، الأول : تأمين الفتوح الأولى في البلاد التي كانت تابعة للدولة البيزنطية ، باتخاذ عدد من وسائل الحماية والدفاع ، تمثلت في بناء وتحصين الثغور البحرية والبرية ، وبناء الأربطة والمناظر ، وتزويدها بالرجال ، وشحنها بالميرة والسلاح .

الأمر الثاني : استمرارية الجهاد ومواصلة الفتح في أرض الروم برا وبحرا . وذلك عن طريق غزوات برية موسمية ، على أملاك الروم في آسيا الصغرى ، وحملات بحرية مستمرة على الجزر البيزنطية في البحر المتوسط ، والتعاون مع الحملات البرية في غزواتها على معاقل الروم في آسيا الصغرى ، أو الحملات الكبرى على القسطنطينية . وقد تحقق على أثرها ، الاستيلاء على بعض المدن والثغور البيزنطية في آسيا الصغرى وعدد من جزر البحر المتوسط . وكان أعظم الحروب التي خاضها الأمويون ضد البيزنطيين ، هي تلك الحملات الثلاث التي وجهوها لفتح مدينة القسطنطينية ، عاصمة الدولة البيزنطية .^(١) وان لم تنجح هذه الحملات ، فإنها شكلت تهديداً لأماليا للدولة البيزنطية ، وجعلت زمام المبادرة وكفة التفوق العسكري في ذلك العصر للمسلمين .^(٢)

وباتجاه الغرب ، أتم الأمويون فتح إفريقية ، وذلك بعد جهود عسكرية كبيرة قادها عدد من القادة على مراحل متتالية

(١) قامت في عهد معاوية بن أبي سفيان الحملة الأولى سنة ٤٩هـ ، والثانية سنة ٥٤هـ ، أما الحملة الثالثة فقد حدثت في عهد سليمان بن عبد الملك ٩٨هـ . عن هذه الحملات انظر/عمر سليمان العقيلي : خلافة معاوية بن أبي سفيان ، ص ١٠٨ وما بعدها - إبراهيم أحمد المدوي : الأمويون والبيزنطيون ، ص ١٦٢-١٧٨ ، ٢١٢-٢٢٣ .

(٢) عن الفتوح في أرض الروم ، وأساليب المسلمين الدفاعية والهجومية ، ولمعلومات أشمل وأوسع ، انظر / هاشم اسماعيل الجاسم : دراسات تاريخية وعسكرية عن الثغور البيزنطية والعربية منذ الفتح العربي للشام حتى نهاية العصر العباسي الأول ، رسالة ماجستير ، غير مطبوعة ، مقدمة لكلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م ص ٨٠-٩٦ ، ١٠٢-١٤٥ - إبراهيم المدوي : الأمويون والبيزنطيون .

وهم معاوية بن حديج ، وعقبة بن نافع الفهري ، وابو المهاجر دينار ، وعقبة للمرة الثانية ، وزهير بن قيس البلوي ، وحسان بن النعمان ، وآخرهم موسى بن نصير ^(١) ، الذي فتح الله على يديه ايضا ، هو وقائده طارق بن زياد اقليم ^(٢) الاندلس . وتشير مجموعة من المراجع ، الى ان موسى اجتاز جبال البركات (البرنيه) ، فاتحا بلاد الغال ، وان ذلك كان تنفيذا لمشروعه الراسي الى فتح اوروبا من ناحية الغرب ، واسقاط كرسى المصحية في روما ، وفتح القسطنطينية عن طريق البر من غربها ، بعد ان اعجز المسلمون فتحها بحرا من الناحية الشرقية ، ومن ثم الالتفاف شرقا عن طريق آسيا الصغرى حتى الوصول الى دمشق ، لتصبح اوروبا وقد اشرق عليها نور الاسلام ، ويفتح البحر المتوسط بحيرة اسلامية ، ويتخذ من تلك الارض مسلكا بريّا لاهل الاندلس الى المشرق وبالعكس ، لا يركبون بحرا . لكن استدعاء الخليفة الوليد بن عبد الملك لموسى وطارق ، والحاحه عليهما ، ادى الى عدم تنفيذ هذا المشروع ^(٣) .

(١) عن فتح المغرب ، انظر / حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٤٧ م .

(٢) عن فتح الاندلس ، انظر / حسين مؤنس : فجر الاندلس ، دراسة في تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الاموية (٧١١-٧٥٦ م) ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٥٩ م ، ص ٥٢-١٠٣ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ م ص ٥١-١١٢ .

(٣) عن الفتوحات في بلاد الغال ، انظر / شبيب ارسلان : تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٢ م ، ص ٣٠-١٤٧ .

كما أدى ذلك الى إيقاف الجهاد في الأندلس قبل أن يتم فتح جميع نواحيه ، وخاصة الجنوب الشرقى الذى أتم فتحه عبد العزيز بن موسى ، والجزء الشمالى الغربى ، وهو منطقة اشتريس ، وجليقية . وقد كانت فلول القوط ، قد تقهقرت امام جيوش الفتح في الأندلس ، واعتمدت بمنصرة بلای من نواحي كنتبرية بجليقية ، فى حين وصل موسى بن نصير الى مدينة خيخون من تلك المنطقة ، وبعث سرية وصلت البحر ، وحاربت الفل فى تلك المنخرة ، حتى ماروا ثلاثين رجلا ، ليس لهم من قوت سوى عمل النحل ، فاعى المسلمون امرهم لوعورة المنطقة ، فانصرفوا عنهم ، ولعل استعمار شانهم ، والحاج الخليفة على موسى بالقدوم ، هو السبب فى تركهم . المهم أن بقاء تلك المنطقة دون فتح ، مكن تلك القلة القليلة من تشكيل قوة مقاومة للوجود الاسلامى ، حيث نبتت هناك وفى تلك المنخرة جذوة المقاومة النمرانية ضد المسلمين - كما سنرى ذلك عند حديثنا عن حركة بلای فى الفصل الثانى ، الذى تزعم تلك القوة وقاد تلك المقاومة - والتى ستكون نواة لقيام دولة اشتورية المسيحية ، او ما عرف بعد ذلك بمملكة ليون .^(١)

و ما من شك ان ما تحقق من عظيم الفتوحات فى العهد الاموى ، كان وراءه عوامل مساعدة معنوية وحسية ، ولعل من اهم تلك العوامل ، ما وصل اليه الجيش الاموى من كثرة وكفاءة

(١) عن الجزء الشمالى الغربى من شبه جزيرة ايبيريا وترك موسى بن نصير هذه البلاد دون فتح ، وعن فتح الجنوب الشرقى من شبه الجزيرة على يد ابنه عبد العزيز ، انظر : حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ١٠٥-١٠٦، ١١١-١١٧، ٣١٣-٣١٥ - خليل ابراهيم السامرائى : الخضر الاعلى الأندلس ، ودراسة فى احواله السياسية (٩٥-٣١٦هـ/٧١٤م-١٩٢٨م) ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٧٦م ، ص ١٠٢ .

وقوة جوهها الايمان ، وظاهرها ، حسن الاعداد والحنظيم والتدريب والتجهيز ، وتطور الاساليب ، وتنمية القدرات .

ويشير ابن عساكر الى ان الجيش الاموي بلغ تعدادهُ (١) خمسمائة الف جندي . وتلك قوة هاربة اذا ما جمعت قوة الايمان وسلامة الاعداد ، وهذا ما حرص بنو امية عليه . (٢)

والحق ان ما فتح على يد الامويين من بلاد ، وما انطوى في ظل دولتهم من العباد ، في تلك الحقبة القصيرة ، يعد من خصائص هذه الامة ، ومفخرة لبنى امية ، ودليلا على قوة دولتهم ، واثار دعوة الاسلام ، ومدى استجابة الناس لها .

ومما يحسب للدولة الاموية ، تطور الجهاز الحكومي الذي تمثل في انشاء بعض الدواوين التي دعت الحاجة الى استحداثها وفيما قام به الامويون من تنظيمات ادارية ومالية وعسكرية ، كما وان من ابرز سمات الحكم الاموي ، تحويل نظام الخلافة من نظام يقوم على الشورى الى نظام وراثي ، واخذ الخلفاء الامويين بمظاهر الملك ، بعد بساطة الخلافة الراشدة اما فيما يخص اشكال الحكم واساليبه ، فقد سار بنو امية على كثير مما كان منها في عصر الرسول على الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم . فقام الكثير منهم

(١) تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م ٢٦٢/١ .

(٢) عن الجيش الاموي وتنظيماته ، انظر : خالد جاسم الجنابي : تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الاموي ، رسالة مطبوعة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، دار الوطنية للتوزيع والاعلان ، وزارة الثقافة والاعلان ، العراق ، بغداد ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦م - وفيق الدقدي : الجندي في عهد الدولة الاموية ، رسالة جامعية ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

بإمامة الناس في الصلاة ، ومباشرة أحوال الناس ، والجلوس لمقالمهم ، والأخذ بمبدأ الشورى في تصريف معظم من الأمور ، والاستعانة بأهل العلم ، وذوى الراى والخبرة ، وحراسة الدين وسياسة الدنيا به .

كما أبقوا على التنظيمات التى وضعها النبى عليه الصلاة والسلام ، وخلفاؤه الراشدين ، لكنهم طوروها بما يلائم نمو الدولة ، واستحدثوا ما دعت اليه الحاجة ، وذلك بعد توسع رقعة الدولة الإسلامية ، ودخول عناصر جديدة فى المجتمع الإسلامى ، وكذلك ثقافات وأديان ومذاهب متعددة ، والإطلاع على مظاهر حضارية جديدة ، وأصاليب حياة ، ونظم حكم ، ورثوها ممن كان قبلهم من الأمم فى البلاد المفتوحة .

وقد برز التطور الإدارى فى العصر الأموى ، فيما وصل اليه نظام الدواوين من تطور ، تمثل فى توسع اختصاصات الدواوين السابقة وتنميتها ، واستحداث أخرى دعت اليها الحاجة ، ولشمول الخدمات والطب والدقة . ولعل من أهم ما يذكر لبنى أمية وينسب لدولتهم ، استكمال إنشاء الدواوين التى دعا تطور الدولة الى انشاؤها . وأهم دواوينهم : ديوان الخاتم ، وديوان البريد ، وإنشائها معاوية رضى الله عنه ، وديوان الخراج ، وديوان الرسائل ، وديوان الجند ، وديوان بيت المال . والثلاثة الأخيرة منها أنشئت قبل العصر الأموى . كما أنشئت دواوين فرعية فى الأمار للدواوين المركزية الموجودة فى عاصمة الدولة دمشق .^(١)

(١) من الدواوين فى العصر الأموى ، انظر / أحمد السيد دراج : صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية ، دعوة الحق ، سلسلة شعرية تصدر عن رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة ، السنة الأولى ، ١٤٠١هـ ، ذو القعدة ، العدد (٨) ، ص ٢٦-٣٤ . وقد أشار الى أن =

لكن هذا التطور الذى شهدته الجهاز الادارى والمالى ، كان ينقصه اكتمال الشخصية ، فلقد ظلت بعض الدواوين تكتب بلغة اهل البلاد المفتوحة وتقوم على خبرات كتابها ، حتى عهد عبد الملك بن مروان ، الذى عرب الدواوين ، وكانت تكتب فى الشام بالرومية ، فنقلها له الى العربية سليمان بن سعد الخشنى سنة ٨١هـ ، وكانت تكتب فى العراق بالفارسية ، فعربها صالح بن عبد الرحمن ايام الحجاج بن يوسف ، وفى مصر كانت تكتب بالقبطية ، فنقلها الى العربية ابن يربوع الفزارى ، باشراف الوالى عبد الله بن عبد الملك فى خلافة اخيه الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وفى مصر عربت القراطيس (اوراق البردى) ، حيث كانت تصدر بالشعار المسيحى فامر عبد الملك بن مروان بازالة ذلك واستبداله بذكر الله تعالى ، والنبى عليه الصلاة والسلام ، وكذلك فعل بمناخة الطرز (الاقمشة) فامر بتعريب الكتابات والنقوش التى عليها كما سك عبد الملك النقود الاسلامية ، وأوقف التعامل بالدنانير الذهبية البيزنطية ، والدراهم الفضية الفارسية (١)

= أبو زيد شلبى : (تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١١٠-١١١) يجعل الدواوين الرئيسية فى العصر الاموى خمسة مسقطا ديوان بيت المال . كما اشار الى أن فرج الهونى، النظم الادارية والمالية ، ص ١٩٦-٢٠٤ يجعلها سبعة دواوين باضافة ديوان الزمام . ولمعلومات أشمل انظر هذين المرجعين الذى اشار اليهما د. أحمد الدراج . (١) عن تعريب الدواوين والقراطيس والطرز وسك العملة الاسلامية ، انظر / فرج الهونى : النظم الادارية والمالية فى الدولة العربية الاسلامية (منذ قيام حكومة الرسول بالمدينة حتى نهاية الدولة الاموية) ، ماجستير فى الآداب ، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م . ص ٢٠٥-٢١٩ . (هذا وقد اغفل فرج الهونى وغيره من المؤرخين المحدثين الذين تحدثوا عن تعريب الدواوين ، الاشارة الى تعريب=

وما عظم أثر تلك الأعمال على الدولة الإسلامية ، فقد صبغت الدولة بمبغة الاسلام ولغته ، وادت الى تميز الدولة وتكامل شخصيتها ، وتحريرها من اى نفوذ اجنبى .

ومن معالم الدولة الإسلامية البارزة مطلع القرن الثانى ما وصلت اليه من تقدم علمى ملحوظ ، وبخاصة فى العلوم الدينية من قراءات وتفسير وحديث وفقه ، وفى الادب ، والكتابة التاريخية . فقد عاشت الدولة الإسلامية حركة علمية نشطة ، تتزامن مع بداية الرسالة ، حيث جاء القرآن آمرا بالعلم حاشا عليه مغفلا لاهله ، وكذلك الحديث والاشعر ، ومن هنا عاشت الأمة حركة علمية واسعة ، حظيت باهتمام اولى الامر واهل العلم واقبال الناس .^(١)

ديوان خراسان ، وكان بالفارسية ، فنقله الى العربية اسحق بن طليق الكاتب سنة ١٢٤هـ فى ولاية نصر بن سيار بأمر من عامل العراق يوسف بن عمر الثقفى ، فى خلافة هشام بن عبد الملك . عن ذلك (انظر / الجعشيارى : كتاب الوزراء والكتّاب ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبى ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى وابولاده ، بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ٦٧) . وهذا يعنى ان تعريب الدواوين وان بدا فى عهد عبد الملك بن مروان الا انه لم يستكمل فى بعض الاقاليم الا فى اواخر الدولة الاموية .

(١) عن النصوص الدالة على فضل العلم ووجوب العمل به وتعليمه ، وما اتخذ من تدابير فى سبيل دفع الحركة العلمية والكتب التى اختتمت بذلك ، انظر : سعد بن موسى الموصى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة النبوية خلال القرن الثانى الهجرى ، رسالة ماجستير فى التاريخ الاسلامى ، مقدمة لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة أم القرى ، غير مطبوعة ، ١٤٠٩هـ ، ص ٣-٧ - خليل داود الزرو : الحياة العلمية فى الشام فى القرن الاول والثانى للهجرة ، رسالة ماجستير فى الاداب ، الجامعة الامريكية ببيروت ، مطبوعة ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٩٧١م ، ص ١٨-١٩ - محمد امين بدوى : دراسات فى التربية والفكر فى الاسلام خلال عصور الاسلام القوية ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٩-١٩ .

ولاشك ان العلم بمبادئ الدين الجديد ، قد حظى باهتمام الناس وتكالبهم عليه ، فكانت حركة العلوم الدينية اكبر الحركات العلمية واوسعها نطاقا . حيث اقبل الناس على القرآن يتلونونه ، ويفهمون معانيه ، ويفسرون آياته ويستنبطون منه الاحكام ، وكذلك فعلوا في الحديث ، وقد بدأت هذه الحركة منذ زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ثم اخذت في الاتساع بعده ، فقد تتلمذ صحابته رضوان الله عليهم على يديه ، فماروا ائمة يقتدى بهم ، وعلماء يعلمون الناس ويفقهونهم في الدين ، اينما كانوا وحيثما حلوا ، سواء كان ذلك بتوجيه من اولى الامر او من تلقاء انفسهم ، فكونوا لهم مدارس بالامصار ، أصبح التابعون فيها تلاميذهم ، ثم اصبحت هؤلاء علماء الناس ، تلقى عنهم اتباعهم ، في حركة علمية متنامية جيلا بعد جيل .^(١)

واذا اراد الباحث ان يتحدث عن العلوم في القرن الاول الهجري فانه لا يستطيع فعل علم من العلوم عن علم آخر ، كما يعمد العثور على عالم لا يجيد الا تخصصا واحدا . لهذا اثرنا الحديث عن العلوم في قول مجمل ، يركز على اهم معالم هذه النهضة ، نشأتها وتطورها ، وايضا بداية التدوين ومراحلها ، والسمات الاساسية للحركة العلمية ، واهم مظاهر نشاطها . لقد ظل الاسلوب الغالب في حفظ العلوم وتدارسها ، اسلوب الحفظ في الذاكرة ، حيث سيطر هذا المنهج على العلوم

(١) احمد امين : فجر الاسلام ، مكتبة النهضة العلمية ، القاهرة ، الطبعة العاشرة ، ١٩٦٥ م ، ص ١٤٥-١٥٢ .
(٢) سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ص ٨ .

الى مايقارب الربع الاخير من القرن الاول الهجرى .^(١) لكنه لم يكن الاسلوب الوحيد ، فقد اعتمد المسلمون ايضا على تقييد العلم ، وبدأوا يدونونه منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، بعلمه وامره او اقراره ، من ذلك كتابة القرآن ، وماكتبه الرسول الى الملوك والامراء وبعض عماله ، وكذلك ماكتبه بعض المحابة من صحف خاصة بهم ، تضم فنونا شتى ، كعلى بن ابي طالب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وابو شاة ، وابو امامة الباهلى ، وابو الدرداء ، وابو موسى الاشعري ، وابن عباس وغيرهم كثير ، ويذكر فى هذا العدد اكثر من خمسين محابيا كتبوا الحديث او كتب لهم .^(٢)

ولما جاء عصر التابعين ومن تلاهم ، قويت الحركة العلمية ، بسبب الفتوح ، ومادات اليه من دخول امم متعددة ذات تراث حضارى فى الاسلام ، وماورثته من مستجدات ومتغيرات جعلت الحاجة ماسة فى نشر العلم وتفقيه الناس وتلبية حاجاتهم ، فلما العلم وكثر التدوين زمن التابعين .^(٣)

(١) سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ص ٨٥ .

(٢) رفعت فوزى عبد المطلب : صحيفة همام بن منبه عن ابي هريرة رضى الله عنه ، تحقيق وشرح ، مكتبة الخانجي ، مصر ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، ص ٤-٥ - وانظر للمؤلف ايضا / توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى اسمه واتجاهاته ، رسالة مطبوعة ، مكتبة الخانجي ، مصر ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨١م ، ص ٤٧-٥٣ - سعد موسى : نفس المرجع ، ص ٨٥-٨٦ - خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٧٥ .

(٣) من اجل ذلك ، انظر / احمد امين : فجر الاسلام ، ص ١٩٧-١٩٨ - سعد موسى : نفس المرجع ، ص ٨٦، ٨٧-٨٨ - خليل الزرو : نفس المرجع ، ص ٧٨ . وسيتبين مدى انتشار التدوين عند دراستنا لجوانب الحياة العلمية زمن يزيد فى الفصل السادس .

واما تلقى المعلومات ونقلها الى الآخرين ، فكان يتم بعملية شفوية بحتة ، واما حفظ هذه المعلومات فكان يعتمد على الكتابة فى معظم الاحوال ، ليستذكر العالم ماكتب ، يستعين به على الحفظ ، ويعود اليه وقت الحاجة ^(١) .

اما مراحل ذلك التدوين ، فالحق ان وضع فواصل زمنية لمراحل تطوره ، امر لايمكن تحقيقه على وجه الدقة المطلقة ، والآراء حول ذلك متفاربة ، وان قد تبين لنا بمجالامجال للشك معه ، ان بداية التدوين تمت منذ العصر النبوى ، وان كانت بدايات بسيطة غير واضحة المعالم . ويبدو ان اختلاف الآراء حول بداية التدوين ، راجع الى الاختلاف فى فهم المقصود بالتدوين ، اهو بداية الكتابة ، ام تاليف الكتب ، ام وضع المصنفات المبوبة المرتبة ، فمن عنى بالتدوين الكتابة جعل بدايته منذ عصر النبوة ، ومن عنى به ظهور الكتب الجامعة للعلم دون تبويب وترتيب ، ارج له باواخر القرن الاول وبداية الثانى ، ومن عنى به التصنيف فى العلوم كل على حدة وفق التبويب والترتيب ، جعل بدايته منذ منتصف القرن الثانى تقريبا ^(٢) .

ولعل مما ساعد على القول بتأخر التدوين ، الاعتماد على ما اشتهر من القول ، ان المسلمين اعتمدوا فى حفظ

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ، دراسة فى تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله فى الاسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣ ، ٧٦-٧٥/١ .

(٢) ممن فهم التدوين على انه التصنيف الذى تم فى العصر العباسى ، محمد يوسف موسى ، انظر قوله فى كتابه : تاريخ الفقه الاسلامى ، الجزء الثانى ، عصر نشأة المذاهب ، دار المعرفة ، القاهرة ، ص ٥٠ .

معلومهم على الذاكرة وتناقلوها وتدارسوها عن طريق الرواية الشفهية البحتة ، مع اغفال دور التدوين والمدونات في تلك العملية . وكذلك على ماورد من نصوص تفيد كراهة الكتابة والنهي عنها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعض الصحابة رضوان الله عليهم ، وعدد من التابعين ، وتلك امور لاتصح عطفها على ماقدمناه من ثبوت التدوين منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد فند رفعت فوزى عبد المطلب (١) تلك المزاعم وعلل ماورد حول القول بالكراهية واقرب ما رايته الى الصحة عن مراحل تدوين العلم ، التقسيمات التي وضعها سعد موسى ، الذي جعلها ثلاث مراحل ، الاولى : كتابة القرآن ، وتدوين بعض المعلومات المتفرقة من حديث او فقه او شعر او نوادر ، على يد بعض الصحابة ، واستمر ذلك حتى الربع الاخير من القرن الاول ، وكان اصحاب هذه المدونات يسمونها صحيفة او جزءا .

الثانية : جمع الكتابات المتفرقة في كتاب واحد بدون ترتيب او تبويب ، كجمع السنن في دفاتر زمن عمر بن عبد العزيز ، وهذه المرحلة جاءت في اواخر القرن الاول وبداية الثاني .

الثالثة : مرحلة التمهيف المببوء المرتب حسب الموضوعات ، وتبدأ منذ منتصف القرن الثاني تقريبا .

(١) من اجل ذلك ، انظر : توثيق السنة ، ص ٤٣-٥٤ .
 (٢) تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٨٦-٨٧ .
 وعن مراحل التدوين التاريخي بشكل خاص ، انظر / محمد ابن مامل السلمي : منهج كتابة التاريخ الاسلامي ، ماجستير مطبوعة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٢٨٦-٢٩٠ .

أما صفه العلماء في العصر الأموي وتدوينهم ومدوناتهم فجملة القول فيها ، ان العلماء كانوا موسوعيون ، ياخذون من كل علم بنصيب وافر ، وكان للعلماء من الموالى دورهم المميز الى جانب العرب خصوصا في اواخر القرن الاول ، وكانت العلوم والدروس خليطا من فنون العلم المختلفة ، لامتياز بينها ولا استقلال ، وان بدا في اواخره ظهور التدوين والتدريس المستقل لكل علم .^(١) اما العلوم المدونة فلم تكن الا مجموعة روايات واخبار لا اثر للدرس والتحقيق فيها .^(٢) فلم تظهر شخصية المؤلف فيما دون ، واقتصر دوره على الجمع في^(٣) الفالب . وقد انصبت العناية بشكل رئيسي في ذلك العصر على العلوم العقلية ، بينما ظهر الاهتمام بالعلوم العقلية في^(٤) العصر العباسي .

ولقد حظيت الحركة العلمية باهتمام غالب الخلفاء الامويين ، لكنه اهتمام محدود الجوانب والاثار ، غير ان العلوم عاشت حركة نمو من تلقاء نفسها ، في امة دعاها دينها الحنيف الى العلم وحثها عليه .^(٥)

وكان لهذا النشاط العلمي مظاهره المتمثلة في مؤسساته ورجاله ، ومناهجه ، ويأتي على رأس المؤسسات العلمية في

-
- (١) أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٥٢ ، ١٦٣-١٦٤ .
 (٢) محمد عبد المنعم خفاجي : تاريخ الادب في العصر الأموي مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ص ١٩ .
 (٣) أحمد أمين : نفس المرجع ، ص ١٦٩ .
 (٤) محمد الحسيني عبد العزيز : الحياة العلمية في الدولة الإسلامية ، ماجستير مطبوعة ، وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٣م ، ص ١٨ - محمد خفاجي : نفس المرجع ، ص ٤٤ .
 (٥) محمد بدوي : دراسات في التربية والفكر في الاسلام ، ص ٢٥-٢٨ - أحمد أمين : نفس المرجع ، ص ١٦٤-١٦٥ ، ١٨٩ .

(١) مدر الاسلام المساجد ، حيث قامت بالدور الاساسى فى التعليم واشهرها المسجد النبوى ، والمسجد الحرام ، وجامع دمشق ، والكوفة ، والبصرة ، وجامع عمرو بن العاص بالقسطنطينية ، وجامع القيروان بافريقية . حيث جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده يعلم الناس ، وهكذا فعل علماء الصحابة والتابعين ، كانوا يجلسون فى حلقات علمية ، غالباً ماتكون ممتدة فى الجوامع الكبيرة ، ويتناولون من العلم فنونا شتى من تفسير وهديث وفقه ومغاز وغير ذلك ، كابن عباس ، ومنهم من يقتصر الدرس فى حلقة على فن معين كالقصص او المغازى او اللغة . وكانت هذه الحلقات اما فردية ، يتمدرها عالم واحد ، كحلقة سعيد بن المسيب ، او ثنائية يشترك فيها عالمان ، كحلقة سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد فى المسجد النبوى . وكان لبعض الاسر حلقات ، كاسرة آل حزم وآل عقبة . كما كان هناك مجالس لبعض العلماء فى منازلهم ، ومجلس لكبار الفقهاء فى المدينة ، يعرض عليه (٢) مائشاكل من المصائل . وكان للتعليم فى هذه الحلقات (٣) والمجالس ، مناهجه واساليبه وآدابه .

-
- (١) عن دور المسجد فى خدمة الحركة العلمية ، انظر / محمد بدوى : دراسات فى التربية والفكر فى الاسلام ، ص ٧٢-٧٤ محمد السيد الوكيل : الحركة العلمية فى عصر الرسول وخلفائه ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، السعودية ، جدة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ١٤-١٦ .
- (٢) عن الحلقات والمجالس العلمية ، انظر / سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ٨٩-٩١ .
- (٣) عن مناهج وطرق التعليم واساليبه ، انظر / محمد السليم : منهج كتابة التاريخ الاسلامى - محمد بدوى : نفس المرجع ، ص ٩٤-١٠٦ - خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ١٩/٢-٢٣ .

(١)
ومن دور العلم الكتاب ، وهى من اقدم مؤسسات التعليم
فى الدولة الاسلامية ، حيث اسهمت مع المساجد فى نشر العلوم
والمعارف ، وتعتبر النواة الاولى فى العملية التعليمية ،
ولعل دورها الاساسى تعليم المبيان القراءة والكتابة ،
وتحفيظهم القرآن . وقد اشتغل بالتعليم فيها رجال بلغوا
درجة كبيرة من العلم ، كالامام القدوة الحافظ ، القاسم بن
مخيمرة الهمداني الكوفي (ت ١٠٠هـ او ١٠١هـ) .

كما ظهرت فئة المؤدبين فى العصر الاموى ، وهم الذين
يعلمون ابناء الخلفاء والامراء والخاصة ، ويشرفون على
تاديبهم وتربيتهم فى منازل آبائهم ، ومن مؤدبى ذلك العصر
دغفل بن حنظلة الشيباني ، الذى اختاره معاوية رضى الله عنه
مؤدبا لابنه يزيد ، واسماعيل بن عبيد الله بن ابي المهاجر
مؤدب بنى عبد الملك بن مروان ، وكان الخليفة يزيد ممن
تربى على يديه ، وغيرهما كثير . وكان اختيارهم يتم وفق
شروط يأتى فى مقدمتها الدين وسعة العلم والفهم ، وكان
للتاديب مناهجه وطرقه ، وهو بهذا كان عظيم الاثر فى شخصيات
هؤلاء المتعلمين . (٢)

-
- (١) عن الكتاب ، انظر / يوسف احمد حواله : الحياة
العلمية فى افريقية "المغرب الأدنى" منذ اتمام الفتح
وحتى منتصف القرن الخامس الهجرى ، رسالة دكتوراه غير
مطبوعة ، مقدمة لقسم الدراسات العليا التاريخية
والحضارية ، كلية الشريعة ، جامعة ام القرى ، ١٤٠٥-
١٤٠٦هـ / ١٩٨٥-١٩٨٦م ، ص ٢٣٢-٢٣٤ - محمد بدوى : دراسات
فى التربية والفكر فى الاسلام ، ص ٦٦-٧١ .
- (٢) عن المؤدبين فى العصر الاموى ، انظر / محمد صالحية :
مؤدبوا الخلفاء فى العصر الاموى ، (بحث) ، المجلة
العربية للعلوم الانسانية ، تصدر عن جامعة الكويت ،
العدد الثالث ، المجلد الاول ، صيف ١٩٨١م ، ص ٣٥-٧٤ -
خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٢٨٠، ٢٩٠-٢٩١ .

والى جانب ذلك عرفت المكتبات العامة والخاصة ، وقد
وصلت الى درجة جيدة من وفرة الكتب ، وكفايتها على القيام
بالدور المنوط بها ، ومنها خزانة الامويين للكتب ، ومكتبات
العلماء فى منازلهم ، كمكتبة عروة بن الزبير ، وبعض
المكتبات التى اقامها بعض الناس لخدمة العلم ، وفتحت
ابوابها لسائر المتعلمين ، كمكتبة عبد الحكم بن عمرو بن
عبد الله بن صفوان الجمحى ، وقد كان هناك اسواق رائجة
لنسخ الكتب وبيعها ، ساعدت على انتشار الكتب وظهور
المكتبات ونشاط حركة العلم .^(١)

وعلى فوء هذا العرض الموجز لاهم منجزات العصر الاموى
حتى مطلع القرن الثانى - ماعدا سياسات عمر بن عبد العزيز
واملاحاته والتى سنشير الى معالمها فى اواخر هذا التمهيد -
يتبين بما لا اختلاف حوله عظمة الانجازات التى تحققت فى الستين
عاما - تقريبا - التى سبقت عهد يزيد بن عبد الملك . خصوصا
اذا اخذنا فى الاعتبار ماعانته الدولة الاموية من مشاكل
داخلية مستعمية ، كان من الممكن فى حالة عدم وجودها تفاعف
تلك الانجازات وازديادها .

فقد حفل العصر الاموى بصراع داخلى شبه دائم ، تمثل فى
قيام كثير من الحركات المناوئة للحكم الاموى ، والخارجة
على سلطان المسلمين ، والتى كان وراء حدوثها اسبابا
متعددة ، اما مذهبية ودينية ، او سياسية ذات صبغة شخصية ،
او نزعة اقليمية ، او عرقية . وان كان من الحق القول بان

(١) انظر / احمد امين : فجر الاسلام ، ص ١٦٣، ١٦٧، ١٦٨ - سعد
الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة النبوية ،
ص ٩٦، ٨٧، ٢٣، ٢٤ .

سياسات بعض حكام بنى أمية ، كانت وراء قيام بعض تلك الحركات والتي ابتلى المسلمون بفتنها ، وشغلت الدولة باخمادها ، واراقت من الدماء ، واستنزفت من الجهد والمال الكثير . فكانت بذلك عقبات اعاقت الدولة عن تحقيق كثير من اهدافها العليا ، كالاستمرار فى الفتح ونشر الدين ، والاهتمام بتطوير الدولة وخدمة رعاياها . كما عرقلتها للمخاطر وطمع الاعداء المتربصين فى الداخل والخارج . ومع ذلك فقد تمضى لها الخلفاء الأمويون ، وعالجوها بشئ من اليقظة والحزم حيناً ، وبالحكمة واللين حيناً آخر ، بينما ظلوا فى عزيمة لاتمن يواصلون تحقيق كثير من الخير للاسلام ودولته . وان كان تكالب تلك الظروف ، واستمرار تلك الحركات ، قد اوهن جسم الدولة الاموية مع الايام ، فادى اخيراً الى انهيارها قبل أن تبلغ من العمر قرناً من الزمان .

ويمكن حصر اهم تلك الحركات ، فى حركات الخوارج ، ومن خرج من رجالات الاسلام والعرب ، على الحكم الاموى ، على اساس رفض وراثة الخلافة ، والمطالبة بعودتها شورية والدعوة لانفسهم باعتبارهم احق بالخلافة ، ومنهم من كان خروجه لاسباب ومطامع شخصية . وكذلك حركات الموالى ، وحركات اهل الذمة . فبالنسبة لحركات الخوارج فى العصر الاموى ، فما هى الا استمرارا لحركاتهم التى بدأت منذ نشأة هذه الفرقة فى خلافة على بن ابي طالب رضى الله عنه ، اذ يكاد المؤرخون واصحاب المثل والنحل ان يتفقوا على ان ظهور فرقة الخوارج كان بعد حادثة التحكيم زمن الخليفة على رضى الله عنه ، وقد انقسم

الخوارج الى فرق كثيرة اختلف المؤرخون على عددهم ، لكنهم اتفقوا على انها لا تقل عن عشرين فرقة ، بعضها امول وبعضها فروع . وفرقهم الاصلية - على خلاف - هي : المحكمة الاولى ، والازارقة ، واللجدات ، والبيهسية ، والعجاردة ، والثعالبة والاباضية ، والمفرية . ويجتمع الخوارج رغم اختلافهم على تكفير على وعثمان واصحاب الجمل والحكمين ومن رضى بالتحكيم وموب الحكمين او احدهما ، ووجوب الخروج على السلطان الجائر ، كما يتفقون على ان الخلافة لا يتولاها احد الا بانتخاب حر صحيح ، يقوم به عامة المسلمين ، ويبقى في منصبه مادام يطبق الشرع ، فان انحرف او اخطأ وجب عزله وقتله ، ويقولون ان الخلافة حق لكل عربى حر ، وانه اذا اختير لا يحق له ان ينزل عنها ، ثم ادخلوا تعديلا على هذا الشرط فى اواخر القرن الاول الهجرى ، فاشتراطوا الاسلام والعدل بدلا من العروبة والحرية ، وذلك لانهمام بعض المسلمين من غير العرب الى صفوفهم ، كما انهم يختلفون على امور كثيرة ايضا .

وتعتبر معركة النهروان سنة ٣٧هـ ، اول حرب يخوضها الخوارج ضد الدولة الاسلامية ، كما انها اول وآخر معركة يجتمع فيها الخوارج تحت قيادة واحدة ، حيث تفرقوا بعدها ، واختلفوا فيما بينهم ، فتعددت فرقهم .

فلما انتقلت الخلافة الى بنى امية ، راي الخوارج ان حرب معاوية حق لاشك فيه ، لاعتقادهم انه لم ينل الخلافة عن اجماع من المسلمين ورضا منهم ، ولما اتخذه من مظاهر الملك لذا قامت منذ عهد معاوية رضى الله عنه ، وحتى آخر العصر

الأموي حروب كثيرة بين فرق الخوارج الشاذلة ، وولاة بنى أمية ، وخامسة فى العراق ، فتصدى لها ولاة بنى أمية على العراق ، كالمغيرة بن شعبة ، وزيايد بن أبيه ، والحجاج بن يوسف الثقفى ، ونجحوا فى توجيه ضربات قاسية لنشاط الخوارج الأمر الذى أدى إلى ازدياد الخلاف بين فرقهم وانقسامهم إلى عدة فرق ، مما ساعد الأمويين على ملاحقتهم والقضاء على حركاتهم ، حتى استؤصلت فرق من الخوارج نهائيا ، كفرقة الأزارقة التى قضى عليها (سنة ٧٧هـ) ، فى ولاية الحجاج الثقفى .

ونتيجة لجهود الحجاج وقائده المهلب بن أبى صفرة ، هذات حركات الخوارج فى عهد الوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان بن عبد الملك ، ثم عادوا للظهور زمن عمر بن عبد العزيز^(١) .

أما أهم الحركات التى قام بها رجالات الاسلام والعرب ، فكان أولها خروج الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه على يزيد بن معاوية ، بعد رفضه البيعة ليزيد ، وإرسال العراقيين له بالبيعة وهو فى مكة ، داعينه للخروج اليهم

(١) عن الخوارج فى تلك الفترة ، انظر / نايف محمود معروف الخوارج فى العصر الأموي ، نشاطهم ، تاريخهم ، عقائدهم ، أدبهم ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م - على مصطفى الفرابى : تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م ، ص ٢٦٤-٢٨٤ - فاطمة عبد القادر رشوان : المغرب فى عصر الولاة الأمويين (٩٠-١٣٢هـ) ، رسالة ماجستير ، غير مطبوعة ، مقدمة لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٤هـ - ص ١٠١-١٠٤ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والثقافى والاجتماعى ، ١/٣٧٥-٣٩٤

لمناصرته ، فخرج الى العراق ، لكن الامر انتهى بمقتله بعد
(١)
خذلان اهل العراق له ، وذلك في كربلاء (سنة ٦١هـ) .

واستعادة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه بالبيت ،
ثم البيعة له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية ، وخضوع
الامصار الاسلامية له ماعدا بعض بلاد الشام ، والامويين وبعض
بنى هاشم ، لكن امره تناقص وانتهى بمقتله (سنة ٧٣هـ) .
(٢)

وحركة المختار بن ابي عبيد الثقفي ، والذي قام باسم
المطالبة بحق آل البيت في الخلافة ، والدعوة لمحمد بن
الحنفية ، وان كان قد اخفى مطامعه الشخصية وراء ذلك وهي
الوصول الى السلطان ، وانتهى الامر بمقتله (سنة ٦٧هـ) .
(٣)

وحركة عبد الرحمن بن الاشعث ، الذي خلع الحجاج وعبد
الملك بن مروان ، انفة من الخضوع للحجاج ، وطموحا لاهداف
شخصية ، ساعده على ذلك كره الناس للحجاج ، والنزعة
الاقليمية في نفوس العراقيين تجاه اهل الشام وحكومته ،
وانتهى الامر بمقتله (سنة ٨٥هـ) . وغيرها من الحركات .
(٤) (٥)

(١) عن قيام الحسين على يزيد بن معاوية ، انظر / عبد
العزیز غنیم : موقف الحسين من الخلافة وآثاره
السياسية ، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية اللغة العربية
الازهر .

(٢) عن قيام عبد الله بن الزبير على الدولة الاموية ،
انظر / على الخربطلي : حركة ابن الزبير وآثارها على
تاريخ الدولة الاموية ، ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة
القاهرة - شهادة الناطق : ثورة عبد الله بن الزبير ،
ماجستير كلية الآداب ، الجامعة اللبنانية .

(٣) عن حركة المختار الثقفي ، انظر / خالد ابو النمر
محمد : قصة المختار بن ابي عبيد الثقفي ، رسالة
دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة - نجيب جرجس :
المختار الثقفي وآثاره في العصر الاموي ، رسالة
ماجستير ، كلية الآداب ، الجامعة اللبنانية .

(٤) عن حركة ابن الاشعث ، انظر / نبيه عاقل : تاريخ خلافة
بنى أمية ، ص ١٧٢-١٨٣ .

(٥) عن الحركات في العصر الاموي عموما ، انظر / محمد جمعة
عبد العزيز : المعارضة في العصر الاموي ، ماجستير ،
كلية الآداب ، جامعة الملك عبد العزيز .

أما حركات الموالى
 أن ميامات بعض الحكام الأمويين كانت وراء قيامها ، إذ دخل
 الموالى فى دين الإسلام ، مدفوعين اليه بعظمته وسماحة
 مبادئه وشرائعه ، عالمين ماتحتوى عليه من العدل والمساواة
 بين الناس . فكانوا ينتظرون بعد إسلامهم أن يكونوا للعرب
 الشاهدين أخوة فى الإسلام ، متساوين معهم فى الحقوق
 والواجبات ، ينعمون بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة . لكن الأمر
 الواقع فى العصر الأموى ، لم يات بذلك المودة المثلى ،
 التى رسمها الإسلام وحدد معالمها ، حيث تجمع الاشارات فى
 المراجع التاريخية على دلائل لاثقة العربى وتعالىه على
 الأعجمى ، ونحن لانستبعد وقوع شيء من هذا ، إذ كنا نعلم
 بعودة العصبية الى الظهور بين العرب أنفسهم ، لكن الأمر
 لايميل الى الحد الذى غالى فيه بعض الكتاب المحدثين ، فان
 من النصوص مايدل على حسن معاملة الموالى ، والتعامل معهم
 الخد بالخد ، بل وتبجيلهم واتخاذهم ائمة يقتدى بهم ، اذا
 ماكانوا اهلا لذلك ، كالحسن البصرى وغيره من اهل العلم
 والفعل والدين .

والدولة الاموية ، كان من ابرز معالمها الاعتماد على
 العنصر العربى ، لكن ذلك لم يكن على وجه الاطلاق فقد اعتمد
 بنو امية على الموالى فى ادارة الدولة ومالياتها ، وقيادة
 جيوشها ، فمن الولاة أبو المهاجر دينار ، ومن القادة طارق
 ابن زياد ، ومن عمال الخراج عبد الله بن دراج مولى معاوية
 الذى ولاه خراج العراق . وغيرهم كثير .

والبيان ان تدمير الموالى قد جاء بشكل رئيسى من بعض

السياسات المالية المخالفة للنهج الاسلامى ، والتي عمل بعض الحكام الامويين على تطبيقها ، فالنهج الاسلامى يقتضى اسقاط الجزية عن اسلم ، والخراج عن الارض التى اسلم عليها اهلها والارض التى مولى اهلها على ان تبقى على ملكهم ، وان يفرض له فى العطاء ، ولا يفرض عليه فرائب غير شرعية ، ولا يلزم الا بدفع الزكاة .

وكان الامويون قد اعادوا تنظيم الخراج والجزية واتخذوا بعض الاجراءات المالية المخالفة للنهج الاسلامى والمتسمة بالعسف والشدّة ، بما يكفل زيادة الموارد لمواجهة الاحتياجات المتزايدة للدولة وتغطية مصروفاتها . ففرضت الجزية على بعض من اسلم ، وكان اول من فرضها الحجاج بن يوسف ، الذى حرّمهم ايضاً من حق ترك قراهم اذا ما اسلموا ، والزمهم العودة اليها - وسيكون لنا رأى عن مدى تطبيق هذا القرار وحدوده فى الفصل الخامس - وكان عبد الملك قد زاد جزية العراقيين الى اربعة دنانير ، بعد ان رأى قدرتهم على ذلك ، وكذلك فعل باهل الجزيرة .

اما الخراج ، فقد فكر معاوية فى زيادة قيروط على القبط ، وان لم يتم فى عهده فقد نفذ فى خلافة هشام بن عبد الملك ، مما ادى الى ثورات القبط على الدولة الاسلامية (سنة ١٠٧هـ) ، كما لم يسقطوا الخراج عن الارض التى اسلم اهلها وكانوا قد مولىها على ان تبقى ملكاً لهم ، وتلك ارض يسقط عنها الخراج ويجوز بيعها وتكون عشرية . اما بالنسبة للعطاء ، ففرض للبعض ولم يفرض للكل ، فقد اشتكى موالى خراسان وافرقيّة من عدم الفرض لهم فى العطاء ، مع اسلامهم

ومشاركتهم فى القتال . ويدل على ذلك أيضا نقد العرب للمختار الثقفى ، عندما جعل للموالى عطاء كمن معه من العرب . وكان أول من فرض لهم فى العطاء معاوية ، حيث جعل لكل واحد خمسة عشر درهما ، زادها عبد الملك خمسة ، وكذلك سليمان وهشام ، الذى بلغ عطاء المولى فى عهده ثلاثين درهما وهو قليل اذا ما قورن بما يعطى للعربى ، ومن هو فى شرف العطاء .

أما الضرائب ، فقد أعيد عليهم الضرائب التى كانوا يؤدونها قبل الاسلام ، كهدايا النيروز والمهرجان وغيرهما ، وحدث ذلك منذ عهد معاوية .

وقد استخدم الأمويون أسلوب الشدة فى تنفيذ مثل هذه الاجراءات ، لارغام الموالى على اداؤها ، وهذا ما أدى الى تدمير الموالى وتمردهم وخروجهم على الحكام الأمويين ، كلما وجدوا فرصة سانحة لذلك ، فلكل فعل رد فعل ، وذلك بالمشاركة فى الحركات التى تقوم ضد الحكم الأموى ، كالدخول مع المختار الثقفى ، وممعب بن الزبير وابن الأشعث ، بل ومع الخوارج . او بالقيام بحركات تخمسهم تعبر عن نقيمتهم وتطالب بحقوقهم ، وظهر ذلك فى النصف الثانى من العصر الأموى ، مثل ذلك ، تمرد الصفد فى ماوراء النهر ، وثورات القبط بمصر ، والبربر بافريقية ، واخيرا الانضمام لأبى مسلم الخراسانى ، قائد الثورة العباسية ، فكان لهم دور بارز فى اسقاط الخلافة الأموية .^(١)

(١) عن الموالى ، انظر / محمد الطيب النجار : الموالى فى العصر الأموى ، دار الخيل للطباعة ، الطبعة الاولى ، ١٣٢٨هـ / ١٩٤٩م ، ص ٤٨-٦٨ - شريفا حافظ عرفة : =

أما أهل الذمة ، فقد حظيوا في ظل الدولة الإسلامية
بسماحة الإسلام ، ووجدوا من الأمويين التقريب وكثيرا من
التسامح والحظوة . فقد أعطوا الحرية الدينية التي نمت
عليها عقود الملح ، بل وتسامح معهم الأمويون في هذا الأمر ،
اذ سمحوا لهم بممارسة شعائهم بكل حرية ، والاحتفال
بأعيادهم ، وابتناء الكنائس وترميمها ، بل وإعانة الدولة
لهم على بعض ذلك ، كما قرب الذميون ، فكان منهم شاعر
البلاط كالأخطل ، والطبيب ، كابن أشال طبيب معاوية .

أما في مجال الإدارة ، فقد اعتمد الأمويون على أهل
الذمة في إدارة كثير من مرافق الدولة ، وخصوصا المالية
منها ، فقد أسند معاوية إلى سرجون بن منصور الرومي ديوان
الخراج في دمشق وظل يتوارثه أبناؤه حتى تعريب الدواوين ،
وكذا كان حال أهل الذمة جميعا ، والحق أن التعريب لم يكن
يعنى إقصاء أهل الذمة عن تلك الوظائف ، فقد ظلوا يتولون
كثيرا منها ، ولكن بمشاركة العرب ، بعد أن كانت مقصورة
عليهم قبل التعريب .

غير أن المناصب الكبرى حولت إلى العرب ومن أسلم من
أهل الذمة (الموالي) بينما تركت الحكومة الإسلامية لرؤساء
أهل الذمة ، جباية الأموال من أبناء ملتحهم .

لكن الأمويين اتخذوا تجاه أهل الذمة بعض الإجراءات

= الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول ،
رسالة ماجستير مطبوعة ، الناشر تهامة ، جدة ، المملكة
العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ،
ص ٢٨-٣٨ - فرج الهوني - النظم الإدارية والمالية ،
ص ١٩٦-١٩٧ - وأنظر عن ثورات البربر ، فاطمة رضوان :
المغرب في عصر الولاة الأمويين ، ص ١١٣-١٤٤ .

المضايرة لما اشرنا اليه من حسن المعاملة والتسامح ،
وتمثل ذلك ، فى اعادة فرض ضرائب النيروز والمهرجان وغيرها
مما كان يؤخذ منهم قبل الاسلام فى العراق ، كما فرض الخراج
على الاساقفة واملأ الكنائس ، وزيد عليهم فى الجزية
والخراج ، مع اتخاذ بعض الحرايب التعسفية لتنفيذ ذلك ،
ونبطه .

ولقد ظلت طبيعة معاملة اهل الذمة ، مرهونة باختلاف
ال خلفاء والولاة ، والاولاع السياسية خصوصا مع الدولة
البيزنطية ، وموقف اهل الذمة منها .

وعطفا على حسن معاملة الامويين لاهل الذمة ، وقلة قيمة
تلك الضرائب والزيادات المالية التى وضعت عليهم ، مع
احساسهم بعدم تخافها ، لفرضها على من اسلم ايضا ، فقد
ادى ذلك الى استكانة اهل الذمة ، وخلو صدر العصر الاموى من
مشاركتهم فى الحركات المناوئة او القيام بثورات ضد الحكم
الاسلامى .

الا ان تزايد تلك الاجراءات المالية مع مرور الوقت ،
والتعسف فى تنفيذها ، واتخاذ بعض السياسات التى تحد من
تجاوز اهل الذمة لما اعطوا من حرية دينية ، بنص عقود
الملح والامان ، وماسمح به مبادئ الدين الحنيف - كـ بعض
سياسات عمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن عبد الملك - وظهور
بعض الزعامات الدينية والسياسية لهم ، جعلتهم يقومون بعدد
من الحركات فى اواخر العصر الاموى ، كثورات القبط فى مصر
(١٠٧هـ) ، وبعض حركاتهم التى شهدا عهد الخليفة يزيد بن
عبد الملك - وان كانت قد قامت بدوافع سياسية او عقائدية -

(١)

لاتأثرا بسياسات بنى أمية تجاههم .

هكذا كانت الدولة الأموية فى أواخر القرن الأول الهجرى فتوحات كبرى وتطورا فى كثير من المجالات ، وبالمقابل حركات وفتن داخلية شبه دائمة ، ومشاكل مستعمية ، ومتغيرات ومستجدات كثيرة ، كل ذلك تم فى فترة وجيزة من عمر التاريخ مما ضاعف المسئولية على هذه الدولة ، وظهر حاجتها الى وقفة ينظر من خلالها الى كل ذلك ، لاستيعابه والسيطرة عليه وهذا ما يستوجب ترتيب السياسات الأموية بما يتناسب مع كل تلك المنجزات والأحداث ، والقيام بكثير من الإصلاحات ، واحتواء كل المتغيرات والمستجدات ومهرها فى قالب الدولة والامة الواحدة ، وتصحيح الأخطاء ، وتطوير النظم والأساليب بما يمكن من هيمنة الدولة على الموقف ، ثم مواصلة الواجب التاريخى .

وحقا جاء عمر بن عبد العزيز الرجل المناسب فى الوقت المناسب ، وأدرك بعمق نظره ماتعانيه الدولة داخليا ، وان بدت قوية ، وان الاستمرار فى التوسع لايعنى الا ازدياد المتغيرات والمستجدات وثقل الحمل على كاهل الدولة ، كما ان الاستمرار على النهج الأموى ، فى مواجهة الحركات

(١) عن اهل الذمة ، انظر / ا.س. ترتون : اهل الذمة فى الاسلام ، ترجمة وتعليق حسن حبشى ، دار الفكر العربى ، مطبعة الاعتماد بمصر - توفيق سلطان اليوزبكى : تاريخ اهل الذمة فى العراق (١٢-٢٤٧هـ) ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ٧١-١٣٩ - نادية حسنى مقر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه اهل الذمة المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ص ٧-١٣ . وعن حركات اهل الذمة فى عهد يزيد بن عبد الملك انظر بعد الفصل الثانى ، المبحث الثالث والرابع والخامس .

الداخلية ، والاكتفاء بالحلول الوقتية واخمادها ، دون النظر فى أسبابها وعللها ، وفى اصلاح الاحوال وتغيير السياسات ، بما يضمن زوالها وعدم تكرارها ، ما هو الا استمرار للمشاكل وتعقدها . ادرك كل ذلك عمر ، فوقف يملح شئون الدولة ، يتفحص مواضع الداء ، فيصف الدواء ، ولنعرض الآن لمعالم اصلاحاته وسياماته تجاه اهم الامور التى عاشتها الدولة قبله .

فبالنسبة لموقفه تجاه الفتوح ، نرى انه ارتكز على ثلاثة اسس ، اولها : الحد من التوسع فى الفتوحات الخارجية وذلك لعاملين ، العامل الاول : الالتفات الى اصلاح الشئون الداخلية ، لتمكين الدولة من استيعاب المتغيرات الكبيرة التى اورثتها الفتوح العظيمة التى سبقت عهده ، وذلك عن طريق نشر الاسلام بين العناصر الجديدة التى انضوت تحت لواء الدولة ، وحل مشاكلها وفق النهج الاسلامى ، وصهر الاجناس والحضارات والعقائد فى قالب المجتمع الاسلامى الكبير .^(١)

العامل الثانى : الحرص على الجند الاسلامى ، سواء كان المحارب فى ميادين القتال او المرابط فى الثغور ، وتقديم المحافظة على سلامته وامنه ، على المغامرة به اذا ما تعرض للاخطار ، ويتبين موقفه هذا من سياسته ازاء الفتوحات الاسلامية فى الجبهات العسكرية فى ماوراء النهر شرقا ، ومع

(١) عن سياسة عمر تجاه اهل الذمة ، ونشر الاسلام بين العناصر الجديدة وتفقيهاها ، انظر / نادية حمنى مقرر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه اهل الذمة - ماجدة فيصل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته فى رد المظالم ، ماجستير مطبوعة ، مكتبة الطالب الجامعى ، مكة المكرمة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ١٧٣ - ١٧٩ .

الروم شمالا ، وفي الأندلس غربا ، فلقد حاول عمر إجلاء المسلمين من بلاد ماوراء النهر الى خراسان بعد أن لمس الأخطار المحدقة بهم من جراء تمرد المغد وهجمات الترك على تلك البلاد ، ثم أمر بإيقاف الفتح في ذلك الميدان ، والاكتفاء بما فتح بعد أن امتنع المسلمون عن الجلاء .^(١)

أما الحرب مع الروم ، فقد أمر عمر بفك الحصار الذي فرض على القسطنطينية منذ عهد سلفه سليمان بن عبد الملك ، بعد أن تكالبت الظروف على الفاتحين وتعرضوا للمخاطر والهلاك ، وفي آسيا الصغرى نقل المرابطين في شفر طرندة الى ملطية ، ثم اخرب طرندة ، خشية على المسلمين لايفالها في بلاد الروم ، كما فكر في هدم المصيعة للمسبب نفسه ، فأمسك عندما تبين أهمية بقائها .^(٢)

كما فكر عمر في اقفال المسلمين من الأندلس واخلانها منهم ، خشية من تغلب العدو عليهم ، ولانقطاعهم وراء البحر عن المسلمين .^(٣)

ولعل خبر ظهور المقاومة النصرانية بقيادة بلاى في الأندلس ، في اواخر خلافة سليمان - والتي سنتحدث عنها في الفصل الثانى - قد وصل الى مسامعه ، فخشى على المسلمين سوء العاقبة .

الاساس الثانى : تغليب الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ونشر الاسلام دون قتال ، وتمثل ذلك في

(١) انظر نص هذا الخبر بعد : الفصل الرابع ، المبحث الاول ، ص ٣١٥ .

(٢) من أجل ذلك ، انظر / ماجدة فيمل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ١٦٨-١٧٠ - هاشم الجاسم : دراسة تاريخية عسكرية ، ص ١٤٠ .

(٣) انظر / حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ١٣٦-١٣٧ .

توجيه رسائله ورسله الى ملوك القوى المجاورة ، يدعوهم الى الاسلام ، فقد بعث الى ملوك السند وماوراء النهر والى ليو الثالث امبراطور الروم .^(١)

الاساس الثالث : حسن تجهيز القوة الاسلامية ، واعداد الجندي المؤمن المجاهد ، العارف بمبادئ دينه واخلاقياته ، وأكد على قواده ، تحقيق منهج الاسلام في فتوحاتهم ، وذلك بدعوة الاعداء الى الاسلام ، او دفع الجزية ، والا فالقتال . كما حرص على صيانة الثغور واعمارها ، كما امره ببناء اللاذقية بعد ان هدمها الروم من جراء غارة قام بها أسطولهم عليها في زمنه وكذلك حرص على درء الاخطار عن الدولة وصيانة حدودها ، والدفاع عنها ، مثل ذلك توجيه حاتم بن النعمان الباهلي للحمدي للخزر الذين غاروا على اذربيجان ، وايضا حرص على ابقاء زمام المبادرة بيد المسلمين ومواصلة الجهاد ، من ذلك الاستمرار في ارسال حملات الموائف والشواتي الى بلاد الروم ، وقيام عامليه على السند بغزو بعض بلاد الهند ، وكذلك ايغال الجراح الحكمي عامله على خراسان في بلاد الترك حتى هم بدخول بلاد الصين .^(٢)

لقد حاول عمر ان يتخذ سياسة عسكرية متوازنة ، فلاقتال الا بعد الدعوة الى الله ، ولاجهاد الا باسم الدين ووفق

(١) عن ذلك ، انظر / قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي ، العراق ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١م ، ص ٤٢١، ٤٠٩ - ماجدة فيمل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ١٧٢-١٧٣ .
(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٣٩ - ماجدة فيمل زكريا نفس المرجع ، ص ١٧٢ .
(٣) ماجدة فيمل زكريا : نفس المرجع ، ص ١٧٠-١٧١ .

مبادئه ، ولاغزو ولامرابطة فيها مخاطرة بجند المسلمين ، ولااستكانة او ضعف ، بل اعداد وتيقظ ودفاع عن الاسلام ودياره واهله ، وان كانت بعض سياساته كايقات الفتوح ، قد اطمع بعض الاعداء فى غزو المسلمين ، كالترك فى ماوراء النهر ، والخزر فى اذربيجان ، او تمرد بعض العنامل الجديدة فى الاطراف ، كتمرد المغد فيما وراء النهر . لكن العمر القصير لخلافة عمر لم يسمح بوضوح منهجه ، والتمكن من تطبيق كل سياساته ، التى اراد من ورائها اصلاح ، فى ضوء فهم صحيح لادفاع الدولة ، ووفق النهج الاسلامى ، كما ان عودة يزيد بن عبد الملك الى سياسة التوسع فى الفتوح ، قد عاق استكمال مبادئه .

اما سياسات عمر بن عبد العزيز الادارية والمالية ، ومقام به من تنظيمات واصلاحات ، وموقفه من السياسة التى اتبعها الخلفاء الامويين قبله فى هذا المجال ، فقد اخذت السمة العامة لخلافته ، وهى العودة الى هدى الخلفاء الراشدين . فاحيا مامات من السنن ، وامات مظهر من البدع واصلح ما احدث من الامور ، فى حركة اصلاح كبرى ، عمت جميع مناحى الحياة ومرافق الدولة ، وكان هدفها نشر العدل ، ورفع الظلم ، وتطبيق الشرع بين الناس . ولاغرابة فى ذلك فقد جاء عمر الى الخلافة وقد خبر الامور ، واعد لكل داء دواء . وهذا ما جعل البعض يعبه خامس الخلفاء الراشدين .

وسنكتفى هنا بذكر المعالم الرئيسية لسياسته فى هذا المجال ، مما له علاقة بما قدمناه عن احوال الدولة قبله ، وما يرتبط بسياسة يزيد بعده .

فبالنسبة لتطوير النظم الادارية والمالية ، قام عمر
بانشاء فروع لديوان بيت المال وفق موارده ، فجعل لكل من
الغنى والمدقة والخمس ، بيوت مال تخمها ، منعا للتداخل
والفسوق ، كما نظم السجون واعد لها ديوانا خاصا يشرف
عليها .

اما ادارة الدولة فقد سار على مبدأ الشورى ، ومظاهر
الخلافة الراشدة ، وقام عمر بعزل من اساء السيرة من العمال
وولى اهل التقوى والصلاح والثقة والقدرة ^(١) . وجعل ولايتهم
عامة ، واطلق ايديهم ، لكنه ظل موحها لهم ، رقيباً عليهم ،
محاسباً لمن خالف منهم ، كما وسع عليهم تحميها لهم من
الخيانة وامنانة لهم على التفرغ لشئون الرعية . وفى
المقابل امر عمر بمنع استعمال غير المسلمين فى ادارة
الدولة ، والعمل فى دواوينها ، وعزل من كان بها ، الا من
اسلم منهم ^(٢) . وندب عمر نفسه لرد المظالم ، عامة او خاصة ،
وجد فى ذلك .

اما من الناحية المالية : فقد رشح مصروفات الدولة ،
وحفظ بيت المال من الاهمال والتفريط ، وحافظ على اموال
المسلمين .

وفى سبيل معالجة واصلاح بعض السياسات المالية السابقة

(١) عن عزله العمال السابقين ، انظر / اليعقوبى : مشاكلة
الناس لزمانهم ، تحقيق وليم ملىورد ، دار الكتاب
الجديد ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٢م ، ص ١٩ -
محمد كرد على : الادارة الاسلامية فى عز العرب ، مطبعة
مصر ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م ، ص ٩٧ .
(٢) عن امر عمر بمنع غير المسلمين من الاعمال الادارية ،
انظر / ابن الاثير : الكامل ، ١٦٥/٤ - نادية حسنى
مقرر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه اهل الذمة ،
ص ٣٤-٤٥ .

أمر عمر برفع الجزية عن أسلم ، وعن الرهبان ، وألغى الضرائب غير الشرعية ، ما كان منها على العرب أو الموالى أو أهل الذمة ، ورفع الخراج عن أملاك الكنائس ، وأسقط ما يزيد على مئتين ألف درهم من أهل الذمة ، كما وسع دائرة العطاء ، وزاد فيه ، وفرض للموالى . وألغى عمر المكوس .

ومن ناحية أخرى حرص عمر على تنمية موارد الدولة والمحافظة عليها ، ومن أجل ذلك منع بيع الأراضي الخراجية ، وأكد على بقائها خراجية حتى مع أسلم صاحبها ، يدفع عنها الخراج إن بقي عليها ، أو من صارت إليه ، ونظم الأراضي المفتوحة حديثاً ، كما أمره بمسح الأندلس . واستلم واستغل أراضي الموالى لصالح المسلمين ، ومنع اقتلاعها . وأكد على جباية الزكاة والعشور ، وصرفها في وجوهها الشرعية .^(١)
^(٢)
^(٣)

أما بالنسبة لدور عمر في النهضة العلمية التي شهدتها العصر الأموي ، فلا شك أن تكوين عمر العلمي ، وتفقهه في الدين قد دفعه إلى دور مميز في خدمة العلم والعلماء ، فقد أمر بنشر العلم ، وحث العلماء على بحثه من خلال حلقاتهم ومجالسهم ، وعين المعلمين .

(١) عن مجمل سياسة عمر بن عبد العزيز المالية ، انظر بعد : الفصل الخامس ، المبحث الثاني .

(٢) فالح حسين فالح : الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي ، ماجستير مطبوعة ، بدعم الجامعة الأردنية ، ١٣٨٩هـ / ١٩٧٨م ، ص ٥٢ .

(٣) عن مجمل سياسة عمر الإدارية والمالية ، وأهم تخطيطاته وأملاحاته ، انظر : فرج العونى : النظم الإدارية والمالية ، ص ٢٢٣-٢٥٥ - نبیه عاقل : تاريخ خلافة بني أمية ، ص ٢٥٥-٢٩٥ - نادية حسنى مقر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه أهل الذمة - ماجدة فيصل زكريا : عمر ابن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ١٠١-١٦٦ ، ٢٢٧-٢٥٦ .

كما ألتقى على العلماء وطلاب العلم ، ووجه البعثات العلمية لتفقيه الناس وتعليمهم في البوادي والاممار . وان اعظم اعماله في هذا المجال هو امره بتدوين وجمع الحديث ، ونشره في كافة بلدان الدولة الاسلامية وتعليمه . فامدر في هذا الشأن اوامر بصيغة العموم الى الافاق واهل المدينة ، كما خص بالامر بعض العلماء ، كابى بكر بن محمد بن حزم ، ومحمد بن شهاب الزهري ، وكان العلم يكتب في مجلسه ، ويقوم بمراجعة بعض مادون . وقد اتم بعض العلماء كالزهري ، هذه المهمة في عهد عمر ، وقد دونوا ذلك في دفاتر ، فنسخت وبعث منها الى كل الاقطار الاسلامية . بينما توفي عمر ولم يمله كل مادون . ويعرف هذا التدوين ، بالتدوين الرسمى للسنة ، كما كان لعمر اهتمامه الخاص بالفقه ايضا .^(١)

اما الادب ، وبخاصة الشعر ، فلم يحظ باهتمام عمر بن عبد العزيز ورعايته ، فقد اقلل الباب في وجوه الشعراء ،

(١) عن عطاءات عمر العلمية ، وامره بتدوين السنة وجمع الحديث ، ونشره وتعليمه ، انظر / ابا زرع : تاريخ ابي زرع دمشق ، تحقيق شكر الله بن نعمة الله القوجاني ، ماجستير مطبوعة ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، مطبعة المفيد الجديدة ، دمشق ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ١/ ٣٥٤-٣٥٥ ، ٦٢٨ ، ٥٢٠ ، ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد ، مخطوطة وشرحه وعلق عليه الاستاذ زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٩٢ - عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الاسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، ص ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٩٠ - محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ، ماجستير مطبوعة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م ، ص ٣٢٩-٣٣٢ ، ٥١٧ ، ٣٦٧ - حسن علي الشاذلي : المدخل للفقه الاسلامي ، تاريخ التشريع الاسلامي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٧م ، ص ٢٢٠-٢٢١ - سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٤٦-٤٧ .

ومنع عنهم ما اعتادوه من حظوة الخلافة وعطاياها ، بينما
اهتم بالمغازي ، وامر بتدريسها في جامع دمشق .^(٢)

ويتبقى أن نلمح لموقف عمر من الحركات والمشاكل
الداخلية ، فالحق أن عمر لم يات بجديد ، وإنما عاد الى
تطبيق المنهج الاسلامي على كل مناحي الحياة . فبالنسبة
للحركات نجد ان عهده قد نعم باستقرار نسبي ، غير أنه لم
يخل من قيام بعض الحركات ، ومنها : خروج شوذب الخارجي
بارض العراق ، وخارجي آخر من الحرورية بالعراق ايضا ،
وثالث منهم بالموصل ، وكذلك استمرار حركة بلاي بالاندلس .
ولقد حاول عمر أن يجرب الطريق السلمي مع الخوارج ، عن
طريق مجادلتهم ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، معالجة
للمشاكل عن طريق تلمس الاسباب ، وحلها ، وكرها في اراقة
الدماء ، وتقديمها للحلم واللين على العنف والشدة . فنجح
مع شوذب عندما اقنع رسله ، فترك القتال ، لكنه عاد للخروج
بعد موت عمر . غير أن هذا الأسلوب الذي افاد مع شوذب ، لم
يكن مجديا على الدوام ، إذ لم يستطع اقناع الخارجي الآخر
بالعراق ، والذي بالموصل ، فاستمروا في طغيانهم ، فما كان
هناك بدا من مقاتلتهم ، كما قاتل السمح بن مالك عامل عمر
على الاندلس ستمردى ذلك الاقليم .^(٣)
^(٤)
^(٥)

-
- (١) عن موقف عمر من الشعراء ، انظر / ابن الجوزي : سيرة
عمر بن عبد العزيز ، ص ١٩٦ - ٢٠١ .
(٢) انظر بعد : الفصل السادس ، المبحث الثالث ، ص ٧٣٤ .
(٣) انظر ماسنكتبه عن حركة شوذب بعد : الفصل الثاني ،
المبحث الثاني ، ص ٢٣١ .
(٤) انظر ماذكرناه عنهما بعد : الفصل الثاني ، المبحث
الثاني ، ص ٢٤٦ .
(٥) من اجل ذلك انظر / الفصل الثاني ، المبحث الرابع ،
ص ٢٥٤ - ٢٥٥ ، والمبحث الخامس ، ص ٢٦١ - ٢٦٣ .

أما قضايا الموالى وأهل الذمة ، فكان وراءها فى الغالب أسباب مادية ، وأخرى عامة تتعلق بالعدل والمساواة والحرية ، وكان فيما أشرنا اليه قبل عند عرضنا لسياسة عمر المالية حلولا لمشاكلهم وقضاياهم ، وذلك حينما رفع الضرائب غير الشرعية عن الفئتين ، ورفع الجزية عمن أسلم من الموالى ، وأعطاهم حرية الهجرة الى الأمصار ، والالتحاق بالجيش ، كما فرض لهم فى العطاء مع العرب ، فزال أسباب تدميرهم ، ومابقى لهم على الدولة حجة . أما أهل الذمة فرفع الجزية عن الرهبان والأساقفة ، والخراج عن أملاك الكنائس ، كما أعطاهم الحرية الدينية ، فى حدود الشريعة ومائمت عليه عقود الملح ، ورد مظالمهم كالزيادة فى الجزية التى مولح عليها بعضهم كاهل قبرص ، وأعاد كنائسهم التى أخذت منهم . وبالمقابل التزم عمر بالنهج الإسلامى ، وما جاء فى عقود الملح ، من إلزام أهل الذمة بحدود لحريتهم الدينية ، اذ منع استحداث الكنائس ، والخروج مما جرى عليه الملح فى ممارسة بعض الشعائر ومظاهر العبادة ، كإظهار الملبان ، ودق النواقيس ، ورفع الصوت بالترتيل ، وإيضا منعهم من العمل فى دواوين الدولة ، ومنع بيع الأرض الخراجية ، وإلزامهم بزيهم الخاص فى الملابس ، وعدم الركوب على السرج ، ومنعهم من اقتناء الأسلحة فى منازلهم .

ان ما فعله عمر لم يكن بدعا ، بل هو الحق ، حين طبق الشرع ، فأعطى رعايا الدولة حقوقهم ، وإلزامهم بحدودهم وواجباتهم ، على أساس من العدل والمساواة فى ضوء الشريعة

(١)
والعهد .

كان ما قدمناه في هذا التمهيد وصفا لحال الدولة الأموية مطلع القرن الثاني ، عنيينا فيه بإبراز ملامح القوة وأهم المنجزات ، وأبنا مظاهر التطور والنمو في الدولة الإسلامية خلال العصر الأموي ، بل والإشارة إلى مقدمات بعض تلك المظاهر منذ نشأة الدولة الإسلامية ، إذا كان في تلك اللوحات ما يعين على وفوح الرؤية والتمور .

وبالمقابل تتبعنا الحركات والمشاكل الداخلية ، التي أخذت تعاني منها الدولة الأموية ، وأبحث تمثّل عوامل هدم ، في كيان تلك الدولة ، عارفين لسياسات بني أمية في مواجهة تلك القضايا ، وأثر ذلك على الدولة .

ثم عرفنا لملامح عهد عمر بن عبد العزيز ، الذي طلع القرن الثاني على عهده ، فعرفنا لمعالم سياسته وإصلاحاته ، وتبين أنه لمن واقع دولته وحاجتها إلى الإصلاح ، فوقف معها يعيد ترتيب سياساتها ، ويعمل أحوالها ، في محاولة منه لإعادة توازنها ، حتى تستطيع الاضطلاع بدورها التاريخي من جديد ، بكل قدرة وقوة . فبدأ إصلاحاته ، وعمل قدر طاقته ، فقدم الكثير ، وانتظر منه الكثير ، لكن عمر خلافته لم يظل ليأتي يزيد بن عبد الملك مكان عمر خليفة للمسلمين ، فمادّا سيقدم من انجازات ، ومما وقفه من سياسة عمر وتلك الإصلاحات ، وكيف تكون أحوال الدولة في عهده ، وعلى أي حال ستؤول إلى خلفه ؟ أسئلة نجد إجابتها في ثنايا هذا البحث .

(١) عن سياسة عمر تجاه الموالى وأهل الذمة ، انظر / نبيه عاقل : تاريخ خلافة بني أمية ، ص ٢٥٥-٢٩٥ - نادية حسنى مقر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه أهل الذمة فرج العونى : النظم الإدارية والمالية ، ص ٢٣٥-٢٥٥ - ماجدة فيمل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ٢٢٧-٢٤٨ .

الوفاء والوفاء

سيرة الخليفة يزيد بن عبد الملك

الفصل الاول

سيرة الخليفة
يزيد بن عبد الملك

ان غايتنا من دراسة سيرة يزيد بن عبد الملك ، تكمن في الرغبة المادقة ، والاهمية الكبرى ، للتعرف على حقيقة شخصية رجل تولى الخلافة ، وادار دولة الحكم في دولة الاسلام ، ومدى تاثير تلك الشخصية على الدولة الاسلامية ، واحداث ذلك العهد . وتبرز هذه الاهمية في ضوء ماورد حول شخصية يزيد من الاقاويل ، وماوصف به من صفه ومجون وفسق وقلة دين ، صور من خلالها في صورة مشوهة ، منصرفه عن شئون الحكم ، مؤثرة سلبيا في مجرى بعض الاحداث .

لذلك سينصب اهتمامنا في المقام الاول ، على ما قيل في يزيد بن عبد الملك ، ماله ، وماعليه ، ومدى صحة ذلك ، في محاولة الوصول الى التصور الأرجح لحقيقة شخصيته ، ومدى اثرها على الدولة في عهده . اعتمادا على معالجة المعلومات والحقائق الواردة في مختلف المصادر حول سيرته الذاتية ، وماتوصلنا اليه خلال دراستنا الجدية لاحداث عهده ، واحوال الدولة في زمنه .

ترجمته :

يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاص ابن امية بن عبد شمس ، ابو خالد . وقيل : ابو ليلى ، القرشي الاموي ، امير المؤمنين . قيل : كان يلقب القادر

بمنع الله ويزيد الفقى ، وامه عاتكة بنت يزيد بن معاوية
ابن ابي سفيان وكثيرا ما ينسب لامه النابغة الذكر ، فيسمى
يزيد بن عاتكة ^(١) .

ولد بدمشق (سنة ٧١ او ٧٢هـ ، وقيل ٦٦هـ) والثانى
ارجح الاقوال . وكان رجلا طويلا جسيما جميلا ، ابيض مدور
الوجه الفقم ^(٢) .

وكان له من الزوجات ، سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن
عثمان بن عفان ، وزينب بنت محمد بن يوسف الشقى ، اخی
الحجاج بن يوسف ، وبنت عون بن محمد بن على بن ابي طالب ،
وربيحة بنت محمد بن عبد الله بن جعفر ، وعاتكة بنت عبد
الله بن معاوية بن ابي سفيان ، والجرباء بنت عقيل بن
علفة .

وله من الاولاد عشرة ذكور هم : الوليد ^(٣) ، ويحيى ،
وعبد الله ، والفمر ، وسليمان ، وعبد الجبار ، وداود ،
وابو سفيان ، وقيل : ابو سليمان ، والعوام ، وهاشم ، وذكر
له بعضهم من الاولاد ايضا محمد والنعمان ، وقيل : ثمانية ،
وثلاث بنات .

(١) انظر ترجمة امه عاتكة عند / عمر رضا كحالة : اعلام
النساء فى عالمى العرب والاسلام ، مؤسسة الرسالة ،
بيروت ، ٢٢٠-٢١٦/٣ .

(٢) الفقم : الفقم فى الفم ، دخول الاسنان العليا الى الفم
وقيل : الفقم اختلافه ، وهو ان يخرج اسفل اللحي ويدخل
اعلاه . ابن منظور : لسان العرب ، دار الفكر ، دار
مادر ، بيروت ، (فقم) .

(٣) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، الذى تولى الخلافة
(١٢٥-١٢٦هـ) . انظر عنه / حسين عطوان : سيرة الوليد
ابن يزيد ، دار المعارف ، القاهرة . وقد اشتمل هذا
الكتاب على مبحث عن يزيد بن عبد الملك ابو الوليد ،
وقدم فيه المؤلف على منهجه فى الكتاب ، دراسة علمية
مميّزة ، قامت على الاستقراء والتحليل والاستنباط ،
والوصول الى حقائق جديدة ، انظر ذلك بين ص ١٤-٤٧ .

وقد تولى الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز ، يوم الجمعة الخامس والعشرين من رجب (سنة ١٠١هـ) على المشهور . وكان عمره آنذاك تسع وعشرون سنة ، وقيل غير ذلك ، يسند ذلك قول جرير ، الشاعر المعاصر :

سربت سربال صدق غير مفتصب

قبل الثلاثين ان الملك مؤتصب

وحيث ان بعض الروايات القديمة قد جعلت عمره عند توليه الخلافة (٢٩) سنة ، فان ذلك يرجح ان يكون مولده (سنة ٧٢هـ) . وكانت ولايته بعد من اخيه سليمان بن عبد الملك ، الذي عهد اليه بها بعد عمر بن عبد العزيز . فعهد اليه بها عمر ، واوصاه بالامانة . كما عهد هو بالخلافة من بعده لاختيه هشام بن عبد الملك ، ثم ابنه الوليد بن يزيد .

ومات يزيد بن عبد الملك يوم الخامس والعشرين من شعبان (سنة ١٠٥هـ) على المشهور والراجح ، وقيل غير ذلك . عن ثلاث وثلاثين سنة ، او اربع وثلاثين ، وقيل غير ذلك . وقد دامت مدة خلافته اربع سنين وشهرا ، على المشهور والراجح . وكانت وقاته باربد من ارض البلقاء ، وقيل : بحوران ، وقيل : بسواد الاردن . وقيل غير ذلك .

-
- (١) اربد : قرية بالاردن ، قرب طبرية . ياقوت : معجم البلدان ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ١/١٣٦ .
- (٢) البلقاء : كورة من اعمال دمشق بين الشام ووادي القرى بها قرى كثيرة ، وقسمتها عمان . ياقوت : معجم ، ١/٤٨٩ .
- (٣) حوران : كورة واسعة من اعمال دمشق ، من جهة القبلة ، ذات قرى كثيرة . ياقوت : معجم ، ٢/٣١٧-٣١٨ .
- (٤) سواد الاردن : نواحي قرب البلقاء . وسميت بذلك لسواد حاراتها . ياقوت : معجم ، ٢/٢٧٢ .

وحمل على الاعناق ، ودفن في دمشق بين باب الجابية
وباب الصغير وقيل : بل دفن في الموضع الذي مات فيه . وعلى
عليه ابنه الوليد ، وقيل : هشام ، وقيل : مسلمة .
(١)
وكان مرضه طويلا من المل ، او الطاعون .

ولقد استقيننا هذه الحقائق المجملة الموجزة من الكتب
التي ترجمت للخليفة يزيد ، او تناولت شيئا من سيرته ،
سواء كانت من كتب التراجم او كتب التاريخ العامة ، والتي^(٢)
سنعرض فيما يلي لذكر ماورد فيها حول شخصية يزيد بن عبد
الملك ، ماله وماعليها ، ثم مناقشة ذلك ، وابراز
ما توصلنا اليه من الحقائق والمفاهيم الجديدة في هذا
المعد .

بادئ ذي بدء ، لم يترجم ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) ، صاحب
اول كتاب وصل اليها من كتب التراجم ، للخليفة يزيد بن عبد
الملك ، وان كان قد اورد عهد سليمان له بالخلافة بعد عمر
في ثنايا ترجمة عمر بن عبد العزيز ، وكتاب عمر الى يزيد^(٣)
يومية بالامة .

(٤)
اما النسابة معصب الزبيري (ت ٢٣٦هـ) ، فذكر نسبه من

-
- (١) اتسمت المصادر الاسلامية بتعدد الروايات ، وفيما يخص
يزيد بن عبد الملك كان هناك اختلافا كبيرا في مولده ،
وولايته ، وعمره عند الخلافة ، ووفاته ، وعمره عند
وفاته ، ومدة ولايته ، ومكان وفاته ، وكثير من اخباره
فعملت على تقديم ما رأيته الأرجح ، واخرت ما عداه ،
واشرت الى وقوع الاختلاف او وجود اقوال اخرى .
(٢) لاستكمال ما اجملناه عن سيرة يزيد انظر ما سنورده في
المفحات التالية من اقوال المؤرخين حول سيرته .
(٣) انظر : الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٥هـ /
١٩٨٥م ، ٣٣٥/٥ - ٣٣٩ - ٤٠٥ - ٤٠٦ .
(٤) كتاب نسب قريش ، عنى بنشره لأول مرة وتمحيجه والتعليق
عليه ا. ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ،
الطبعة الثالثة ، ص ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٦ - ١٦٧ .

طريق أبيه وأمه ، والمهد له من سليمان بعد عمر ، وإن عبد الملك قد أخذ على سليمان عندما عهد له بالخلافة بعد الوليد أن يعهد إلى أحد بنى عاتكة يزيد مروان ، وكان مروان قد مات في خلافة الوليد . فجاء عهد سليمان ليزيد بعد عمر . كما أورد استخلافه لهشام ثم ابنه الوليد بن يزيد . وذكر أولاده وأمهاتهم . والأهم أن حديثه عن يزيد جاء خالياً من أي إشارة فيها ما يدل على سوء سيرته .

وترجمته عند ابن خياط (ت ٢٤٠هـ) مقتصرة على نسبه ومولده ووفاته وعمره ومدة خلافته ، ليس فيها شيء مما ينسب إلى يزيد من سوء ، ويترجم له عبد الله بن محمد بن يزيد (٢) (ت ٢٧٣هـ) ، ترجمة مختصرة على نهجه في كتابه ، لا تشمل على شيء من سمات سيرته سواء كان له أو عليه . أما ترجمة ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) له في كتاب الإمامة والسياسة ، فقد تضمنت الإشارة إلى حسن هديه قبل الخلافة ، والمسير على نهج الوليد في خلافته ، ونص قوله : "وكان يزيد قبل ولايته محبوباً في قريش بجميل ماأخذه في نفسه ، وهديه وتوانعه وقصده ، وكان الناس لا يشكون إذا مار إليه الأمر ، أن يسير بمسيرة عمر لما ظهر منه ، فلما مارت إليه الخلافة حال عما كان يظن به ، وسار بمسيرة الوليد أخيه واحتذى على مثاله ، وأخذ مأخذه ،

(١) تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم فضاء العمري ، دار طبعة ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص ٣٣٢-٣٣١، ٣٢٢ .

(٢) تاريخ الخلفاء ، رواية أبي بكر السدوسي وزيادات لأبي بكر السدوسي ، وأبي بكر الشافعي ، وأبي علي بن شاذان تحقيق محمد مطيع الحافظ ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ص ٣٣ .

(٣) تحقيق طه محمد الزيني ، دار المعرفة ، الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، ١٠٣/٢-١٠٤ .

حتى كان الوليد لم يمت" . ثم ذكر استعظام الناس لذلك ،
وان جماعة من اشراف قريش وخيار بنى امية هموا بخلعه ،
فاخذهم ومن صانعهم ، وسجن وقتل بعضهم ، واغرم وصادر اموال
اخرين ، بعد ان نكل بهم وفرقهم فى البلاد . وهذا الخبر
الاخير لم نجد له ذكرا فيما اطلعنا عليه من المصادر الاخرى
سوى اشارة عن تحدث الناس فى خلعه ، اوردها الكتبى ، ولعله
استوحاها من هذا الخبر .

ويترجم له ابن قتيبة فى كتابه الاخر ، المعارف ، والى
جانب ذكره لمعالم ترجمته من نسب وخلافة ومولد ووفاة وعمر
وولاية وابناء ، نجده اول من يشير الى ميل يزيد الى اللهو
والملذات ، ولكن فى قول مختصر ، ونمى : "وكان (يعنى يزيد)
صاحب لهو ولذات ، وكان صاحب حباية ، وسلامة" .^(١)^(٢)^(٣)^(٤)

- (١) انظر اشارة الكتبى الى ذلك بعد : ص ٩٨ .
- (٢) تحقيق ثروت عكاشة ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة
الرابعة ، ص ٣٦٤ .
- (٣) حباية جارية يزيد بن عبد الملك ، مغنية من الحن
القيان ، ومن احسن الناس وجها واكملهم عقلا وافضلهم
ادبا ، قرأت القرآن وروت الاشعار وتعلمت العربية ،
وهى من مولدات المدينة ، كانت لرجل يعرف بابن رمانه
وقيل ابن مينا ، هو الذى خرجها وادبها ، فاخذت
الغناء من بعض المغنين فى ذلك الوقت ، ثم اشتراها
يزيد بن عبد الملك بأربعة آلاف دينار . وكان اسمها
العالية ، فلما شراها يزيد سماها حباية ، ولها اخبار
كثيرة . انظر ترجمتها عند / عمر رضا كحالة : اعلام
النساء ، ٢٣٢/١-٢٣٥ .
- (٤) سلامة النفس ، نسبة الى عبد الرحمن بن ابي عمار الجشمى
وهو من قراء اهل مكة ، يلقب بالنفس لعبادته ، كان قد
احبها لكنه انصرف عنها تقوى ، فغلب لقيه عليها . وهى
من مولدات المدينة ، اخذت الغناء عن عدد من المغنين
وحذقت الحرب على الاوتار ، وقالت الشعر الكثير . وهى
جميلة ظريفة حسنة الغناء . ثم اشتراها يزيد بن عبد
الملك ، وعاشت بعده ، ولها اخبار كثيرة . انظر
ترجمتها عند/عمر رضا كحالة : اعلام النساء ٢٣٩/٢-٢٣٤ .

ونجد ابن قتيبة ايها في كتابه عيون الاخبار^(١) ، وان لم يترجم له ، يذكر اخبارا متفرقة ذات صلة بسيرته ، وهي زواجه من الجرباء بنت عقيل بن علفه^(٢) ، وكتابته الى اخيه هشام معاتبها ايها على سروره عندما الم بيزيد المرض^(٣) ، وكذلك عطفه على اهل الهوى والعشق ، وذلك من خلال ايراده قصة عاشقين ، ماتا كمدا ووجدا ، عندما امتنع ابو الفتاة ان يزوجهما من ابن عمها العاشق ، وكان قد علم بذلك من رسول بعثه اليه عامله على المدينة في امر ، فعطفه عن مهمته ولم يعطه جوابا عما قدم من اجله ، وامره بالعودة واستقصاء خبرهما ، واتبات ذويهما في شرف العطاء مع اهل المدينة ، ثم العودة اليه بالخبر ، واخذ الجواب فيما بعث من اجله^(٤) .
اولا .

واخر اخباره في هذا الكتاب عن يزيد ، خطبة لابي حمزة الخارجي ، يعرض فيها ببني امية ، ويصف سوء سيرة يزيد فيها عند ذكره بقوله : "ياكل الحرام ، ويلبس الحلة بالف دينار قد ضربت فيها الابصار ، وهتكت الاستار ، حباة عن يمينه وسلامة عن يساره تفنيانه ، حتى اذا اخذ الشراب فيه كل ماخذ قد شوبه ثم التحفت الى احدهما فقال : الا اظير ؟! نعم طر الى النار"^(٥) مما يدل على شيوع القول بسوء سمعته ، واستغلالها من قبل خصوم الدولة الاموية .

-
- (١) دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .
(٢) نفس المصدر ، ١٢/٤ .
(٣) نفس المصدر ، ١١٤/٣ .
(٤) نفس المصدر ، ١٣٠، ١٢٨/٤ .
(٥) نفس المصدر ، ٢٤٩/٢ .

وترجمته في انساب الاشراف هي اشملى ترجمة له في كتب التاريخ ، فقد استوفى البلاذرى (ت ٢٧٩هـ) فيها سيرته الذاتية والرسمية ، واستقصاها في جميع الروايات ، بغير تحيز له او تحزب عليه ، مع امانة ما يميز شخصيته وسياسته ، والتدقيق في البحث عن دوافعها وبواعثها ، فساق اخبار يزيد التي تشمل باسره ونشأته وازواجه واولاده ، ومزاجه ، وشغفه بالنعيم ، وكلفه بالفناء ، وسرد اخباره التي تشمل بولايته للمعد وخلافته ، والحركات التي قامت في عهده .^(١)

أما اليعقوبى (ت ٢٨٤هـ) في كتابه تاريخ اليعقوبى ،^(٢) فقد جاءت ترجمة يزيد عنده ، مقتصرة على نسبه وخلافته ، واحداث عهده وسياسته ، ولم يشر الى شيء مما ذكر له او عليه . لكنه في كتابه الآخر مشاكلة الناس لزمانهم ، يشير^(٣) الى تاثيره بحب حباية وتأثيرها على سياسته في شيء من الایجاز ، اذ يقول : "وكان يزيد بن عبد الملك فهو اول خليفة اتخذ قينة وغلبت على امره امرأة ، فكانت حباية جاريته تولى وتعزل وتطلق وتحبس وتامر وتنهى" . ويقول : "وكان مع ذلك يسرع الى الدماء والاموال وعادو عماله ماكانوا عليه من الجور" .

ويأتى الطبرى (ت ٣١٠هـ) على سيرة يزيد بعد ان عرض لاحداث عهده وسياساته ، وقد اشار الى خلافته وعمره آنذاك ،^(٤)

-
- (١) حسين عطوان : سيرة الوليد بن يزيد ، ص ٣٢ .
 (٢) دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ٣١٥-٣١٠/٢ .
 (٣) ص ٢٠ .
 (٤) تاريخ الامم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفتح ابراهيم دار مويضان ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، ٥٧٤/٦ - ٢٤/٧ .

ثم ذكر وفاته ومكانها وعمره وقت وفاته ومدة ولايته ، ثم
أورد أربع مرويات ، عن بعض سيره واموره ، خص بها الجانب
اللاهى فى حياة يزيد ، ذكر فى الاولى فتوة يزيد وشدة طربه
بغناء جاريته حبابة ، وحزن جاريته سلامة عليه عند وفاته
وتمثلها بشعر لبعض الانصار . وهذه الرواية من حديث عمر بن
شبه (١٧٣ - ٢٦٢هـ) عن على بن محمد المدائنى (١٣٢ - ٢٢٤هـ)
والثانية من قول على بن محمد المدائنى عن قصة شراء حبابة
والثالثة من قول على أيضا عن يونس بن حبيب (ت ١٨٣هـ) عن
٨٣ سنة وقيل جاوز المئة ، يذكر فيها شدة طربه بغناء حبابه
وحزنه وبكاءه عليها عند مرضها ، وكانت الرواية الاخيرة من
قول عمر بن شبه عن على بن محمد المدائنى ، وتضمنت الاشارة
الى مكوث يزيد سبعة ايام لايخرج الى الناس بعد موت حبابة
وذلك بمشورة اخيه مسلمة ، خشية ان يظهر منه مايسفه عند
الناس .

وكما يتبين ان اسناد هذه الروايات منقطع ، فالاولى لم
يذكر فيها مصدر المدائنى ، والثانية لم يذكر فيها المصدر
الذى استقى منه الطبرى قوله عن المدائنى ، ولاالمصدر الذى
روى عنه المدائنى ، وكذلك الثالثة لم يذكر الطبرى المصدر
الذى اخذ عنه رواية المدائنى ، والاخيرة لم يورد مصدر
المدائنى فيها .

وكذا نريد ان نتبع نقد السند الى جانب النظر فى متون
المرويات ، لكن ورود هذه المرويات بسند منقطع فى بعض
المصادر وخصوصا القديمة كالطبرى ، والتى سينقل عنها كثير
من المؤرخين الذين سيأتون من بعدهم ، وورود الكثير منها

فى كثير من المصادر دون اسناد ، دفعنا الى صرف النظر عن اتباع هذا المنهج وهو نقد السند ، والاكتفاء بالنظر فى المتن ، واستخلاص ما توصلنا اليه ، بعد عرضنا لما ورد عن سيرة يزيد فى المصادر التى نحن بمدد ذكرها ، خصوصا ان من الروايات ما اسند الى من وصفوا بالمدق والثقة والعدالة ، لذلك لم يعد هناك جدوى من مناقشة تلك المرويات ومعالجتها على اساس نقد السند .

فعلى سبيل المثال ، نجد ان مرويات الطبرى الاربع اخذها عن المدائنى ، وهو اخبارى حافظ ، قال الذهبى فيه : "كان عجبا فى معرفة السير والمغازى والانساب وايام العرب ممدقا فيما ينقله على الاسناد" . وقال ابن معين : ثقة ثقة . وقال الطبرى : "كان عالما بايام الناس صدوقا فى ذلك" . وذكره ابن عدى فى كتابه الكامل فى الضعفاء وقال ليس بالقوى . وقال ابن حجر : "لم اره فى ثقات ابن حبان وهو على شرطه" . وقال ابن حجر : "صدوق" .^(١)^(٢)

وبغیره من الثقات من رووا شيئا من هذه الروايات ، فنذكر منهم من نرى فى ذكره تاييدا لقولنا آنف الذكر .

ونعود مع ماوردته المصادر حول سيرة يزيد . فنجد ابن اعثم^(٣) (ت ٣١٤هـ) ، يصب اهتمامه على احداث عمر يزيد وبخامة فتنة ابن المهلب والفتوح ، ثم يشير الى وفاته وعمره ومدة خلافته ولايزيد على ذلك شيئا عن سيرته .

(١) محمد السلى : منهج كتابة التاريخ الاسلامى ، ص ١٧٧-١٧٨
(٢) تقريب التهذيب ، قدم له دراسة وافية وقابله باصل مؤلفه مقابلة دقيقة محمد عوامه ، دار الرشيد ، سوريا حلب ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٤٠٥ .
(٣) الفتوح ، م ٢٤٢-٢٦٤ .

(١)
 أما ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) فقد قدم ترجمة جيدة لهما
 نسبه وخلافته ومماته وعمره وولايته ، وأولاده ، والعهد لهشام
 وابنه الوليد ، وعتبه على هشام في تنقصه إياه ، وبعض رجال
 الإدارة في عهده وشيئا من سياسته ، وفطنة ابن المهلب ، ثم
 عرض للهو يزيد وكلفه بجاريته حبابه وسلامة ، فكرر قول ابن
 قتيبة في كتابه المعارف من أنه صاحب لهو ولذات ، وهو صاحب
 حبابه وسلامة ، وأضاف رواية أخرى ، ظهرت فيها روح المبالغة
 تضمنت شدة كلفه بحبابه ، وأنه أكب عليها ، يتشممها أياما
 حتى انتفت ، ثم دفنها بنفسه .

ويشير ابن عبد ربه في موضعين آخرين خارج نطاق سيرة
 يزيد ، إلى تبذيره المال قبل توليه الخلافة ، عندما ذكر أن
 سليمان هم بالحجر عليه عندما أصدق سعدة بنت عبد الله بن
 عمرو بن عثمان عشرين ألف دينار ، وشرى جارية بأربعة آلاف
 دينار ، وأن سليمان قال : "هممت أن الحرب على يد هذا
 السفية و..." (٢)

كما أورد أن كلفه بحبابه وانشغاله بها ، قد أدى به
 إلى إهمالة أمر الرعية ، والاحتجاب معها عن الناس ، وشهود
 الجمعة ، مشيرا إلى لوم مسلمة له على ذلك ، وأرعوانه قليلا
 ثم العودة إلى سيرته الأولى بتأثير من حبابه . (٣)

(٤)
 أما الأزدي (ت ٣٣٤هـ) ، وقد عرض لشيء من سياسة يزيد

(١) العقد الفريد ، تحقيق عبد المجيد الترحيني ، دار
 الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، توزيع دار الباز ،
 مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م ،
 ١٨٧/٥ - ١٩١ .

(٢) نفس المصدر ، ١٧٥/٥ .

(٣) نفس المصدر ، ٦٦/٧ .

(٤) تاريخ المومل ، تحقق على حبيبة ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ /
 ١٩٦٧م ، ص ٢١-٥ .

واحداث عهده ، فقد ترجم له بايجاز ، وكرر ذكر الروايات الاربع التى أوردها الطبرى ، لكنه أضاف : "وكان يزيد مولعا بالنساء والغناء واللهو والشراب" . فزاد القول بولعه بالنساء ، والشرب ، دون مستند او رواية نقل عنها او اشار اليها .

ويترجم المسعودى (ت ٣٤٦هـ) له فى كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ترجمة مختصرة عن نسبه وخلافته ووفاته ، تاريخها ومكانها ، وعمره ومدة ولايته . ثم عرض لمعا من أخباره وسيره . مدرها بذكر الجانب المعتم من سيرته ، فذكر غلبة جاريته سلامة وحبابه عليه ، واقباله على الشرب واللهو واحتجابه عن الناس ، ولوم مسلمة له على ذلك ، واقلاعه عما كان فيه مدة مديدة ، ثم عودته الى ماكان عليه من لهو وقمق . وذكر عدم اكتفائه بهن ، واستدعاءه لاحد بنى أبى لهب من مكة ، على دواب البريد والانفاق على حملة من بيت المال ، لانه يحسن غناء شعر بعينه ، وقدمه على الخليفة وغناؤه له ، وطربه بغناؤه ، وثناؤه على أبى لهب الذى أخذ عنه ذلك الغناء ، ووصله واعادته مكرما . ثم يكرر رواية شدة طربه لغناء حبابه وسلامه ، واحتجابه عن الناس عند مرض حبابه ، وامتناعه عن دفنها بعد موتها من شدة الجزع عليها حتى جيفت ، ثم دفنه اياها ، وموته بعدها بأيام قلئل ، ذاكرا قول أبى حمزة الخارجى فى يزيد كدليل على سوء سيرته . ثم عرض لبعض أخبار دولته ، وختم قوله :

(١) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، ص ٣١٥-٣٠٦ .

(٢) انظر قوله قبل : ص ٨١ .

وليزيد اخبار حسان . فمدر حديثه عن يزيد بالمساوى ،
 وختمه بالاشارة للمحاسن ولم يذكرها ، مع التوسع فى ذكر
 اخبار لهوه وطربه واحتجابه ، مكررا قول الازدى فى شربه
 الخمر .

ويترجم له ايضا فى كتابه الآخر التنبية والاشراف ،
 فيوجز ترجمته ، ويمفد اخلاقه بعد وصف خلقه ، بقوله : "فى
 الشباب شديد الفخر ظاهر الكبر ، يحب اللهو ويستعمل الحجاب
 لايعرف موابا فياتيهِ ، ولاخطا فيدعه " .

ويكرر المقدسى (ت ٣٥٥هـ) ^(٢) القول بلهوه وشغفه بحبابة
 وشربه الخمر ، ثم تنكره لها ، وعزمه على الرشد ، والتشبه
 بعمر ثم العودة الى سيرته الاولى بتأثير منها ، عندما
 غنته ابياتا تزين له فيها اللهو والطرب الامر الذى ادى به
 يوما الى الاعتزال معها فى مقصورة له لينال حظه من
 الاستمتاع بها ، وامر حبابه الايفتحوا الباب ذلك اليوم ولو
 كان بطلبه واثار الى موتها ذلك اليوم ، حيث غمت بحبة رمان
 وحمله جنازتها ، ودفنها ، وموته بعدها بخمسة عشر يوما .

ثم نرى دور الكتاب والمحا فى تفخيم الامور ، والمبالغة
 فى الوصف ، والتحريف والزيادة او النقص ، يتبين لنا ذلك
 مما اضاف الجاحظ (ت ٣٥٥هـ) الى قول ابي حمزة الخارجي فى ^(٣)
 يزيد ، وهو ينقل الخطبة التى نقلها ابن قتيبة ، اذ يحرف ^(٤)

(١) دار صعب ، بيروت ، ص ٢٧٧-٢٧٨ .
 (٢) كتاب البدء والتاريخ ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩١٩م
 ٤٩-٤٨/٦ .
 (٣) البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون
 مكتبة الجاحظ ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ،
 الطبعة الخامسة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ١٢٢/٢-١٢٥ .
 (٤) انظر قبل : ص ٨١ .

فيها ويزيد ، ونس ماورده : "ثم ولى يزيد بن عبد الملك الفاسق فى دينه ، المأبون فى فرجه ، الذى لم يؤنس منه رشد وقد قال الله تعالى فى أموال اليتامى : {فان أنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم} فامر أمة محمد عليه السلام أعظم . ياكل الحرام ، ويشرب الخمر ، ويلبس الحلة قومت بآلف دينار ، قد ضربت فيها الأبخار ، وهتكت فيها الاستار ، واخذت من غير حلها ، حباة عن يمينه" .

وبالقاء نظرة مقارنة بين النصين ، نجده زاد كل ما قبل قوله "ياكل الحرام" مفيها بعدها ، رمية بشرب الخمر ، مما يوضح ما أصاب النص من تحريف ، هذا ان كان قد صح نقله عن قائله من الأساس ، مع عدم التسليم بما جاء فيه ، لانه قول عدو خارج نال من المحابة رضوان الله عليهم فكيف لاينال من يزيد .

ويبلغ القول عن أخبار يزيد مع سلامة وحبابة مداه عند أبى فرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) ، الذى جمع فى ترجمتيهما الكثير من الروايات حول ذلك ، وكرر القول حول شرائعهما ، ولهو وطربه وشربه وغلبتهما عليه ، واحتجابه مع امائه ، وتركه الظهور للناس ، وشهود الجمعة والجماعة ، والارسال فى احضار بعض الشعراء والمغنيين ، للسمع منهم ، او الحكم فيما يختلفن عليه من الشعر والغناء ، كاستقدام الاحوص الشاعر ، ومعبد والفريخ المغنيان .

(١) النساء : من آية ٦

(٢) كتاب الأغاني ، مصور عن طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، مطابع كوستا توماس وشركاه ، القاهرة ، ٣٣٤-٣٥١/٨ ، ١٤٥-١٢٤/١٥ .

وقد أشار الى هجره حباية مدة من الزمن ، رغبة في التشبه بعمر بن عبد العزيز ، وفي رواية ، للوم مسلمة اياه على سلوكه ذاك ، ثم العودة الى سيرته ، لتعرضها له واسماعه غناء اطربه ، وقيل من شعر سمعه من الاخوص ، فترك ما اراد من الرشد وعاود الغى .

وباقى جهد ، وشيء من امعان النظر ، تظهر مبالغة الالمهاني فيما اورده ، والخيال فيما قصه ، والتناقض والاضطراب في مروياته .

فعلى سبيل المثال ، نراه في رواية يشير الى ان يزيد قال : بماذا صار عمر ارجى لربه جل وعز منى ، فاراد التشبه به ، فشق ذلك على حباية ، فعملت على رده عن الرشد ، ونجحت في ذلك . وغالب المصادر تشير كما سنرى الى سير يزيد على نهج عمر في اول خلافته لمدة وجيزة حددها البعض باربعةين يوما ، ثم نكوصه عن ذلك . ولكن ليس بسبب حباية لانها لم تكن عنده آنذاك ، فانه لم يشتريها الا في خلافته ، كما ان الروايات تورد اسبابا اخرى لنكوصه ، نوردها عند ذكر المصادر التي اوردها . ورواية تقول ان التي شرت حباية هي زوجته سعداء التي اخذت عليها ان تمهد لابنها عبد الله ولاية العهد ، ورواية اخرى تقول ان زوجته الشقفية ام الوليد هي التي شرتها له ، وانها اخذت عليها ان تعمل على تولية ابنها الوليد العهد ، ورجح القول الاخير .

ويبدو الاضطراب كبيرا في خبر موتها ودفنها ، فرواية تقول : انه امر بدفنها بعدما انتحلت ، وحضر دفنها ، ثم اراد نبشها ورجع عند ذلك ، وفي رواية انه نبشها بعد ثلاثة

أيام فزالوه عنها ، ودفنوها فلم يلبث أن مات ودفن الى جانبها . وثالثة ، تقول أن مسلمة طلب منه أن يكفيه الصلاة عليها ، فأمر مسلمة بعض أصحابه بالصلاة عليها وانصرف ، وغيرها . ولعل الأخيرة أقرب المرويات الى ما يقبله العقل ويناسب سمة ذلك الزمان وأهله .

ويقول حسين عطوان فيما نقله الأصفهاني : وهذا أبو الفرج حذو المسعودي في عرض أخبار يزيد الذاتية الالهية عرفاً موجهاً ، يزرى به وينال منه ، فأكثر ما أورده من المرويات استقاء من علماء الزبيريين واليمنيين ، وفيه أخبار ممنوعة . ثم أورد خبراً عن موت حبابة ودفنها وموقف الخليفة وموته كمداً عليها كأنموذج على مروياته الباطلة . فمصدر الخبر عبد الله بن عروة بن الزبير الذي قال أنه خرج الى الشام مع أبيه زمن يزيد بن عبد الملك ، وحكى القصة . وقد أبطل حسين عطوان الخبر ، على أساس أن عروة بن الزبير لم يدرك زمن يزيد ، فوفاته كانت (٩٣ او ٩٤ او ١٠٠هـ) . مما يدل على تلفيق واختلاق هذا الخبر ، وكثير من الأخبار الممسئة لشخص هذا الخليفة ، سواء كان ذلك من بعض المؤرخين أو رواة الأخبار .

ومرويات الأصفهاني في هذا المدد بعضها مسند ، وأخرى منقطة السند ، وغيرها بلا أسناد . وقد اعتمد فيها على عدد من الرواة الكذابين والمجروحين والمطعون عليهم ، الى جانب أناس من أهل المدق والثقة والعدالة . وهو في ذاته لا تقبل أخباره إلا بعد تمحيص ونظر ، فهو شيعي المذهب ، شعوبي

(١) سيرة الوليد بن يزيد ، ص ٣٥ .

الفرقة ، كذاب ، يمرح في كتاباته بما يوجب عليه الفسق ،
 ويهون شرب الخمر ، وبها كثير من الطعن والاعاجيب .
 (١)
 وقدم له ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) ترجمة جيدة ، جمعت بين
 ماله وعليه ، مسندة مروياتها على طريقة المحدثين ، وقد
 اورد فيها نسبه ، ومولده ، وخلافته ، وموته زمانا ومكانا ،
 وعمره ومدة خلافته وصفته ، ثم عرض لبعض سيره ، ومما ذكره
 ليزيد من المحاسن ، مجالسة العلماء ، وحضور حلقاتهم
 العلمية والاخذ عنهم سواء في دمشق او المدينة وذلك قبل
 توليه الخلافة ، فيروى عن ابن جابر قوله : "بينما نحن عند
 (٢)
 مكحول اذ اقبل يزيد بن عبد الملك ، فعممنا ان نوسع له ،

(١) عن ابي الفرج الاصفهاني ، ترجمة ، ومذهبا ، ومنهجا ،
 ومصادرا ، وقول العلماء فيه وفي كتابه الاغانى ، ونقد
 بعض مروياته ، انظر : وليد الاعظمي : السيف اليماني
 في نحر الاصفهاني صاحب الاغانى ، دار الوفاء للطباعة
 والنشر والتوزيع ، المنصورة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٨هـ
 ١٩٨٨م . وقد اورد فيه روايتين من مختلقات الاصفهاني
 عن يزيد بن عبد الملك وناقشهما ، انظر منه ص ١٥٢-١٥٣
 ١٦٤-١٥٨ .

(٢) تاريخ دمشق ، صورة من نسخة المخطوط بالمكتبة
 الظاهرية بدمشق وكمل نقيها من النسخ الاخرى بالقاهرة
 ومراكش واستانبول ، صنع لكل جزء منها فهرسا للتراجع
 والمؤلفات الشيخ محمد بن رزق بن الطرهوني ، الناشر
 مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، ١٤٠٧هـ ، ٣٣٧/١٨-٣٤٥
 (٣) ابو عبد الله مكحول بن ابي مسلم شعراب بن شاذل
 الدمشقي ، مولى لامرأة هذلية ، واصله من سبي كابل على
 الصحيح ، حيث اختلف على ولائه واصله ، وهو من
 التابعين ، جليل القدر ، محدثا ، ثقة ، صدوقا . كان
 يرى القدر ثم رجع ، (ت ١١٢هـ على خلاف) . انظر ترجمته
 عند : الذهبي : سير اعلام النبلاء ، اشرف على تحقيق
 الكتاب وخرج احاديثه ، شعيب الارناؤوط ، مؤسسة
 الرسالة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ،
 ١٥٥/٥-١٦٠ - ابن كثير : البداية والنهاية ، دقق
 اصوله وحققه احمد ابو ملحم وفؤاد السيد وعلى عطوي
 ومهدي ناصر الدين وعلى عبد الستار ، دار الكتب
 العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٨هـ
 ١٩٨٨م ، ٣١٧/٩ - ابن حجر : تهذيب التهذيب ، دار
 الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ،
 الطبعة الاولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ٢٥٨/١٠-٢٦٠ .

فقال مكحول : دعوه يجلس حيث انتهى به المجلس يتعلم
التواضع" . وعن عبد الله بن يسار : "انى لجالس فى مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم وقد حج فى ذلك العام يزيد بن
عبد الملك ، قبل أن يكون خليفة فجلس مع المقبرى ومع ابن
أبى العتاب ... " وذكر قصة وقوف أبى عبد الله المرابط صاحب
أبى هريرة رضى الله عنه عليه وهو عندهما ، ووصايته له
بأهل المدينة .

ويبدو أنه حفظ كثيرا من الحديث ورواه ، حتى عد من
المحدثين ، فيروى ابن عساكر أن أبا زرعة قال : "ومن بنى
أمية ممن يحدث ، يزيد بن عبد الملك" .

كما أورد مايدل على سير يزيد أول خلافته على نهج عمر
ثم نكوهه عن ذلك . يقول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : "لما
توفى عمر بن عبد العزيز وولى يزيد بن عبد الملك قال سيروا
بمسيرة عمر ، قال فأتى بأربعين شيخا فشهدوا له ما على
ال خلفاء حساب ولا عذاب" ، وقال عبد الملك بن الماجشون :
"لما مات عمر بن عبد العزيز قال يزيد : والله ما عمر باحوج
الى الله منى . قال فاقام أربعين ليلة يسير بمسيرة عمر .."
لكن الرواية عللت نكوهه عن نهج عمر بسبب عمل جاريته حباة
على صرفه عن ذلك باسماء غنائها ، فصرفته الى اللهو .

وبالمقابل أورد شيئا مما قيل فيه ، وذلك عن شراء

(١) أبو سعيد المقبرى ، واسمه كيسان ، مولى لبنى جندع من
كنانة ، أدرك عمر بن الخطاب ، وكان ثقة كثير الحديث
(ت ١٠٠هـ) فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، وقيل توفى
بالمدينة فى خلافة الوليد بن عبد الملك . ابن سعد :
الطبقات الكبرى ، ٨٥/٥ - ٨٦ .

وقد يكون الذى تعلم على يديه الخليفة يزيد هو ابن
أبى سعيد المقبرى ، واسمه سعيد بن أبى سعيد المقبرى
فابن عساكر اكتفى بذكر اللقب ولم يحدد الاسم .
(انظر ترجمة الابن بعد : الفصل السادس ، المبحث الاول
ص ٦٥٩) .

(٢) أراه منصور بن المعتمر ويكنى أبا عتاب ، إذ لم نعر
على أحد بهذا الاسم فى تلك الفترة غيره ، ومنصور من
العباد ، رفيعا عاليا مدوقا ، ثقة كثير الحديث ، مات
١٣٢هـ . ابن سعد : نفس المصدر ، ٣٣٧/٦ .

سلامة واختلاطه مع حبابة وموتها شرقا ، ودفنها بعدما جيفت ، وحزنه وجزعه عليها ، وشعره فيها ، وموته على اثرها . بل أنه أورد رواية تظعن في دينه ، مع أنه ذيلها بالحكم على اسنادها ، إذ قال : "في اسنادها غير واحد من المجهولين" .
 أما ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ، فقد استعمل حديثه عن عهد يزيد باستخلاف يزيد ، وبعد أن عرض لأحداث عهده وسياسته ، استكمل الحديث عن سيرته وشيء من أخباره . فذكر استخلافه بعد عمر بعهد من سليمان ، وأشار إلى وصية عمر إليه ، وقول ينم عن حسن رأيه فيه قال : لما احتضر عمر قيل له : اكتب إلى يزيد فأوصه بالامة . قال : بماذا أوصيه ؟ أنه من بنى عبد الملك ، ثم كتب وصيته إليه .^(١)

لكن ابن الأثير ، سرعان ما يضمن حديثه عن يزيد بقوله : "وعهد يزيد إلى كل ماصفه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه فرده ، ولم يخف شناعة عاجلة ولا اثما عاجلا" . وهذه مقولة سنناقش مدى محتتها في دراستنا لسياسته الادارية والمالية .^(٢)

أما أخبار سيرته ، فكرر فيها ابن الأثير ، ماورد عند الطبري وغيره من الروايات عن شرائه لجاريته سلامة وحبابة وشدة طربه لفتائهما وكلفه بهما ، وحزنه وجزعه على حبابة بعد موتها . وعلى طريقة المحدثين كان يورد الروايات المختلفة وإن تناقضت ، وعلى منهجه دون اسناد ، لكن الدارس

(١) الكامل ، ١٦٥/٤ - ١٩٢ .
 (٢) انظر نصها بعد : الفصل السادس ، المبحث الثاني ، ص ٧٢٢-٧٢٣ .
 (٣) انظر ذلك في الفصل الخامس . وقد اثبتت الدراسة الجديدة عدم صحة هذا القول على وجه الاطلاق .

يلمس تقديمه لما هو اقرب للمنطق ، مستبعدا امدار الاحكام عليه والروايات التي تطعن في دينه . فنراه على سبيل المثال ، يقدم القول بموته بمرض السل ، على موته كمدا على فقد حبابه ، وعندما يصور طربه بالغناء يقدم الرواية التي تقول : "كان يزيد من فتياهم ، فقال يوما وقد طرب وعنده حبابه وسلامة القس : دعوني اطيّر ، فقالت حبابه : على من تدع الامة ؟ قال : عليك" . ثم يورد بعدها رواية تقول : "وغنته يوما :

وبين التراقي واللعاة حرارة وماظمت ماء يسوغ فتبردا
فاهوى ليظير ، فقالت : يا امير المؤمنين ان لنا فيك حاجة فقال : والله لاظيرن ، فقالت : على من تخلف الامة والملك ؟ قال : عليك والله ، وقبل يدها ، فخرج بعض خدمه وهو يقول : سخنت عينك فما اسخفك" . فالخبر واحد ، لكن الرواية الثانية بها زيادة ، وفيها مبالغة تستهدف التمرير والاساءة ، فاورد الاختين لكنه قدم اكثرهما اتزاناً .

(١)
ويكثر المؤرخ المجهول ، من الروايات التي ترسم صورة يزيد اللاهي ، في شيء من المبالغة وهو لا يكتفى بايراد الروايات المشيرة الى لهوه ، وانمرافه الى الاماء ، والشرب ومعام الناس من الظلم والجور بسبب ذلك ، واقلعه ثم عودته الى سيرته الاولى ، كما عند كثير ممن سبقه من المؤرخين ، بل يمدد احكاما قاسية ، فبعد ان عرف بيزيد على انه صاحب لهو وهو صاحب حبابه وسلامة وصف خلقه ، كما وصف خلقه

(١) العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، ويليّه تجارب الأمم لمكويه ، مكتبة المثنى ، ببغداد ، ٨٠-٧٥/٣ .

بالتجور . ومن المبالغة في رواياته التي نقلها ، القول
بشراء حبابة وسلامة بمائتي ألف دينار ، ورواياته غير
مسندة .

وسنحتاج عددًا من المؤرخين لنصل إلى ترجمته عند
اثنين من كبارهم ، أولهما : الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، الذي
تناول شيخًا من سيرته في كتبه التاريخية ، فأورد في تاريخ
الاسلام ، وصف خلقه ، وحضوره مجلس مكحول ، كما كرر القول أن
يزيد قال : سيروا بسيرة عمر ، فأتى بأربعين شيخًا ، فشهدوا
له أن ماعلى الخلفاء من حساب ولا عذاب . وأضاف في كتابه دول
الاسلام قوله : "وكان طائفة من الجهال الشاميين يعتقدون
ذلك" . كما أشار في كتابه تاريخ الاسلام إلى طرف من قمته مع
حبابة ، وموتها ، وحزنه عليها وموته على أثرها . وترجم
ليزيد في كتابه سير أعلام النبلاء ترجمة جيدة ، أورد فيها
نسبه ، واستخلافه ، ومولده ، ومفتته ، ووفاته زمانها
ومكانها ، ومدة خلافته ، وعهده لعشام ثم ابنه الوليد . ثم
أشار إلى جانب من محاسنه ، حيث كرر القول بحضور حلقة
مكحول لطلب العلم ، والسير بسيرة عمر أول خلافته ، وشهادة
أربعين شيخًا له ، أن ماعلى الخلفاء من حساب ولا عذاب .
وأورد رواية أخرى لهذا الخبر ، ذكر فيها أن يزيد قال :
والله ما عمر بن عبد العزيز باحوج إلى الله مني ، فأقام
أربعين يومًا يسير بسيرته ، ثم أشار إلى انصرافه عن ذلك

(١) وطبقات المشاهير والأعلام ، مطبعة السعادة ، نشره
مكتبة القدس ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ٢١٢/٤-٢١٤ .
(٢) مطبعة دار المعارف النظامية الكائنة بمدينة حيدر
آباد ، الدكن ، الطبعة الأولى ، ٥٥/١ .
(٣) ١٥٢-١٥١/٥ .

الى اللهو مع حبابة التى اغرته بغنائها .

ثم عرض للجانب الالهى من حياة يزيد ، فذكر قصة وفاة حبابة ، وحزنه عليها ، وموته بعدها بخمسة عشر يوما . وعرض لوصفها ، كما ذكر لوم مسلمة لاختيه يزيد فى شغفه بتلك الجارية ، وتركه مصالح المسلمين ، وعدم افادته فيه . وبين رايه فى يزيد بقوله : "وكان لايملح للإمامة ، مضاف الهمة الى اللهو والفوانى" .

وشانيهما ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ^(١) ، الذى تعد ترجمته ليزيد من افضل التراجم التى تناولت سيرته ، لما تميزت به من الشمول والاتزان ، حيث تناول ماله وما عليه بل ودرء بعض الشبه عنه . واشتملت على نسبه ، وصفته ، وخلافته بعد عمر ابن عبد العزيز بعهد من سليمان ، وذكر كتاب عمر اليه ووفاته وعمره ومدة ولايته ، والعهد من بعده لهشام ثم ابنه الوليد بن يزيد . اما اخبار سيرته ، فقدم ماكان ليزيد من اثر حسن ومحامد طيبة ، ثم تناول الجانب الالهى فى شيء من الاتزان . فبدأ بخبر متابعة يزيد لعمر بن عبد العزيز الذى عاد الى ماكان فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين من عدم توريث المسلم الكافر ، والكافر المسلم ، وترك ماسار عليه بنو امية منذ عهد معاوية من توريث المسلم الكافر ، فلما تولى هشام اخذ بما كان عليه بنو امية . ثم كرر رواية تعلم يزيد على يد مكحول وحفوره مجلسه . ثم اكد على كثرة حضور يزيد مجالس العلماء ، واثر ذلك عليه فى عزمه على التماسى بعمر عند توليه الخلافة ، يتبين ذلك من

(١) البداية ، ط٤ ، ٩/٢٤١-٢٤٢ .

قوله : "وقد كان يزيد هذا يكثر من مجالسة العلماء قبل أن يلى الخلافة ، فلما ولى عزم على أن يتأسي بعمر بن عبد العزيز ، فما تركه قرناء السوء ، وحسنوا له الظلم ، قال حرمة عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : لما ولى يزيد بن عبد الملك قال سيروا بسيرة عمر ، فمكث كذلك أربعين ليلة ، فأتى بأربعين شيخا فشهدوا له أنه ماعلى الخلفاء من حساب ولا عذاب" .

وقد دفع عنه تهمة الطعن في دينه بقوله : "وقد اتهم بعضهم في الدين ، وليس بمحيي ، إنما ذاك ولده الوليد بن يزيد كما سيأتى ، أما هذا فما به من بأس" . وبالمقابل تناول الجانب الآخر ، حيث تحدث عن علاقة يزيد بجاريته حبابة شراها ، وحفظوها عنده ، وكلفه بها ، وقصة موتها عندما اعتزل كل شيء ليخلو بها في أحد قصوره ، فماتت على اثر شرقها بحبة غلب ، وتأخيرها دفنها حتى جيفت ، ومدى حزنه عليها وموته على اثرها ، بمرض السل .

وقد قدم ذلك بشكل موجز ، مستبعدا ما ينم عن التحامل ، وإن لم يسلم قوله من ذكر ما يستغرب ، كالقول ببقائه أياما بعد موتها يقبلها ويرشفها وهي ميتة حتى انتنت وجيفت . ويتضح أنه جمع أكثر من رواية في خبر موجز أجمل فيه قصة يزيد مع حبابة ، وبدون اسناد ، مخالفا منهجه وبخامة في الروايات المسندة التي تناولت الجانب الحسن من سيرة يزيد .

وكرر كثير من المؤرخين المتأخرين ، القول بلعوه ، وكلفه بجاريته سلامة وحبابة ، وانصرافه اليهن ، بينما

أشار بعضهم الى اتباعه نهج عمر اول خلافته . وامدر بعضهم الاحكام القاسية عليه ، كقول ابن الطقطقا (ت ٧٠٩هـ) : "كان^(١) - يعنى يزيد - خليع بنى امية ، شغف بجاريتين اسم احدهما سلامة والاخرى حبابة ، فقطع معهما زمانه " . ومثل ذلك نجده فى ترجمته عند الكتبى (ت ٧٦٤هـ) ، الذى ضمن ترجمته الكثير مما يصر ليزيد دون ذكر لشيء من محاسنه ، فوصفه بالعجز ، وقال : "كان يسمى يزيد الماجن" وخلال تحدثه عن قمته مع حبابة ، قال : ان عقله اختل على اثر موتها . واضاف قوله : "وتحدث الناس فى خلعه من الخلافة" وهو خبر سبقه اليه ابن قتيبة^(٢) ، الذى اشار الى محاولة خلعه ، لعودته الى سياسة الوليد بن عبد الملك ، وليس بسبب علاقته بحبابة كما قال هذا . وابدى رايه فيه ونمى : "فغلبت - اى حبابة - على قلبه من ذلك - وقت شرائها - ولم ينتفع به فى الخلافة" .

واضاف بعضهم تبذيره المال ومبلغ ترفه ، فاشار اليافعى (ت ٧٦٨هـ) ، الى اعطاء يزيد قبل الخلافة لاحد^(٣) الحلاقين اربعة آلاف درهم . ويذكر القلقشندي (ت ٨٢٠هـ) ان^(٤) يزيد كان يلقب القادر بمنع الله . وقد انفرد بذلك . كما يذكر تنعمه وعظمة قماشه ، فيقول : "كان قماشه - يعنى

(١) الفخري فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م ، ص ١٣١ .

(٢) فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ٢٢٢/٤-٢٢٣ .

(٣) انظر قوله قبل : ص ٨ .

(٤) مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة حوادث الزمان ، تحقيق عبد الله الجبورى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م ، ٢٥٣/١ .

(٥) مآثر الانافة فى معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٤م ، ٣٦٣/١ .

يزيد - يحمل على ستمائة جمل ، وانه خلف عشرة آلاف قميص
لنفسه ، وليقس على ذلك باقى امواله " . غير ان لهذا الخبر
مثيلا ينسب مثل ذلك لهشام بن عبد الملك ، لاليزيد ، ولعله
اهل هذا الخبر ، فحرفت نسبته من هشام الى يزيد .

(١)
قال المصعب الزبيري : "وكان - اى هشام - قد اتخذ
طرازا له قدر ، واستكثر منه ، حتى كان يحمل طرازه على
سبعمائة جمل ، وحمله على ذلك أن عمر بن عبد العزيز لما مد
يده الى بعض اموال بنى امية ، لم يعرض لما قطعوا من
الخياب ولبسوا ، تركها لهم ، فرأى هشام ان عمر امام عدل ،
وان من يأتى بعده من اهل العدل يقتدى به ، فجعل يتخذ
المتاع الجيد ويؤخر فيه ويلبسه ، ثم يدخره لولده ، وكان
يستجيده ويفالى بثمانه " .

(٢)
وروى ابن تفرى بردى (ت ٨٧٤هـ) ، فى ترجمته ليزيد
القول بان يزيد صاحب لهو وطرب ، وكذلك سيره على نهج عمر
أربعين يوما ، ثم ترك ذلك الى اللهو والشرب .

بينما خلت ترجمته عند آخرين من اى ذكر لاختبار سيرته ،
كما عند ابن العمارى (ت ٥٨٠هـ) ، او الاقتصار على ذكر
الحسن من اخباره ، كما فعل السيوطى (ت ٩١١هـ) ، الذى ضمن
ترجمته روايتين عن اتباعه نهج عمر اول خلافته ، ثم عدوله .

-
- (١) نسب قريش ، ص ١٦٤ .
(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة
عن طبعة دار الكتب المصرية ، المؤسسة المصرية العامة
للتناليف والترجمة والنشر ، ٢٥٥/١-٢٥٦ .
(٣) الانباء فى تاريخ الخلفاء ، تحقيق قاسم السامرائى ،
دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، الطبعة
الثانية ، ١٩٨٢م ، ص ٥١ .
(٤) تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ،
ص ٢٤٦-٢٤٧ .

ونرى ان فيما اوردناه من اقوال المؤرخين واصحاب
التراجم ، ما يكفي لمناقشة ما قيل حول شخصية يزيد بن عبد
الملوك ، ووضع التصور الاقرب لسيرته ، ولانقول التصور الاصح
او ما كانت عليه سيرته فى الحقيقة ، لأن المعلومات التى
اشتملت عليها مصادرنا حول سيرته ، قليلة نادرة ، مقتصرة
على بعض جوانب حياته وليس كلها ، مضطربة متناقضة ، مما
يصعب معها الوصول الى الحقيقة او الحكم القاطع .

وما عرضنا له من المصادر التى تناولت سيرة يزيد ،
يمكن تقسيمه الى فئات ، الاولى : اجمعت عن ذكر اخبار سيرته
واقترنت على ايراد ابجدياتها ، من نسب ، ومولد ، وخلافة ،
ووفاة ، وعمر ، ومدة خلافة ، وشئ عن أسرته ، وهى : نسب
قريش ، وتاريخ ابن خياط ، وتاريخ الخلفاء لعبد الله بن
محمد بن يزيد ، وتاريخ اليعقوبى ، والفتوح ، والانباء فى
تاريخ الخلفاء .

فئة ثانية : ضمنت ترجمته الجمع بين ذكر المحمود من
سيره ومذمومها ، وهى الامامة والسياسة . وانساب الاشراف
وتاريخ دمشق ، وتاريخ الاسلام ، ودول الاسلام ، وسير اعلام
النبلاء ، والبداية والنهاية ، ورواة الجنان .

وفئة ثالثة : اوردت فى ترجمته من الاخبار ما اخذ عليه
وهى المعارف ، ومشاكل الناس لزمانهم ، وتاريخ الامم
والملوك ، والعقد الفريد ، وتاريخ الموصل ، ومروج الذهب ،
والتنبيه والاشراف ، والبيان والتبيين ، والبدء والتاريخ ،
والاغاني ، والكامل ، والعيون والحداثق ، وماثر الانافة .
بينما وجدنا السيوطى كمثال لمن اقتصر على شئ من محاسنه

فى الترجمة ليزيد .

وهذا التقسيم مبنى على طبيعة ماحوته تلك المصادر من أخبار سيرة يزيد ، لاعلى أساس أنه يبين اتجاه هؤلاء المؤرخين وأهواءهم ، ولايدل بشكل مطلق على اثر الهوى فى كتاباتهم التاريخية . فعلى سبيل المثال ، نجد أن الطبرى قد اقتصر فيما أورده من أخبار سيرة يزيد ضمن ترجمته ، على بعض ماأخذ عليه من علاقته بجاريته حبابة ، لاعتن هوى فى نفسه وهو الامام الحافظ العلامة الثقة المدوق حسن المذهب والاعتقاد^(١) ، وان كنا لانجد مبررا لاغفاله أى شىء عن الجانب الحسن من سيرة ذلك الخليفة ، الا أنه لم يسمع او يطلع على شىء من ذلك . بينما الغفل أخبار سيرته الالهية من كان يتوقع منه الطعن والاماءة ، كاليقوبى فى كتابه تاريخ اليعقوبى ، وهو المعروف بالتشيع ، واتباع الهوى فى كتاباته ، وان كان قد ذكر شيئا من أخبار تلك السيرة فى كتابه الآخر مشاكلة الناس لزمانهم .

ويمكن ان نكمل أخبار سيرة يزيد بن عبد الملك ، كما جاءت فيما استعرضناه من المصادر فى جانبين : المحمود من سيرته وهو مايحسب له ، والمذموم منها وهو مايؤخذ عليه . وتمثل المحمود من سيرته ، أنه كان قبل الخلافة محبوبا فى قریش ، بجميل ماأخذه فى نفسه ، وهديه وتواضعه وقمده^(٢) . ويحسن بنا ان نخوه - وان كان من خارج تراجم يزيد فى

(١) عن ترجمة الطبرى ، وعقيدته ، انظر : محمد السلمى : منهج كتابة التاريخ الاسلامى ، ص ٤٣٦-٤٣٩ .

(٢) عن ترجمة اليعقوبى ، وعقيدته ، انظر : محمد السلمى : نفس المرجع ، ص ٤٢٦-٤٣٢ .

(٣) انظر قبل : ص ٧٩ .

المصادر التي عرضنا لها - الى حسن تربيته وتاديبه في صغره كواحد من أبناء الخليفة عبد الملك بن مروان ، الذي أولى تربية أولاده عناية كبيرة واهتماما بالغا ، زودهم بتوجيهاته ومصاياه ، واعطاهم حبه ، وأسبغ عليهم عطفه ، وهاهو ذا يعبر عن حبه لهم بشعر قال فيه عن يزيد :

يزيد زيادة الرحمن فينا
وماحب عروة الأمر الشديد (١)

كما أحسن اختيار المؤدبين لأبنائه ، فانتقاهم من اهل الدين والعلم والفضل ، وقدم لهم توجيهاته ، فيما ينبغي أن يفعلوه وما يريد أن يكون عليه أبنائوه . فكان منهم الضحاك ابن مزاحم الهلالي ، وعامر بن شراحيل الشعبي ، واسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ، ومحمد بن مسلم الزهري .
(٢)
وقد تسادب يزيد على يد اسماعيل بن أبي المهاجر ، (٣) (٤)

(١) عن اهتمام عبد الملك بن مروان بتربية أبنائه ، انظر محمد ضياء الدين الريس : عبد الملك بن مروان والدولة الأموية ، مطابع سجل العرب ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩م ص ٥٣-٤٩ - عواد مجيد الأعظمي : الأمير مسلمة بن عبد الملك ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، ١٩٨٠م ، ص ٢٢-١٩ .

(٢) عن مؤدبي بني عبد الملك ، التعريف بهم ، وأسس اختيارهم ، وتوجيهات عبد الملك لهم ، وتربيتهم لبنيهم انظر : محمد صالحية : مؤدبو الخلفاء ، (بحث) ، ص ٤١-٤٣ ، ٤٨-٥٣ .

(٣) اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ، مولى بني مخزوم ، امام كبير ، من العلماء رواة الحديث الثقات كان مقلده أولاد الخليفة عبد الملك بن مروان ، وهو من الزهاد ، ولي المغرب لعمر بن عبد العزيز ، فأقام بها سنتين حتى عزل بابن أبي مسلم ، وقد أسلم عامة البربر في ولايته . وكان حسن السيرة . توفي سنة ١٣٢هـ .
الذهبي : سير ، ٢١٣/٥ .

(٤) أبو زرعة : تاريخ أبي زرعة ، ٣٤٧/١ - ٣٤٨ .

(١)(٢)

والزهري .

ولاشك أن مثل هذه التربية ، والتأديب ، والتعلم ، على مثل هؤلاء العلماء ، سيكون له الأثر الحسن في سلوك يزيد وهدية ، وإن كان حسين عطوان ، يشير إلى ضعف الملة العاطفية بين يزيد وأبيه عبد الملك ، وأنه كان ميالا لابنه الوليد ، فلم يزع يزيد كبقية ابنائه من زوجاته الأخريات ، وطلق أمه .

وذكر أنه بعد تطليق عبد الملك لأمه عاتكة بنت يزيد ، أصبح يزيد كل أمها ، خموصا أنه ابنها الأكبر ، ولما اتصف به من حسن الخلق وتمام البنية وسمات الرجولة ، فأسبغت عليه حنانها ، وأحاطته برعايتها ، وغرست فيه الشموخ بالنسب والنفس ، لانتماؤه إلى البيت المرواني عن طريق أبيه والبيت السفلياني عن طريق أمه . كما قوت فيه الشعور بالكرامة والشهامة ، والفخر بذاته ومنزلته ، وقد نشأ في أحضانها نشأة فيها الرقة والنعومة والترف .

ولعل هذه التربية في أحضان أمه ، ما أوجد فيه بعض

(١) محمد بن مسلم الزهري القرشي ، الفقيه الحافظ ، أحد الأئمة الأعلام ، وعالم الحجاز والشام ، كان ثقة كثير الحديث ، له نحو ألفي حديث ، وكان وافر العلم ، كثير الرواية ، جامعاً . وكان يكتب كل ما يسمع ، من أعلم الناس ، قال عنه عمر بن عبد العزيز : لم يبق أعلم بسنة ماضية منه . وقال عن نفسه : ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشرى ولا بذله بذلي ، ولد سنة ٥١هـ على خلاف ومات سنة ١٢٤هـ على خلاف أيضاً . انظر : ابن حجر : تهذيب ، ٣٩٩-٣٩٥/٩ . وأضاف الذهبي : أنه قدم الشام على عبد الملك بن مروان ، ثم لازم الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد ، فاستقفاه يزيد بن عبد الملك مع سليمان بن حبيب جميعاً . انظر : سير ، ٣٥٠-٣٢٦/٥ .

(٢) محمد صالحية : مؤدبو الخلفاء (بحث) ، ص ٤٢ .

(٣) سيرة الوليد بن يزيد ، ص ١٤ ، ١٥ .

السمات ، وما كان معينا لبعض المؤرخين يستقون منه
أوصافه التي ضمنوها كتبهم ، كقولهم أنه كان فتى الشباب ،
ظاهر الكبر ، شديد الفخر ، وغير ذلك من الصفات .

وعلى كل حال فإنه لما شب ونفج ، اعتمد على نفسه ،
وسعى في طلب العلم ، فكان يكثر من مجالسة العلماء قبل أن
يلى الخلافة ، ويغشى مجالسهم ، ويحضر حلقاتهم ، ويتأدب
بآدابهم ، ويصفى لسلامهم ويقبل توجيهاتهم ، وياخذ العلم
عنهم . وشيوخه الذين تلقى عنهم العلم ، مكحول والزهرى ،
في الشام ، والمقبري ، وابن أبي العتّاب ، من علماء
المدينة .

وعلى ما يبدو أنه بلغ درجة رفيعة من العلم وبخاصة في
حفظ الحديث وروايته ، جعلت بعضهم يعبه من المحدثين .
وقد كان رأى عمر بن عبد العزيز في يزيد حسنا ، كما
كان عمر عند يزيد ممن به يقتدى ، فإنه لما ولي الخلافة بعد
عمر ، أراد التأسى به ، والسير على طريقته ، وقال : والله
ما عمر بأحوج منى إلى الله ، فأمر بالسير على نهجه . وكان
مما تابعه فيه ، أحياء سنة عدم توريث المسلم الكافر ،
والكافر المسلم . وذلك كما كان متبعاً في عهد الرسول صلى
الله عليه وسلم ، وخلفائه الراشدين . بعد أن ورث معاوية

(١) انظر قبل : ص ٩١-٩٢، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠٢-١٠٣ .

(٢) انظر قبل : ص ٩١ .

(٣) عن تعلم يزيد على يد الزهرى ، انظر : حسين عطوان :
سيرة الوليد بن يزيد ، ص ١٥ (نقلا عن : عيون التواريخ
مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٤٥ تاريخ ، ج ٥ ،
الورقة : ١٥) .

(٤) انظر قبل : ص ٩٢ .

(٥) انظر نص ابن عساكر في ذلك ، قبل : ص ٩٢ .

(٦) انظر إشارة ابن الأثير إلى ذلك ، قبل : ص ٩٢ .

رضى الله عنه المسلم الكافر ، وتابعه على ذلك خلفاؤه من بنى أمية ، حتى عاود عمر السنة الأولى ، ووافقه فى ذلك يزيد . وقد سار يزيد بسيرة عمر مدة حددها البعض بأربعين يوما ، إذ لم يتركه قرناء السوء ، فحسنوا له الظلم ، واتوه بأربعين شيخا ، شهدوا له أن ماعلى الخلفاء من حساب ولاعذاب .^(١)

أما الجانب الآخر ، وهو مادم به وأخذ عليه ، فتمثل فى عدد من الأوجه أولها : تركه السير على نهج عمر الذى عمل به أول خلافته ، سواء على أثر شهادة الأربعين شيخا أن ماعلى الخلفاء من حساب ولاعذاب ، أو بفعل حبابة التى سعت إلى صرفه إلى اللهو معها ، وزاد من ذلك أنه عمد إلى كل شيء صنعه عمر مما لم يوافق هواه فردده - كما قال بذلك ابن الأثير وهو ماسنناقشه فى ثنايا الفصل الخامس بعد - والعمل بسيرة أخيه الوليد ، واتباع هديه .^(٢)^(٣)

الوجه الثانى : وهو الجانب اللاهى فى حياة يزيد ، أو ميله إلى اللهو واللذات . وقد بنى على قمته مع جاريتيه سلامة وحبابة ، واستمد مما روى حقا حول حبه لهما ، وكلفه بهما ، وحظوتاهما عنده ، ومازىد على ذلك ، أو اختلق حوله وقد اتضح لى أنه المحور الذى دارت عليه الرحا التى طحنت شخصية يزيد بن عبد الملك .

وقصة يزيد مع جاريتيه فى الأصل بسيطة كما يبدو لى ، فهما جاريتان ، جميلتان ، ظريفتان ، مغنيتان ، شراهما

(١) انظر ذلك قبل : ص ٩٢، ٩٥، ٩٧ .

(٢) انظر قوله : ص ٩٣ .

(٣) انظر ذلك لمن قول ابن قتيبة قبل : ص ٩-٨٠ .

يزيد بعد استخلافه ، فملكنا عليه قلبه ، خصوما حباة ،
التي كلف حبها ، واشتد طربه لغنائها ، فحظيت عنده ، فلما
ماتت ، حزن لموتها وجزع عليها ، ولم يطل العمر به بعدها
حيث مات بعدها بأيام معدودة ، بالطاعون وقيل بل كان مرض
السل .

وقد أغمض كثير من المؤرخين القول بموته مطعوناً أو
مسلولاً ، وجعلوه كمداً وأسفاً على فقد حباة . مع أنه من غير
المستبعد ذلك بل هو الأولى ، فكثيراً ما انتشر وباء الطاعون
وغيره من الأوبئة في حواضر الشام كدمشق ، فكان ذلك من
الأسباب التي دعت الخلفاء الأمويين إلى بناء قصور لهم في
بوادي الشام وأريافه .^(١)

ومع أن قصر الصفراء الذي بناه سليمان بن عبد الملك
ظل داراً للخلافة حتى اتخذ هشام بن عبد الملك الرصافة مقراً
له بدلاً من دمشق ، إلا أن يزيد كان ككثير من الخلفاء
الأمويين الذين اتخذوا لهم قصوراً خارج دمشق ، يستجمعون بها
ويقضون فيها بعض أوقاتهم . فنزل قصر الموقر ، الذي يرجح
أن يكون قد بنى فيه .^(٢)

(١) عن أسباب بناء الأمويين للقصور الصحراوية والريفية ،
انظر : فواز أحمد طوقان : الحائر في العمارة الأموية
الإسلامية ، بحث ضمن أعمال المؤتمر الدولي (الأول)
لتاريخ بلاد الشام ، من القرن السادس إلى القرن
السابع عشر الميلادي ، المنعقد في الجامعة الأردنية ،
١٩٧٤م ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤م ،
ص ٧٥-٧٦ (وإن كان قد حاول إبطال القول بالأسباب
القديمة كالهروب من الأوبئة ، وذكر أسباباً أخرى) .
(٢) عماد عبد الرؤوف : الحواضر الإسلامية الكبرى ، دار
الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٦م ، ص ٤٢ .
(٣) موقر : اسم موضع بنواحي البلقاء من نواحي دمشق ،
وكان يزيد بن عبد الملك ينزله . ياقوت : معجم
البلدان ، ٢٢٦/٥ . ويتضح أن القصر سمي باسم المكان
الذي بنى فيه .

(١)
أن يكون يزيد بن عبد الملك هو الذى بناء ، أو رممه ، وقد
بنى على قمة جبل الموقر ، الى الشمال الشرقى من قصر
المشتى ، وقد تهدم ولم يبق منه سوى البركة وانقاض
أبنيته . (٢)

ولقد احتوت مدائح وقصائد بعض الشعراء فى يزيد بن عبد
الملك ، اشارات الى ذلك القصر ونزوله فيه ، من ذلك قول
الاحوص الشاعر يمدح يزيد بن عبد الملك :

الا لآلمه اليوم أن يتبلدا فقد غلب المحزون أن يتجلدا
نظرت رجاء بالموقر أن أرى أكاريص يحتلون خاخا فمنشدا (٣)
وقول جرير :

أشامت قريش للفرزدق خزيه

وتلك الوفود النازلون الموقرا

عشية لاقى القين قين مجاشع

(٤)
هزبرا ابا شبلين فى الغيل قسورا

(٥)
ويرجع أيضا نسبة قصر المشتى ليزيد بن عبد الملك ،
فانه وان اختلفت الآراء حول نسبة هذا القصر ، الى أى
العمور والملوك والخلفاء ، فان أنضجها نسبته الى العصر

-
- (١) ابراهيم أحمد العدوى : الامويون والبيزنطيون ، الدار
القومية للطباعة والنشر ، دار الجبل ، الفجالة ،
الطبعة الثانية ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م ، ص ٢٧٢ - فيليب حتى
تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجى ،
أشرف على مراجعته وتحريره جبرائيل جبور ، دار
الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢م ، ١٢٥/٢ .
(٢) عن موقع هذا القصر وصفته ، انظر : فواز طوقان :
الحائر (بحث) ، ص ١١٩ .
(٣) انظر قوله عند : الاصفهاني : الاغانى ، ١٢٣/١٥ .
(٤) ياقوت : معجم ، ٢٢٦/٥ .
(٥) عن قصر المشتى موقعه وصفته ، انظر : زكى محمد حسن :
فنون الاسلام ، ملتزم الطبع والنشر ، دار الفكر العربى
ص ٤٨-٥٢ .

الأموى ، وقد ذهب من نسبه الى العمر الأموى الى رايين :
الاول نسبته الى يزيد بن عبد الملك ، والثانى الى ابنه
الوليد بن يزيد ، وقد فسر أصحاب الراى الاول ترك القصر قبل
اتمامه بوفاة يزيد بعد وفاة جاريته حبابة .^(١)

وحيث أن اجزاء من قصر المشتى جاءت خالية تماما من
رسوم الكائنات الحية ، عكس بقية الاجزاء التى احتوت على
رسوم طيور وحيوانات حقيقية وخرافية ، مما حير علماء الآثار
وادى الى اختلافهم فى تفسير هذه الظاهرة ، والتى راى بعضهم
أن صاحب هذا القصر اقتنع بعد اتمام القسط الاكبر من
الزخرفة ، بكراهية تصوير الكائنات الحية فى الاسلام ، ففضل
الزخارف النباتية فى الجزء الباقي .^(٢)

ولعلمنا بموقف الخليفة يزيد بن عبد الملك من الصور ،
والمتمثل فى اصداره المرسوم القاضى بمحو الصور وازالة
التمائيل وكسر الاصنام وتحطيمها ، فاننا نرى ذلك قرينة
قوية لنسبة قصر المشتى اليه .^(٣)

ولقد جعلنا موته بالطاعون أولى ، لموته بعد فترة
وجيزة من موت جاريته حبابة . بينما لا يستبعد موته بالسل ،
فلقد وردت الاشارات الى مرضه اثناء الخلافة ، فلعله كان
مریضا بالسل . فقد ذكر أن يزيد ألم به المرض واشتكى شكاية
شديدة ، قيل أن اخاه هشاما مربها . فكان من يزيد العتب ،
ومن هشام الاعتذار .^(٤)

(١) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، ص ٥٢ .
(٢) زكى محمد حسن : نفس المرجع ، ص ٥٠-٥١ .
(٣) انظر مرسوم الخليفة يزيد فى الفصل الثالث .
(٤) ابن قتيبة : عيون الاخبار ، ١١٤/٣ - ابن عساكر :
تاريخ دمشق ، المخطوط ، ٣٤١/١٨ - ابن كثير : البداية
ط٤ ، ٢٤١/٩ - وقيل : بل كان يفتقمه ويتمنى موته ، انظر
ابن عبد ربه : العقد ، ١٨٩/٥ - المسعودى : مروج
٢١٣/٣ .

(١) كما أشار أيضا إلى مرضه هذا بعض المصادر غير الإسلامية وكما ذكرنا أن قصة يزيد مع جاريته كانت في الأصل بسيطة عادية ، غير أنها جاءت في المرويات التي تناولتها مهولة مشوهة ، اعترافا كثير من المبالغة والاضطراب ، والتناقض والزيادة بل والاختلاق ، فمنها ما يشير إلى تلك القصة باتزان ، ومنها وأن كان مسندا ونقله بعض كبار المؤرخين على طريقة المحدثين ، فقد شابه ما يقبل ويعقل ، ومنها ما ظهرت فيه الإساءة والطعن بتحريف ، أو زيادة ، أو اختلاق ، فجاءت تلك المرويات تحمل العجب والمنكر ، وذلك إما لهوى في نفس راويها ، أو لفرض يقمده ناقلها ، أو نقلها من لم يهتم بالاختيار ، أو نقلها مسندة ، فحمل المسئولية من رواها .

فإذا مادتقنا النظر في الروايات التي تناولت لهو يزيد من خلال هذه القصة ، لوجدناها بدأت متزنة إلى حد ما عند المؤرخين الأوائل ، كابن قتيبة والطبري ، ثم بدأ (٢) الترقى في تضخيمها ، والزيادة عليها واختلاق ما لم يكن موجودا ، مع تكرار أقوال السابقين أو بعضها .

وإن أوضح مثال لذلك ، مأمور به الخليفة يزيد عند موت حبابة ، ومدى حزنه عليها . فمن المصادر ما يشير إلى موتها واعتزال يزيد بن عبد الملك الناس بعد وفاتها سبعة أيام حتى لا يرى عليه ما يفسده ، بعد أن ترك أمر الصلاة عليها ودفنها لأخيه مسلمة ، فأمر مسلمة أحد أصحابه بالصلاة عليها

(١) انظر ذلك بعد : الفصل الثالث ، ص ٢٨٨ .

(٢) انظر قبل : ص ٧٩-٨١، ٨٢-٨٣ ، ٢٦٨ .

وأخرى قالت بدفنه إياها ، وغيرها قالت لم يستطع المشى
جزعا فحمل بينما تشير بعض المصادر الى تأخير دفنها ثلاثة
أيام ، وقال غيرهم كان يقبلها ويرشها وهي ميتة حتى جفت
بينما نجد من بالغ في تصوير حزنه بعد دفنها وبكائه على
اطلالها ، والتمثل بالأشعار وتقريب صوحيباتها ، حتى وصل
ببعضهم الأمر الى القول بنبشه قبرها وأخراجها ، لامرأة فحسب
بل ومرتين .

ولنرى كيف صور الأصمغانى يزيد بن عبد الملك ، قال :
"روى المدائنى : انه اشتاق اليها بعد ثلاثة أيام من دفنه
إياها ، فقال : لابد من أن تنبش ، وكشف له عن وجهها وقد
تغير تغيرا قبيحا فقليل له : يا امير المؤمنين اتق الله ،
الا ترى كيف قد صارت ؟ فقال : مارايتها قط احسن منها اليوم
أخرجوها ، فجاءه مسلمة ووجوه أهله ، فلم يزالوا به حتى
أزالوه عن ذلك ، ودفنوها ، وانصرف فكمد كمدًا شديدا حتى مات
فدفن الى جانبها" (١) .

سخف وإيما سخف ، لاسخف يزيد الخليفة ، بل سخف هذه
الروايات وما اشتملت عليه ، مما لا يقره العقل ، ولا يوافق
المنطق والعرف ، أمر يستبعد عن سفيه في عصرنا الحاضر ،
فكيف نصدق من خليفة للمسلمين ، عاش مطلع ثانی خير القرون
ولكنه التاريخ ، يوجب علينا أن نذكر مثل هذا السخف ،
فندرسه وننقده .

وليتبين لنا اثر بعض الرواة والمؤرخين في تفخيم هذه
القصة ، وتعاظمها مع تقادم الأزمان ، بما زادوه فيها أو
عليها ، حتى صارت بالشكل الذى وصل الينا ، وجعلت سيرة

(١) الألفانى ، ١٤٤/١٥ - ١٤٥ .

يزيد بتلك المورة المعتمدة التي أمسى فيها . سنتتبع اهم
 الاضافات ، والآراء ، والاحكام ، في المصادر التي استعرضنا
 اخبار سيرته فيها ، آخذين في الاعتبار تكرار المؤرخين لبعض
 او كل مذكره السابقون حول ذلك . فيشير اليعقوبى الى غلبة
 حبابة على يزيد حتى غدت تولى وتعزل ، وتطلق وتحبس . ثم
 كان ابن عبد ربه اول من اشار الى احتجابه مع تلك الجارية
 وترك شهود الجمعة والجماعة ، واتهامه بالسفه والتبذير .^(١)

ويمرح الأزدي ، باتهام يزيد بالولع بالنساء وشرب
 الخمر ، وان كان قد ورد ذكر شربه عرضا في خطبة ابي حمزة
 الخارجي التي رواها ابن قتيبة . ويظهر المصعودي مدى
 اهتمامه بالفناء ، واستدعاء المغنين اليه ، ولا يقف عند ذلك
 فيصفه بما لايحمد ويتهمه بالجهل .^(٢)

ويتكرر قول تلك الاشياء او بعضها ، في كل مصدر ياتى
 فلما اتانا الاصفهاني ، او جئنا على ماعنده في
 الاغانى ، وجدنا عنده حشدا كبيرا من تلك الروايات واخبار
 حبابة وسلامة مع يزيد ، ودعوته المغنين ، منها ما هو مكرر
 ومنها ما هو مبالغ ، وان كان في الحقيقة لم يبد آراءه في
 يزيد ولم يعدر اوصافا شنيعة او احكاما قاسية ، من لدنه .^(٣)

ولم يسلم يزيد من روايات تطعن في دينه ، كما جاء في
 تاريخ دمشق ، وقد دفع عنه ابن كثير ذلك . كما بالغ المؤرخ
 (٧) (٨)

-
- (١) انظر قبل : ص ٨٢ .
 (٢) انظر قبل : ص ٨٥ ، وانظر كذلك القول بتبذيره وتفعمه
 ص ٩٨-٩٩ .
 (٣) انظر قبل : ص ٨٥-٨٦ .
 (٤) انظر قبل : ص ٨١ .
 (٥) انظر قبل : ص ٨٦-٨٧ .
 (٦) انظر قبل : ص ٨٨-٨٩ .
 (٧) انظر قبل : ص ٩٣ .
 (٨) انظر دفعه لتلك التهمة ، قبل : ص ٩٧ .

المجهول فى رواياته المزرية بهذا الخليفة ، فكرر وبالف فى
(١)
كثير مما ذكر ، واتهمه بالفجور .

ونصل الى بعض المؤرخين الذين لم يكتفوا بايراد
الروايات التى تتناول شخصيته ، فقدموا له اوصافا خلقية ،
وبينوا فيه آراءهم وامدروا فيه احكامهم ، فى ضوء تلك
المرويات التى وصلت اليهم ، فكان منها الجارح المرفوض ،
والمعتدل المقبول .

فقالوا : فتى الشباب ، شديد الفخر ، ظاهر الكبر ،
يحب اللهو ، ، فاجرا ، عاجزا ، لايعرف صوابا قياتيه ،
ولاخطا فيدعه . ووصفه بعضهم : بخليع بنى أمية ، ويزيد
(٢) (٣) (٤) (٥) (٦)
الماجن .

ومن اقوالهم : ولم يفتخ به فى الخلافة ، وكان لايملح
(٧)
للإمامة ، مصروف الهمة الى اللهو والغواني .

ونأتى الاشارة الى تحدث بعض الناس وعزمهم على خلع
يزيد من الخلافة ، واحدة ذكرها ابن قتيبة ، وذكر ان ذلك
جاء لتركه سيرة عمر التى اطمأن لها الناس ، واخرى عند
الكتبى ، اوردها على اثر حديثه عما صار اليه حال يزيد بعد
(٩) (١٠)
موت جاريته حبابة . وهاتان الاشارتان لم اجد لهما مثيلا

-
- (١) انظر قبل : ص ٩٤-٩٥ .
(٢) انظر قبل : ص ٩٤-٩٥ .
(٣) انظر قبل : ص ٩٨ .
(٤) انظر قبل : ص ٨٧ .
(٥) انظر قبل : ص ٩٨ .
(٦) انظر قبل : ص ٩٨ .
(٧) انظر قبل : ص ٩٨ .
(٨) انظر قبل : ص ٩٦ .
(٩) انظر قبل : ص ٨٠ .
(١٠) انظر قوله قبل : ص ٩٨ .

ولاقرينة فى المصادر التى اطلعت عليها فى هذا البحث ، سواء
أثناء دراسة سيرة يزيد ، أو أحداث عصره .

هكذا كانت شخصية الخليفة يزيد بن عبد الملك ، كما
صورتها المصادر الإسلامية ، فكان جهدنا استقصاء ما ذكر حوله
وابراز ماله وماعليه ، ماحمد من سيرته وماذم . مؤكدين
وكما ناقشنا وبيننا فى ثنايا هذه الدراسة على مااعترى
مرويات هذه السيرة من مبالغة واختلاق وتزييف ، حتى غدت
كأنها أسطورة من نسج الخيال ، حوت مالا يوافق المنطق ،
ولا يقبله العقل ، ولا يقره العرف . وابتلى ماحبها بالوصاف
الشنيعه ، والآراء المتحاملة ، والأحكام الجائرة .

ونحن أخيرا لانستطيع أن ننفى كل ما قيل عنه ، ولانؤكد
ما قيل فيه ، ولانحكم له أو عليه ، لأن مثل ذلك لا يتم الا
بالحجة البينة والحقيقة الواضحة ، فكنا نريد أن نصل الى
ذلك عن طريق نقد السند ، فوجدنا قليلا المسند ، وكثير
قليلا منقطع السند . أما كثيرها فغير مسند . وإذا
مالجأنا الى نقد المتون ومقابلتها ، وهذا ما عملنا عليه
ما استطعنا ، فأننا نجد كثيرا من الاضطراب والتناقض والاختلاف
مما يدل على الزيادة والتحريك والاختلاق . لذلك لم نستطع
الوصول الى الحقيقة المطلقة ، ولا الحكم النهائى القاطع ،
غير أننا نستطيع أن نقول ، أن يزيدا لم يكن بتلك الدرجة
التى صور بها من سوء ، ونردد قول ابن كثير فيه : أما
هذا فما به من باس .

ويبقى سؤال مهم يفرض نفسه ، مامدى تأثير شخصية يزيد
وحياته الخاصة فى سياساته الرسمية وادارته الدولة الإسلامية

ومسامدى تاثر الدولة بسيرته ، ومآمدلول احداشها على حقيقة
شخصيته ؟

لاشك ان لبعض جوانب سيرة يزيد شيء من الاثر على سياسته
العامية . فيذكر انه ماعزل ابا بكر ابن حزم عن المدينة ،
الا انتقاما لنفسه ، فان يزيدا كان قد حج فى خلافة الوليد
ابن عبد الملك ، فتزوج بنت عون بن محمد بن على بن ابي
طالب ، وامدقها مالا كثيرا ، فكتب الخليفة الوليد الى ابن
حزم قاضى المدينة ، ان يفسخ نكاح يزيد من بنت عون ، وان
يستعيد المال ، فنفذ ابن حزم امر الوليد .^(١)

كما ان امهاره الى ثقيف ، وتزوجه من زينب بنت محمد
ابن يوسف ، اخو الحجاج بن يوسف الثقفى ، كان له بالغ الاثر
فى سوء العلاقة بين الخليفة يزيد ، ويزيد بن المهلب ، الذى
اوكل اليه زمن سليمان تعقب آل الحجاج ومحاسبتهم وتعذيبهم
فما قبل ابن المهلب شفاعة يزيد بن عبد الملك فى زوجته
الثقفية او اختها ، مما اغضب عليه يزيد بن عبد الملك ،
الذى هدده بالانتقام ان تولى الخلافة ، فكان ذلك من الاسباب
التي أدت الى هروب ابن المهلب من سجن عمر بن عبد العزيز
فى آخر حياته ، وخروجه على يزيد بن عبد الملك ، والقيام
بالحركة التي استهدفت تقويض الحكم الاموى .^(٢)

اما مدى تاثر الدولة بشخصية يزيد ، فالحق انه لم يكن
الرجل المناسب لتلك الفترة ، ولم تكن سياسته تلائم وضع
الدولة آنذاك . فان خليفة عمر بن عبد العزيز الذى أدرك

(١) حسين عطوان : سيرة الوليد بن يزيد ، ص ١٧ .
(٢) انظر ذلك خلال اسباب حركة ابن المهلب ، بعد : الفصل
الثانى ، المبحث الاول ، ص ١٢٣-١٢٥ .

حاجة الدولة للإصلاح ، كان يجب أن يدرك ذلك ، ولو لم يكن كعمر في شخصه ، وأن اتخذ في سبيل ذلك سياسة تخمه ، المهم أن يحقق الغاية ويتم ما بداه عمر بن عبد العزيز .

غير أن من الحق أيضا ، أن يزيدا لم يقدا الدولة نحو الهاوية ، ولم يكن عهده بداية الانهيار والنهاية ، وأن شخصيته وسيرته ، لم تكن سببا قويا فيما أصاب تلك الدولة ، ولعل مجمل دوره ، أنه عاد بالدولة الى سابق عهدها ، فطبق كثيرا من سياسات أسلافه من بني أمية ، وخالف كثيرا من سياسات عمر ، وأبقى على شيء منها ، لتعيش الدولة من جديد في ظل كثير من الظروف الماضية التي كانت بمثابة معاول هدم تزايد أثرها مع الزمن حتى اسقطت الدولة الأموية .

ومما هو جدير بالذكر أن دراستنا الجديدة لأحداث عصره ، اثبتت لنا قيام يزيد بتحمل مسئولية الحكم ، ومباشرة مهام الدولة ، فوجدناه على رأس كثير من الأحداث الجلييلة ، والأخبار الهامة ، يموسها ، فيضع الخطط ، ويستشير ذوي الرأي ، ويتخذ القرارات ، ويشرف على التنفيذ ، ويتابع الأحداث ، وينتظر النتائج ، ويتخذ الحلول المناسبة للمشاكل المستعصية .

فلم نجد لسيرته الذاتية اللاهية ، أثرا كبيرا في قيامه بواجبات الجانب الرسمي من حياته ، إذ لم نطلع على حدث نتج عن إهماله ، أو على خبر يؤكد انصرافه عن شئون الحكم ، وترك مصالح المسلمين .

لكن الواضح أن قدراته السياسية ، وكفاءته الإدارية ،

لم تكن تؤهله لملء مكانه وقيادة الدولة باقتدار ، أو تحقق العظمى من المنجزات والفريد من السياسات التى تلفت اليه الانظار .

فكان يزيد حاكما عاديا ، ليس سياسيا مقتدرا ك معاوية أو اداريا ناجحا كعبد الملك ، أو مصلحا كعمر ، كما لم يكن سيئا كابنه الوليد بن يزيد . ويمكن القول أن توليه الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز جعل المفارقة بينه وبين عمر واضحة وكبيرة ، وادت الى عتامة صورته لدى جمهرة المسلمين .

هذه سيرة يزيد ، وتلك سمة شخصيته ، التى كان لها مدى واسعا ، استغله الأعداء والخصوم وأهل الهوى ، من الساسة والقادة والمؤرخين ، وأهمل بسببها كثير من المؤرخين قدماء ومحدثين ، أحداث عهده ومنجزات حكمه .

ومادراستنا هذه لعهد يزيد وسيرته ، الا مدى لتلك السيرة ، ولكنه مدى ايجابيا ، استهدف البحث الجاد ، وجلاء الحقائق ، وتمحيص كثير من المفاهيم الخاطئة ، عن يزيد بن عبد الملك وعهده .

الفصل الثاني

الحركات الداخلية في الدولة الأموية في
عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك

المبحث الأول : حركة يزيد بن المهلب .

المبحث الثاني : حركات الخوارج .

١- حركة شاذب .

٢- حركة مسعود العبدى .

٣- حركة مصعب الوالى .

٤- حركة سعيد بن محمد .

٥- حركة عققان .

المبحث الثالث : حركة شيريم اليهودى .

المبحث الرابع : حركة بلاى .

المبحث الخامس : حركة أخىلا

الفصل الثانى

الحركات الداخلية فى الدولة الأموية
فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك

يعتبر عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، نموذجا يمثل الحركات المختلفة المشارب ، التى عانت منها الدولة الأموية منذ قيامها ، وكذلك سياسة الدولة فى التمرد لها ، وأساليب معالجتها ، وقدرة الدولة على تجاوزها والاستمرار فى أداء واجبها التاريخى .

وسنعرض فى مباحث هذا الفصل للحركات التى قامت فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، أحداثها ، وسياسة الدولة فى التمرد لها وإخمادها ، وأهم آثارها ونتائجها .

المبحث الاولحركة يزيد بن المهلب

حدثت حركة يزيد بن المهلب ضد الدولة الاموية فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، لكن مقدماتها واسبابها لم تكن وليدة زمنه ، بل بدأت فى الظهور منذ تالق نجم ابن المهلب ، خصوصا بعد ولايته على خراسان ، فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، وبروزه كزعيم يمنى التفت حوله عمبيته وتولى جل شأنها ، فوضعه ذلك مابين نقمة الخلفاء ذوى الهوى القيسى وامرائهم على المشرق ، وبين حظوة من قرب اليمانية واعتمد عليهم من بنى امية . فاضى ابن المهلب ممن يشكل سياسة عصره ، ويحرك احداثها ، وجنى من وراء ذلك تحمل مسئولية بعض الاحداث وعداء بعض اطراف النزاع فيها ، كالحجاج الثقفى ومن ثم الخليفة يزيد بن عبد الملك . وهذا ماادى الى خلق دوافع الثورة واسباب حدوثها . كما اشمر عن كسب ابن المهلب مقومات القيام والتحدى ، وهذا ما تمثل فى المكانة التى وصلها ، والخبرة التى نالها ، والثروة التى جمعها . فكان لزاما علينا ان نعرض لتلك المرحلة من حياة يزيد بن المهلب وهى ما قبل الحركة ، لنتعرف بايجاز على تلك المقدمات والاسباب .

حياة ابن المهلب قبل الحركة :

كان لحياة يزيد بن المهلب قبل الحركة ومارافقها من احداث ، بحكم مكانته وموقعه منها كقائد وامير وزعيم قبيلة

وعلاقته بالبيت الحاكم ، وامارة المشرق ، دور كبير في الخروج على الحكم الاموى ، وتبدل موقف الاسرة المهلبية ، ودورها الايجابى فى مساندة الامويين وتثبيت سلطانهم فى شرق الدولة الاسلامية ، الى اسرة خائفة ، وعصبية يمنية ناقمة . ما فتئت تلعب دورها فى هدم البيت الاموى وتقويض سلطانه .

نمبـه :

هو يزيد بن المهلب بن ابي صفرة واسمه ظالم بن سراق ابن صبح بن كندى بن عدى بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الازد - ويقال الاسد بالسمن الساكنة - بن عمران بن عمرو بن عامر بن امرئ القيس بن شعلبة بن مازن بن الازد ، الازدى العتكى البصرى ، من ازد دبا .
(١) (٢)

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ٢٩٩/٦ - الزركلى : الاعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السابعة ، ١٩٨٦م ، ١٨٩/٨ - المصعودى التنبية والاشراف ، ص ٢٧٧ (واضاف : عمرو بعد كندى ، وقال : عامر بن حارثة بن شعلبة ، وزاد بعد الازد على نسبه : الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبا) .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ، ط ٤ ، ص ٣٩٩ (قال : ان دبا فيما بين عمان والبحرين . اسلم أهلها وارتدوا ، فحاربهم عكرمة وقتل وسبى ، وكان ابو صفرة غلاما لم يبلغ وكان فيمن بعث منهم الى ابي بكر ، فاعتقهم عمر فنزل ابو صفرة البصرة) . لكن ابن خلكان الذى يضيف فى كتابه : وفيات الاعيان ، ٣٥٨/٥ على التعريف بدبا قوله اضيفت جماعة من الازد اليه لما نزلوه ، وكان الازد عند تغرقهم اضيفت كل طائفة الى شىء يميزها عن غيرها ، فقليل ازد دبا وازد شنوءه ، وازد عمان ، ومرجع الكل الى الازد المذكور . ونجده فى نفس المصدر ٣٥٠/٥-٣٥١ . يرد على الواقدي قصة قدوم ابي صفرة على ابي بكر وهو غلام ناقلا عن ابن قتيبة بقوله : هذا الحديث باطل ، اخطأ فيه الواقدي لأن ابا صفرة لم يكن فى هؤلاء ولا رآه ابو بكر قط ، وانما وفد على عمر وهو شيخ ، أمره عمر ان يخضب . وكيف يكون غلاما زمن ابي بكر وقد ولد المهلب =

(١)

ويكنى بأبى خالد .

وقد برز آل المهلب كقيادة كبار لقبيلة الازد ، فى
البصرة ، وكانوا فيها كما كان الأحنف فى تميم . وكانوا من
المكانة ملوا وجودا فى دولة بنى أمية كالبرامكة فى دولة
بنى العباس . حتى أننا نجد التشابه فى النهاية السيئة
للمرتين على يد الدولة وتمفيتها . لكن ناجى حسن ينقل عن
الأصفهاني : " أن آل المهلب لم يكونوا من الازد ، وإنما كان
أبو صبرة والد المهلب فارسى من أهل خارك ، فقطع إلى عمان
(٥)

= وهو من أصاغر ولده قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بسنتين ، وقيل سنين وقد كان فى ولده من ولد قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بثلاثين سنة أو أكثر . ونحن نستغرب رد ابن خلكان الذى قال أنه نقله عن ابن قتيبة ، لأننا نحن قد نقلنا الخبر عن ابن قتيبة الذى صرح بنقله عن الواقدي ، ولم يشكك فى الخبر ولم يرد عليه بعدما ذكره (للتأكد من ذلك ، انظر ابن قتيبة : نفس المصدر والمفحة) . وليس هناك خلاف بين الخبرين إلا أن الواقدي قال : فاطلقهم أبو بكر ولم يقل عمر كما وجدناه نحن عند ابن قتيبة . وقد أورد قصة الواقدي ابن خلكان ورد عليها نقلا عن ابن قتيبة .

(١) الزركلى : الأعلام ، ١٨٩/٨ .
(٢) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرمى السعدي المنقرى التميمي ، أبو بحر ، سيد تميم ، واحد

العظماء الفصحاء الشجعان الفاتحين . يضرب به المثل فى الحلم ، ولد فى البصرة (سنة ٣ ق.هـ) ، أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره ، ووفد على عمر ، واعتزل الفتنة يوم الجمل ، وشهد صفين مع على ، كما شهد الفتوح فى خراسان ، ووليها . وقد وفد على صديقه مصعب ابن الزبير فى الكوفة ، وتوفى فيها وهو عنده ، سنة ٧٢هـ . انظر : الزركلى : نفس المرجع ، ٢٧٦/١-٢٧٧ .

(٣) ناجى حسن : القبائل العربية فى المشرق خلال العصر الأموي ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م ، ص ٩٨ .

(٤) الياقعى : مرآة الجنان ، ٢٤١/١ - ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ١٢٤/١ .

(٥) خارك : جزيرة فى وسط البحر الفارسى (الخليج العربى) من أعمال فارس . انظر / ياقوت : معجم البلدان ، ٣٧٧/٢ .

ثم قدم البصرة ، فكان سائسا لعثمان بن أبي العاص ، ولما
هاجرت الأزد الى البصرة كان معهم في الحروب فوجدوه نجدا
فاستلظوه ، فادعى الى الأزد .^(٢)
^(٣)

وقد ولد يزيد بن المهلب (سنة ٥٣هـ) ، ونشأ في كنف
أبيه ، فشاركه في معظم حروبه ، واكتسب خبرة حربية عالية ،
كما كان أفضل أولاد المهلب ، يتجنب مواطن الدم ويعمد الى
فعل المحامد . الا أنه لم يكن بمنأى عن رمى خصومه له ببعض
المثالب ، كاتهامه بالنساء وشرب الخمر ، وان كان هناك

(١) عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله
ابن همام بن أبان بن يمار بن مالك بن خطيط بن جشم من
ثقيف . أبو عبد الله . قدم على الرسول مع وفد ثقيف ،
فاستعمله على الطائف ، وأقره أبو بكر وعمر ، الذي
ولاه البصرة ، وقيل عمان والبحرين سنة ١٥هـ . ثم عزله
عثمان بن عفان ، له فتوح وغزوات في الهند وفارس . وهو
الذي منع ثقيفا من الردة ، خطبهم وقال : كنتم آخر
الناس اسلاما فلا تكونوا أولهم ارتدادا . وسكن البصرة
حتى توفي سنة ٥١هـ وقيل : سنة ٥٥هـ . انظر : ابن سعد
الطبقات الكبرى ، ٤٠/٧ - ابن حجر : التهذيب ،
١١٧/٧ - ١١٨ - ابن حجر : كتاب الاصابة في تمييز الصحابة
دار احياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الاولى ،
١٣٢٨هـ ، ٤٦٠/٢ - الزركلي : الاعلام ، ٢٠٧/٤ .
(٢) استلظوه : أي الزقوه بأنفسهم . انظر : اللسان (لوط) .
(٣) القبائل ، ص ٩٨ (نقلا عن : الاغانى ، ٣٠٠/١٤ - الاعلاق ،
ص ٢٠٦) . وقد دحض خير الاصفهاني بفارسية المهالبة ،
لمدم ذكرها في المصادر الاخرى ، ومجيئها على لسان
خصوم المهالبة . الا أننا وجدنا هذه التهمة عند
المؤلف المجهول وياقوت ، اللذين أورداها على لسان
بعض الخصوم والشعراء المعاصرين . (انظر : العيون
والحدائق ، ٤٩/٣ - معجم البلدان ، ٣٣٧/٢) . لكن ذلك
ليس كافيا لتصديق هذه المقولة ، خصوصا أن كتب
التراجم لم تقل بذلك ، وقد عدنا لترجمة عثمان بن أبي
العاص (انظر أملاه هـ ١) ولم نجد في ترجمته ذكرا لكون
أبي صبرة مولى له . ومع ذلك فإن هذه الروايات تفتح
بابا للبحث الجدى حول هذه المقولة ، والوصول الى
حقيقتها .

(٤) نافع توفيق العبود : آل المهلب بن أبي صبرة (ودورهم
في التاريخ حتى منتصف القرن الرابع الهجري) ، رسالة
دكتوراه ، غير مطبوعة ، مقدمة لجامعة بغداد ، كلية
الاداب ، ١٩٧٦م ، ص ٥٧-٥٩ - الزركلي : الاعلام ، ١٨٩/٨ .

مايعارضها ، كتحذيره لابنه مخلد من التعرض لأعراض الفاس ،
واقامتته الحد الشرعى على ذوى المنكر ، مثل ضربه للشاعر
هزيمة بن كعب حدا فى السكر ، وعزله لكاتبه يحيى بن يعمر
العدوانى بسبب شربه النبيذ . ويمكن القول : أن يزيدا كان
شخصية قوية ومؤثرة ، استطاع أن يقوم مقام والده ، ويوحد
شمل بيته . فكان اخوته سندا قويا له فى الشدائد ، وبخاصة
(١)
عند خروجه على الأمويين .

ولايته الأولى على خراسان :

ولى يزيد بن المهلب خراسان بعد وفاة أبيه (سنة ٨٢هـ)
ان استخلفه عليها عند وفاته ، وهو أمير خراسان آنذاك من
(٢)
قبل الحجاج الثقفى . فكتب يزيد بذلك فاقره الحجاج على
(٣)
خراسان . وقيل بل كانت ولايته (سنة ٨٣هـ) .
(٤)
وقد أقره الحجاج على كره منه لملفه وتيهه . فمكث فى
(٥)
ولايتها أقل من ثلاث سنوات . ان مالبث الحجاج أن عزله عنها
(٦)
بإذن الخليفة عبد الملك بن مروان ، وذلك سنة ٨٥هـ .

-
- (١) عن صفات يزيد بن المهلب ، وحياته فى كنف أبيه .
انظر / نافع العبود : آل المهلب بن أبى صقرة ،
ص ٩٩-٥٧ .
- (٢) لمعلومات أوسع عن ولاية المهلب على خراسان . انظر /
الطبرى : تاريخ الأمم ، ٣١٩/٦ وما بعدها - نبيه عاقل :
تاريخ خلافة بنى أمية ، ص ١٦٦ .
- (٣) نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٥٩ - الطبرى : نفس
المصدر والجزء ، ص ٣٥٤-٣٥٥ - ابن الأثير : الكامل ،
٨٤-٨٣/٤ .
- (٤) الزركلى : الاعلام ، ١٨٩/٨ .
- (٥) عواد مجيد الأعظمى : مسلمة ، ص ٤١ .
- (٦) نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٦٠ وما بعدها - نبيه
عاقل : نفس المرجع ، ص ١٦٦ - الطبرى : نفس المصدر
والجزء ، ص ٣٩٥ - الزركلى : نفس المرجع ، ١٨٩/٨-١٩٠ .
الا أنه جعل ولايته ست سنوات . وهذا خطأ ، ان أن
ولايته كانت سنة ٨٢هـ ، وعزله سنة ٨٥هـ ، بأمر
الخليفة عبد الملك الذى توفى سنة ٨٦هـ . فكيف تكون
ولايته ست سنوات ، وهى فى الحقيقة مايقارب سنتين
وأربعة أشهر .

أسباب العداء بين ابن المهلب والحجاج :

لما فرغ الحجاج من حركة عبد الرحمن بن الأشعث ، لم يكن له هم الا يزيد بن المهلب ، واهل بيته ، وقد كان اذل اهل العراق كلهم الا آل المهلب ، ومن معهم بخراسان . اذ كان يخاف على العراق ، خشية من بأسهم ^(١) . فقد كان المهالبة اصحاب السيطرة والنفوذ في خراسان ، ويعود ذلك لان قبيلتهم (ازد عمان) التي نزحت من البصرة وسكنت خراسان ، حالفت قبائل ربيعة وتآلفت منها جبهة يمنية ربيعة في خراسان ، تقابل جبهة مضرية تتألف من قبائل تميم وقيس . وكان يلي خراسان في هذا الوقت يزيد بن المهلب الذي كان ايضا زعيم الجبهة اليمنية المناوئة للحجاج ، الذي كان بدوره يريد التخلص من ابن المهلب لاشياء اخذا عليه منها عدم جديته في ملاحقة فلول ابن الأشعث الذين التجأوا الى هراة ، واطلاقه اليمنية دون المضربية ممن اسر منه ، وتباطؤه في محاربة موسى بن عبد الله بن خازم ، واصحابه من القيسية ^(٢) .

- (١) ابن الاثير : الكامل ، ٩٦/٤ .
 (٢) الزركلي : الاعلام ، ١٨٩/٨ - ١٩٠ .
 (٣) هذا التفسير المبني على العصبية القبلية وحدها ، وان الحجاج القيسي كانت قبائل اليمن مناوئة له ، وان خطر ابن المهلب عظم بزعامته لهذه الجبهة ، وان عزله كان خشية من هذا الخطر ، يعتبر تفسيراً قاصراً ، فقد كان المهلب سيد الازد وزعيمها قبل ابنه ومع ذلك لم يخشه الحجاج بل كان محل احترامه ومقدر جهوده ، فكافاه على قضائه على الازارقة بامارة خراسان ، ثم أقر ابنه من بعده ، وكان بمقدوره ان يجعلها لغيره ، لذا فاننا سنجد فيما سيأتي ذكره في الصفحات التالية العبررات الحقيقية لعزل ابن المهلب عن خراسان .
 (٤) موسى بن عبد الله بن خازم ، شاعر اعظم بعد ان ضعف امر أبيه بقرمز - وكان أبوه أمير خراسان لابن الزبير فرفض البيعة لعبد الملك بن مروان ، وقاتل رجاله ، =

وامتناعه عن تنفيذ أمر الحجاج بغزو خوارزم سنة ٨٥هـ ،
التي غزاها فيما بعد عندما توجه من الحجاج خيفة بالحاحه
عليه بالقدوم الى واسط ، وعدم اطاعة الحجاج بقتل بنى
الاهتم ، واتهامه باختلاس مبلغ وقدره مائة ألف درهم من خراج
(١)
خراسان .

(٢)
الا أن تعاضم أمره وحظوته عند الامويين ، وسعيه الى
تثبيت مركزه بالاعتماد على الازد وحليفاتها ربيعة ، وحرصه
على توثيق صلاته بالامويين ، حيث أظهر مناوآته حركة ابن
الاشعث ، وتصدية له فى خراسان ، وذلك بايعازه الى اخيه
المفضل واليه على هراة بحربهم ، كان كل ذلك من الاسباب
(٣)
الرئيسية التى أقلقته بال الحجاج من ابن المهلب ، خصوصا ان
صحت الرواية القائلة بأن راهبا أجاب الحجاج عن سؤاله فيمن
سيلي العراق من بعده : أنه رجل يقال له يزيد . فوقع فى

= فقتل سنة ٧٢هـ - وظل فيها نحو خمسة عشر عاما ،
وسيطر على ماوراء النهر جملة فى كثير من الاحيان ،
ونجح فى التغلب على من قاتله من الترك ، وجيوش أمراء
خراسان ، وكان المهلب غير مقاتلا له ، وأوصى بنيه
بعدم مقاتلته ، وقال : ان قتلتم موسى كان أول قادم
عليكم أمير من قيس على خراسان . فلم يقاتله يزيد بن
المهلب ، ثم قاتله المفضل بن المهلب ليحضى عند
الحجاج ، فظفر به سنة ٨٥هـ ، فعزله الحجاج بقتيبة بن
مسلم الباهلى . (انظر عنه / ابن الاثير : الكامل ،
٩٧/٤-١٠١) .

(١) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٦٠ وما بعدها - عواد
الأعظمى : مسلمة ، ص ٤١ . وأضاف : وفى رواية (ابن
اعثم : الفتوح ، م ٢١٣/٧) أن الحجاج طالب يزيد بن
المهلب بمبعة آلاف درهم فأكرها .

(٢) نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٦٠ وما بعدها .

(٣) نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٥٩ .

نفسه انه يزيد بن المهلب ، فكتب الحجاج الى عبد الملك يذم
 يزيد وآل المهلب ويستأذنه فى عزله . وكان الحجاج قبل ذلك
 يحاول استخراج يزيد من خراسان الى واسط ، والآخر يعتذر
 بالعدو وحرب خراسان . وقد رفض عبد الملك مشورة الحجاج
 بآدى الامر ، ثم وافق اخيرا على عزل ابن المهلب ، وكان
 ذلك (سنة ٨٥هـ) . وبعد استصدار عزل يزيد من عبد الملك ،
 تزوج الحجاج هند بنت المهلب لئلا يثير شكوك يزيد ،
 واستدعاه ، فقدم عليه واسط ، وترك أخاه المفضل على خراسان
 الذى كتب اليه الحجاج بولايتها ، فأخذ يستحث يزيد على
 الخروج الى الحجاج . فلما قدم يزيد على الحجاج سجنه ،
 وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان وسجنه ، وعزل عبد الملك بن
 المهلب عن شرطته . وأمر فأخرج اخوته عن خراسان وقطع
 أصولهم منها ، وفرق التجمع اليمنى الذى كانوا يرأسونه .
 وفى (سنة ٩٠هـ) هرب يزيد بن المهلب واخوته الذين كانوا
 معه فى سجن الحجاج ، الذى كان يطالبهم بستة آلاف ألف ،
 وأخذ يعذبهم عليها ، فاحتالوا لذلك والتجأوا الى سليمان
 ابن عبد الملك فى الرملة من فلسطين ، فأمنهم واستعفى
 الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فعفى عنهم ، وكتب الى
 الحجاج بالكف عنهم ، فكف عنهم . وأقام يزيد بن المهلب عند

-
- (١) ابن الاثير : الكامل ، ٩٦/٤ .
 (٢) نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى أمية ، ص ١٨٣-١٨٤ .
 (٣) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٦٠ وما بعدها .
 (٤) ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والمصحة .
 (٥) نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٦٠ وما بعدها - ابن
 العماد : شذرات ، ١٢٤/١ - الياقنى : مرآة ، ٢٤٢/١ -
 ٢٤٣ - الزركلى : الأعلام ، ١٨٩/٨ .
 (٦) نبيه عاقل : نفس المرجع ، ص ١٨٣-١٨٤ .

(١)

سليمان بن عبد الملك .

مما تقدم من حياة يزيد بن المهلب يظهر تغير موقف الحجاج أمير المشرق تجاه الأسرة المهلبية ، وسوء العلاقة بين الطرفين ، مما ترقب عليه ابعادهم عن مراكز السلطة ، ومعاقبتهم باكثر مما كانوا ينتظرونه . ومع ذلك نستطيع ان نقول ان هذا العداء كان لايزال محصورا بين آل المهلب والحجاج أمير المشرق ، وحفظ البيت الأموي ولاء المهالبة واليمانية باجارة سليمان وعفو الوليد حتى الآن . لكن قادم الايام من حياة يزيد بن المهلب بولايته الثانية على العراق ثم خراسان ، وتوليّه تعذيب آل أبي عقيل ذوى الحجاج بأمر من الخليفة سليمان بن عبد الملك ، سيوسع دائرة الصراع ، لتسوء علاقتهم بالبيت الأموي نفسه ، ممثلا في الخليفة عمر بن عبد العزيز ، المحاسب لابن المهلب على أموال المسلمين التي أفساء الله بها عليهم من فتوحاته لجرغان وطبرستان ، وماجمعه من خراج خراسان ، فانكرها ، ويزيد بن عبد الملك

(١) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٦٦-٦٩ (وقال : ان سليمان أجارهم لعلمه بمكانتهم في اليمانية الذين كان يسعى الى استمالتهم ليساعده للوصول الى الخلافة ، كما اضاف : انه اتخذ يزيد كاتباً له) - نبيه عاقل : تاريخ خلافة بني أمية ، ص ٢٣٩ (وقال : ان سليمان تحمل المال الذي طالبهم به الحجاج ، وحدد مدة بقاء يزيد لديه بتسعة أشهر) - ابن الأثير : الكامل ، ١١٤/٤-١١٦ . ونحن نشير هنا الى أننا قد سعينا لجمع أسباب الخلاف بين الحجاج وآل المهلب . حتى لانفسر الأحداث من زاوية واحدة ، وبمنظرة قاصرة ، ولتكن الرؤية الشاملة لما يحيط بالحدث هي عين الباحث الممحصنة ، وصولا الى الحقيقة ، وتحقيقا لمعالجة تاريخية أدق . فقد رأينا قصور النظرة لمن علل هذا العداء على أساس العصبية ، أو الخوف على المركز فحسب ، ولكننا وجدنا وراء ذلك أسبابا تعددت وتعاونت على خلق الحدث . كما ان هذا العداء يمثل سببا رئيسيا في ثورة ابن المهلب على الدولة الأموية كما سنرى .

الناقم على ابن المهلب في تعذيبه لاصهاره آل أبي عقيل وعدم مبالاته بشفاعاة الأمير الاموى لهم ، مما سيؤدى بالتالى الى سجنه على يد عمر ، والخروج على سلطان الدولة زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك .^(١)

ولايته على العراق ، وتولييه خراسان للمرة الثانية :

ما ان تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦هـ ، حتى امر بالقبض على آل أبي عقيل ، وهم أسرة الحجاج . ثم بعث يزيد بن المهلب الى البلقاء من أعمال دمشق ، فاستولى على اموال الحجاج وحمل عياله الى سليمان ، وكان فيهم زوجة يزيد بن عبد الملك - وهى من شقيق - فعذبها يزيد بن المهلب بالرغم من شفاعاة زوجها لها . وفى نفس العام عزل سليمان يزيد بن أبي مسلم عن العراق وأمر عليه يزيد بن المهلب ، وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج ، وأمره ان يقتل آل أبي عقيل ويبسط عليهم العذاب ، فعذبهم ، وكان الذى يلى عذابهم عبد الملك بن المهلب . وهنا نرى اعتماد سليمان على خصوم الحجاج فى الانتقام منه بتعذيب آل . ثم ولاه الخليفة سليمان اماره خراسان بطلب منه لما عساه ان تدره عليه من الاموال والثروات التى حرمه منها صالح بن عبد الرحمن فى العراق ، فقدمها سنة ٩٧هـ . بعد ان اقصى عنها وكيع بن الاسود الذى تولاهما تسعة اشهر بعد قتل قتيبة ، وقد استخلف

(١) انظر تطور الاحداث فى الصفحات التالية .

(٢) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٦٨-٦٩ .

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٥٠٦/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٣٨/٤ - الزركلى : الاعلام ، ١٨٩/٨ .

(١)

على العراق واموره فيها .

وفى عام ٩٨هـ فتح الله على يدى ابن المهلب جرجان وطبرستان كما صالح قهستان ، وفتح الرويان ودنباوند ، وسبى وغنم ، وكتب الى سليمان بالفتح يعظمه ويخبره انه قد حمل عنده من الخمس مائة الف الف وقيل اربعة الاف الف ، وهذا نص كتابه :

"أما بعد ، يا أمير المؤمنين فان الله عز وجل قد فتح فتوحا لم يفتحها على خليفة من خلفاء المسلمين من قبلك من أهل خراسان الى جرجان ودهستان وطبرستان ، وقد أعى ذلك الفاروق وعثمان ومن بعدهما من الخلفاء ، حتى فتح الله ذلك كرامة لأمير المؤمنين وزيادة فى نعم الله عليه ، وقد صار فى يدى مما افاء الله على المسلمين بعد أن صار الى كل ذى حق حقه من الفى والغنيمة عشرون الف ألف درهم ، وأنا باعث بهذه الاموال التى افاء الله بها الى أمير المؤمنين ان شاء الله ، والسلام" .

عزله عن خراسان وسجنه بامر الخليفة عمر بن عبد العزيز :

ويذكر البلاذرى : أن ابن المهلب ولى ابنه مخلدا خراسان ، وأنصرف الى سليمان ، فكتب اليه أن معه خمسة

(١) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٦٩-٧٤ - الزركلى : الاعلام ، ١٩٨/٨-١٩٩ .

(٢) انظر عن قساميل هذا الفتح واخباره : ابن الاثير : الكامل ، ١٤٧/٤-١٥٠ - الزركلى : نفس المرجع ، ١٨٩/٨-١٩٠ .

(٣) عواد الاعظمى : مسلمة ، ص ٤٢-٤٣ .

(٤) ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٥٠ .

(٥) ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٢١/٤ - نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٧٦-٧٧ . وقد خالفه فى مقدار الخمس بانه (سنة الاف ألف درهم) . (نقلا عن الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٤٤/٦) .

وعشرون ألف ألف درهم ، فوقع الكتاب فى يدى عمر بن عبد العزيز ، فاخذ يزيد به وحبس^(١)ه . اذ كان سليمان بن عبد الملك قد توفى فى هذه الاثناء سنة تسع وتسعين ، وتولى الخلافة عمر بن عبد العزيز بعهد من سليمان . الذى كتب الى ابن المهلب باستخلاف سليمان له وليزيد بن عبد الملك من بعده وطلب منه اخذ بيعة من قبله ، فبايعوا ، ثم كتب اليه ان يستخلف على خراسان ويقدم عليه ، فلما بلغه كتابه شخص من خراسان ، واستخلف بها ابنه مخلدا ، وحمل كل ماكان معه مخافة من اهل خراسان ، وامطحب معه وجوه خراسان ، وقد اشار عليه قوم الا يبرج ، فلم يفعل ، وخرج ، حتى صار الى الرى فوجه بجميع ماكان معه من الاموال الى البصرة ، ثم خرج بعد ذلك يريد البصرة فنزل واسطا ، وركب منها السفن الى البصرة فلما وصل الى نهر معقل ، عند جسر البصرة ، لحق به موسى بن الوجيه الحميرى الذى بعثه عدى بن اريطاه امير البصرة من قبل عمر بن عبد العزيز ، فقبض عليه واوثقه ، وكان عمر قد كتب الى عدى بالقبض عليه وارساله مقيدا . فقدم له كتاب عمر ، فقال سمعا وطاعة لامير المؤمنين وعامله ، ثم رجع مع

(١) فتوح البلدان ، ص ٣٣٣ - ابن خلكان : وفيات ، ٢٩٩/٦ .
 (٢) ابن الاثير : الكامل ، ١٥٢-١٥١/٤ .
 (٣) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٦٧/٦ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٦٢ - ابن الجوزى : سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، ص ٣١٨-٣١٩ - مجهول : العيون ، ٤٨/٣ - ابن اعثم : الفتح ، م ٢٣٢/٤ .
 (٤) فى هذا الخبر دليل على ايثار ابن المهلب للعافية ، وعدم عزمه على الانشقاق والفتنة . وان اسباب الثورة وان كانت قد ظهرت قبل زمن الخليفة يزيد ، الا ان شرارة اشعالها كان خوفه من يزيد بن عبد الملك ، وهروبه من السجن لذلك .

(١) ابن الوجيه الى واسط ، وكان قدومه اليها حيث وجد امر عزله
(٢) والقبض عليه (سنة ٩٩هـ) .

فاستأذاه عدى فى الاموال التى جباها من خراسان
وطبرستان وجرجان بأمر عمر ، فقال فرقتهما فى الاجناد
(٣) لتقويتهم على جهاد عدوهم ، فلما ابى اخراجها امر بحبسه ،
ثم أوثقه فى الحديد وبعث به الى عمر (سنة ١٠٠هـ) ، فلما
(٤) وصل عمر زج به فى السجن .

(١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٥٤/٦ - ٥٥٧ - ابن خياط : تاريخ
ابن خياط ، ص ٣٢٠ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ،
م ٣٠١/٢ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٣٢/٤ - مجهول :
العيون ، ٤٨/٣ - ٤٩ - ابن الاثير : الكامل ، ١٥٤/٤ - ١٥٧ -
الذهبي : تاريخ الاسلام ، ٣٣٣/٣ - الذهبي : كتاب دول
الاسلام ، ٥٣/١ - ارمينيوس فامبرى : تاريخ بخارى ،
ترجمة أحمد محمد الساداتى ويحيى الخشاب ، المؤسسة
المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ،
القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص ٧٤-٧٥ . وهو يقدم قولاً ليس له اصل
فى المصادر الاسلامية التى اطلعنا عليها ان يقول : "اذا
كان ابن المهلب قد اشار شكوكه - يعنى عمر - بما صار
له من النفوذ والثراء البالغ فى مدى عامين ، وحين
تأكد له اعتزام عامله هذا على الخروج عليه رأى ان
يسبقه فى خطئه ويفسدها عليه ، فعهد بخلع يزيد الى
قائده مسلمة وكان يقود الجند فى حرب الروم ان ذاك ،
وكتب الخليفة نفسه الى يزيد يستدعيه فلبى الدعوة ،
حتى اذا ما بلغ البصرة ألقى القبض عليه " وهذا القول
يحتسافى مع موقف ابن المهلب الذى لم يسمع لمن نصحه
بعدم اجابة الخليفة عمر بالقدوم عليه ، بل استجاب
واعلن السمع والطاعة له ولعامله عدى بن ارقطاه عند
القبض عليه . الا ان عزله قد يكون لان عمر لا يحب آل
المهلب ، ان كان يقول هؤلاء جبابرة ، ولاحب مثلهم .
كما ان نوعية ابن المهلب من الرجال لاتناسب سياسة
الخليفة الجديد التى اعتزمها . (انظر / نافع العبود :
آل المهلب ، ص ٧٨ - الطبرى : نفس المصدر والجزء ،
ص ٥٥٨-٥٥٤ - ابن الاثير - نفس المصدر والجزء والمفحات
ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٠/٦) .

(٢) نافع العبود : نفس المرجع والصفحة - ابن خياط : نفس
المصدر والصفحة - الذهبي : تاريخ الاسلام ، ٣٣٣/٣ .

(٣) ابن اعثم : نفس المصدر ، م ٣٣٣/٤ - ٣٣٧ .

(٤) الطبرى : نفس المصدر ، ٥٥٨/٦ - مجهول : نفس المصدر
٤٨/٣ - ٤٩ - ابن كثير : البدايه والنهاية ، دار الفكر
العربى ، دار النيل ، الجيزة ، الطبعة الاولى ،
١٣٥١هـ / ١٩٣٣م ، ٢١٠/٩ - ابن خياط : نفس المصدر والصفحة
الذهبي : نفس المصدر والجزء والصفحة - ارمينيوس
فامبرى ، نفس المرجع ، ص ٧٥ - ابن قتيبة : المعارف
ط ٤ ، ص ٤٠٥ .

فدعا به عمر ، وسأله عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان ، فاعتذر بأنه لم يكتب ذلك إلا لسمع الناس ، ولعلمه أن سليمان لن يأخذه بها ، وأنه بالغ في الصرف لتفخيم أمر الخلافة ، وأنه لذلك أنفق أكثرها على عساكره وبعضها على الإصلاحات العمرانية في جرجان فلم يقتنع الخليفة بانفاقها جميعا ، واعتقد أن يزيد اختلسها ، وأنها حقوق للمسلمين لا يسعه تركها ، فأمر به إلى السجن . ورفض وساطة ابنه مخلد بن يزيد ، الذي طلب من الخليفة أن يمالحه على مايسأل فيه أبيه ، فأبى الخليفة إلا أن يحمل كل المال ، فقال مخلد : إن كان لك بيعة فخذ بها والا فمدق قوله واستحلفه ، فإن لم يفعل فمالحه ، فأبى الخليفة إلا أخذه بجميع المال ، فلما أبى يزيد أن يؤديها ، ألهمه جبة صوف وحمله على جمل وأمر بتسييره إلى دهلك . فاستشار ابن المهلب قبيلته ، التي غضبت له ، وخشى انتزاعه ، وأشير على عمر برده إلى محبسه ، فرد إلى سجنه بحمن حلب . وكلم عمر في يزيد ، فقال هو رجل سوء قتال والسجن خير له . ولعل

(١) دهلك : جزيرة في بحر اليمن (البحر الأحمر) وهي مرسى بين بلاد اليمن والحبشة ، بلدة فيقة ، كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها . (انظر / ياقوت : معجم ٤٩٢/٢) .

وقيل : جزيرة في بحر عيذاب (البحر الأحمر) بالقرب من سواكن . (ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٠/٦) . والمعنى واحد . وانظر عن التعريف بها أيضا / القلقشندي : صبح الأعشى ، ٣٣٥/٥ .

(٢) لمعلومات أوسع عما كان بين عمر وابن المهلب ، انظر /

نافع العبود : آل المهلب ، ص ٧٧-٧٨ - ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٢٧٠ - ابن الأثير : الكامل ، ١٥٧/٤ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣٠٢-٣٠١/٢ - المسعودى : التنبيه والإشراف ، ص ٢٧٧ - ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٣٧-٢٣٨ - مجهول : العيون ، ٥٠/٣ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢١٠/٩ - ابن خلكان : نفس المصدر والجزء والمفحة - الزركلى : الأعلام ، ١٩٠/٨

(٣) مجهول : نفس المصدر والجزء والمفحة .

هذا يوضح لنا رأى عمر فيه وفى أهل بيته إذ يقول : هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم ، وكأنه يشير الى جبروت هذه الأسرة واحتمالات تشكيلها مركز ثقل يحدد الدولة الاموية وارادة سلطتها العليا ، لكنه لم يتعامل مع رأس هذا المركز على أنه يمثل كتلة يمنية من ازد اليمن ، وإنما كسارق لاموال المسلمين . وكان رأى عمر فيه قديما ، وماكذب رايه ، بل اضحى الشك يقينا فما أن توفر السبب ، وتهيأت الفرصة ، بمرض عمر وانتظار كرسى الخلافة ليزيد بن عبد الملك الناقم على ابن المهلب ، حتى هرب من سجنه وهدد كيان الدولة بتمرده على سلطانها ، وخلعه حاكمها .

أسباب الحركة :

لم يزل يزيد بن المهلب محبوسا فى سجن عمر بن عبد العزيز حتى بلغه خبر مرضه فأخذ يعمل فى الهرب من سجنه مخافة أن يتولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ، لما كان بينهما من العدااء . فقد قام ابن المهلب بتعذيب آل أبى

(١) محمد على نصر الله : تطور نظام ملكية الاراضى فى منطقة السواد حتى نهاية العصر الاموى ، رسالة ماجستير لم تطبع ، مقدمة لاداب بغداد ، ١٩٧٤م ، ص ٢٥٦ - عماد الدين خليل : دراسة مقارنة فى سياسة يزيد بن عبد الملك ١٠١-١٠٥هـ ، بحث ، مجلة البحث العلمى والتراث الاسلامى ، العدد الرابع ، ١٤٠١هـ ، ص ٢٩٦ - الطبرى : تاريخ الأمم ، ٥٥٧/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٥٧/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢١٠/٩ .

(٢) كان لعمر رأى فى يزيد ، عبر عنه فى مجلس الخليفة سليمان بن عبد الملك ، على اثره اختتم الرجلان . عن ذلك (انظر : المؤرخ المجهول : العيسون ، ٤٨/٣) وهذا يعيد قولنا أن عزله كان لرأى عمر فيه ، وأنه لا يلائم السياسة التى اعتزم انتهاجها . أما سجنه فكان لانكاره اموال المسلمين ، الثابتة عليه فى كتابه الى سليمان .

عقيل اصهار الخليفة يزيد بن عبد الملك ، حيث كان متزوجا من ام الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي ، اخى الحجاج . وذلك زمن الخليفة سليمان بن عبد الملك ، الذى طلب آل ابي عقيل فاخذهم وسلمهم الى يزيد بن المهلب ليخلص اموالهم ويعذبهم . وبعث ابن المهلب الى البلقاء من اعمال دمشق وبها خزائن الحجاج وعياله فنقلهم وماعهم اليه ، وكان فيمن اتى به منهم ام الحجاج زوجة يزيد بن عبد الملك ، وقيل بل اخت لها ، فأتى يزيد بن عبد الملك الى ابن المهلب فى منزله ، فشفع فيها ، فلم يقبل منه ، واراد احتمال ماقرر عليها ، فأتى ابن المهلب ، فقال يزيد بن عبد الملك متهددا : اما والله لئن وليت من الامر شيئا لاقطعن منك عضوا فرد عليه ابن المهلب : وانا والله لئن كان ذلك لأرمينك بمائة الف سيف ، فحمل يزيد بن عبد الملك ماكان عليها وقدره مائة الف دينار ، وقيل بل اكثر من ذلك .^(١)

وفى القول تناقض ، فكيف حمل عنها وقد اشار الى ان ابن المهلب لم يقبل شفاعته فيها واحتماله ماعليها ، وهذا بيت الداء واساس العدا ، فلو كان قد حمل عنها فهذا معناه قبول ابن المهلب شفاعته يزيد بن عبد الملك ، فلماذا يعاديه اذا ، ولم كان يخشاه ابن المهلب .

والاصح انه لم يقبل منه . ثقة فى حظوته عند الخليفة سليمان ، وان غضب يزيد لن يؤثر عليه ، واستبعادا فى ذلك

(١) عن سبب العدا بين يزيد بن عبد الملك ويزيد بن المهلب انظر / (الطبرى : تاريخ الأمم ، ٦٤/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٠/٤ - ١٦١ - ابن كثير : البداية ، ١٦ ، ٢١٤/٩ - مجهول : العيون ، ٥٠/٣ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٠/٦ - ابن خلدون : العبر ، ٧٦/٣) .

اليوم أن يكون الأمر ليزيد بن عبد الملك على الأقل قريبا ،
فحملها عليه يزيد بن عبد الملك ، وخشى ذلك ابن المهلب
عندما علم بمرض عمر وأن الخلافة سائرة الى يزيد بن عبد
الملك .

ويضيف ابن اعثم سببا آخر للعداء بين الرجلين ، وهو
أن ابن المهلب خرج من الحمام يوما في عهد سليمان وقد تضحخ
بالغالية^(١) ، فمر على يزيد بن عبد الملك الجالس الى جنب عمر
ابن عبد العزيز ، فقال يزيد : قبح الله هذه الدنيا
وما فيها ! لوددت أن مثقال غالية بالف دينار فلاينالها الا
كل شريف . فسمعه ابن المهلب ، وقال : وددت أن الغالية
لا توجد الا في جبهة الاسد فلاينالها الا مثلى . فقال يزيد :
والله ان وليت هذا الامر يوما من الايام لاقطعن خير طابق في
يدك ، او قال : لاقتلنك . فقال ابن المهلب : والله لئن
وليت هذا الامر وانا حى لأضربن وجهك بخمسين الف سيف . وليس^(٢)
لنا أن نستبعد هذا السبب او ذاك ، وان كنا نستطيع ان نقول
ان هذا السبب ان صح فانه يعتبر ثانويا وشخصيا وقد أدى الى
اذكاء روح العداوة بين الرجلين والتي يرجع سببها الرئيسى
الى تعذيب ابن المهلب لاصهار الخليفة .

وكانما حكم على ابن المهلب ان يظل طريد السلطة
وسجينها من عهد الى آخر ، لكن الكارثة كانت تقترب به على
يد يزيد بن عبد الملك ، فأدرك انها النهاية القريبة ، فلم

(١) الغالية : من الطيب ، نوع مركب من مسك وعنبر وعود
ودهن ، وهى معروفة ، يقال أن أول من سماها بذلك
سليمان بن عبد الملك ، والاصح أنها عرفت بهذا الاسم
قبل ذلك . انظر : اللسان (غلا) .

(٢) الفتوح ، م ٢٣٩/٤ - ٢٤٠ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٥/٤ .

(١)

يجد لنفسه سبيلا غير الحرب .

هرب ابن المهلب من سجن عمر :

كتب ابن المهلب الى مواليه الذين كانوا معه بالشام ،
 ان يعدوا له ابلا وخيلا ليهرب عليها ، وقد عين لهم مكانا .
 فاحتال لذلك ، وقيل بل رشا حرسه وعامل حلب ، فخلى سبيله .
 فلما ثقل على عمر المرض ، نزل يزيد من محبسه الى المكان
 الذى واعد فيه مواليه ، ومضى هاربا من هناك ومعه مواليه يؤم
 العراق ، فلما قرب من العراق ، كتب الى عمر بن عبد العزيز
 انى والله لو علمت انك تبقى ماخرجت من محبسى حتى تكون انت
 الذى تخرجنى ، ولكنى لم آمن يزيد لما قد علمت بيئى وبينه
 فلا تظن بى غير ذلك والسلام .
 (٢)

(١) ابراهيم بيضون : ملامح التيارات السياسية فى القرن
 الاول الهجرى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،
 بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ٣٣١ .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ط ٢ ، ص ٤٠٠ - ابن خلدون : العبر ،
 ٧٧-٧٦/٣ - نافع العبود : آل المهلب ، ص ٧٩ . وعلق
 على ذلك بقوله : لماذا لم يحاول الهرب قبل مرض عمر
 مادام يستطيع ذلك بالرشوة ، او يدفعنا هذا الى
 احتمال ان يكون الخليفة نفسه قد سهل اخراجه ،
 واحتمال ان يكون امير حلب كارها لمجى يزيد بن عبد
 الملك الى الخلافة ، فأبدى تعاطفا مع ابن المهلب ،
 واطلق سراحه .

الا اننا نرد قوله ونقول : لم يهرب ابن المهلب قبل
 مرض عمر ، لأنه لم يكن يخشاه ، وكان يأمل العفو ، اما
 ان يكون عمر سهل أمر اخراجه ، فهذا ماتبطله النصوص
 التى سنشير اليها مبينة موقفه من هربه (انظر نفس
 الصفحة هـ-٣) كما نستبعد تعاون امير حلب وتعريضه نفسه
 للخطر ، ولكن لانستبعد قواطع حرسه ، الذين قد يكونون
 من اليمانية ، فاثرت عليهم روح العصبيية ، وحلاوة
 المادة ، مما سهل على مواليه وعترته أمر التفاهم
 معهم ومساعدته .

(٣) عن هرب ابن المهلب : انظر : الطبرى : تاريخ الأمم ،
 ٥٦٥-٥٦٤/٦ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٤٠/٤ - مجهول :
 العيون ، ٥٠/٣ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٠/٤ - ١٦١ - =

ولعل نص هذا الكتاب يعضد قولنا فى الرد على العبود
الذى احتمل ان يكون الخليفة عمر سهل هروب ابن المهلب من
سجنه ، والراجح انه كان يتأمل العفو منه ، ولا يخشى شره . وكان
هروبه هذا قبل موت عمر بليلتين ، فلما بلغ ذلك عمر بن عبد
العزيز قال : اللهم ان كان يريد بهذه الامة سوءا فاكفهم
شره ، واردد كيده فى نحره . ولم يقف الخليفة عند قوله
هذا ، بل وجه فى اثره رسلا فلم يلحقوا به . الا ان ابن
خلكان ينقل عن الواقدي زعمه : ان هرب ابن المهلب كان بعد
موت عمر وذلك فى رجب (سنة ١٠١هـ) . ورد عليه بقوله :
"وجدت فى مسودة تاريخ القاضى كمال الدين بن العديم الحلبي
ان عمر حبس يزيد بن المهلب وابنه معاوية بحلب ، وهربا
منها - اى فى حياته - والله اعلم " .^(٤)

موقف الخليفة يزيد بن عبد الملك من هربه :

اما يزيد بن عبد الملك فما ان تولى الخلافة بعد وفاة

= ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٠/٦ - ابن كثير : البداية ،
ط ١ ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ (وقال : علم انه يموت فى مرضه ذلك ،
وبذلك كتب اليه ، وأظنه كان عالما ان عمر قد سقى
سما) لكن أمر علمه بذلك فرضا يستبعد صحته ، خصوصا ان
قضية سم عمر أمر مختلف عليه ، والاقرب انه ماخرج من
سجنه بعد احتياله على ذلك ، الا بعد ان علم بثقل
المرض على عمر .

- (١) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣٠٨/٢ .
- (٢) ابن كثير : نفس المصدر والجزء ، ص ٢١٤ - ابن خلدون :
العبر ، ٧٧/٣ - ابن خلكان : نفس المصدر والجزء
والصفحة .
- (٣) اليعقوبى : نفس المصدر والمجلد والصفحة .
- (٤) نفس المصدر والجزء ، ص ٣٠١ - الطبرى : تاريخ الامم ،
٥٦٥/٦ - المسعودى : التنبيه ، ص ٢٧٧ - الياقنى : مرآة
٢٤١/١ - الذهبى : دول الاسلام ، ٥٣/١ (وأضاف : وسار
على البريد) اى أنه سلك طريق البريد - المقدسى :
البدء ، ٤٧/٦ - ابن العماد : شذرات ، ١٢٤/١ .

عمر بن عبد العزيز حتى بعث في طلب ابن المهلب الذي توجه الى العراق فلم يقف له على خبر .^(١) وليس هناك من تفسير لعدم تمكن رسل عمر ومن بعده يزيد في اللحاق بابن المهلب ، الا انه اتخذ طريقا غير المألوف ، متواريا عن العيون ومظلا عمن قد يلحق به ويطلبه ، خصوصا اذا علمنا انه هرب قبل موت عمر بليلتين ، اي ان الخليفة عمر طلبه بعد هربه في اقل من ليلتين ، وكان من الممكن اللحاق به ، اذا ما استخدمت خيل البريد . فاتخذ الخليفة يزيد الخطوة الثانية في محاولة القبض على ابن المهلب ، الذي يخشى خطره ان وصل الى البصرة مكن قوته وارض عشيرته . راجيا ان يستاصل الداء في مهده . فكتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامله على الكوفة ،^(٢) يخبره بهربه ، ويأمره بطلبه ، ليقطع الطريق عليه الى البصرة ، كما كتب الى عدي بن أرطاة ، عامله على البصرة ، يعلمه بهربه ، آمرا اياه ان يتحيا لاستقباله ، وان يأخذ من كان بالبصرة من اهل بيته .^(٣)

كان بالبصرة من اهل بيته .^(٤)

فقام عبد الحميد بالقبض على خالد بن يزيد بن المهلب

-
- (١) مجهول : العيون ، ٥١/٣ .
 (٢) عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي ، أبو عمر ، أمير من اهل المدينة ، ثقة في الحديث ، استعمله عمر بن عبد العزيز على الكوفة . وتوفي بخران في خلافة هشام سنة ١١٥هـ . (الزركلي : الاعلام ، ٢٨٦/٣) .
 (٣) عدي بن أرطاة الفزاري ، أبو واثلة أمير من اهل دمشق كان من العقلاء الشجعان ، ولاه عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩هـ ، فاستمر الى ان قتله معاوية بن يزيد بن المهلب ، بواسط ، في فتنة أبيه يزيد بالعراق (الزركلي : نفس العرج ، ٢١٩/٤) .
 (٤) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٧٨/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٨/٤ - ابن اعثم : الفتوح ، ٢٤٢/٤م (لم يشر الى كتاب الخليفة الى عبد الحميد) - مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة .

وكان بالكوفة ، وعلى حمال بن زحر الجعفي ، لملته
بالمهالبة ، فبعث بهما الى الخليفة يزيد بن عبد الملك ،
(١)
فسجنا حتى هلكا .

كما بعث هشام بن مساحق بن عبد الله القرشي على راس
(٢)
قوة من الكوفة لاعتراض طريق ابن المهلب عند العذيب ، حيث
ستكون طريقه من هناك ، فنزل هشام العذيب ومر ابن المهلب
بالقرب منهم ، فالتقوا الاقدام عليه ، وقيل بل ارتفع ابن
المهلب على القطقطانة ، فأخبر هشام بمروره فركب اليه فحاد
(٣)
عنه ، ومضى يزيد الى البصرة ، وانصرف هشام الى عبد الحميد
وكان قد بلغه خبر وفاة الخليفة عمر وتولى يزيد بن عبد
الملك الخلافة ، وكتبه الى اميرى الكوفة والبصرة ، وسجن
اخوته ومواليهم ، فاعتم لذلك ولم يكن معه آنذاك الا اقل من
(٤)
مائة رجل ممن اتبعه من اهل الشام ومواليه وبنى عمه .
ويذكر المؤلف المجهول من كان معه بقوله : ومامعه الا برذون

-
- (١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٨٥/٦ - ابن الاثير : الكامل ،
١٦٩/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٧٧/٣ (الا أنه أورد اسم
حمال : حماد بن زحر ، تحريفاً) .
- (٢) العذيب : هو الماء الطيب وهو ماء بين القادسية
والمغيشة ، وقيل هو واد لبنى تميم ، من منازل حاج
الكوفة ، وقيل هو حد السواد ، وقيل : العذيب يخرج من
قادسية الكوفة اليه . وهناك عذيب الهجائنات ، وعذيب
القوادس . (ياقوت : معجم ، ٩٢/٤) . وأظن المقصود
العذيب الذى يخرج من قادسية الكوفة اليه .
- (٣) القطقطانة : موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف ،
تخرج منها الى عين التمر ، ثم ينحط حتى يقرب من
الفيوم الى هيت . (ياقوت : معجم ، ٣٧٤/٤) .
- (٤) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٧٨-٥٧٩ - ابن اعثم
الفتوح ، م ٢٤٢/٤ (وأضاف لاسم هشام بعد عبد الله : بن
مخرمة الكناني) - مجهول : العيون ، ٥١/٣ - ابن
الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٦٨ (وأضاف لنسبه
العامري . ولاتناقض لالعامري قرشى والقرشى كناني) -
ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والمصحة .
- (٥) ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد والمصحة .

(١)
وعجلان وأبو فديك ، ومولى له آخر ومن على شقله .

استيلاؤه على البصرة :

استجاب عدى بن أرطاة لأمر الخليفة فأخذ آل المهلب ،
وفيهم المفضل وحبیب ومروان بنو المهلب ، فحبسهم . وكان قد
أمن المفضل وعبد الملك ، ثم بعث إلى أبي عيينة ومدرک ،
فصاروا ستة فقيدهم جميعا وحبسهم . (٢)

وقد أشار عليه وكيع بن الأسود بقتلهم أو هدم دورهم أو
إعطاء الناس من بيت المال ليدافعوا عنه ، فأباه . ثم جمع
عدى إليه أهل البصرة ، وخذق عليها ، وبعث على خيلها
المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي في خمسمائة فارس
كما بعث على كل خمس من أخماسها رجلا . وتقدم في هذه الأثناء
عبد الملك بن المهلب إلى عدى بن أرطاة ، بأن يحبس ابنه
حميدا مكانه ، ليتولى رد يزيد عن البصرة إلى فارس ، حتى
يطلب لنفسه الأمان ، فلم يقبل عدى منه . وقد يكون ذلك من
خشية عبد الملك على أخيه عندما رأى استعداد عدى وظن قدرته

-
- (١) العيون ، ٥٢/٣ .
(٢) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٥٧٨/٦ - ابن الأثير : الكامل ،
١٦٨/٤ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣٠٨/٢ - ابن
خلدون : العبر ، ٧٧/٣ .
(٣) مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٣-٥٤ - الجاحظ :
البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة
الخانجى ، مصر ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ،
١٧٣/٢ .
(٤) مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٥١ .
(٥) عن تهيؤ عدى لابن المهلب انظر / الطبرى : نفس المصدر
والجزء ، ص ٥٧٩-٥٨٠ - مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص
٥٤ - ابن الأثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن
خلدون : نفس المصدر والجزء والصفحة (ويلاحظ عليه هنا
وفى كثير من المواضع تحريف الأسماء) .
(٦) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٧٩ .

فى القبض على يزيد ، او على الاقل منعه من دخول البصرة ، وهذا نفسه مادعى عدى الى رفض عرضه وطمعه فى الغلبة . الا ان تدخل محمد بن المهلب الذى لم يقع فى يدى عدى ، والذى جمع حوله قوة تمكن بها من مساعدة يزيد على الدخول الى البصرة قلبت موازين القوى فى صالح ابن المهلب .

ذلك أنه عندما أقبل يزيد ومن معه وجد البصرة محفوفة بالرجال ، فجمع محمد بن المهلب - ولم يكن ممن حبسهم عدى - أهل بيته ورجالا من مواليه وخرج لاستقبال يزيد ، فأقبل فى كتيبة تهول من رآها ، مامرت بخيل أو قبيلة الا تنحوا له عن الطريق ، ولم يعرضوا له . فتصدى له المغيرة الثقفى فى الخيل ، الا أنه تراجع عندما حمل عليه محمد بن المهلب ، وافرغ لهم الطريق دون قتال . بل أنه عندما مر بالحرس الذين صيرهم عدى فى الأزد بقيادة بدل بن نعيم فى رجال من بنى تميم ، رحبوا بابن المهلب ولم يفعلوا شيئا . ويبدو أن مهمة هذه القوة كانت مكلفة بحراسة منزل الأزد فى البصرة ، لتمنع ابن المهلب من دخوله ، لكنهم تخاذلوا كما يفيد النص فنزل يزيد دار المهلب . وقيل : نزل داره . وقد أشير على عدى بأخذ ابن المهلب بعد دخوله البصرة ، قبل أن يعظم أمره ، فأبى ذلك . وكأنه لا يريد أن يبدأ الفتنة . وكان دخوله البصرة ليلة البدر من شهر رمضان سنة احدى ومائة من

(١) ابن الاثير : الكامل ، ١٦٨/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٧٧/٣ - نافع العبود : آل المهلب ، ص ٧٩-٨٠ .

(٢) مجهول : العيون ، ٥٢/٣ .

(٣) مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٤) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٥٨٠/٦ - ابن الاثير : نفس

المصدر والجزء والصفحة . وقد لا يكون هناك خلاف ، على اعتبار أن دار أبوه المهلب قد تكون آلت اليه بعد

مات أبيه ، فغدت دارا له .

(٥) مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(١)
الهجرة .

وباستقراء لموقف عبد الحميد بن عبد الرحمن أمير الكوفة ، وعدى بن أرطاة أمير البصرة ، يتبين لنا أنهما عجزا عن تحقيق هدف الخليفة بواد الفتنة في مهدها عن طريق القبض على ابن المهلب ومنعه من الوصول الى البصرة مكن قوته وموطن عشيرته . فان كان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد قبض على بعض بنى المهلب ومواليهم ، الا أن مبعوثه هشام بن مساحق لم ينجح في المهمة الموكلة اليه ، وهى اعتراض طريق ابن المهلب والقبض عليه . ضعفا من ابن مساحق وسوء اختيار من عبد الحميد ، وسوء تقدير ، فما كان عليه لو خرج الى ابن المهلب بنفسه .

ومع أن عديا بن أرطاة ، أمير البصرة ، قد تاهب لذلك فخذق عليه فى البصرة ، وأعد جنده ، الا أن ابن المهلب تمكن من التغلب عليه ، ودخل البصرة . وهذا يكشف لنا حال أهل البصرة وموقفها المبكر من الخليفة وعامله . إذ سرعان ما اتضح تخاذلهم ، بافساح المجال لابن المهلب قبيلة بعد أخرى دون أن يعرضوا له . بل أن المفيرة الثقفى الذى كان ينتظر منه موقف اشد حزما ، لما بين آل أبى عقيل والمهالبة من عدا . نجده يتراجع أمام محمد بن المهلب ، حتى دخل ابن المهلب البصرة دون قتال . أما عدى نفسه فأننا نستطيع أن

(١) مجهول : العيون ، ٥٢/٣ . أى أنه قطع الطريق من حلب الى البصرة فى أكثر من شهر ونصف ، وفى هذا ما يبطل القول بأنه سار على البريد ، لامكانية وصوله بأسرع من هذا الوقت بكثير فيما لو حدث ذلك ، وهذا يسند قولنا بأنه أخذ طريقا غير المألوف ، أو أنه اختفى فى مكان ما حتى خف عنه الطلب . انظر قبل : ص ١٣٨ .

نقول ان مواقفه تبين نوعية رجال عمر بن عبد العزيز ،
لايثاره العافية على القتال ، وعدم التصرف فيما ليس من
ملاحياته ، مع ان خطورة الموقف وبعد المكان عن مركز الخلافة
يتطلب اتخاذ الاسباب المناسبة لدرء الخطر وتحقيق الغاية في
حدود الشرع ما يمكن ، فتوقف عند امر الخليفة بالقبض على
ابن المهلب ، لذا لم يفسح المجال لعبد الملك ليرد اخاه عن
البصرة الى فارس ، لكنه عجز عن تنفيذ الامر . فما استطاعت
قوته التي اعدّها الوقوف في وجه ابن المهلب ، كما انه لم
يسع الى القبض عليه بعد نزوله البصرة قبل استفحال خطره .
ولعل قلة القوة الشامية في العراق منذ عهد عمر بن عبد
العزيز ، جعل عدى يعتمد على عرب البصرة ، الذين لم يكونوا
ليقفوا الى جانبه دون مقابل ، وهو لم يدرك ذلك ، اذ رفض
نصيحة وكيع بن الاسود بتوزيع بعض المال على الناس ليدافعوا
عنه . المهم ان يزيد بن المهلب نزل البصرة ، فحل بين اهله
وابتاعه وقبيلته الازد وحلفائها من ربيعة ، وهما اعز القوى
بها واكبرها . نجد ذلك على لسانه في اجابة منه على سؤال
الخليفة سليمان له : فيمن العز بالبصرة ؟ اذ يقول : " فينا
وفي حلفائنا من ربيعة " ^(١) . ولعل هذا مما ساعده على دخولها
لمساندتها له وترحيبها به من ناحية ، وتقدير القبائل
الاخرى لهذه القوة ، بل قد يكون ذلك مامنع عدى من اخذه بعد
دخولها ، لعلمه ان قومه لن يخلوا بينه وبين ابن المهلب .
ولانفس ارتباط المهالبة مع البصرة واهلها بعلاقات

(١) ناجي حسن : القبائل ، ص ١٥٣ - نبيه عاقل : تاريخ
خلافة بني أمية ، ص ٢٩٦ .

قديمة منذ زمن والده ، حيث كون لهم ذلك انصارا . ففعلها
على خراسان التي اشار بها عليه اخوه حبيب ، لعلمه بانهميار
سمعة الخلافة الاموية في هذا الاقليم ، وازدحامه بالقوى
(١)
المعارضة .

وكتب ابن المهلب من ليلته التي وصل فيها الى يزيد بن
عبد الملك يسأله الامان ، وبعث به مع حميد بن عبد الملك بن
(٢)
المهلب ، وابنه خالد بن يزيد ، فلما قدما على الخليفة
يزيد استشار الناس في امانه ، فقالت المفزية لا تؤمنه ،
فانه احمق غدار ، وقالت اليمانية تؤمنه فتحقن الدماء
وتستملح قومه . فامر ان يكتب له امانه ولاهل بيته ، على ان
(٤)
يقيم "ببلده" . وانفذ معهما خالد القسري وعمر الحكمي ،

-
- (١) ابراهيم بيضون : ملامح التيارات السياسية ، ص ٣٣١-٣٣٢
(٢) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٨٠/٦ - ابن الاثير : الكامل ،
١٦٨/٤ - مجهول : العيون ، ٥٢/٣ - ابن خلدون : العبر
٧٧/٣ .
(٣) مجهول : نفس المصدر والجزء والمفحة . (لكننا نقف عند
قوله هذا ، فقد ذكر ان خالد بن يزيد قد قبض عليه عبد
الحميد بن عبد الرحمن ، وبعثه الى الخليفة يزيد ،
وظل في سجنه حتى هلك . بل اننا لن نجد له ذكرا في
احداث الفتن ، مما يعضد الرواية الاولى ، ويدفعنا الى
استبعاد قول المؤرخ المجهول ، منفردا بذلك ومخالفا
لمن هو اقدم منه) . انظر قبل : ص ١٣٨-١٣٩ .
(٤) يفهم من هذا النص انه اعطاه الامان على ان يقيم ببلده
(اي البصرة) ، ولكن محقق كتاب العيون والحدائق
للمؤلف المجهول ، اشار في هامش (٣) ، ص ٦٧ ان
المقصود ببلده هو بلدة (كود) Cod ، وبالرجوع الى
معجم البلدان للحموي ، وجدت تعريفا لها في ٤٨٨/٤ قال
فيه ان كود : بالضم هو كود اشال . وهو اسم موضع قتل
فيه المميل بن الامور الضبابي . وقيل : ماء لبني جعفر
وقيل : جبل . واشال : جبل لبني عبس بينه وبين الماء
الذي ينزل عليه الناس اذا خرجوا من البصرة الى
المدينة ثلاثة اميال ، وهو منزل لاهل البصرة بعد
قو وقبل الناجية ، وقيل مواضع اخرى . انظر نفس
المصدر ، ٨٩/١-٩٠ . وقد ذكر "كي لسترنج" ان جبل كود
يقع على بعد فرسخ عن مدينة بمر الواقعة الى الجنوب
الشرقي من ماهان وفي شرق كرمان . انظر : بلدان =

(١)
فتقدم خالد الى أبيه بالبشارة . وفى طريقهما الى ابن
المهلب بامانه ، لقيا الحواري بن زياد بن عمرو العتكي
هاربا من يزيد بن المهلب يريد الخليفة ، فأخبرهما بتغلب
ابن المهلب على عدى وأشار عليهما بالرجوع ، فأقبلا عائدين
الى الخليفة ومعهما حميد ، الذى ناشدهما ايمان لعمه
فما سمعا منه ، وفى الطريق سلماه الى عبد الرحمن بن سليم
الكلبي ، وكان يزيد قد بعثه عاملا على خراسان ، فلما بلغه
خبر خلع ابن المهلب للخليفة ، كتب الى الخليفة ان يجعله
ممن يجاهد عدوه ، راغبا عن ولاية خراسان ، وبعث بحميد الى
الخليفة يزيد بن عبد الملك . (٣)

- = الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ،
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ /
١٩٨٥ م ، ص ٣٥٠ .
- كما ذكر فى ص ٣٧٧ من نفس المرجع "كودزره" وقال انها
عقيق ثانى لبحيرة زرة الواقعة جنوب عدوة نهر هيلمند
الاسفل الا اننا لم نعرف العلاقة بين كود والنص ، عندما
فسر المحقق ان كلمة (ببلده) تعنى كود . ان لم نجد
علاقة بين ابن المهلب وبين هذا الاسم ، وأن المهالبة
استوطنوه أو كان بلدا لهم .
- (١) مجهول : العيون ، ٦٦/٣ - الطبرى : تاريخ الأمم ،
٥٨٠/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٨/٤ . وقد أشار
كالطبرى الى اسم والد الحكمى فقالا : عمر بن يزيد
الحكمى .
- (٢) لم أعثر له على ترجمة . وقد ولاه مسلمة بن عبد الملك
البصرة اثناء ولايته على العراق ثم عزله . انظر :
الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٤٦٣ .
- كما شارك فى قيادة الحملات العسكرية فى أرض الروم ،
ومن الخليفة يزيد بن عبد الملك . انظر الفصل الرابع
المبحث الثالث ، ص ٣٨٠، ٣٧٧ .
- (٣) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٨٤-٥٨٥ - مجهول :
نفس المصدر والجزء ، ص ٦٧ . لكنه لم يشر الى التقاء
الوفد بالحواري ، وقال : أن الوفد سار حتى وصل الى
المكان الذى به عبد الرحمن بن سليم بالقرب من الكوفة
حيث أقام فيه عندما سمع بخلع ابن المهلب للخليفة ،
قال : فشد على حميد واوثقه وبعث به الى الخليفة -
ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٦٩ وقد أورد =

نرى مما تقدم أن ابن المهلب طلب الأمان من الخليفة يزيد بن عبد الملك حين وصوله البصرة ، وهذا يبين أن ابن المهلب لم يكن في بادئ الأمر يفكر في الخروج على الخلافة ، وإنما دفعه إلى الحرب خوفه من يزيد بن عبد الملك ، فأراد أن يأخذ لنفسه الأمان ، وهو في مأمن من شر خصمه . إلا أن حبس عدى لاختوته ، أخرج موقفه فإن هو أمن على نفسه في البصرة أو في غيرها أن خرج منها ، فاختوته في خطر ، وكونه غير واثق من حصوله على أمان الخليفة ، حدا به ذلك إلى مفاوضة عدى بأن يطلق اختوته مقابل خروجه وإياهم عن البصرة (١) فلم يقبل منه .

فخشي أن يبقى على هذا الوضع ولا يعطيه الخليفة الأمان ، ويبعث في طلبه فيكون هو واختوته تحت رحمة الخليفة وأمير البصرة وفي متناول سلطته . وهذا مادفعه إلى جمع الناس حوله ليستطيع الدفاع عن نفسه وقت الحاجة وانقاذ اختوته ، إلا أنه فيما يظهر بلغ أعوانه وأتباعه من العدد والقوة ما أوحى له بحرب عدى واستنقاذ آل المهلب من سجنه ، ليكون هو واختوته سواء أما في أمان الخليفة وعفوه ، أو في

= اسم الحوارى : المغيرة بن زياد ، ولم يشر إلى تسليم حميد الكلبي ، بل قال : ورجعنا به - ابن خلدون : العبر ، ٧٧/٣ . وافق ابن الأثير في اسم الحوارى ، والخبر .

(١) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٥٨٠/٦ - مجهول : العيون ، ٥٣-٥٢/٣ - المسعودى : التنبيه ، ص ٢٧٧ - ابن الأثير : الكامل ، ١٦٨/٤ - ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٤٣/٤ . إلا أنه يشير إلى أن مفاوضة ابن المهلب لعدى كانت قبل دخوله البصرة ، وأنه نزل على مرحلة منها وبعث إلى عدى إلا أننا نرى صحة القول بحدوثها في البصرة ، إذ لو تمت قبل ذلك ، وأنه دخل البصرة مخالفا لعدى محاربا له ، لما استأمن من الخليفة بعد ذلك .

مواجهته . لكن ظهوره على عدى وغلبته على البصرة وما والاها واستشعاره القوة سيدقعه الى خلع الخليفة يزيد بن عبد الملك وروم الخلافة لنفسه .

اما الخليفة يزيد ، فان معالجته لحركة ابن المهلب من اولها تميزت باليقظة واعطائها حقها من الاهتمام والسعى الى اخمادها في مهدها ، فمن البعث في طلبه عند هربه الى امدار الاوامر لامراء العراق باستقباله والقبض على ذويه والجد في طلبه ^(١) . ونراه بعد ان ومله كتاب ابن المهلب الذي تمكن من دخول البصرة مركز عمبيته يطلب الامان فيه ، يتعامل مع الواقع بكل حكمة ، فيستشير ، ويرتفع بنفسه كخليفة عن التعامل مع الحدث تحت تاثير الهوى والتعصب ، فينسى كراهيته لابن المهلب وحزازات الماضي ، كما يرفض رأى المفزية عمبيته بعدم اعطائه الامان ، وياخذ برأى اليمانية الداعى لتأميمه ، حقنا للدماء واستملاحا لقومه . فيؤمنه . وبذلك يسمو فوق روح العصبية واطارها الضيق ، الى مستوى المسئولية ، وتعامل السلطة مع الحوادث بما يحقق المصلحة العامة ، ويحفظ الامن ويكفل استمرار السيادة .

لذا فاننا نخالف نافع العبود الذى يقول : "اعلن يزيد ابن المهلب خلافة ليزيد بن عبد الملك على اثر وصوله البصرة ليلة القدر من شهر رمضان سنة ١٠١هـ / ٧١٩م" . اذ رأينا مما ^(٢)

(١) انظر قبل : ص ١٣٧-١٣٩ .
(٢) آل المهلب ، ص ٨٠ (نقلا عن ابن خياط : تاريخ ابن خياط ص ٣٤١) . ونحن نرجح قول المؤرخ المجهول بأنه دخل البصرة ليلة البدر ، أى ليلة النصف من رمضان . انظر قبل : ص ١٤١ . وبرجوعنا لابن خياط : تاريخ ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٣٢٢ . وجدناه ذكر دخوله ليلة البدر كما عند المؤرخ المجهول ، ليلية القدر ، وهذا يعنى أن العبود وقع فى خطأ فى النقل ، أو الطبع

تقدم ان ابن المهلب كاتب الخليفة وفاوض عدى بعد دخوله
البصرة ، وهذا يدل على انه لم يعلن مخالفته الا بعد ان
تعذر عليه اخراج اخوته عن طريق المغاوضة مع عدى ، واجتماع
الناس حوله ، مما اغراه بالخروج .

فقد بعث يزيد الى الازد وربيعه ، فجاءت الازد وابطأت
ربيعه ، ثم جاءت وطلب مساندتها ، ثم امر العرفاء ان
يفرضوا للناس ، وجعل يعطيهم قطع الفضة ، واعطى قومامن
القراء والقصاص^(١) . فمال الناس اليه ، ربيعة وبكر وبقية تميم
وقيس وبعض الجند الشامي في العراق ، بينما كان عدى لايعطى
الا درهمين درهمين^(٢) . والذي دفع ربيعة لمساندة الازد ذلك
الحلف القديم الذي وجد بين القبيلتين ، الا ان علينا
الانفغل اثر المصلحة المادية الى جانب ذلك ، فعندما حشدت
ربيعه اثناء الحركة استبظاته في امر يتعلق بالعطاء ،
فشفت عليه حتى ارضاها وهي بعملها هذا انما تعرض الحركة
للفشل^(٣) . وكان ممن مال اليه عمران بن عامر بن مسمع الذي
غضب عندما حول عدى الراية عنه الى ابن عمه نوح بن شيبان^(٤)
وعبد الملك ومالك ابنا مسمع .

وجعل سادات البصرة يخرجون الى ابن المهلب ، فيحسن
اليهم ويمنيهم ، حتى صار في قريب من ثلاثة آلاف ، وقعد عامة

(١) مجهول : العيون ، ٥٣/٣ .
(٢) محمد عبد الحى شعبان : الثورة العباسية ، ترجمة عبد
المجيد حبيب القيسي ، رسالة دكتوراه مطبوعة ، دار
الدراسات الخليجية ، أبو ظبي ، ١٩٧٧م ، ص ١٦١ -
المسعودي : التنبيه ، ص ٢٧٧ - ابن الاثير : الكامل ،
١٦٨/٤ .
(٣) ناجي حسن : القبائل ، ص ١٥٤-١٥٥ .
(٤) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٨٠/٦ - مجهول : نفس الممدر
والجزء ، ص ٥٤-٥٦ .

(١) اهل البصرة فى منازلهم ممن كان يهوى ابن المهلب .
 كما انضم اليه جماعتان ، أحدهما من الخوارج بقيادة
 (٢) (٣) (٤) (٥) السميذع ، والثانية من المرجئة يقودها رؤبة .
 ثم أرسل يزيد الى الاسواق فحرفها او اكثرها الى الازد
 واشترى السلاح ، واعتزل فسنزل مقبرة بنى يشكر . وكانت
 اليمانية وربيعه تختلف اليه ، ومضر تاتى عديا . فان صح
 (٦) هذا النص اتضح لنا تعصب الرجل فى حركته من أولها . الا أنه
 كيف يخص بها الازد ، ويحرم ربيعة وهى الحليفة ، وان رضى ربيعة
 ربيعة ، فهل ستسكت مضر ، وما نصيب من انضم اليه منها على
 الاقل . وهذا ما يدعوننا الى استبعاد ، كما أن قول كثير من
 النصوص بانضمام كثير من القبائل اليه أو بعضها ، يبين أنه

-
- (١) ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٤٣/٤ .
 (٢) السميذع : السميذع الكندى من بنى مالك بن ربيعة من ساكنى عمان ، يرى رأى الخوارج ، وقد خرج أثناء الفتنة بين عدى وابن المهلب ، واعتزل مع طائفة من القراء ، دعاه ابن المهلب الى نفسه ، فأجابه ، واستعمله يزيد على الأبله . (الطبرى : تاريخ الأمم ، ٥٨٣/٦) .
 (٣) المرجئة : الأرجاء بمعنى التأخير ، أى أمهله وأخره ، أو أعطاه الرجاء . قيل : الأرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة الى يوم القيامة . وقيل : الأرجاء تأخير على رضى الله عنه عن الدرجة الأولى الى الرابعة .
 والمرجئة أربعة أصناف : مرجئة الخوارج ، ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة وقد قيل أن أول من قال بالأرجاء : الحسن بن محمد بن على ابن أبى طالب . (الشهرستانى : الملل والنحل ، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ص ١٣٩-١٤٦) .
 (٤) رؤبة : رأس طائفة المرجئة ، نامر ابن المهلب فى حربه لبلى أمية ، هو وجماعة من أصحابه . (الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٩٣) .
 (٥) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٦١ .
 (٦) مجهول : العيون ، ٥٣/٣ وان كان الأمر ليس على ما قال تماماً ، فمن مضر من انضم الى يزيد ، ومن اليمانية من نامر عديا .

ليس من الحكمة أن يمنع ذلك ، فهو أحرى أن يتألف الناس بالعدالة حتى يجمعهم حوله . وهناك نصوص تؤيد ما ذهبنا إليه وذلك بدعوته إلى جعل الأمر شورى ، والعودة إلى سيرة العمرين وغيرها ^(١) . كما أنه ليس من الدقة أن نقول بانقسام أهل البصرة إلى قسمين ، مضر مع عدى والأزد وربيعه مع ابن المهلب ، إذ أشرنا إلى الضمام بعض المضربة إلى ابن المهلب واليمنية إلى عدى ، لكن ذلك ينطبق على الأكثرية لا الكلية ^(٢) .

أما عدى بن أرطاة ، فقد جمع أصحابه وأخبرهم أنه لا يستطيع أن يعطيهم من بيت المال شيئا إلا بأمر الخليفة ، وإذا فرغ من قتال يزيد أعطى كل على قدر جهده ، وقسم عليهم مالا أصاب كل فرد درهمين ، وفى ذلك يقول الفرزدق :

أظن رجال درهمين يقودهم

إلى الموت آجال لهم ومصارع

وأكيهم من قرفى قعر بيته

(٣)

وأيقن أن الموت لابد واقع

ولعل هذا ما أدى إلى تفرق الناس من حوله ، فنجد ابن أعثم يقول : حتى بقى عدى فى أصحابه الذين قدموا معه من الشام ونهر يسير من قيس عيلان وتميم . ^(٤)

وهذا ليس من الدقة بمكان فقد جمع عدى حوله جند أهل الشام ، وانضمت إليه بقايا قبائل البصرة ومن بينها الأزد ،

(١) انظر بعد : ص ١٥٣، ١٥٦ .

(٢) انظر قبل : ص ١٤٨-١٤٩ .

(٣) ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٤٤/٤ - مجهول : العيون ، ٥٤/٣ قال : خطبهم وفرض لهم فى كل يوم درهمين ، وأخبرهم أنه كتب إلى الخليفة ليطلق يده فى عطائهم - الطبرى تاريخ الأمم ، ٥٨٠/٦-٥٨١ .

(٤) ابن أعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٤٣ .

(١)
قبيلة ابن المهلب نفسه . كما أيده بنو مجاشع الذين أشار
حفيظتهم قتل الخيار بن سبرة المجاشعي على يد ابن المهلب ،
وكان أميراً على عمان من قبل عدى ، الى جانب مناوئة
زعمائهم لابن المهلب خشية من عزلهم عن زعامة أخص
البصرة . (٢)

وباستقراء الموقف نجد بعض الاضطراب في النصوص
التاريخية ، فبعضها يشير الى مساندة الأزدي ليزيد وأخرى
تقول بولائها لعدى ، وكذلك القبائل الأخرى . الا أنه يظهر
لنا أن الأزدي خاصة وربيعه قد والت ابن المهلب ، الا بعض
الأسر والرجال لعداء قديم او مصالح رئاسية ظلوا على ولائهم
لعدى وحاربوا يزيد ، وكذلك القبائل الأخرى ، نجد بعضها
انضم ليزيد لمصالح مادية أو أهدافاً رئاسية او خلاف مع عدى
الا أنه فيما يظهر أن سواد البصرة الأعظم لم يشارك في ذلك
الصراع بين ابن المهلب والأمير عدى بن أوطاة ، على الأقل
قبل غلبة الأول على البصرة وسجنه أميرها ، وهذا ما نستشفه
من عدد الذين انضموا اليه ، وعدد من قاتل بهم عدى بعد . (٣)

وبعد أن جمع عدى رجاله عزم على محاربة ابن المهلب ،
فاستعد لحربه ، ونظم مابين دار الإمارة والمربد الخيل
والرجال ، وكتب الى الخليفة يزيد بن عبد الملك يعلمه بخلع
ابن المهلب له . فكتب اليه الخليفة يأمره باخذ ابن
(٤)

-
- (١) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٦١ .
(٢) ناجي حسن : القبائل ، ص ١٥٦ .
(٣) كان عدد الذين انضموا اليه ثلاثة آلاف . (انظر قبل : ص ١٤٨)
(٤) ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٤٣/٤ .
(٥) مجهول : العيون ، ٥٤/٣-٥٦ . لم يرد معنا ما يثبت خلع
ابن المهلب للخليفة قبل حربه لعدى واستيلائه على
البصرة ، الا اذا كان عدى اعتبر استعداد ابن المهلب
للحرب مخالفة للخليفة ، وأرى المؤلف قد حمل النص
أكثر من معناه . وهذا ما سيتضح من سياق الأحداث .

(١) المهلب . وكنا قد ذكرنا نزول ابن المهلب جبانة بنى يشكر وهو المنتصف فيما بينه وبين القصر ، وكان بعد مسيره لحرب عدى قد امر بتخريب ظلال السوق وهدم الدكاكين واستعد للحرب فجاءت عديا بنو حميم وقيس واهل الشام ، وخرج على جمعهم هريم بن ابي طحمة الى المربد . فوقف في القلب في حنظلة وسعد . وكانت محاربة عدى لابن المهلب في شهر رمضان من نفس العام . وفي هذه الاثناء خرج السמידع الكندي وكان يرى رأى الخوارج ، واصحاب يزيد وعدى مصطفون للقتال ، فاعتزل ، ومعه ناس من القراء ، فقال طائفة منهم رغبنا بحكم السמידع فدعاه يزيد الى نفسه ، فاجابه واستعمله على الابله ، فاقبل

- (١) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٠/٢ (ولعل الخليفة اراد تعطيل ابن المهلب بحرب عدى له حتى يعد جيش الشام ويرسله اليه) .
 (٢) انظر قبل : ص ١٤٩ .
 (٣) مجهول : العيون ، ٥٤/٣ - ٥٦ .
 (٤) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٨١/٦ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٤٣/٤ - ٢٤٦ (قال : خرج اليه عدى فى اهل الشام ومن جاءه من اهل البصرة . والصحيح ان عديا لم يخرج اليه بنفسه باذى الامر ، وانما خرج بعد هزيمة اصحابه واقتربا يزيد من القصر ، كما سئرى ذلك فى الصفحات التالية) - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٨/٤ (وذكر هو والطبرى خروج بنو عمرو بن حميم من اصحاب عدى الى المربد ، ولعلهم كانوا اول من نزل به قبل تكامل اصحاب عدى فيه مع هريم ، فبعث اليهم ابن المهلب دارس مولى حبيب بن المهلب ، فهزمهم) .
 (٥) هريم بن عدى (ابى طحمة) بن حارثة بن الشريد بن مرة المجاشعى الدارمى التميمى ، من فرمان حميم فى العصر الاموى ، قاتل الازارقة مع المهلب ، ثم كان مع عدى بن اوطاة فى حرب ابن المهلب ، واخذ اللواء يوم سورا فى حربه ايضا ، كان شجاعا كياسا ، عاش بعد ذلك وكبر ، توفى سنة ١٢٠هـ . (الزركلى : الاعلام ، ٨٣/٨) .
 (٦) مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٤-٥٦ .
 (٧) اليعقوبى : نفس المصدر الجزء والصفحة .
 (٨) الابله : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى فى زاوية الخليج الذى يدخل الى مدينة البصرة وهى اقدم من البصرة . (ياقوت : معجم ، ٧٧/١) .

(١) على النعيم . ولعل العدا للبيت الاموى قد جمع بينهما ،
 كما ان فى هذا اشارة الى أن الخوارج كانوا ينشدون من وراء
 بعض حركاتهم الدنيا ونعيمها . وتدانى القوم ، فبعث اليهم
 يزيد محمد بن المهلب وابن عمه المهلب بن العلاء بن ابي
 صبرة فى الف رجل وقيل بل محمد والمشمعل الشيبانى ودارم
 مولى حبيب بن المهلب ، فاقتتلوا ، وهزم اصحاب عدى ، وكان
 قد مال الى يزيد اثناء القتال بشر بن حاتم بن سويد بن
 منجوف واصحابه ، واعان ابن المهلب ، فشكر ووصل . وتعقب
 ابن المهلب القوم اثر انهزامهم حتى دنا من القصر ، فخرج
 اليه عدى بنفسه ، الا انه انهزم واصحابه . وكان هذا النصر
 لابن المهلب فى اليوم الثانى من القتال ، بعد هزيمة رجال
 عدى الذين بعثهم عند مسجد الانصار ، وفى كل ناحية . وقد
 لجأ عدى بعد هزيمة اصحابه وهزيمته هو امام القصر الى دار
 الامارة ، فتسلقوا عليه الدار ، واخذوه ، واقبل ابن المهلب
 حتى وقف على باب الدار ولم يدخلها ، واخرج اليه اخوته
 الذين كانوا فى سجن عدى ، فاطلق قيودهم . وكان امتناعه عن
 دخول الدار ، ليكون الامر شورى على حد زعمه ، فنزل دار
 (٢)

-
- (١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٨٣/٦ .
 (٢) ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٤٣-٢٤٦ .
 (٣) مجهول : العيون ، ٥٦-٥٤/٣ .
 (٤) عن حرب ابن المهلب لعدى انظر / الطبرى : نفس المصدر
 والجزء ، ص ٥٨١-٥٨٢ - مجهول : نفس المرجع ، ٥٧-٥٦/٣ .
 ابن اعثم : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن الاثير :
 الكامل ، ١٦٩/٤ .
 (٥) الطبرى : نفس المصدر والجزء والمفحات - ابن الاثير :
 نفس المصدر والجزء ، ص ١٦٨-١٦٩ .
 (٦) مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٦-٥٨ - الطبرى : نفس
 المصدر والجزء والمفحات - ابن اعثم : نفس المصدر
 والمجلد ، ص ٢٤٥ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء
 والمفحة - نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى امية ، ص ٣٠١ =

(١) سلم بن زياد بن ابي سفيان ، المجاورة للقصر . فامر بسجن
 عدى وبعض من اخذ من اصحابه ، (٢)
 عدى من ابن المهلب عندما توثب على البصرة . لكنه خبر (٣)
 يبطله اجماع جل المصادر على سجنه وبقائه في الحبس حتى
 مقتله في واسط على يد معاوية بن يزيد في اعقاب هزيمة ابيه
 في العقر . ويزيد من ضعف الخبر وروده في مصادر ثلاثة
 متأخرة ، يوهنها مخالفتها تسلسل الاحداث المؤيد لمن قال
 بسجنه . وقد تمكن سادات اهل البصرة من قيس وتميم ومالك بن
 المنذر ، من العرب ، بعد ظهور ابن المهلب ، فلحق بعضهم
 بالكوفة ، والبعض الآخر بالشام . (٤)

وهكذا تم ليزيد بن المهلب في سنة ١٠١هـ الاستحواذ على
 البصرة ، واخذ عاملها اسيرا ، بعد حصار وقتال طويل . (٥)

- = (لكنه يقدم خبرا شاذا ، يشير فيه الى حدوث مناوشات
 بين المهاجرة المساجين وحرسهم ، انتهت بتمكنهم من
 الافلات والحرب من سجن عدى . فلم نجد لذلك أصلا في
 المصادر التي اطلعنا عليها ، والتي اجمعت على
 اخراجهم من السجن على يد اخيهم بعد تغلبه على عدى) .
 (١) قال ابن اعثم في كتابه الفتوح ، م ٢٤٥/٤ انه نزل دار
 ام محمد بنت عبد الله بن عثمان الثقفي . وهذا تعارض
 الا انه قد لا يكون هناك تناقض ، فقد تكون هذه المرأة ،
 زوجة ، أو امه . لان الرجل كانت اقامته في البصرة حتى
 وفاته بها (سنة ٧٣هـ) . انظر ترجمته في : (الزركلي :
 الاعلام ، ١١٠/٣) .
- (٢) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٨١/٣ - ابن الاثير : الكامل ،
 ١٦٩/٤ (لكنه حرق سلم الى سليمان) - ابن خلدون :
 المعبر ، ٧٧/٣ (وحرق اسم سلم الى مسلم) .
- (٣) الطبري : نفس المصدر ، ٥٨٢/٦ - المسعودي :
 التنبيه ، ص ٢٧٧ - مجهول : العيون ، ٥٨/٣ - ابن كثير
 البداية ، ط ١ ، ٢٤٤-٢٤٥ - ابن الاثير : نفس المصدر
 والجزء والصفحة .
- (٤) الذهبي : المعبر في خبر من غير ، ١٢٤/١ - اليافعي :
 مرآة الجنان ، ٢٤١/١ - ابن العماد : شذرات ، ١٢٤/١ .
- (٥) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٨٣ - ابن الاثير :
 نفس المصدر والجزء والصفحة - مجهول : نفس المصدر
 والجزء ، ص ٦٦ - ابن خلدون : نفس المصدر والجزء
 والصفحة .
- (٦) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣١٠/٢ - ابن كثير : نفس
 المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٤٤ - ابن خلكان : وفيات
 . ٣٠٣/٦

واذا ما اردنا تفسيراً لهزيمة عدى أمام ابن المهلب ،
 لوجدنا فى ثنايا أخبار القتال بين الرجلين بعض وجوه ،
 ولعل اولها تخاذل اهل البصرة عن نصره أميرهم ، فان كان
 العدد الذى انضم الى يزيد قليلا الا ان من اعتزل القتال هو
 سواد الناس ، وكانت قلوب عامتهم خصوصا من اليمن مع ابن
 المهلب . ومع ذلك فانه يظهر ان ابن المهلب لم يكن مرغوبا
 من الجميع ، بالذات من العلماء وبعض الزعامات والمضرية ،
 وذلك لمعرفتهم حقيقته وماعهد سليمان عنهم ببعيد ، وان كان
 قد استهوى بعض اهلها بالمال والسلطان .^(١)

اما لما تركوا عديا اذا ، فلعل التزامه بالروح
 الاسلامية فى سياسته المالية فى مثل ذلك الظرف فى عرب
 العراق ، الذين لم يكن للمال بدىلا يجمعهم حول عدى ، فهم^(٢)
 المناوئون لحكومة الشام تعصبا للعراق ومجده المندثر ، أو
 المحاربون لها باسم الاحزاب والقوى المعارضة التى كان
 العراق مسرحها ، فلم يكن العراقيون يوما مناصرين لبنى أمية
 الا لمصالح يضمنونها فما وجدوها عند عدى ، أو تحت رهبة أمير
 قوى وجيش شامى يفرض سيادة الدولة والانقياد لطاعتها . فما
 كان عدى تلك الشخصية ، كما أن أحداث الحركة قد بينت بجلاء
 قلة الجند الشامى . الذى قد يكون الخليفة عمر بن عبد
 العزيز قد سحب جلّه ، لانه وطد سلطانه بالعدل وكانت سياسة^(٣)
 السلم شعار حكمه خارجيا وداخليا . وقد دعاهم الى هذا
 الموقف خشيتهم من تعصب الخليفة لقيس ، وعودة سياسة الحجاج
 من جراء ذلك ، صاحب ذلك كره القراء للخليفة يزيد لما

(١) نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى أمية ، ص ٣٠١ - يوسف
 العث : الدولة الاموية والاحداث التى سبقتها ومعدت لها
 ابتداء من فتنة عثمان ، ص ٢٧٩ .
 (٢) يوسف العث : نفس المرجع ، ص ٢٨٠ .
 (٣) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٥٣-١٥٤ - يوسف العث : نفس
 المرجع والصفحة .

(١)

سمعوا عنه من سوء السيرة .

ومع ذلك لانفعل العوامل الاخرى ، فخيانة بعض رجاله
أثناء القتال كابن المنجوف الذى مال هو وأصحابه الى ابن
المهلب فاعانه ، وخبرة يزيد العسكرية ، ساعدت فى النهاية
على انتصار ابن المهلب ، وسيطرته على البصرة .

خروج يزيد بن المهلب على الدولة وأخذ البيعة لنفسه :

بعد ظهور ابن المهلب أقام يومه ذاك ، فلما أصبح نودى
فى الناس ، فاجتمعوا فى المسجد وخطبهم قائلاً : انا غضبنا
لكم فانظروا لانفسكم رجلا يحكم فيكم بالعدل والسوية ، ويقيم
فيكم الكتاب والسنة ويسير فيكم بسيرة الخلفاء الراشدين ،
وحثهم على الجهاد ، زاعماً ان جهاد أهل الشام أعظم ثواباً
من جهاد الترك والديلم . وهكذا خرج على الخلافة ، ودعا الى
التبرؤ من بنى أمية . وقيل دعاهم الى سيرة عمر بن الخطاب
فبايع الناس يزيد بن المهلب على كتاب الله وسنة رسوله صلى

-
- (١) يوسف العش : الدولة الاموية ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ .
(٢) مجهول : العيون ، ٥٧-٥٦/٣ . وانظر قبل : ص ١٥٣ .
(٣) مجهول : نفس المصدر ، ٥٩-٥٨/٣ - الطبرى : تاريخ الامم
٥٨٧/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٠/٤ .
(٤) الطبرى : نفس المصدر والجزء والمفحة - ابن اعثم :
الفتوح ، م ٢٤٦/٤ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء
والمفحة .
(٥) الذهبى : تاريخ الاسلام ، ٨٦/٤ - الأربلى : خلاصة الذهب
المسبوك مختصر من سير الملوك ، تصحيح مكى السيد جاسم
مكتبة المثنى ، بغداد ، ص ٦٩ - المقدسى : البدء ،
٤٧/٦ .
(٦) الذهبى : نفس المصدر والجزء ، ص ١٥٠ - والعبر فى خبر
من غبر ، ١٢٤/١ - اليسافى : مرآة ، ٢٤١/١ - ابن
العماد : شذرات ، ١٢٤/١ .

(١)
الله عليه وسلم . وكانت بيعته : تبائعون على كتاب الله
وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلى ألا تطأ الجنود بلادنا
ولا بيضتنا ، ولا يعاد علينا سيرة الفاسق الحجاج ، فمن بايعنا
على ذلك قبلنا منه ، ومن أبى جاهدناه ، وجعلنا الله بيننا
وبينه ، ثم يقول : تبائعون ؟ فإذا قالوا نعم ، بايعهم .^(٢)

وبتفحص هذه النصوص ، نجد ابن المهلب يعلن الخروج على
الحكم الأموي ، ومحاربة الوجود الشامي في العراق ، وإقامة
حكم اقليمي على أساس الشريعة الإسلامية ، أيده من حضر
بالبيعة له ، لكن ذلك لم يعتمد حتى الآن حدود ذلك . فلم
يخلع الخليفة ، ولم يتعرض لسيادة الدولة فيما عدا العراق
كما أنه لم يرم الخلافة لنفسه ، وهذا ماسنرى حدوثه مع تطور
الفتنة وتنامي قوته .

يؤيد ما ذهبنا اليه ماأضافه ابن أعثم الى خطبته في
الناس حيث يقول : "ولست أقول أنى خليفة" .^(٣)

لكن البيعة لم تكن عامة ، فقد عارضه البعض ، كالحسن
البصري ، وكثير من أهل الشرف والسيادة ، إذ حضر الحسن الى^(٤)

(١) ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٤٦/٤ - مجهول : الحيون ، ٥٩/٣ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٩٢/٦ - ابن كثير : البداية ، ط ٢٤٦/٩ ، ١٠ .

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٤) الحسن بن أبي الحسن يasar البصري ، أبو سعيد ، مولى
زيد بن ثابت الأنصاري ، وقيل في ولائه غير ذلك ، تابعي
كان سيد أهل زمانه علما وعملا ، وهو شيخ أهل البصرة ،
من رواة الحديث ومن القراء والمفسرين ، وكان مجاهدا
كاتباً ، وكان عالماً جامعاً رفيعاً ، فقيهاً ، ثقة حجة
ماموناً ، عابداً ، ناسكاً ، فصيحاً ، نشأ بوادي القرى
وسكن البصرة ، لم يكن يخشى في الحق لومة لائم ، تولى
الكتابة والقضاء ، وله أخبار وفضائل ومآثر . ولد سنة
٢١هـ ، وتوفي بالبصرة سنة ١١٠هـ . (الذهبي : سير ،
٥٨٨-٥٦٣/٤) .

المسجد وسمع مايدعو اليه ابن المهلب ، فانكر قوله ، وأشار الى سوء سيرته عندما كان فى خدمة بنى أمية ، مخذلا الناس مع ابدائه عدم الرضى عن أهل الشام ، لكن ابن المهلب لم يلتفت اليه ، ولم يرد قوله الناس عن الالتفاف حول يزيد .
 (١)
 اذ أن بعضا من القراء قد ناصر ابن المهلب ، كالنضر بن انص (٢)
 ابن مالك ، الذى ايد يزيد ودعا الناس الى اجابته . (٣)

بعدها خرج ابن المهلب من المسجد وبين يديه الاعلام (٤)
 وقد أحدق به الناس ، فتحول الى دار الامارة ، وكان الناس قد سلموا له بيت المال بعد أن بايعوه ، فوجد فيه عشرة آلاف

-
- (١) عن موقف الحسن هذا انظر / الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٨٨-٥٨٧/٦ - مجهول : العيون ، ٥٩/٣ - ابن اعثم : الفتوح ، ٢٤٧/٤ (وقال : أن الحسن لم يبد رايه فى أهل الشام عندما سألوه ، ودخل منزله ، وكأنه يشير بذلك الى اعتزاله الفتنة) - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٠/٤ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٤/٦ - الذهبى : سير ، ٥٠٦/٤ .
- (٢) النضر بن انص بن مالك الانصارى ، أبو مالك البصرى ، تابعى ثقة له أحاديث ، قيل كان فيمن خرج الى الجماجم وذكر الطبرى أنه فيمن خرج مع ابن المهلب أيام خروجه على يزيد بن عبد الملك . مات قبل أخيه موسى ، والحسن البصرى . (ابن حجر : تهذيب ، ٣٨٩/١٠) .
- (٣) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٨٧ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن اعثم : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٤٦-٢٤٧ الا أن ابن خلدون يشير الى انكار النضر كالحسن لما يدعو اليه ابن المهلب ، ومتابعة الناس لهما فى النكير (العبر ، ٧٨/٣) . لكننا لم نجد هذا القول عند غيره ، وهو مخالف لمن سبقه ، كما أن الاحداث لم تشر الى انكار الناس ومخالفتهم ابن المهلب بل اتبعه أكثرهم .
- (٤) ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٤٧ . الا أنه يشير فى نفيه الى وجود الشاعر القطامى مع ابن المهلب وارتجازه أمامه بأبيات من الشعر أبان خروجه من المسجد لكننا نجد عند الطبرى ، ما يخالف ذلك ، حيث يشير الى أن القطامى كان ممن بعثهم الخليفة يزيد من الشام ليسكنوا أهل الكوفة ، وأنه شارك فى معركة العقر الى جانب مسلمة بن عبد الملك ضد ابن المهلب . نفس المصدر والجزء ، ص ٥٨٥ .
- (٥) مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة .

الف درهم ، فأخذها وفرقها في الناس ، ثم خندق على
(٢)
البصرة .

وهكذا تم له الاستيلاء على البصرة ، بعد هزيمة أميرها
واسره ، ونجاحه في جمع أهلها حوله .

استيلاء ابن المهلب على ماحول البصرة :

لما استوثق الأمر ليزيد في البصرة ، بعث عماله على
الاهواز وفارس وكرمان ومكران والسند والهند وماجاورة من
بلاد فاحتوى عليها ، فاستعمل زياد بن المهلب على عمان
وأشعث بن عبد الله على البحرين ، وهلال بن عياض على الاهواز
ومحمد بن المهلب على فارس ، ووداع بن حميد على قنءابيل ،
(٤)
والمنهال بن أبي عيينة على جزيرة بركوان .
(٥) (٦)

-
- (١) ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٤٦/٤ .
(٢) مجهول : العيون ، ٥٩/٣ .
(٣) ابن أعثم : نفس المصدر والجزء والصفحة .
(٤) قنءابيل : مدينة بالسند ، وهي قمبة لولاية الندبة .
ياقوت : نفس المصدر ، ٤٠٢/٤ - وقال لسترنج أنها من
أعمال طوران وتعد قمبتها ، ص ٣٧٠ .
(٥) بركاوان : بالفتح ، والسكون ، ناحية بفارس . (ياقوت :
معجم ، ٣٩٩/١) . ولم يقل جزيرة كما ذكر صاحب العيون .
(٦) مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة - عبد الرحمن عبد
الكريم العاني : عمان في العصور الإسلامية الأولى ،
ودورها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي وفي
الملاحة والتجارة الإسلامية ، رسالة دكتوراه ، لم تطبع
مقدمة إلى آداب جامعة بغداد ، ١٩٧٥ م ، ص ١١-١١١
(أشار إلى ولاية زياد على عمان ، وأضاف أنه قتل
الخيار بن سبرة المجاشعي عامل الحجاج ومليه ، وكان
الخيار قد أضر بالآزد ، ويرجع ذلك إلى الروابط التي
تربط يزيد بآزد عمان ، ولضرر الأمويين بهم ، مما أوجد
له سندا شعبيا ، حتى القبائل الأخرى لم تعارضه ، وقد
يكون ذلك لمعاملته الطيبة لهم ، أو لسيطرته على
مناطق ذات ارتباط وثيق بعمان كالبصرة ، ولأنه لا يحمل
عقائد مذهبية ، مما جعلهم يؤيدونه ، أو على الأقل لم
يعارضوه . إلا أن الأمويين أعادوا سيطرتهم على عمان
بعد القضاء على ثورة ابن المهلب .

(١)
 كما بعث مدرك بن المهلب الى خراسان ، وكان عليها عبد
 الرحمن بن نعيم الأزدي ، فلما وصل الى رأس المغازة ،
 حرض ابن نعيم عليه تميما ، فخرجوا يستقبلونه ، فلحق بهم
 الأزدي ، ومنعوه منهم ، الا انهم مع ذلك لم يوافقوه على
 الدخول الى خراسان ومساندته ، بل أرادوا ان ينصرف حتى
 ينجلي امر أخيه ، فان نصر كانوا أسرع الناس اليه ، مبدئين
 عواطفهم نحو آل المهلب . فرأى الانصراف عند ذلك ، وترك
 خراسان . (٢)
 الا ان موقف عبد الرحمن بن نعيم الناتج من حرصه
 على مركزه ، لا يمثل موقف أزد خراسان ، الذين أظهروا
 تأييدهم للحركة . (٣)
 ومع ذلك فقد فسد تطلع ابن المهلب الى
 خراسان ، الذي كان في ضمه اليه ما يجعل من الجبهة الشرقية
 للدولة الإسلامية بما فيها من امكانيات القوة وحدة واحدة
 تحت سلطة ابن المهلب ، يواجه بها سلطان الخلافة في الغرب .
 أفسد هذا التطلع موقف عرب خراسان والأزد خاصة ، الذين وان
 منعوا مدرك من تميم ، وأبدوا تعاطفهم مع ثورة أخيه ، الا
 انهم في النهاية لم ينصروا الحركة ولم ينضموا اليها ، اذ
 انهم بدلا من ان يسهلوا طريق مدرك الى خراسان ، صدوه عنها
 ان تقديم المصلحة والعافية على الانتماء للعصبية ظاهرة
 هامة في تاريخ تلك الفترة ، كما ان انضمام فئة من الجيش

(١) مدرك بن المهلب بن أبي صفرة ، قائد من الشجعان ، ولد
 سنة ٥٣هـ . قال كعب بن معدان : لا يستحي الشجاع ان يفر
 من مدرك ، له اخبار في حروب أبيه مع الأزارقة . توفي
 سنة ١٠٢هـ . (الزركلي : الاعلام ، ١٩٧/٧) .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٨٥/٦ - ٥٨٦هـ - ابن الأثير :
 الكامل ، ١٧٠/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٥/٩ -
 ابن خلدون : العبر ، ٧٨/٣ - نافع العبود : آل المهلب
 ص ٨٢ .

(٣) نافع العبود : نفس المرجع والمفحة .

الشامى الى حركة يزيد ، يعتبر ظاهرة مميزة لتلك الحقبة ، وقد يكون عرب خراسان الذين ارهتهم سياسة عمر لم يجدوا مبررا للحركة ، خاصة ان الخليفة يزيد اقر لهم حتى ذلك الحين ، الوالى الذى عينه عمر ^(١) . وقد يكون لسياسة ابن المهلب التى عرفوها ومقتوها أثناء ولايته على خراسان ، زمن سليمان بن عبد الملك ، والمتمثلة فى اهمال رجال القبائل ، والتمسرف الحر المتعسف فى اموال يعتبرونها حقا لهم ، الى جانب تحيظه وتفضيله للجند الشامى ، دور كبير فى عدم الاستجابة ليزيد ، والبقاء على الولاء للبيت الاموى ممثلا فى عامله عبد الرحمن بن نعيم . اما الازد خاصة فقد يكون لوقوف تميم فدهم ، حائلا دون مناصرة الحركة ، لان الغلبة والكثرة فى خراسان لتمييم ^(٢) ، كما هى للازد فى البصرة ، كما عرف الازد بولائهم للخليفة الاموى ، فانهم من وقفوا فى وجه قتيبة بن مسلم عندما اراد خلع الخليفة سليمان والبوا عليه مفر ^(٣) .

وان كنا قد وجدنا تفسيراً لموقف عرب خراسان السلبي وازدها خاصة نحو حركة يزيد بن المهلب ، الا ان جند الشام فى موقفه من الحركة وانضواء فئة منه الى ابن المهلب ، يعد ظاهرة جديدة وخطيرة ، اذ لم يعرف اهل الشام الا عمادا للبيت الاموى وسر سيادته ، بولائهم الشام ، لخليفة دمشق او ممثله فى اى قطر وامام اى خصم . ولعل اعتماد ابن المهلب أثناء ولايته على العراق وخراسان زمن الخليفة سليمان على الجند الشامى وتمييزه فى توزيع الغنائم وغيرها ، جعل له فى ^(٤)

(١) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٦٣ .

(٢) محمد شعبان : نفس المرجع ، ص ١٤٥ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ١٤٠/٤ .

(٤) ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٣٩-١٤٠ .

(٥) محمد شعبان : نفس المرجع والصفحة .

نفوسهم مكانة دفعتهم الى الانضواء تحت لوائه ، ولما ستدره
الحركة من مكتسبات في حالة نجاحها ، خصوصا بعد فقدانهم
خاصية التمييز في ظل سياسة عمر الرامية الى عدم الاعتماد
على جند الشام في حكم الدولة وفرض سيادتها على اقاليمها .
(١)
وقد ولي يزيد بن المهلب شرطته عثمان بن الحكم الازدي
(٢)
وكان قد بسط العدل في الفاس ، وبذل الاموال . ولعله اراد
ان يقدم للعراقيين ما افتقدوه جل العصر الاموي ، لعلهم اذا
ماخشوا فقد هذه المكتسبات ، وقفوا وراء من قدمها لهم ،
وهكذا تالفهم ، وهياهم للذود عن حركته الا انه كما رفض هذه
الحركة بعض رؤساء اهل البصرة ، بالوقوف الى جانب عدى في
حرب ابن المهلب ، والخروج منها بعد انهزامه ، نجد ان فئات
(٣)
ورجالا من مجتمع البصرة ، كبعض علمائها ، ممثلين في شيخ
البصرة آنذاك ، الحسن البصري ، الذي كما رأينا انكاره على
ابن المهلب مايدعو اليه بعد ظهوره على عدى ، واعتزاله
الفتنة في بيته ، فاننا نجده يدعو الى ترك القتال معه
باعتباره جائرا ، وان هدفه السلطة والمصلحة ، كما انه ليس
القائد اللائق للجيعة المعارضة للحكم الاموي . ونحن نقول ان
(٤)
المصادر قد اتفقت على ان الحسن البصري قام بتخذيل الناس
عن ابن المهلب ، بل وخطب الناس وحط من شأنه . (٥) الا ان من
المؤكد ان الحسن البصري لم يكن يوما ما في حزب معارضة حتى
يرى بان ابن المهلب غير لائق لقيادة المعارضة او كفوا لها

-
- (١) مجهول : العيون ، ٥٩/٣ .
(٢) ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٤/٩ .
(٣) انظر قبل : ص ١٥٤ .
(٤) محمد نصر الله : تطور ، ص ٢٥٥-٢٥٦ .
(٥) الذهبي : دول الاسلام ، ٥٣/١ .

وقد ساءت العلاقة بين الرجلين حتى هم يزيد بطرب الحسن
 البصرى حتى الموت ، لولا خوفه من علو قدره فى المصر وفضله
 وهذا مادفعه الى منع احد قومه من قتل الحسن ، وقد غشوا
 مجلسه ، الذى فيما يبدو انه نال منهم فيه ، وذلك خوفا من
 انقلاب الناس عليه . لذا فانه من الصعب تصديق القول
 باستعمال ابن المهلب الحسن البصرى على قضاء البصرة ، ان
 يشير وكيع الى القول بتوليته القضاء عند خروج ابن المهلب
 منها لقتال مسلمة ، فقبلها الحسن ، فقد لزم الحسن بيته
 بعد خروج يزيد ، وانكر بعض اهل العلم صحة ذلك الخبر .
 وكان لقتادة الفقيه موقف كموقف الحسن ، فقد ذهب الى
 تنقص ابن المهلب والنيل منه ، فقيده ، وبعث به الى الاهواز
 فظل محبوسا حتى قتل يزيد فأخرج .
 الا ان تلك المعارضة لاتقلل من الاهمية الكبيرة
 والخطورة السياسية والادارية ، والقوة العسكرية التى
 تحققت لابن المهلب ، باستيلائه على البصرة ، والاقاليم
 المجاورة ذات الصلة بها . ولعله اول من احس بذلك ، مما
 قوى نفسه ، فغدت تحدشه بالخلافة وان يزيد بن عبد الملك

-
- (١) مجهول : العيون ، ٦٦/٣ .
 (٢) محمد امين صالح : العرب والاسلام من البعثة النبوية
 حتى نهاية الخلافة الاموية ، مكتبة نهضة الشرق ،
 القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ٣٦٨ .
 (٣) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٦ .
 (٤) اخبار القضاة ، تصحيح عبد العزيز المراغى ، المكتبة
 التجارية ، مصر ، مطبعة الاستقامة ، طبعة اولى ،
 ١٣٦٦هـ ، ٣٠٨-٣٠٣/١ .
 (٥) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز ، ابو الخطاب ،
 المدوسى البصرى ، مفسر حافظ ، فريز اكمه ، كان يرى
 القدر ، مات بواسط فى الطاعون (سنة ١١٨هـ) . (الزركلى
 الاعلام ، ١٨٩/٥) .
 (٦) مجهول : نفس المصدر والجزء والمفحة .

(١)
ليس احق بها منه .

خلع ابن المهلب للخليفة يزيد بن عبد الملك وروحه الخلافة :

اقدم يزيد بن المهلب على خلع الخليفة يزيد بن عبد
الملك ، وكان ذلك عندما خرج الى المملى يوم عيد الفطر
سنة ١٠١هـ - وشم بنى مروان ، بل رام الخلافة لنفسه ،
ونجد ذلك عند حاشيته ، فحظية له تسلم عليه بامرة المؤمنين
فينشدها :

رويدك حتى تنظري عم تنجلي

(٥)
عماية هذا العارض المتألق

(٦)
لكن الذهبي ينقل لنا ان ابن المهلب ، دعا الى نفسه ،

-
- (١) مجهول : العيون ، ٦٥/٣ .
(٢) ثابت اسماعيل الراوى : العراق فى العصر الاموى ، من
الناحية السياسية والادارية والاجتماعية ، رسالة
ماجستير مطبوعة ، مكتبة الاندلس ، بغداد ، الطبعة
الثانية ، ص ٢١٦ - الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٧٨/٦ -
المسعودى : مروج ، ٢١٠/٣ - المسعودى : التنبية ،
ص ٢٧٧ .
(٣) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٠ .
(٤) الذهبي : اسماء الذين راموا الخلافة ، نشر صلاح الدين
المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ،
الطبعة الثانية ، ١٩٧٨ م ، ص ٩-١٠ - ابن خلكان :
وفيات ، ٣٠٣/٦ .
(٥) نساجى حسن : القبائل ، هامش ٤ ، ص ١٥٤ (واشار ان ذلك
كان من احد الازد ، لاحظيته) - ابن خلكان : نفس المصدر
والجزء والصفحة .
(٦) الذهبي : نفس المصدر والصفحة ، وهامش (١) . (كما اضاف
قال قره عن ابن سيرين قال : القحطاني حق ، ولكنه من
قريش . وروى ابن ابي ذيب عن المعدي ، عن ابي هريرة
مرفوعا : لا تقوم الساعة حتى يسوق الناس رجل من قحطان
ويروى نحوه شور بن زيد ، عن ابي الفيث ، عن ابي
هريرة . وروى الزهرى ، عن محمد بن حيان وعبد الله بن
عمرو : سيملك رجل من قحطان) - اليافعى : مرآة ،
٢٤١/١ - الذهبي : تاريخ الاسلام ، ١٥٠/٤ - ابن العماد
شذرات ، ١٢٤/١ .

وتسمى بالقحطاني ، ونصب رايات سوداء . فكان ممن بويغ له
 بالخلافة في ايام بنى أمية . بل اننا نجد اخبارا من نوع
 آخر ، فيذكر انه دعا الى الرضا من بنى هاشم ، وانه وجه
 الى علي بن عبد الله بن عباس يدعو الى القيام بالامر ،
 وان عليا اجابه " ان رايت ألا تذكر اسمي حتى الى ما يصير
 اليه امرك ، فان ظفرت صنعت ماتريد وان كان غير ذلك لم تكن
 ذكرت اسمي " . وقد شكك العبود في هذه الرواية لكون الدعوة
 العباسية سرية تعتمد على كتمان اسم الامام ، اذ يرى انه من
 المستبعد ان يضع علي بن عبد الله يده في يد ابن المهلب ،
 ويطلب اليه القيام بالامر . ونحن نقول : ان ابن المهلب لو
 صحت هذه الرواية التي ندحضها ، لبحث عن رجل علوي ، اذ ان
 الناس في ذلك التاريخ لم يكونوا يشايعون الا آل علي دون
 العباسيين ، الذين هم انفسهم كانوا يدركون هذا ومن اجله
 عموا على الناس في دعوتهم السرية ، بالدعوة للرؤى من آل
 محمد ، كما انه ليس من المنطق ان يقدم يزيد ثمرة جهده
 للعباسيين وليس لهم فيه ادنى جهد .

ويقال : ان يزيد دعا المغفل بن عبد الرحمن بن العباس

-
- (١) ابن العبراني : الانباء ، ص ٥٥ .
 (٢) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٠ (قال لانعلم علاقة بين
 يزيد وبنى هاشم ، ولعل ذلك دعاية لثورته وانما هي لبنى
 أمية بتلويعه لهم انه سيحول الخلافة الى الـد خصومهم)
 مجهول : العيون ، ٦٦-٦٥/٣ .
 (٣) نفس المرجع ، ص ٨٤ .
 (٤) عن الدعوة العباسية انظر / مجهول : اخبار العباس
 وولده - الدوري : أضواء جديد على الدعوة العباسية
 مجلة آداب بغداد ، عام ١٩٦٠م - الشيبال : تاريخ
 الدولة العباسية - فاروق عمر : طبيعة الدعوة
 العباسية - شاكراً مصطفى : دولة بنى العباس .

ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، الى متابعته ،
(١)
فتابعه ، ثم توارى .
(٢)

والدكتور محمد شعبان ينكر محاولة ابن المهلب القضاء
(٣)
على الحكم الأموي ونقل الخلافة الى بنى هاشم ، او ادعاءه
لقب القحطاني ، ويقول ان هذه الاخبار مبالغات خيالية اضيفت
مؤخرا الى حركة يزيد ، ولم يقم الدليل على صحتها ، ويعمل
حركته بانها محاولة لايقاف سياسة الحجاج التوسعية التي يرى
ان عمر يزيد سيكون استمرارا لها ، فلم يجد غير اللجوء الى
العنف وحمل السلاح لايقافها .

ونحن ان كنا وافقناه في بطلان اخبار دعوته للرضى من
بنى هاشم ، فاننا نقول انه ان لم يدع انه القحطاني ، فقد
تكون اشاعة فشت بين اتباعه ، قد يكون مصدرها الازد من
قحطان ، او هو الذي اوحى بها ، دعاية لحركته ، وازافة
عامل معنوي يسندها . اما قوله بعدم رغبته الاطاحة بالحكم
الأموي ورومه الخلافة ، فليس له دليل على ذلك ، ونرى النصوص
التي قدمناها ، وماسياتي من نصوص على لسان الخليفة يزيد
نفسه او مسلمة بن عبد الملك ، وحربهم له ، دليلا كافيا
على صحة ما تطلع اليه يزيد بن المهلب من عظيم الامر . كما
ان تحليله للحركة ابعد مايكون عن المحة ، فابن المهلب
ذاته كان يوما يدا للحجاج في خراسان ، يمثل سياسته

(١) لم اعثر له على ترجمة . ويبدو انه المفضل بن عبد
الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب
الذي شارك ابن الأشعث في حركته ضد الدولة الأموية ،
وكان له دور بارز فيها . (من اجل ذلك : انظر :
الطبري : تاريخ الأمم ، ٣٤٣/٦ ، ٣٧١-٣٧٣ وما بعدها) .

(٢) مجهول : العيون ، ٦٦/٣ .

(٣) الثورة ، ص ١٦٢-١٦٣ .

التوسعية ، بل وبعد ذلك فى عهد سليمان ، الذى كان عصره استمرارا لسياسة بنى أمية التوسعية خارجيا ، وان تميزت بالاتزان داخليا ، ولعل موقف عمر بن عبد العزيز من ابن المهلب ، وعزله ، وسجنه ، دليلا على عدم صلاحه لسياسته السلمية ، وأنه يمثل سياسة الحجاج ومن سايره ، بل كان يقول : هؤلاء - يعنى المهالبة - جبابرة ولاحب مثلهم . فابن المهلب هرب من سجنه خائفا على نفسه من يزيد بن عبد الملك ثم حارب عدى لينقذ اخوته من سجنه ، ثم خالف يزيد كارها وطامعا ، وخلعه أخيرا ورام الخلافة لنفسه بعد أن آنس القوة والقدرة . دعوة يميزها الاضطراب . وحركة تتنامى فى مراحل يدفع صاحبها تعاضم شأنه واشتداد شوكته .

لذا جاء اعلان ابن المهلب الخروج على الحكم الاموى وخلع الخليفة يزيد بن عبد الملك بعد أن حشد له الأزد وغيرهم ، وسيطر بهم على البصرة ، وقد عظم أمره ، واشتدت شوكته . ولعل الظروف التى أعلن فيها حركته تستلزم منه الدخول فى تيار العممية القبليّة والاعتماد على اليمنية ، سيما أن التكتلات القبليّة آنذاك أصبحت تتخذ هيئة أحزاب سياسية .

ثم كتب يزيد بن المهلب الى أخيه زياد عامله على عمان وأمره أن يعرض الناس ، فغرض لثلاثة آلاف رجل واستعمل عليهم

-
- (١) انظر قوله هذا فى : ص ١٣٣ .
 (٢) عواد الأعظمى : مسلمة ، ص ١٩٩-٢٠٠ .
 (٣) ناجى حسن : القبائل ، ص ١٥٣ (نقلا عن المسعودى : مروج الذهب ٢١٠/٣) لكنه أرخ لثورته بعام ١٠٢هـ ، والأصح عام ١٠١هـ ، والقضاء عليها سنة ١٠٢هـ (انظر قبل : ص ١٥٦) وبالرجوع الى كتاب مروج الذهب لم نجد أرخ بذلك .
 - مجهول : العيون ، ٦٥/٣ .
 (٤) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٦ .

(١)

المشمام بن عمر الأزدي ، فقدموا على يزيد بن المهلب .

هكذا اشتعلت الحركة في البصرة ، فاليمانيون كانوا خائفين على أنفسهم حاقدين على الحجاج ، واهل البصرة كانوا يكرهون سياسة الحجاج ، مع وجود من يدرك مقصد ابن المهلب من حركته كالحسن البصري ، لكنهم لم يستطيعوا عمل شيء كبير (٢) وقد كان هذا الشعور كافيا لقيام الحركة بينهم ، وعدم المسارعة الى اخمادها ، فمع قلة من قام في الحركة من شيعة ابن المهلب ، تحقق لها النجاح في بادئ الامر لعدم من يقف في وجهها . كما ان كرههم لبقاء جند الشام مفروضين عليهم ، يأكلون خراجهم ، ويمتازون عليهم في العطاء ، من اسباب سكوتهم عليها ، وعدم مقاومتها . (٣)

ولم تكن البصرة وحدها قد اعطت البيعة لابن المهلب ، فقد كانت حركته فرصة للمتذمرين من اهل العراق ، ومجالا لمنازلة الدولة الاموية ، فقد بايعه بعض زعماء الكوفة ، وانضوا تحت لوائه ، كما شملت حركته عمان والبحرين (٤) والجزيرة . بل نجد ناجي حسن يقول : "باندفاع قبائل الكوفة (٥) بارباعها لتأييد ابن المهلب بكل ماتملك" . الا ان الواضح

-
- (١) مجهول : العيون ، ٦٦/٣ .
 (٢) انظر قبل : ص ١٥٧-١٥٨ ، وبعد : ص ١٧٩ .
 (٣) يوسف العشي : الدولة الاموية ، ص ٢٧٩-٢٨٠ .
 (٤) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨١ .
 (٥) شابت الراوى : العراق ، ص ٢١٧ (نقلا عن الطبرى / تاريخ الامم ، ١٥١/٨ - وانظر بعد : ص ١٨٠ لوجود ما يخالف ذلك) .
 (٦) القبائل ، ص ١٥٦-١٥٧ (واضاف : كان لربيعة دور كبير في مساندة ثورة ابن المهلب) .

ان انضمامهم اليه كان بعد خروجه من البصرة لحرب مسلمة والعباس ، وهو الذى بعث الرجال على ارباعها ، بل انه سعى الى ان تكون ارض المعركة بالقرب من الكوفة ، حتى يتمكن الناقمون فيها على بنى امية من الانضمام اليه ، وهذا ما حدث بعد نزوله العقر . كما ان الامر ليس بما يوحيه النص ، فلم ينضم اليه كامل اهل الكوفة بل اناس من ارباعها . تسلموا اليه ، فقد استطاع الامويون منع ابن المهلب من الوصول اليها ، وتمكنوا من بقائها بايديهم ، وقاتل بعض اهلها مع مسلمة^(١) . اذ ان حركته لم تلق تاييدا جماعيا من قبائل العراق ، كالذى لقيته حركة ابن الاشعث لاختلاف دوافع الحركة فى الحالىين ، اذ كانت حركة ابن المهلب ، وليدة عدااء شخمى لذلك لعبت العصبية دورها ، فناصره الازد وحليفها ربيعة ابن المهلب ، وناصر جل مضر الخليفة يزيد وعامله . على ان دوافع هذه الحركة لم تكن قبلية خالصة لذا كان معه نفر من مضر ، كما وقفت طائفة من اليمانية فى صفوف بنى مروان كآل مخنف فى الكوفة الذين عرفوا بولائهم للبيت الاموى^(٢) .

وقد يعود فشل ابن المهلب فى استقطاب اهل الكوفة والبصرة واشراقهما اليه ، كما استطاع ابن الاشعث ، الى السياسة السليمة التى اتبعها ولاة عمر بن عبد العزيز فى تحالف اهل العراق ، لاسيما وان الخليفة يزيد لم يعتمد الى

(١) انظر ذلك فيما بعد ، فى ثنايا الاخبار التى تلت نزول ابن المهلب العقر .

(٢) احسان النص : العصبية القبلية واثرها فى الشعر الاموى دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٣ م ، ص ٣١٨-٣١٩ .

(١)

عزل اميرى الكوفة والبصرة .

كما اننا نجد اثر العصبة القبلية يحفز بعض الازد
للوقوف الى جانب ابن المهلب فى حركته بالبنان واللسان ،
كالشاعر ثابت قطنة ^(٢) ، فبعد وقوفه للدفاع عن مدرك بن المهلب
حين قدم خراسان من قبل اخيه ليدفعها للحركة ، وتمدت له
تميم ، فمنعه الازد ^(٣) . نجده يكتب الى يزيد بن المهلب ،
يحرشه على بنى امية مؤيدا خروجه كغيره ممن نفخوا فيه ،
واثبت فى اسفل الكتاب ابياحا منها :

ان امرءا حدثت ربعة حوله

والحى من يمن وهاب كنودا

لضعيف ماضيت جوانح صدره

ان لم يلف الى الجنود جنودا

ليزيد كن فى الحرب ان هيبتها

كابييك لارعشا ولارعديدا

شاورت اكرم من تناول ماجد

فرايت همك فى العموم بعيديا

- (١) نجدة خماش : الشام فى صدر الاسلام (من الفتح حتى سقوط
خلافة بنى امية ، دراسة للأوضاع الاجتماعية والادارية) ،
رسالة دكتوراه ، نسخة غير مطبوعة ، مقدمة لجامعة
دمشق ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، ص ١٢٧ .
- (٢) ثابت بن كعب بن جابر العتكي ، من الازد ، من شجعان
العرب واشرافهم فى العصر المروانى ، يكنى أبا العلاء
له شعر جيد ، جمعه ماجد بن أحمد السامرائى البغدادي
شهد الوقائع فى خراسان سنة ١٠٢هـ ، واصيبت عينه فجعل
عليها قطنة فعرف بها ، كان له وقائع مع الترك وظفر
بهم ، واستمر معهم حتى قتلوه . (الزركلى : الاعلام ،
٩٨/٢) .
- (٣) الهادي حموده الغزى : الشعر الاموى فى خراسان والبلاد
الايرانية ، رسالة ماجستير ، مطبوعة ، الدار التونسية
للنشر ، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع ، الكويت ،
١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، ص ١٦٨ .

يأليت أسرتك الذين تغيبوا
كانوا لأمرك في العراق شهودا
فترى مواطنهم إذا اختلف القنا
والمشرفية يوقدون وقودا
فلما وردت هذه الأبيات على يزيد هث لها ودعته نفسه
الى قتال بنى أمية ، وعزم على ذلك ^(١) .
ويلاحظ فيها التخفاف ربعة حوله ، وان يزيد استشاره
فاشار عليه بالحرب .
والأبيات وردت مجزأة في المراجع ، جمعنا منها ما فيه
الدلالة على ما ذهبنا اليه ، ويظهر أنها من قصيدة طويلة .
وراح غيره من الشعراء يعضدون أمره ، ويعدونه بالتمكن من
بنى أمية وإزالة ملكهم . فيشير يزيد بن الحكم الشقي الى
ذلك بقوله :

أبا خالد قد هجت حربا مريرة
وقد شمرت حرب عوان فشمير
فان بنى مروان قد زال ملكهم
فان كنت لم تشعر بذلك فاشعر
فمت ماجدا أو عش كريما فان تمت
وسيفك مشهور بكفكك تعذر
كما ذهب الكهان الى أنه سينقض دمشق حجرا حجرا ، والى
هذا اشار الفرزدق في قصيدته التي مدح بها مسلمة عندما
حارب يزيد بن المهلب ، فقال :

(١) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٢-٨٣ - الهادي الغزي :
الشعر الأموي في خراسان ، ص ١٦٩ - ابن أعثم : الفتوح ،
م ٢٤٨/٤ .

اتتك جنود الشام تخفق فوقها

لها خرق كالطير حين استقلت

تخبرك الكهان انك ناقض

(١)

دمشق التي كانت اذا الحرب حرت

وفى الخبر اشارة الى الضمام بعض ثقيف الى حركة ابن

المهلب ، مما يؤكد عدم حصر اسباب الحركة فى عداء شخصى

سببه تعذيب ابن المهلب لآل ابي عقيل من ثقيف ، او قيامها

على اساس العصبية القبلية ، اذا ما علمنا ان ثقيف تعد من قبائل قيس عيلان . كما ان فيه مايوحى بمدى القوة التي وصل

(٢)

اليها ابن المهلب ، والحالة التي حازتها حركته .

القباء على الحركة :

كان لخروج ابن المهلب فى البصرة واعلانه خلع الخليفة

يزيد بن عبد الملك صدى واسعا فى دمشق واخرا بليفا فى نفس

(٣)

الخليفة يزيد ، غير ان اخاه مسلمة بن عبد الملك ، كان يشد

(١) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٣ - مجهول : العيون ، ٦٨/٣ ، اورد البيت الاول متأخرا ، ومخالفا له فى صدره بقوله : اتتك جنود الشام تخطر بالقنا . كما اورد البيت الثانى ، وخالفه فى عجزه بقوله : دمشق التي قد كانت الجن جرت .

(٢) نادية حسنى مقر : الطائف فى العصر الجاهلى ومدر الاسلام ، رسالة دكتوراه مطبوعة ، دار الشروق ، جدة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص ٦١ (نقلا عن ابن قتيبة : المعارف ، ط ٢ ، ص ٤٧ ، ٤٨ . ذكرت ذلك على خلاف لمعرفة ذلك انظر كتب الانساب) .

(٣) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، الامير القائد الاموى ، يلقب بالجرادة المفراء ، وله فتوحات مشهورة ، اهمها مسيره على رأس مئة وعشرين الفا لغزو القسطنطينية فى دولة اخيه سليمان ، وولاه اخوه يزيد امرة العراقيين ، ثم ارمينية ، وغزا الترك سنة ١٠٩هـ قال الذهبي : كان اولى بالخلافة من سائر اخوته ، ومات بالشام (سنة ١٢٠هـ) . (الزركلى : الاعلام ، ٢٢٤/٧) .

من أزره ويهون الأمر عليه ، فقد دخل مسلمة على أخيه يزيد ،
حين خلعه ابن المهلب ، فرآه في ثوب مصبوغ ، فقال له :
أتلبس مثل هذا وانت ممن قيل فيهم :

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم

دون النساء ولو باتت باظهار

فقال يزيد : ذا ونحن نحارب اكفاءنا من قريش ، فاما
(١)
ان ينشق ناعق مزونى ، فلاولاكرامة . قال مسلمة : فشممت
(٢)
رائحة الفتح من هذه الكلمة . على كل وان كان في الرد
عنجهية ، الا انه يرمز الى الثقة في النفس ، وان خالطها
غرور لايحمد في مثل هذه المواقف .

على ان الخليفة يزيد بن عبد الملك ، اعطى الحركة
ماتستحقه من الاهتمام ، وهذا ما لمسناه في مواقفه منذ
بدايتها . فقد جهز جيشا كبيرا من مقاتلة الشام والجزيرة ،
(٣)
بلغ عدده ثمانين الفا ، وجعل قيادته لمسلمة بن

(١) المزون : عمان ، وهو اسم من اسمائها ، ومعناه ان اصل
ابن المهلب من ازد عمان وقال ابو عبيدة اراد بالمزون
الملاحين وكان ارد شير بن بابك جعل الازد ملاحين بسحر
عمان قبل الاسلام بستمائة سنة . (ياقوت : معجم ، ١٢٢/٥ ،
مجهول : العيون ، هامش ٦٨/٣) .

(٢) عواد الاعظمى : مسلمة ، ص ١٨٥، ٦٣ (نقلا عن / مجهول :
تاريخ الخلفاء ، ص ٣٨٢ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٩/٦ ،
الا انه بمراجعة كتاب الوفيات (نفس الطبعة) وجدناه
قد ذكر ان الذى قال البيت يزيد وان الذى رد عليه
مسلمة ، ولم يشر الى قوله : فشممت رائحة النصر ،
لكنى لم اتمكن من الاطلاع على تاريخ الخلفاء لمجهول) .

(٣) اختلفت المصادر في عدد الجيش الموجه الى ابن المهلب
وتلك ظاهرة اعتدنا عليها في مصادرنا الاسلامية ، عند
ذكر الاعداد ، ايا كان نوعها ، فقليل سبعون ، وقيل
خمسون ، وقدمنا ما ايده شعر الفرزدق ، اذ يقول :
اتتلك جنود الشام تخطر بالقنا

لها خرق كالطير لما استقلت
يقود نواصيها اليك مبارك

اذا ماتمدى للكتيبة ولت =

(١) عبد الملك ، وعلى مقدمته العباس بن الوليد ، وقيل جعله على
(٢)
جند دمشق خاصة . وأمرهما بالمسير الى ابن المهلب ، للقضاء
على حركته ، فبعث الخليفة يزيد بن عبد الملك العباس بن

من آل أبي العاصي حول لوائه

- = ثمانون ألفا كلها قد أطلت
(انظر / ابن الاثير : الكامل ، ١٦٩/٤ - ١٧٠ - مجهول :
العيون ، ٦٨/٣ - ابن اعثم : الفتح ، ٢٤٨/٤ م .)
(١) كان اختيار الخليفة لمسلمة قائدا لجيش الشام ،
اختيارا موفقا ، لما يملكه من قدرة قتالية ، وخبرة
عسكرية . ولعل هناك سببا آخر ، فقد عرف الخليفة ،
رغبة مسلمة في التخلص من ابن المهلب ، عندما أوفد
اليه مروان بن عبد الملك يشير عليه بقتل يزيد بن
المهلب . وقد يعزى ذلك الى اطلاق مسلمة على تصرفاته
التي حاسبه عليها الخليفة عمر ، من خلال ملازمته له
أثناء خلافته . انظر/ عواد الأعظمي : مسلمة ، ص ١٨٧-١٨٨
وهامش (٦) الذي أورد فيه أن الخليفة سليمان كتب الى
مسلمة وهو محاصرا القسطنطينية ، يطلب شخوصه اليه
ليوجهه الى خراسان لمحاسبة ابن المهلب وأخذ الأموال
منه . وأن كنا نستبعد خبر سليمان إذ ليس من المنطق
أن يقوم سليمان بنزع مسلمة من قيادة الحملة التي
أعطاهما اهتمامه وكلفت الدولة الكثير من الأموال من
أجل ذلك . كما أن ابن المهلب لم يضطر الخليفة
سليمان لمحاسبته ، فقد عرف بولائه له ، وكتب اليه
بالأموال وعزمه على إرسالها ، وهذا مادفع عمر الى
سجنه عندما أنكرها .
(٢) العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي ،
أمير من كبار القادة ، كان يقال له : "قارس بنى
مروان" . قاد الجيش مع عمه مسلمة بن عبد الملك الى
قتال يزيد بن المهلب ، وقد افتتح مدنا وحصونا كثيرة
من بلاد الروم ، فقد ولاه أبوه المغازي أكثر من مرة ،
واستعمله على حمص ، قال المرزبانى : كان يتهم في
دينه ، وقد سجنه مروان بن محمد في حران فمات سجيناً
(سنة ١٣١هـ) . (الزركلى : الأعلام ، ٢٦٨/٣) .
(٣) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٥٨٥/٦ - ابن كثير : البداية
ط ١ ، ٢٤٥/٩ - ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد والصفحة
وفى هذا الخبر رد على الراوى الذى أشار فى (ص ٢١٧ من
كتابه الموسوم العراق فى العصر الأموي نقلا عن الطبرى
نفس المصدر ، ١٥١/٨) أن حركة ابن المهلب شملت
الجزيرة . فكيف يسير مقاتلتها مع الشاميين اليه وهى
معه . وبرجوعنا (للتطبرى : نفس المصدر ، طبعة دار
سويدان ، لبنان ، ١٣٨٤هـ ، ٥٨٥/٦ ، ٥٨٨) لم نجد ذكرا
لذلك ، بل وجدنا مايدل على بقائها تحت سلطان بنى
أمية - عواد الأعظمي : نفس المرجع ، ص ١٨٧ .

(١)
الوليد على رأس أربعة آلاف فارس ، ليبادر الى الحيرة قبل
ابن المهلب ، ليكونوا محاذين لاهل الكوفة . ثم اقبل مسلمة
وجنود اهل الشام ، آخذاً على الجزيرة وعلى شاطئ الغرات ،
حتى نزل الانبار ، وقيل بل قدما الكوفة ونزلاً بالنخيلة .
(٢)
وقد يكون ذلك للراحة ، ثم المسير من هناك نحو العقرة .
(٣)
(٤)

وأراد الخليفة ان يقسم الجبهة العراقية ، ويفوت على
ابن المهلب محاربة الدولة باهل العراق جميعا ، فأرسل رجالا

- (١) وقيل بل سار في عشرين ألف فارس ، واقبل مسلمة في
ثلاثين . انظر : ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٤٨/٤ . والاولى
القول الاول . فغالبا ماتكون المقدمة ، وهي من
الفرسان ، قليلة العدد خصوصا اذا كانت موجهة الى
المسارعة الى شيء .
- (٢) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٨٥/٦ - ابن اعثم : نفس
المصدر والجزء والمفحة - اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي
٣١٠/٢ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٥/٩ - الياقعي
مرآة ، ٢٤١/١ .
- (٣) النخيلة : موضع قرب الكوفة على سمت الشام . (ياقوت :
معجم ، ٢٧٨/٥) .
- (٤) عواد الاعظمي : مسلمة ، ص ١٨٩ - ابن الاثير : الكامل ،
١٦٩-١٧٠ (وفيه تفصيل اكثر) - ابن خلدون : العبر ،
٧٨/٣ (والظاهر ان لاختلاف بين القول بنزول مسلمة
النخيلة او الانبار ، فيبدو انه نزل النخيلة في قدومه
من الشام ثم سار منها الى الانبار عندما سمع بنزول
ابن المهلب العقرة ، ومن الانبار عقد جسرا ونزل على
يزيد بن المهلب بالعقر . (انظر بعد : ص ١٨٧) .
- كما يبدو لنا ان مسلمة قد قضى على ثورة شوذب الخارجي
بعد نزوله النخيلة من أرض الكوفة ، وقبل توجهه الى
ابن المهلب ، حتى لا يترك عدوا قد يطعنه في الظهر ،
ويضيع عليه النصر ، اذ تشير المصادر الى أن اهل
الكوفة شكوا الى مسلمة ما لقيوه من الخوارج . فبعث
اليهم الحرشي فقص عليهم ، وكون مسلمة قد نزل الحيرة
بعد قضائه على ثورة ابن المهلب ولم يرجع الى الكوفة
فان في ذلك ما يؤيد ما ذهبنا اليه . انظر / الطبري : نفس
المصدر والجزء ، ص ٥٧٧ - ابن الاثير : نفس المصدر
والجزء ، ص ١٦٧ - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة
والجزء ، ص ٢٤٤ (وقد جعل القضاء على شوذب سنة ١٠١هـ
وهذا يعتمد قولنا ، اذ ان القضاء على ابن المهلب تم
سنة ١٠٢هـ) .

(١)
 من أهل الشام منهم القطامي بن الحمين ، الى الكوفة ،
 يسكنون اهلها ، ويثنون عليهم بطاعتهم ، ويفرقون عليهم
 شيئا من المال ، ويمننونهم الزيادة^(٢) . وان كان مافعله
 الخليفة تجاه اهل الكوفة واجراءات اميرها التي ستحدث
 عنها فيما بعد لم تمنع بعض الكوفيين من الانضمام الى ابن
 المهلب ومساندة حركته . الا انه فيما يبدو ان ابن المهلب
 قد ضيع من يده فرصة ضم الكوفة اليه ، فلم يسارع بعد ظهوره
 على البصرة الى الاستيلاء عليها ، مع علمه بموقف الكوفة
 التاريخي من حكومة الشام الاموية ، وضعف اميرها ، الذي عجز
 عن الامساك به وهو هارب في اقل من مئة رجل . ونتساءل لماذا
 اهمل شأن الكوفة خصوصا اذا علمنا بان اخاه حبيب قد اشار

(١) قال الطبري : وهو أبو الشرقى واسم الشرقى الوليد .
 تاريخ الامم ، ٥٨٥/٦ . وقد ترجم له الزركلي بقوله :
 الوليد (المعروف بشرقى) بن حمين (الملقب بالقطامي)
 ابن حبيب بن جمال ، عالم بالادب والنسب ، من أهل
 الكوفة ، استقدمه المنصور ليعلم ولده المهدي الادب ،
 وكان صاحب سمر (ت نحو ١٥٥هـ) . انظر : الاعلام ، ١٢٠/٨
 وعلى هذا يكون غير القطامي الشاعر عمير بن شييم .
 انظر ترجمة هذا بعد : الفصل السادس ، المبحث الثاني
 ص ٧١٦ .

وكان قد ذكر ان القطامي كان مع ابن المهلب عقب
 انتمائه على أمير البصرة عدي بن أرطاة (انظر قبل :
 هامش ٤ ، ص ١٥٨) ، وحيث ان القصيدة التي وردت على
 لسان القطامي في المصدريين واحدة ، فالقائل واحد ،
 فهل يكون القطامي ترك ابن المهلب وخرج الى الشام ،
 فبعثه الخليفة الى أهل الكوفة ، او يكون ذلك لبس
 حمل على ابن اعثم ، اذ ان القصيدة صالحة ان يقال لاحد
 اليزيديين ، وهي الى الخليفة أقرب والمصدر الاسبق هو
 الطبري ، الذي اشار الى انها في الخليفة ، وان
 القطامي فيمن بعثه الخليفة الى الكوفة لتسكين اهلها
 اذ كيف ينال رجل لابن المهلب ثقة الخليفة ، وان ترك
 صاحبه .

(٢) الطبري : نفس المصدر والجزء والمفحة - مجهول :
 العيون ، ٦٧/٣ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٩/٤ - ابن
 خلدون : العبر ، ٧٧/٣-٧٨ (ولم يذكر القطامي) .

(٣) انظر قبل : ص ١٣٩ .

(١)
عليه بذلك بعد غلبته على البصرة ، فلم يطمعه . وليس لنا أن
نقول أن ذلك كان لخوفه أن لا يكون رأى أهلها معه ، فقد
ثبت انضمام أناس من أهلها اليه ، وأن رأى بعض زعمائها معه
وهذا ما نلمسه من مشورة أخيه حبيب وانضمام أرباعها اليه
بعد خروجه لحرب مسلمة . وعلى كل فقد سهل ذلك من مهمة جيش
الشام ، وأضعف من قوة ابن المهلب وهون من شأنه .

وعندما بلغ يزيد بن المهلب خروج جيش الشام اليه ،
استخلف على البصرة مروان بن المهلب ، ثم خرج بأصحابه
قاصدا الكوفة حتى نزل بنهر معقل ومعه الأموال والآلة والسلاح
فعمسك هناك . وقد استشار يزيد أصحابه حين توجه نحو واسط ،
بعد خروجه من البصرة ، فأشار عليه حبيب بن المهلب أن يأتي
فارس فيتحمّن بها ، فيدنوا من خراسان ، فإن حقق ما يريد والا
أتى خراسان ، فأبى ذلك ، فأشار حبيب وكان قد دعاه بعد
ظهوره على البصرة أن يأخذ الكوفة ، فما أطاعه ، أن يبعث
خيلا تبادر إلى الجزيرة ، ثم يلحق بهم ، فإن أهل الشام لن

-
- (١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٨٨/٦ .
(٢) الطبري : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن أعثم :
الفتوح ، ٢٤٩/٤م - مجهول : العيون ، ٦٩/٣ - اليعقوبي
تاريخ اليعقوبي ، ٣١٠/٢م - ابن كثير : البداية ، ط ١
٢٤٥/٩ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٠١/٦ (خالف ذلك ، وقال
استخلف على البصرة ولده معاوية بن يزيد ، وهذا لبس
وقع فيه ، فاستخلافه لابنه معاوية كان على واسط وليس
البصرة ، وهذا ماسياتى ذكره في الصفحات التالية) .
(٣) ابن أعثم : نفس المصدر والمجلد والصفحة - مجهول :
نفس المصدر والجزء والصفحة - اليعقوبي : نفس المصدر
والمجلد والصفحة - المسعودي : مروج ، ٢١١-٢١٠/٣ -
المسعودي : التنبيه ، ص ٢٧٧-٢٧٨ .
(٤) واسط : عدة مواضع ، والمقصود هنا مدينة واسط التي
بناها الحجاج ، وقد سميت بذلك لتوسطها بين البصرة
والكوفة والمدائن والأهواز ، وقد بناها الحجاج زمن
عبد الملك بن مروان ، بين سنتي ٨٤-٨٦ ، سماها واسطا
(ياقوت : معجم ، ٣٤٧/٥-٣٤٨) .

يسيروا اليه ويتركوا جنده فى الجزيرة وراءهم ، فيقيمون عليهم ، فيأتيهم يزيد ، الذى سيأتيه من بالموصل من قومه ويجتمع اليه اهل العراق والشفور ، فيقاتلهم وقد جعل العراق وراء ظهره ، لكنه كره ان يقطع جيشه^(١) . فاشار عليه اخوه محمد ان يقاتل باهل البصرة ، لكن حبيب نصحه بعدم الركون اليهم ، وانهم غير مقاتلين معه ، ثم نصحه بالخروج الى الموصل ليدعو عشيرته التى بها ، فرأى ذلك قربا من العدو ، الذى سيقاقله فى بلاده ، واخيرا ارتأى يزيد لنفسه ان يأتى واسطا ، ثم يقترب من الكوفة ، فيرتاد مكانا صالحا للمعركة ، راجيا بذلك ان ينضم اليه من اهل الكوفة مثل من^(٢) معه .

لم يكن ابن المهلب مخطئا عندما رفض اللجوء لفارس ، اذ لن يحقق ذلك اغراضه ومراميه الكبيرة ، فهو ليس ثائرا عاديا يطمع فى قليل من المال او السلطان ، او النجاة بنفسه . كما ان حربه باهل البصرة لايكفى لمواجهة جيش قوى ، خصوصا اذا علمنا انقسام اهلها على طاعته وان سكتوا عن

(١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٨٨/٦ - ٥٨٩ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٠/٤ - ١٧١ (واورد اسم حبيب محرفا ب "خبیب") مجهول : العيون ، ٦٩/٣ - ابن اعثم : الفتح ، م ٢٤٨/٤ - ٢٤٩ (الا انه اشار الى ان هذه الاستشارة حدثت قبل خروجه من البصرة وسماعه بخروج مسلمة اليه) . والحقيقة وان كان قد خالف الاجماع ، الا ان مشورة اخوانه تدل على عدم علمهم بخروج جيش الشام . وان حذر ابن المهلب كان من واقع الدراية والخبرة ، وان اهل الشام لم يتركوه حتى ذلك الوقت ، فخشى المفامرة ، وكان حذره فى مكانه .

(٢) مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٥/٩ (لكنه ذكر ان هذه المشورة كانت بعد نزوله واسط ، وانه اشير عليه بالاهواز ، او الجزيرة) .

حركته . ويبدو أن ابن المهلب قد رأى أن الوقت قد فات على الوصول إلى الجزيرة أو الموصل ، وأن قسم جيشه مغامرة ، قد تكون لصالح جيش الشام الذي قد اقترب من العراق ، بل وعجل بمقدمته إلى الحيرة لقطع الطريق على ابن المهلب من الوصول إلى الكوفة فكيف بغيرها .

نزول ابن المهلب مدينة واسط :

لذا سار يزيد بمن معه حتى نزل واسطاً ،^(١) وقد قدم في عشرين ألفاً ، وكان قد احتمل معه عدى بن أرطاة ومن حبه معه ، فسجنهم بها . وفي هذه الأثناء كان مروان بن المهلب يبحث الناس في البصرة على حرب أهل الشام ، ويسرحهم إلى يزيد ، وكان الحسن البصري يرددهم عن ذلك ، درءاً للفتنة ، ولئلا يتكرر ما حدث من قتال طويل أيام ابن الأشعث ، أزهق فيه كثير من النفوس ، فلما بلغ ذلك مروان ، تهدد الحسن في خطبته ، فغضب له أهل البصرة ، وعزموا على منعه أن يراده مروان بموء قاضي عليهم الحسن ، واشتد مروان عليهم ، وأخذ أناساً منهم ، ثم خلاهم ، وفرقهم . إلا أن الحسن لم يدع كلامه وكف عنه مروان .^(٢) ولعل ذلك عندما أحس التحاف أهل القطر

-
- (١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٨٩/٦ - ابن الأثير : الكامل ، ١٧١-١٧٠/٤ - ابن أعثم : الفتح ، م ٢٥٠/٤ - ابن كثير البداية ، ط ١ ، ٢٤٥/٩ - ابن خلدون : العبر ، ٧٨/٣ .
 (٢) مجهول : العيون ، ٦٩/٣ .
 (٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣١٠/٢ - مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة .
 (٤) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٩٣-٥٩٤ - ابن الأثير نفس المصدر والجزء ، ص ١٧٢-١٧٣ - ابن أعثم : نفس المصدر والمجلد والصفحة - مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٤٦ - ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والصفحة .

حوله ، وغضبهم له .

أما يزيد فإنه لما بلغه اقبال مسلمة والعباس في جند الشام والجزيرة ، استقدم أخاه محمداً من فارس فقدم عليه ^(١) ، ولعل في انضمام جيش الجزيرة الى جند الشام ما يفسر اختلاف بعض المصادر حول عدد جيش الدولة ، فلعل بعضها ذكر عدد الجيش الشامي قبل انضمام جند الجزيرة والاخرى ذكرت العدد بعد انضمامه ، ثم اخذ يزيد يعد جيشه معلوياً ويستشير فيهم النزعات التي دفعت كثيراً منهم الى قتال اهل الشام ، فخطب فيهم في واسط ، وقال : "يا اهل العراق يا اهل السبق والسباق ومحاسن الاخلاق ، ان اهل الشام في افواههم لقمة دسمة قد رتبت لها الاثداق وقاموا لها على ساق وهم غير تاركيها لكم بالمرء والجدال ، فالبسوا لهم جلود النمر" ^(٢) . اننا لن نجد عناء في فهم ما يرمى اليه ابن المهلب ، الا وهو استجاشة كره العراقيين وحسدهم للشاميين على السلطة التي تمتعوا بها والثروات التي ادرتها عليهم ، بتمييزهم على من سواهم ، باعتبارهم جند الدولة المخلصين ويد سلطانها ، بل ان في الخطبة ما يبين اهداف الحركة الحقيقية ، والنزعة الاقليمية التي وراءها .

وهي في حقيقة الامر تدل على ذكاء ابن المهلب حين شخص السداء ووصف له الدواء ، فكان مداها كبيراً باندفاع الناس اليه على مختلف مشاربهم ، وهي محاولة من القبائل اليمنية للمحافظة على سيطرتها في المنطقة التي تمت بجهود آل

(١) مجهول : العميون ، ٦٩/٣ .

(٢) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٩ - شابت الراوى : الراوى ، ص ٢١٧-٢١٨ .

المهلب ، بعد ان لاحظت بوادر ذهابها لصالح القيسية على يد زعيمها المتطرف يزيد بن عبد الملك .^(١)

الا اننا نقف ضد تفسير الاحداث على اساس التعصب القبلي فان كان يزيد قد اعتمد على الازد وحليفاتها ربعة ، الا ان حركته شملت سائر القبائل بمشاربها المختلفة ، ولعل هذه الخطبة تؤيد مذهبنا اليه ، ويرد على تفسير ناجي حسن لها فهو ينادى اهل العراق يمنيهم ومغريهم ، باسم الاقليمية والدوافع المادية ، كما ان الخليفة يزيد بن عبد الملك حتى ذلك الحين لم يخبين اتجاهه وموقفه من العممية القبلية .

اختيار العقير ارضا للمعركة ونزوله فيه :

وفى فترة اقامة ابن المهلب فى واسط ، وجه اخوته يختارون له مكانا للمعركة ، فاختاروا العقير .^(٢)

- (١) ناجي حسن : القبائل ، ص ١٥٤ .
(٢) العقير : عدة مواقع منها عقير بابل قرب كربلاء من الكوفة ، قتل عنده يزيد بن المهلب فى (سنة ١٠٢هـ) وكان خلع طاعة بنى مروان ، ودعا الى نفسه ، فندب له يزيد اخاه مسلمة ، فوافقه بالعقير من ارض بابل ، فاسفرت الحرب عن قتل ابن المهلب . (ياقوت : معجم ، ١٣٦/٤) . وعنه نضيف : ومنها العقير القرية بين تكريت والموصل ، او العقير القرية الواقعة على طريق بغداد الى الدسكرة ، او العقير القلعة الحصينة فى جبال الموصل ، او عقير السدن من قرى الشرطة بين واسط والبصرة . وهذا التعدد للاماكن المسماة بهذا الاسم ، هو ما اوقع بعض المؤرخين فى خطأ تحديد الموقع ، خصوصا انها مختلفة المناطق وجعلها فى ارض العراق ، مما ادى الى اللبس على غير المدقق . وقد ذكر المؤرخ المجهول فى كتابه العيون (٧٠/٣) : ان العقير من ارض سورا بين المدائن والكوفة . وحيث ان سورا : موقع بالعراق من ارض بابل وهى مدينة المريانين ، قريبة من الوقف والحلة المزيديية . (انظر / ياقوت : معجم ، ٢٧٨/٣) . وقد نقل فتحى عثمان من نولده : انها معقل قرب بابل القديمة . (انظر : الحدود الاسلامية البيزنطية ، ص ١٠٩) . فاننا نرجح انها من بابل ، اذ لاخلاف بين المصادر : فالعقير من ارض سورا ، وسورا من بابل ، وهى من الكوفة ، واقعة بين المدائن والكوفة .

وفى ذلك يقول الفرزدق :

هلا زجرت الطير ان كنت زاجرا

(١)
غداة نزلت العقير انك تعقر

(٢)
وكان قد اقام فى واسط اياما يسيرة حتى تكامل عسكره .

فلما عزم على الخروج منها للقاء مسلمة والعباس ، استخلف ابنه معاوية وترك عنده بيت المال والاسرى الذين اخذهم بالبصرة فى حربه مع عدى بن اوطاة . ثم خرج بجيشه مطلع سنة ١٠٢هـ ، وقدم بين يديه اخوه عبد الملك ، ثم سار حتى مر بفسم النيل ، ومنه سار حتى نزل العقير من ارض بابل ، وعزم على محاربة القوم . والظاهر ان يزيد لم يرد ان يترك العراق امام جند الشام الذين تقدموا نحوها ، واراد ان يسبقهم الى الكوفة قدر الامكان ، الا ان قوات الدولة كانت قد سبقته فتوقف فى آخر سنة ١٠١هـ عند عقير التي تواجه فارط قرب بابل القديمة . (٤)

-
- (١) مجهول : العيون ، ٧٠/٣ .
(٢) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٨٩/٦ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٥٠/٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧١/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٥/٩ .
(٣) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٩ (وقد ذكر انه كان قاصدا الكوفة فوجد اهل الشام سبقوه اليها فنزل للعقر عند كربلاء) . (نقلا عن الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٩٠/٦-٥٩١ - مجهول : العيون ، ٦٦/٣) - ابن اعثم : نفس المصدر والجزء والمفحة - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء والمفحة .
وهو الوحيد الذى ارخ لمسيره .
(٤) فتحى عثمان : الحدود ، ص ١٠٩-١١٠ (خالف ابن كثير فى تاريخه لمسير ابن المهلب الى العقير ونزوله فيها ، ونحن نرجع قول ابن كثير ، اذ ان اقامة مسلمة ويزيد فى العقير قبل المعركة ، ثمانية ايام فقط ، اى ان مسلمة وصل العقير قبل المعركة التى حدثت ١٣ مفر او ١٥ مفر على خلاف بثمانية ايام . اى فى خامس مفر او سابعه وحيث انه لم يسر اليها ، الا بعد علمه بنزول ابن المهلب فيها ، وكان فى النخيلة من ارض الكوفة =

ونجد أن فتحى عثمان ، ونافع العبود ، ذهبا الى ان ابن المهلب خرج من واسط قاصدا الكوفة محاولا ان يسبق اهل الشام اليها ، فلما وجدهم سبقوه اليها ، نزل العقير ،^(١) ويبدو لنا انه غاب عنهما تلك النصوص التى اشرنا اليها قبل^(١) والتى توقع ان ابن المهلب قد وضع خطة مسيره من قبل دخول واسط ، وانه عزم ان يعسكر قرب الكوفة ، عسى ان ينضم اليه بعض اهلها ، وانه بعث من واسط من يختار له ارضا سالحة للمعركة ، فوقع الاختيار على ارض العقير ، وهذا يبطل ماذهب اليه ، فقد كان نزوله العقير اختيارا لا اضطرارا . نعم لقد حاول يزيد بعد نزوله العقير ضم الكوفة اليه فلم يوفق ، وهذا ما سنطالع فى الصفحات التالية .

وقعة سورا :

وبعد ان نزل ابن المهلب العقير ، حاول الاستيلاء على الكوفة ، فوجه اخاه عبد الملك اليها ، فاستقبلهم العباس ابن الوليد عند "سورا" ليمدهم عن الكوفة ، وكان فى اربعة آلاف سوى من انضم اليه من اهل البصرة وعلى راسهم هريم بن ابي طحمة ، وقد اضطرهم اصحاب عبد الملك الى نهر ، فاستنجدوا باهل الشام وسالوهم الا يسلموهم ، فكر الشاميون ، وهزم اصحاب ابن المهلب ، حتى انتهى بهم عبد الملك الى اخيه فى

= والمسافة ليست بالبعيدة ، فهذا يرجح ان يزيد نزل العقير فى المحرم من سنة ١٠٢هـ (عن اقامة الفريقين قبل المعركة فى العقير ، انظر / الطبرى : تاريخ الامم ٥٩٧-٥٩٥/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٣/٤-١٧٤) .
(١) انظر قبل : ص ١٧٧-١٧٨، ١٨١ .

(١) العقير . وان كانت معركة سورا وقعة جانبية ، الا ان خسارتها تعنى هياغ المحاولة الاولى لابن المهلب في الوصول الى الكوفة ، بينما أدت الى ارتفاع الروح المعنوية لجيش الدولة ، والشك في قدرة جيش ابن المهلب القتالية .

ثم عقد ابن المهلب لعبد الله بن حيان العبدى على أربعة آلاف وهم اليه فليل بن هناد وسالم المنتوف في خيل فعبروا الى جانب المراة الاقصى ، فعسكر في جمعه وخندق عليه فقطع اليهم مسلمة الماء وسعيد بن عمرو الحرشى ، وقيل بل عبر اليهم الوضاح ، فكانوا بازائهم . (٣) الا ان المؤرخ المجهول قال : ان مسلمة وجه اليهم الحرشى ، فاحتلوا وقتل عبد الله بن حيان ، وكان لاهل الشام كمين خرج عند جولة العراقيين فانهزموا ، حتى اتوا يزيد بن المهلب في العقير وهكذا كانت المناوشات الاولى في صالح الشاميين ، وعلى اثرها تبدد اهل ابن المهلب في الوصول الى الكوفة ، واتضح

(١) عواد الاعظمى : مسلمة ، ص ١٩٠ (وقد ذكر مخطئاً ان العباس ابن عم مسلمة ، والصحيح انه ابن اخيه الوليد) مجهول : العيون ، ٧٠/٣ - ٧١ (الا انه ذكر ان يزيد وجه اخاه محمدا وابنه الممارك ، وليس عبد الملك ، وذلك حين اقترب منه اهل الشام ، ولم يقل نحو الكوفة ، ووافق الاعظمى وابن الاثير في كون اللقاء حدث بسورا ، واحداً) - ابن الاثير : الكامل ، ١٧١/٤ .

(٢) اعتبر ابن كثير ان معركة سورا لقاء بين مقدمتي الجيشين ، على اثره تم اللقاء الحاسم ، لكن الواضح انها معركة مستقلة حيث ان جيش ابن المهلب قد استقر في العقير ، وماكان رجاله الذين خاضوا معركة سورا ، الا في حملة ذات هدف محدد وهو الاستيلاء على الكوفة ، فمضت ، وانتهى الامر ، وتمت المعركة الفاصلة في العقير بعيداً عنها بعد ذلك . (انظر : البداية ، ط ١ ، ٢٤٥/٩ - ٢٤٧) .

(٣) الطبرى : تاريخ الامم ، ١٩١/٦ - مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٧١ .

(٤) نفس المصدر والجزء والصفحة .

ضعف قوته .

ولكن اهل الكوفة التي لم يستطع ابن المهلب الوصول الى مدينتهم ، استطاعوا الوصول اليه ، فقد اجتمع اليه كثير من الكوفيين وبعض زعمائهم ، وانضم اليه ناس من الثفور ، فبعث على ارباع اهل الكوفة الذين خرجوا اليه رجالا ، اذ جعل على ربع اهل المدينة عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي ، وبعث على ربع مذحج واسد النعمان ابن ابراهيم بن الاشتر النخعي ، وبعث على ربع كندة وربيعه محمد بن اسحق بن محمد بن الاشعث ، وبعث على ربع تميم وهمدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التميمي ، وجمعهم جميعا مع المغفل بن المهلب ^(١) . وهذا يرد على من قال بعدم خروج اهل الكوفة لمساعدة ابن المهلب ، وذلك لاختفاء الاثر الشيعي ^(٢) . مع ان للرد عليه جانبا آخر ، وهو ان الكوفيين على راس العراقيين الذين قالوا ماحركتهم الخزعة الاقليمية ضد الشاميين ، والكراهية للأمويين ، مع الأخذ في الاعتبار بالتأثيرات المادية والمطامح الشخصية والثارات القديمة ، وتلك كفيلة بانضمام اهل الكوفة اليه او بعضهم ، كما اننا قد رأينا من قال بدعوة ابن المهلب في حركته للرفى من بنى هاشم ^(٣) ، وان كنا قد استبعدنا مثل هذه المقولة . وقد يكون

(١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٩١/٦ - ٥٩٢ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٢/٤ - ابن خلدون : المعبر ، ٧٨/٣ (الا أنه لم يشر الى ضمهم الى المغفل . واحداث المعركة حسنة القول الاول) .

(٢) ثابت الراوى : العراق ، ص ٢١٨ (ولنا ان نقول : ان شيعة الكوفة ، قد ماندوا ابن الاشعث ، ولم يكن في حركته الاثر الشيعي) ، عن حركته وموقف الكوفة منه (انظر : الطبري : نفس المصدر ، ٢٢٤/٦ وما بعدها) .

(٣) انظر قبل : ص ١٦٥ .

هذا التسلسل الكوفي الى ابن المهلب في العقر مادعا امير الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن ، ان يفع على الكوفة مناظر وأرصاد لتحبس اهل الكوفة عن الخروج الى يزيد بن المهلب ، بل وعسكر بالنخيلة . كما أغرق الأرض بالمياه بين الكوفة وابن المهلب ، لئلا يعمل اليها . أما ابن المهلب فقد استمر توافد الناس اليه فانضم اليه عامر بن العميثل الأزدي في جمع وبايعة . ولقد أحصى ديوان ابن المهلب مائة وعشرين ألفا ، إلا أن ابن المهلب كان يرى أن أكثرهم ليسوا من اهل القتال ، فكان يتمنى أن يكون معه بدلا منهم قومه الذين بخراسان . وهذا ما لم يأت من اقوال الحسن البصري في البصرة فانه عندما لم ير من يعرفهم فيمن انضم الى ابن المهلب من اهل السيادة والشرف ، قال هؤلاء ، والله الغشاء . كما اتضح ذلك من نتائج المناوشات

- (١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٩٢/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٢/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٧٨/٣ - مجهول : العيون ، ٧٠/٣ ، لكنه لم يذكر المناظر والأرصاد .
- (٢) الطبري : نفس المصدر والجزء والصفحة .
- (٣) عواد الأعظمي : مسلمة ، ص ١٩١ . وقد همش معلقا على مادار من محاوراة حول رأي ابن المهلب في جيشه مع بعض رجاله ، بانها تعطى انطبعا بما يمود جيش ابن المهلب من تخوف وتردد وضعف الروح القتالية ، والخوف من فشل الحركة كما فشل ابن الاشعث - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٦/٩ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٥٠/٤ - ٢٥١ . مخالف العدد قال : دنت عساكر الشام في خمسين ألف ، ويزيد يومئذ عن عشرين ألفا . ونحن لانظمن لمن قال ان جيشه بلغ (١٢٠ ألف) ، لكننا ايضا لانوافق ابن اعثم على العدد الذي اشار اليه ، فقد ذكر المؤرخ المجهول : أن ابن المهلب قدم واسطا في عشرين ألفا . انظر : نفس المصدر ، ٦٩/٣ وقد ثبت لنا انضمام كثير من اهل الكوفة اليه ، وأناس من اهل الثفور ، وبعض الأزد ، وغيرهم ، وذلك بعد نزوله العقر ، الى جانب من سار معه من واسط ، وهذا يعني أن العدد قد زاد عن العشرين ألف بكثير ، لكنه بالتأكيد لم يبلغ ١٢٠ ألفا .
- (٤) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٨٧ .

الأولية ، وهذا ماسيؤكدده انفضاضهم السريع وتخاذلهم عن ابن
المهلب في العقبر . وبلغ مسلمة بن عبد الملك نزول ابن
المهلب العقبر ، فاقبل يسير على شاطئ الفرات حتى نزل
الأنبار ، فعقد جسرا على الفرات ، فعبر من قبل قرية فارط ،
بجيش الدولة وقد خلف الاثقال ، فاقبل حتى نزل على يزيد .
وعلم بذلك العباس ، فاقبل من الحيرة حتى نزل على مسلمة ،
الذي خندق عليه خندقين ، وجعل على الخندق حائط وضع عليه
رجال من رماة النبل .

وخشى ابن المهلب ان يمل الشاميون بخندقهم الى خندقه
ورأى ان يببئتهم ، اى ان يفاجئهم بالمعجوم ليلا ، وذلك
بمشورة بعض آله ، الا ان من كان معه من الفراء ، قالوا :
لايحل لنا ذلك حتى ندعوه .

- (١) الأنبار : عدة مواضع - المقصود منها هنا - مدينة على
الفرات في غربى بغداد بينهما عشرة فراسخ ، فتحت على
يد خالد بن الوليد (سنة ١٢هـ) في زمن الخليفة أبى بكر
الصديق ، عمرها سابور بن هرمز ، ثم جدها أبو العباس
السفاح . (ياقوت : معجم ، ٢٥٧/١ - ٢٥٨) .
- (٢) عواد الأعظمى : مسلمة ، ص ١٨٩ . وقد أورد في العمام
تعليق فلها وزن على طريق مسلمة بقوله : ولما كانت
الأنبار على الضفة الشرقية ، فلا بد ان يكون مسلمة قد
سار أولا من هناك من عند بلدة "القاراط" الى الغرب ،
ثم قفل راجعا الى الضفة الشرقية ، كما فعل قحطبة بن
شبيب الطائى (نقلا عن : فلها وزن : تاريخ الدولة
العربية ، ٣٠٧/١) - فتحى عثمان : الحدود الاسلامية
البيزنطية ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ص ١٠٩-١١٠
ابن الاثير : الكامل ، ١٧١/٤ - ١٧٢ - ابن اعثم : الفتوح
م ٢٥٠/٤ - مجهول : العيون ، ٧١/٣ - ابن خلدون : العبر
٧٨/٣ (وحرف كلمة الأنبار الى "الأنهار") .
- (٣) ابن اعثم : نفس المصدر والجزء والصفحة .
- (٤) مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة .
- (٥) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٩٨ .
- (٦) مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة .

ثم دعا يزيد برؤوس اصحابه ، وبين لهم رايه في ان يبعث مع محمد بن المهلب اثني عشر الف رجل ، يبيتوا مسلمة وجيشه ، فيدفنون خندقهم ، ويقاتلوهم بقية ليلتهم ، بينما يزيد يمدد بالرجال ، فاذا اصبح نهض اليهم بالناس ، فيناجزهم ، راجيا ان يكون في ذلك النصر . فقال السميدع : قد دعوناهم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد زعموا قبوله ، فليس لنا ان نمكر ولانفدر ، ولا نريدهم بسوء ، حتى يردوا علينا مازعموا قبوله منا . فايده ابو روبة المرجئي ، وحذرهم يزيد بان ذلك دهاء من مسلمة حتى يمكر بهم ، فابوه . وقد امد عبد الحميد بن عبد الرحمن امير الكوفة مسلمة ببعث من اهل الكوفة عليهم سيف بن هاني ، الحميداني ، فاثني عليهم لطاعتهم ، الا انه استقلهم ، فبعث اليه عبد الحميد ببعث اكبر عليهم سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف الازدي ، فهم اليه مسلمة من كان عنده من اهل الكوفة ، لطاعة اهل بيته وولائهم للبيت الاموي ، ونلاحظ هنا ان قيادة البعثين من الكوفة يمنية ، مما يؤكد ان العمبية لم تكن المحرك الوحيد لمن انضم الى ابن المهلب ، او خالفه .

وفيما يبدو ان عدم سيطرة عبد الحميد بن عبد الرحمن على الكوفة ، بعجزه عن منع اهلها من الانضمام الى حركة

(١) عواد الاظمي : مسلمة ، ص ١٩٣ (وقد خلق على ذلك ان موقف الوريثين زاد من ضعف جيش ابن المهلب ، وتصدع وحدته) - ابن امهم : الفتوح ، م ٢٥١/٤ (وقد اورد عدد الجند المقترح للخطة ثمانية آلاف) - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٢/٤ .

(٢) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٩٢/٦ - مجهول : العيون ، ٧٠/٣ (وقد ذكر امداده ببعث بدون ذكر اسم اميره) - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة (لم يشر الى بعث الحميداني) - ابن خلدون : العبر ، ٧٨/٣ (اشار فقط الى بعث سبرة ، وحرفه بمبرة) .

ابن المهلب ، كما عجز من قبل من القبض على ابن المهلب نفسه عندما مر بالقرب من الكوفة ، وتسيير عدد لا يتناسب مع عدد الكوفيين الى مسلمة ، قد دعا مسلمة الى عزله وتولية محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة ، ذو الشامة ، اميرا على الكوفة .^(٢)

اما الفريقان في العقر فقد اقاما ثلاثة ايام ليس بينهم حرب ، ومسلمة بن عبد الملك يدعو ابن المهلب الى حقن الدماء ، والرجوع عما هو عليه ، عل ان يوليه واخوته اي بلد شاءوا ، ويزيد يابى ذلك . بل ان مسلمة سعى من ناحية اخرى ان يثير البلبل والشك في صفوف خصمه ، بابطال بعض ما ادعاه ، فقد كتب مسلمة اليه : " انك والله ما انت بماحب هذا الامر ، ماحب هذا الامر مغمور موتور ، وانت مشهور غير موتور " . فقال له رجل من الازد قدم ابناك مخلد حتى يقتل فتصير موتورا .^(٣)

والظاهر انه يعنى ادماء انه القحطاني المنتظر ، هذا اذا مامح هذا النمر ، الذي اذا ماشيت ، سيمدق تلك المقولة التي شككنا فيها ، وان كنا لم نستبعد تفشيها بين الناس ، من قومه قحطان . لكن النمر ذاته يحمل معلومة تشكك في صحته

-
- (١) ذو الشامة : لم اعثر على ترجمته .
 (٢) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٩٣/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٢/٤ - ابن خلدون : المعبر ، ٧٨/٣ (قال : ابن عمر) .
 (٣) وردت عند الطبرى ثمانية ايام . (انظر : نفس المصدر ، ٥٩٥/٣) .
 (٤) ابن اعثم : الفتوح ، ٢٥١/٤ .
 (٥) الموتور : الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه ، وفي قول محمد بن مسلمة : انا الموتور الخائر ، اي ماحب الوتر الطالب بالشار . انظر : اللسان (وتر) .
 (٦) الجاحظ : البيان والتبيين ، ط ٤ ، ٢٤٠/١ .

اذ ان مخلدا كان قد توفي زمن عمر بن عبد العزيز ، بعد ما وفد عليه في اعقاب سجنه لابيهِ^(١) . وان كان ذلك لا يبطل الخبر فيمكن ان يكون قد قيل بتقديم احد بنيهِ غير مخلد ، فذكر المؤرخ خطأ اسم مخلد لشهرته . وان كنا نحسب ان كيف يستطيع ابن المطلب ان لا يكون مشهورا ، اذا قدر ان يكون موتورا .

ومع ذلك فان هذا النص في حال صحته ، يكون تأكيداً من مسلمة على يمنية ابن المطلب ، ونفيًا للتهمة القائلة بفارسيته^(٢) . حيث ان بني أمية احرص الناس على استغلال ذلك لو كان معروفا . ومسلمة مع كل هذا واثق من النص ، يقول : ليت هذا المزوني لا يكلفنا اتباعه في هذا البرد^(٣) .

اما ابن المطلب الذي اضطرب عسكره عندما سمع بقدوم مسلمة والعباس في جيشهما الفخم من اهل الشام ، خصوما عندما شارفاه ، ونزلا عليه في العقر ، فانه سعى الى التقليل من شان خصمه وتهوين امر قيادته ، ساخرا منهم ، مشيرا الى ولاء جزء كبير من الجيش الشامي له ، ليرفع من الروح المعنوية لجنده ، حاشا اياهم على المدق والمبر ، مؤكدا عزمه على القتال حتى النصر او الموت ، وقد تمثل هذا في خطب القاها في جنده في العقر ، كما فعل من قبل في^(٤) واسط .

(١) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٥٧/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٥٧/٤ .

(٢) انظر ما كتبناه من ذلك قبل : ص ١٢١-١٢٢ .

(٣) مجهول : العيون ، ٦٨/٣ .

(٤) من اجل ذلك ، انظر : نافع العبود : تل المطلب ، ص ٧٩ (قال بان خطبته كانت في واسط ، ولعله يعني خطبته الاولى في واسط، وقد تبعها آخر في العقر) - محمد نصر =

وبصرف النظر عن مدى صحة ماتضمنته أقواله من ازدراء
وتشنيع واتهام ، فالهدف كان منها التحريض والتحويل وكفى .
اذ لايمدق ما قال عن الجيش الشامي المتمرس ، وان كان قد ظن
ان اليمنية الشامية ستكون معه ، فقد خاب ظنه ، اذ سئى
مدق ولائهم لحكومة الشام ، وان قتلَه سيكون على يد احدهم ،
والقضاء على اهل بيته بنى المهلب ، وتصفيتهم فى قنذابيل
على ايديهم .

واننا نستشف من اقواله حقيقة خلافه مع الامويين ، كما
ابرزت منطقته الطبقي العنصرى فى تلك الحركة .^(١)

لكن يزيد ابن المهلب ذاته وفى قرارة نفسه لم يكن
واثقا من النصر على الامويين وازالة ملكهم ، فقد اتاه يزيد
ابن الحكم بن ابي العاص الثقفى فى واسط ، قبل نزوله العقر
فقال :

ان بنى مروان قد باد ملكهم

فان كنت لم تشعر بذلك فاشعر

قال يزيد : ماشعرت . فقال ابن الحكم الثقفى :

فعمش ملكا او مت كريما وان تمت

وسيفك مشهور بكفك تعذر

قال يزيد بن المهلب : اما هذا فعسى . وماظن الواقع
خالف هذا ، ولكن رجلا كابن المهلب ابدى العداوة ، واظهر

= الله : تطور ، ص ٢٥٦ - عواد الاعظمى : مسلمة ، ص ١٩٢
- الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٩٢/٦ - ابن اعثم : الفتوح ،
م ٢٥١-٢٥٠/٤ - المسعودى : المروج ، ٢١١-٢١٠/٣ ومابعدها
(وانظر نفس هذه الخطبة وشرح بعض الفاظها ، بعد :
الفصل السادس ، المبحث الثانى ، ص ٧٢٠-٧٢١) .

(١) محمد نصر الله : نفس المرجع والمفحة .

(٢) الطبرى : نفس المصدر والجزء والمفحة .

الخلافة ، تآبى نفسه الكبيرة ، وتاريخه العسكرى الحافل ، وعزة قومه أن يستسلم أو يجبن ، ولكنها الحرب ، على أمل يسير من النصر أو الموت بكرامة فى ساحة القتال .

معركة العقر :

اقام مسلمة بن عبد الملك يظاول يزيد بن المهلب فى العقر ثمانية ايام ، جرت بينهما ابان ذلك المراسلات والرسل لتحقيق المصالحة بين الطرفين ورغبة فى حقن دماء المسلمين وانهاء الفتنة . فقد عرض مسلمة على ابن المهلب الامان ، داعيا اياه للسلام ، كما وعده واخوته بالامارة على اى البلاد شاؤا ، فلم يجد اذنا صاغية وباءت محاولاته بالفشل ، وكان كل منهما اثناء ذلك يعد نفسه للحرب ، فحسنا مواقعهما ، وخذقنا عليهما ، واعد كل قائد جيشه معنويا وعسكريا فلما^(١) يئس مسلمة من خضوعه فى أن يعود الى الرشد ، ويجنب الناس ويلات الحرب وشر الفتنة ، خرج اليه ، يوم الجمعة لاربعة عشرة ليلة^(٢) خلت من صفر (سنة ١٠٢هـ) ، اى يوم الرابع عشر ، فكونها خلت اى اصبح الناس فى نهارها ، والعرب يقدمون الليل على النهار ، ولو لم يقل خلت ، لقلنا : يوم الثالث^(٣)

(١) انظر ذلك فى الصفحات السابقة بعد نزول الفريقين ارض العقر .

(٢) أرخ ابن خياط لذلك ب : يوم الجمعة لاثنتى عشرة خلت من صفر (انظر : تاريخه ، ص ٣٢٥) ، كما أرخ لذلك ابن خلدون ب : الجمعة منتصف صفر (انظر : المعبر ، ٧٨/٣) ، ولعل ورود التاريخ بالليالى هو ما اوقع البعض فى اللبس ، والتاريخ الذى اثبتناه فى المتن هو ما جمعت عليه اكثر المصادر .

(٣) قال هورنشو : "وكانوا (اى العرب) يببنون التاريخ على الليالى دون الايام بخلاف العجم ، فانهم كانوا يببنون على الايام دون الليالى" . انظر : علم التاريخ ، ترجمة وعلق عليه واحاف اليه فعلا فى التاريخ عند =

عشر .

(١) خرج اليه ليلتقيا في العقر ، والخروج هنا اراه من خندقه الى ارض المعركة ، وكان مسلمة قد عبا جند الشام ، فجعل على ميمنته جبلة بن مخرمة الكندي ، وعلى يسرته الهذيل بن زفر بن الحارث العامري ، وجعل العباس على ميمنة سيف بن هانيء الحمداي وعلى يسرته سويد بن القعقاع التميمي ، ومسلمة على الناس . اما يزيد بن المهلب فقد جعل على ميمنته حبيب بن المهلب وعلى يسرته المفضل بن المهلب وكان مما يلي العباس بن الوليد ، ورايته مع المهلب بن العلاء ، ومحمد بن المهلب ومعه الناس على حاميتهم .

وخرج ابن المهلب وقد دعا بدرعه وملابسه ووضع له كرسي على باب خندقه وكرسى آخر لمحمد بن المهلب ، وذلك انه قد اصاب يزيد بن المهلب قبل ذلك حمى فلعف . وقيل بل كان مبطونا شديد العلة ، فامر الناس بالتقدم ، ولحق بهم اخوه محمد . وزحف اهل الشام ، فاقتتلوا وجالت الخيلان ، وبدأت

= العرب ، عبد الحميد العبادي ، سلسلة المعارف العامة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٤م ، ص ٣٤ - السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص ٢٤-٢٥ .
(١) شذ عن هذا القول اليعقوبي ، الذي قال بالتقائهما "بمسكن" . انظر تاريخه ، ٣١١/٢ .

ومسكن : موقع قريب من أوانا على نهر وجيل عند دير الجثالين به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير (سنة ٧٢هـ) . وذكر العازمي أن مسكن بدجيل الاهواز حيث كانت وقعة الحجاج بابن الأشعث ، وهذا خلط . (انظر : ياقوت : معجم ، ١٢٧/٥-١٢٨) . وهذا يبين لنا أن اليعقوبي وقع في خلط بين الوقعتين ، وقعة عبد الملك ومصعب ، ويزيد وابن المهلب .

(٢) مجهول : العيون ، ٧٢-٧١/٣ .

(٣) اليعقوبي : نفس المصدر والجزء والمطبعة .

الحرب كالعادة بالمبارزة ، عندما تواجهت الجيوش ، فبارز حبيب رجلا من اهل الشام ، وبرز محمد بن المهلب لرجل من اهل الشام دعا الى المبارزة ، اصاب محمد كفه ، قيل انه حيان النبطي ، فلما نشبت الحرب ولم يشتد القتال ، امر مسلمة بن عبد الملك الوضاح مولى عبد الملك ان يخرج بالوضاحية ،^(١) ويحرق جسر الصراة والسفن التي في الصراة . فاحرق الجسر وبعض السفن ، فلما رأى اصحاب ابن المهلب الدخان قد علا ، وعلموا ان الجسر الذي جاءوا عليه قد احرق ، لاذوا بالفرار وانهمزوا من ارض المعركة ، فلما رأى يزيد بن المهلب فرار

(١) الوضاحية : لم يكن يعتمد عسكريا على موالى بنى أمية حتى عهد مروان بن الحكم ، ثم ازداد هذا الاهتمام تدريجيا بهم منذ خلافة عبد الملك ، عندما شكلوا جزءا من الجيش الذي قضى به على ثورة الجراحمة في جبل اللكام . وفي عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك نرى ظهور فرقة عرفت بالوضاحية ، لعبت دورها في القضاء على ثورة ابن المهلب ، حيث كانت جزءا من جيش الشام بقيادة رجل منها يسمى الوضاح ، وهو مولى لبنى أمية من البربر . وقد اعتمد على قول جرير :
لقد جاهد الوضاح بالحق معلنا

فاورث مجدا باقيا آل بربرا
لذا يمكننا القول ان الوضاحية فرقة من العوالى ، لاسيما اننا نرى هذا البيت في قصيدة لجرير (ضاربوا هام الملوك) قالها في اواخر حياة الخليفة يزيد بن عبد الملك ، حيث نراه يثنى على العوالى ، ويظيل في ربط العرب بالعجم بابى الانبياء ابراهيم عليه السلام ، فيقول :

وأبناء اسحق الليوث اذا ارتدوا

محامل لابسين الصفورا

لقد جاهد الوضاح بالحق معلنا

فاورث مجدا باقيا آل بربرا

ابونا ابو اسحق يجمع بيننا

أب كان مهديا نبيا مطهرا

وهو في هذه القصيدة يتراجع عن نظرة الاشعثار من العوالى ، لاشتراكهم مع جيوش الخليفة في القضاء على ثورة ابن المهلب .

انظر : نجدة خماس : الشام في صدر الاسلام ، ص ٢٩٩-٣٠٠

(٢) عند ابن الاثير : امره ان يخرج بالسفن حتى يحرق الجسر ففعل . (انظر : الكامل ، ١٧٣/٤) .

اصحابه خرج في جمع من قومه ومواليه ، ليردهم ، ففربوا وجوه المنهزمين الذين استقبلوه مثل الجبال ، وتكاثروا عليه ، فلما ينس منهم أمر بتركهم ، وثبت في عمابة من اصحابه ، تسلل بعضهم ، فبقى في شذمة قليلة وقد استقبلته الهزيمة .

فقد فقت عین المفضل ، وجاء محمد وقد فربه الحرشي بعمود على جبهته . ويزيد يتنقل على كرسيه من مكان الى آخر وقد ثبت معه السמידع واصحابه ، وابو روبة المرجثي ومن معه . فلما جاءه الخبر بموت حبيب ، دعا فرسه ولبس سلاحه ، وامر دارسا مولى حبيب بن المطلب ان يكون قريبا منه ، ثم طاف على رايات اهل الشام ، يسأل عنها ويقول : ايقاتلني بقومي من لا قوم له . فاخذ يتقدم وهو يزدلف ، لايمر بخيل الا هزمهم ، واهل الشام يتجاوزون عنه يمنا ويسرة ، فاشار عليه ابو روبة وقيل رجل من بنى عمه ان ينصرف الى واسط ويخندق عليه حتى ياتيهِ المدد ، فابى الفرار ، وقيل بل باشر الحرب قبل موت حبيب واظفنه بعد انهزام الناس ، ودعا مسلمة للمبارزة ، فاحجم ، وقد اشار عليه بذلك رجل من اهل الشام ذاكرة له شجاعة ابن المطلب ، وانه فارس العراق قاطبة . فلما علم بموت حبيب كره الحياة ، وازداد غيظا وحنقا ، فقمعد على فرس له اشهب نحو مسلمة ، لايريد غيره ، فحمل وحمل الناس معه ، واقتتلوا ، فجعل يقاتل قتال رجل ينس من الحياة ، حتى قتل من اهل الشام بشرا كثيرا ، فلما واجه مسلمة ، ادنى فرسه وركبه ، فعطف بخيل الشام عليه وعلى اصحابه ، وكان في اهل الشام رجل من كلب يدعى القحل بن

عياش ، لما نظر الى يزيد عرفه وقال : يا اهل الشام ، هذا والله يزيد ، والله لاقتلته او ليقتلنى ، ودعا من يكفيه اصحاب يزيد ليصل اليه ، فحمل عليه وحملوا معه ، واضطربوا ساعة ، انفرج بعدها الفريقان عن يزيد ابن المهلب قتيلا ، قتلته القحل بن عياش وقد صرعه يزيد فمات الى جانبه ، كل قتل صاحبه .

وقيل ان الذى قتلته الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابى ، ولم يجتز رأسه أنفة . ويمص الذهبى مقتله بقوله : "قتل عن تسع واربعين سنة ، ولقد قاتل قتالا عظيما ، وتغللت جموعه ، فما زال يحمل بنفسه فى الكوف ، للجهاد ، بل شجاعة وحمية ، حتى ذاق حمامه ، نعود بالله من هذه القتل الجاهلية " .

وقد جاء برأسه الى مسلمة مولى لبنى مرة ، لم يقتله ، فلم يعرفه مسلمة ، ففصل وعمم ، فعرفه ، وكان قد اصاب ابن المهلب ماينيف على ثلاثين ضربة ، وقتل من الفريقين مايزيد على الثلاثة آلاف ، بينهم حبيب وحماد ومدر ك ومحمد أبناء

- (١) القحل بن عياش بن حسان بن سمير بن شراحيل بن عرين بن ابي جابر بن زهير بن خباب الكلبى . (المسعودى : التنبيه ، ص ٢٧٧-٢٧٨ - الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٩٧/٦)
- (٢) الهذيل بن زفر بن الحارث بن عبد عمرو الكلابى ، من الرؤساء الشجعان الفصحاء ، فى العصر المروانى ، كان مع ابيه أيام قيامه فى الجزيرة الفراتية فى عهد مروان بن الحكم ، ومات أبوه سنة ٧٥هـ ، فعاد الى ولاته لبنى مروان ، وفى حرب مسلمة لابن المهلب ، كان على ميصرته فى معركة العقر . قال ابن حزم : "والهذيل هو قاتل يزيد بن المهلب يوم العقر وقد قيل غير ذلك" (الزركلى : الاعلام ، ٨٠/٨) . وماظن القول بقتل الهذيل الا دعوى قيسية ، للنيل من اليمنية واغاثتهم .
- (٣) ابن الاثير : الكامل ، ١٧٣/٤-١٧٤ - ابن خلدون : العبر ٧٩-٧٨/٣ (وقد اورد اسم الحارث فى نسب الهذيل "الحارث" تحريفا) . انظر صفة الاسم فى الترجمة اعلاه .
- (٤) سير ، ٥٠٦/٤ .

المهلب ، لذا يقول بعض آل المهلب :
سقى الله أجسادا ببابل كسروا
سيوفهم والأثرى المعضدا
حبيبا وحمادا وذو الباس والندا
يزيدا وأسقى مدركا ومحمدا

كما قتل السميدع . وبقتل يزيد بن المهلب انهزم الناس
إلا المفضل فقد ظل يقاتل أهل الشام ، مايدرى بقتل يزيد
ولابهرزيمتهم ، وهو يغشى الناس ويكشفهم ، وقد اجتمع أهل
الكوفة حول عامر بن العميثل الأزدي ، فاجتمع أصحاب المفضل
ليكروا مع ربيعة الكوفة بعد انكشافها على القوم ، إذ جاءه
مقتل يزيد ومن قتل معه من أخوته ، فتفرق من معه ، واخذ
طريقه إلى واسط ، وقيل بل خدمه أخوه عبد الملك إذ أخبره
أن يزيد انحدر إلى واسط ، خوفا من أن يستقتل ولايتترك أرض
المعركة ، فانهزم بمن بقى معه من الجنود وبنى أخوته إلى
واسط . وهذا ماغضبه على عبد الملك ، فحلف ألايكلمه أبدا ،
فما كلمه حتى مات ، وكان يقول : فضحني عبد الملك آخر
الدهر ، ألا صدقني ، فقتلت كريما . وهذا القول هو الأقرب
إلى طبائع بني المهلب .

وجاء أهل الشام على عسكر يزيد بن المهلب ، فقاتلهم
أبو روبة المرجئي وجماعته ساعة من النهار حتى ذهب عظمهم ،
فانصرفوا ، فاستحوذ مسلمة على مافي معسكر ابن المهلب ،
واسر من أصحابه نحو ثلاثمائة بعث بهم إلى الكوفة . ثم بعث

(١) مجهول : العيون ، ٧٣/٣ - ٧٤ - ابن الأثير : الكامل ،
١٧٤/٤ .

مسلمة برأس ابن المطلب مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، الى الخليفة يزيد بن عبد الملك .^(١)

وقد تولى يزيد بن المطلب وله من العمر تسعا وأربعين سنة .^(٢) كان فيها من النجباء الكرماء الفرسان ، سيدا ممدحا كثير الغزو والفتوح . وهذا ليس غريبا على سيد المهالبة ، الذين كانوا في الدولة الاموية كالبرامكة في دولة بني العباس في الكرم . لذا كان لمقتل يزيد بن المطلب وجل آل بيته مدى في اقوال الناس كما سيكون في احوالهم ، قال

(١) عن معركة العقر انظر المصادر التالية : الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٩٥/٦ - ٥٩٨ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٥١/٤ - مجهول : العيون ، ٧١/٣ - ٧٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٣/٤ - ١٧٤ - المسعودي : مروج ، ٢١٠/٣ - ٢١١ (قال : فقتل يزيد ، وصبروا اخوته انفسهم فقتلوا جميعا . وهذا خطأ ، فان من اخوته من انحدر الى واسط وكان القضاء على بقيتهم في قنابيل) - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٥/٩ - الذهبي : تاريخ الاسلام ، ٨٦/٤ - الذهبي : العبر في خبر من عبر ، ١٢٤/١ - ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١/١ - ابن خلدون : العبر ، ٧٨/٣ - ٧٩ - القلقشندي : مآثر الانافة ، ١٤٨/١ - ابن الوردي : حكمة المختصر في تاريخ البشر ، تحقيق احمد رفعت البدر اوى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م ، ٢٧٥/١ - السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٤٧ - الزركلي : الاعلام ، ١٨٩/٨ - ١٩٠ (قال : العقر بين واسط وبغداد والاصح : بين واسط والكوفة) . وغيرها من المصادر القديمة والمراجع الحديثة .

(٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣١٧ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٩/٦ - الزركلي : الاعلام ، ١٨٩/٨ (الا اننا نجده يقول في هامش (١) ، ص ١٩٠ : "وفي اعمار الاعيان في يزيد وزياد ومدر ك بنو المطلب ابن ابي مفره ، ولدوا في سنة واحدة وقتلوا في سنة واحدة ، وكلهم عاش ثمانيا وأربعين سنة" . اي ان عمره اعتمادا على هذا الخبر (٤٨ سنة) ، ولكن وجود نموس تخبرنا ان مولده كان (سنة ٥٣ هـ) ، انظر ذلك قبل : ص ١٢٢) يؤيد الخبر الاول .

(٣) اليافعي : مرآة ، ٢٤١/١ - ابن خلكان : نفس المصدر والجزء والمطبعة - ابن العماد : شذرات ، ١٢٤/١ .

محمد بن واسع لما جاء نعي يزيد : اشتكى باكية عمالية فندب
لى قتلى آل المهلب . وقال عباد بن عباد : مكثنا نيفا
ومشرين سنة بعد قتلى آل المهلب لاتولد فينا جارية ولا يموت
منا غلام .^(١) كما نجد الندم عند ازد خراسان على عدم نصره
يزيد ، وتمنى شعور وقعته ، على لسان شاعرهم ثابت قطنة إذ
يقول :

ياليت اسرتك الذين تغيبوا

كانوا ليومك يايزيد شعورا

وقد نقل هذا القول لمسلمة ، فقال : وانا والله لوددت
انهم كانوا شعورا يومئذ فسقيتهم بكأسه . فقيل : كان
مسلمة احد من اجاب شعرا بنثر فغلبه .^(٢)

كما نجده يرثى يزيد في قصيدة اخرى ، معللا هزيمته ،
بتخاذل جنده من اليمانية عنه واسلامه عدوه ، حين انفضوا من
حوله ساحة الجد ، خائنين مهدهم وبيعتهم له ، فيقول :

شهدتك من يمن عمائب بيعت

وناي الذين بهم يعاب الشار

ولقد بسطت لهم يمينك بالندى

مكل الغرات تمده الانمار

حتى اذا شرق القنا وجعلتهم

نعب الاسنة اسلموك وطاروا

(١) ابن خلكان : وفيات ، ٢٠٨/٦ .
(٢) عواد الاعظمي : مسلمة ، ص ٦٢-٦٣ .

ان يقتلوك فان قتلك لم يكن

(١)

عار عليك وبعض قتل عار

الا اننا نجد العكس في موقف الشعراء من غير اليمنية ،
فما ان بشر الخليفة يزيد بن عبد الملك بمقتل ابن المهلب ،
حتى اخذ الشعراء يهجون آل المهلب ، ماعدا كثيرا ، الذي
امتنع ليمنيته ، ومن ذلك قول جرير :

يارب قوم وقوم حاسدين لكم

مافيهم بدل منكم ولاخلف

آل المهلب جز الله دابرهم

امسوا رمادا فلا اصل ولاطرف

مانالت الازد من دعوى مفلهم

(٢)

الا المعامم والاعناق تختطف

ونلاحظ في شعره ، دليلا على ادعاء ابن المهلب انه
القحطاني ، وطموحه الى الخلافة ، انظر في الابيات قوله :
"مافيهم بدل منكم ولاخلف" و "دعوى مفلهم" . بل نجد في شعره
ايضا اطلاق صفة الكفر على الحركة اذ يقول :

لقد تركت فلا نعدمك اذ كفروا

لابن المهلب عظما غير مجبور

يابن المهلب ان الناس قد علموا

(٣)

ان الخلافة للشهم المفاوير

-
- (١) الهادي الفزى : الشعر الاموي في خراسان ، ص ١٧٢ .
(٢) المسعودي : مروج ، ٢١١/٣ .
(٣) عون الشريف قاسم : شعر البصرة في العصر الاموي ،
دراسة في السياسة والاجتماع ، طبعة دار الثقافة ،
بيروت ، لبنان ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ، ص ١٥٩ - المسعودي :
مروج ، ٢١١/٣ .

ولنا في بيته الأخير حجة جديدة من لسان شاعر معاصر
على نشود ابن المهلب الخلافة .

أما مسلمة بن عبد الملك فانه بعد ان أسر من اصحاب
ابن المهلب ثلاثمائة ، بعث بهم الى واليه على الكوفة محمد
ابن عمرو بن الوليد "ذى الشامة" وكتب الى الخليفة يزيد بن
عبد الملك فيهم ، فجاء امره الى محمد بن عمرو بقتلهم ،
فأمر محمد صاحب شرطته العريان بن الهيثم بضرب اعناقهم ،
فقتل ثلاثين رجلا من تميم طلبوا قتلهم قبل اصحابهم ، يقولون
نحن انهزمنا بالناس . وكانهم قد ندموا ، اذ ظنوا ان
سيثابون على فعلتهم ، فلما وجدوا غير ذلك ، تقدموا للقتل
فعرض العريان امرهم على أميره فأمر بهم فقتلوا ، وكان قد
أمر ان يقتل الاسارى عشرين عشرين ، وثلاثين ثلاثين . فما فرغ
منهم العريان حتى جاء امر مسلمة بالنهى عن قتلهم ^(١) . وقيل
بل أسر مسلمة في معركة العقير الفين وثمانمائة ، فبعث بهم
الى ذى الشامة فقتلهم ^(٢) . واقبل مسلمة بعد انتصاره في العقير
على ابن المهلب حتى نزل الحيرة ، وقد اتي معه بخمسين
اسيرا غير من بعث بهم الى الكوفة ، اراد قتلهم ،

(١) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٥٩٨/٦ - ٥٩٩ - ابن الاثير :
الكامل ، ١٧٤/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ -
ابن خلدون : المعبر ، ٧٩/٣ (أورد اسم أبى ذى الشامة
محرفا بسقوط الواو قال : محمد بن عمر ، ثم قال :
وبدا بثمانين ، وأظنه خطأ في النقل فالاجماع على
الثلاثين ، ثم ذكر ان أمر امثائم جاء من يزيد وهذا
خلط منه) .
(٢) مجهول : العيون ، ٧٤/٣ . لكن العدد الذى أشار اليه
يعتبر نشازا بين اجماع المصادر ، وان كان ابن امثم
قال : انهم نيف على اربعمائة . فهو قريب من الاجماع ،
كما اننا قد رأينا أمر مسلمة بالنهى عن قتلهم . (انظر
الفتوح ، م ٢٥٤/٤) .

(١)

فاستوهبهم الناس منه ، فوهبهم لهم .

ويقول ابن اعثم : اسر يوم العقر نيف على اربعمائة رجل ، فاقفوا بين يديه ، فعزل منهم ثلاثين رجلا من رؤسائهم ليحملهم الى يزيد بن عبد الملك ، وضرب اعناق الباقين . وقال الثلاثون : نحن الذين انهزمنا بالناس حتى ظفرتهم بيزيد اهذا جزاؤنا ، فلم يلتفت مسلمة الى قولهم .^(٢)

ونحن نجد في هذه النصوص خلط واضطراب ، فمن يقول بقتل ثلاثين من تعميم طلبوا تقديمهم على اصحابهم لانهم انهزموا بالناس ، فيقتلهم العريان ، وهنا نجدهم وقد عزلهم مسلمة ليرسلهم الى يزيد ، فيبدون له دورهم في هزيمة ابن المهلب لعله يشي بهم ، فلا يلتفت اليهم . ومن يقول بانه وهب خمسين من الاسرى لمن استوهبهم ، والنس الاخير يقول انه قتل بقية الاسارى .

والظاهر ان من قتل اولاً كان من قبل امير الكوفة بامر الخليفة يزيد ، ثم اوقف الامر من قبل مسلمة حتى يرى رايه فيهم ، ثم اخرج ثلاثين من رؤسائهم ، ويظهر انهم غير الثلاثين الذين قتلوا وان كان قد جمع بينهم تساوى العدد وتسببهم في هزيمة ابن المهلب ، فليس الذين قتلوا اولاً كل من انهزم بالناس ، فقد يكون قتل منهم ثلاثين اولاً ، فكما ورد كان الامر ان يقتلوا عشرين عشرين ، وثلاثين ثلاثين .

(١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٩٩/٦ - ابن اعثم : الفتح ، م ٢٥٥/٤ (واورد : انه امر بمن معه من الاسارى الى الشام) - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٤/٤ (فقط ذكر نزوله الحيرة) - وكذلك ابن كثير : البداية ط ١ ، ٢٤٧/٩ .
(٢) نفس المصدر والجزء ، ص ٢٥٤ .

فلما قتل الثلاثون الاولون ، اوقف القتل ، وهكذا بقى لهم بقية هم من عزلهم مسلمة ، ولم يلتفت اليهم عندما حدثوه . اما قتله بقية الاسرى فاطن ذلك غير صحيح ، بل عفى عنهم كما وهب بعضهم ، واكتفى بمن ارسله من زعمائهم الى الخليفة يرى فيهم رايه . ثم جرى براس يزيد ورؤوس اخوته بين يدي مسلمة فقال : اتري هؤلاء القوم خرجوا علينا كانوا يظنون ان الخلافة فيهم ، لئن ظنوا ذلك فلقد ظنوا افكا وزورا . فانشد جرير :

آل المهلب جز الله دابرهم

اصحوا رفاتا فلا امل ولا طرف

ان الخلافة لم تخلق ليملكها

(١)
عبد لأزديّة في خلقها عنف

ونجد القول هنا على لسان مسلمة ، في ظن المهالبة
ميرورة الخلافة اليهم ، وقول جرير حول ذلك .

ثم امر مسلمة بمهلب يزيد بن المهلب ، فمهب بجسر بابل
على دقل سفينة منكما وعلق معه خنزير الى جنبه سمكة وزق
(٢)
(٣)
(٤)
خمر وقد علقا على قلنس من قلوب السفينة ، لذا يقول رجل من
اهل الشام :

-
- (١) ابن اعثم : الفتوح ، ٢٥٥/٤ .
(٢) دقل : الدقل والدوقل : خشبة طويلة تشد في وسط السفينة يمد عليها الشراع ، وتسميه البحرية الصاري ، وقيل الدقل سهم السفينة . انظر : اللسان (دقل) .
(٣) الزق : الذي يسوى سقاء أو وطبا أو حميتا . والزق السقاء . وجمع القلة أزقاق . وهو من الالهب ، كل وعاء اتخذ لشراب ونحوه ، وقيل : هو الذي ينقل فيه الخمر . انظر : اللسان (زقق) .
(٤) قلنس : القلنس : حبل نخم من ليف أو خوص . وقيل : حبل غليظ من حبال السفن . انظر : اللسان (قلنس) .

لقد عجبت من الازدى جاء به

يقوده للمنايا حين معزور

حتى راه عباد الله فى دقل

(١)

منكس الراس مقرونا بخنزير

ومع ذلك فان مسلمة كان يعرف قدر ابن المهلب ، فقد

نال منه رجل عند مسلمة بقوله : ما استرحنا من حائك كنده

حتى جاءنا هذا المزولى ! فقال مسلمة : اتقول هذا لرجل سار

اليه قريعا قريش - يعنى نفسه والعباس - ان يزيد حاول

(٢)

عظيما ومات كريما .

وبعث براس يزيد ومن قتل معه من اهل بيته مع خالد بن

الوليد بن عقبة بن ابي معيط ، الى الخليفة يزيد بن عبد

الملك . فامر الخليفة ان يطاف برؤوسهم فى اجناد الشام .

ثم اتى به بعد ذلك ، فغضب على باب توما بدمشق ، ونصبت

رؤوس اخوته عن يمينه وشماله .

وفى ذلك يقول سالم بن وابصة الاسدى :

الم تر ان الله انزل نصره

علينا واعطانا به اعظم الاجر

(١) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٩٠ ، (وعلق على الخبر بقوله : ان هذا الاسلوب من التشهير يراد به انه نجس كالخنزير ، مرتكب للمعاصى كشرب الخمر ، كما ان تعليقه على سفينة ومعه سمكة ، اشارة الى انه من ازد عمان الذين اشتهروا بركوب البحر) - ابن حبيب : المحبر رواية ابي سعيد الحسن بن الحسين السكرى ، غناية وتصحيح ايلزه ليختن شنيتر ، المكتب التجارى للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٦١هـ - ص ٤٨٢ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٥٥/٤ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ، ط ٥ ، ٩٩/٢ .
(٣) مجهول : العيون ، ٧٤/٣ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ - ابن المبرى : تاريخ مختصر الدول ، دار المسيرة ، بيروت ، ص ١١٥ .

هداة بغى اهل العراق فشايعوا
لواء يزيد بن المهلب ذى الفدر
فجئنا به لا يسمع الصوت فى الثرى
ولا يشتكى شكوى انين ولا فقر
تعرف اهل الشام بالشام راسه
به بدت الاحداث من حادث الدهر
كما امر الخليفة بغرب رقاب الاسرى الذين بعث بهم
مسلمة فما ابقى على احد .^(١)
ومع هذا فان الخليفة كان يعرف لابن المهلب قدره ،
وهذا ما اوضح من قوله لاحد جلسائه عندما نال منه حين جرى
براسه ، اذ قال : مه ان يزيد طلب جسيما ، وركب عظيما ،
ومات كريما .^(٢)
وبعد ان اتينا على النصوص التاريخية المتعلقة بوقعة
العقر بين جيش الخلافة بقيادة مسلمة بن عبد الملك ويزيد بن
المهلب الخارج على الخلافة ، والتي تمثل ذروة الفتنة
ومرحلة الحسم فى حركة استهدفت تقويض اركان البيت الاموى
الحاكم ، فانه يتبين للمحس اسباب تلك الهزيمة السريعة
والشنيعية التى منى بها ابن المهلب فى العقر ، بعدما توفر
لحركته من عوامل النجاح ما كان من شأنه تحقيق اهدافها .
ولعل السبب الاول فى نجاح جيش الخلافة ، ادراك الدولة
ممثلة فى شخص الخليفة حجم الحركة وخطورة قائدها ، حيث

(١) ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٥٥/٤ - ٢٥٦ .
(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، تحقيق مفيد محمد قميحة ،
دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ،
١٤٠٤هـ / ١٩٨٢م ، ٣٣٥/٢ - الياقضى : مرآة ، ٢٤١/١ -
ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٧/٦ .

اتخذ موقفا حازما وسريعا لآخمادها ، فقد قام بعد خطواته
 الأولى ، بإرسال جيش قوى اختيرت له القيادة الفذة ، وهو ^(٢)
 مسلمة بن عبد الملك ، الذى كانت قيادته المحنكة للجيش ،
 ولجوؤه الى الحيلة من عوامل النصر الأولى فى المعركة
 خصوصا أمره بإحراق الجسر وما اثر عنه من أرباك لجيش ابن
 المهلب ، وفرار جله من أرض المعركة . كما اننا نجد الجيش
 الأموى دخل المعركة كجيشين ، فمسلمة له ميمنة وميسرة ،
 والعباس له ميمنة وميسرة ^(٣) ، والظاهر أن وراء ذلك خطة كانت
 تهدف الى الاطباق على جيش ابن المهلب من جهتين ، وجعله بين
 كمانتى مسلمة والعباس . كما أن الطاعة التى عرف بها الجندي
 الشامى لقيادته مكنت مسلمة من تهيئة جيشه الكبير صفا
 واحدا وكلمة واحدة ، بل أنه سعى الى المزيد فاستمد الرجال
 من الكوفة ، وعزل أميرها عبد الحميد عندما استقل من بعثهم
 اليه ، بل لعله رمى الى أبعد من ذلك وهو تأمين ظهره
 وإيجاد رجل موال له ، وحسن يلجأ اليه ، اذا ما سارت
 المعركة على غير ما يريد ، فعين على الكوفة محمد بن عمرو .
 والعكس نجده عند الفريق الآخر ، فان القيادة المحنكة
 التى توفرت فى يزيد بن المهلب ، وجيشه الكبير ، لم يكتب
 لها النجاح ، لاختلاف الأهواء ، وتفرق الكلمة ، مما أضعف
 قوته وقلل من شأنه . فابن المهلب الذى أراد أن يسبق مسلمة
 بالحيلة ، ويضيق عليه فرمة التمكن ، عندما أراد تبليته

(١) نافع المبرود : آل المهلب ، ص ٩٣-٩٦ .

(٢) انظر قبل : ص ١٣٧-١٣٩ ، ١٤٤-١٤٥ .

(٣) انظر قبل : ص ١٧٣-١٧٥ .

(٤) انظر قبل : ص ١٩٣ .

بعد نزوله العقير ، ومفاجئته بهجوم ليلي ، خالفه أصحابه من القراء وأصحاب الفرق . وبعد أن احتدم القتال سرعان ما فتر حماس أصحابه ، ووجد ابن المهلب نفسه في قلة أمام جيش الشام ، حينما انفخ من حوله جنده ، وبالأخص قبيلة ربيعة التي كانت تنزل حوله . وذلك عندما أشعل الوضاح بأمر مسلمة النار في الجسر ، فلاد جل جند ابن المهلب بالفرار . ومما سبب الهزيمة قلة الخبرة في جيش ابن المهلب ، وعدم الصدق في القتال والولاء . وهذا ما اتضح في أقواله وأقوال الحسن البصري ، بينهما هم أمام جيش دولة يضرب بين المشارق والمغارب ، فتحا ودفاعا ، اكتسب من جراء ذلك فنون الحرب ، وحسن التدريب والخبرة .

واننا نلمس بين ثنايا الأخبار خيانة حدثت من قبيلة تميم في معركة العقير ، إذ انهزموا بالناس ، يريدون المثوبة من الدولة ، فما كان جزاؤهم إلا الأسر والقتل . ويظهر لنا عامل آخر ذلك هو مرض القائد يزيد بن المهلب نفسه ، مما أعجزه عن مباشرة القتال في أول المعركة ، وساعد على تيسير قتله للقحط بن عياش . كل هذه العوامل كانت وراء هزيمة ابن المهلب في العقير ، ولعل مما عجل بالنهاية السريعة لحركته ، رفضه الهزيمة وامتناعه عن ترك أرض المعركة ، استقتلامه ، مع علمه أن النمر قد أصبح في

-
- (١) انظر قبل : ص ١٨٧ .
 (٢) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٩٤ .
 (٣) انظر قبل : ص ١٩٤-١٩٥ .
 (٤) انظر قبل : ص ١٨٦ .
 (٥) انظر قبل : ص ٢٠١، ٢٠٢ .
 (٦) انظر قبل : ص ١٩٣ .

يد مسلمة ، حيث فضل الموت بكرامة على عار الفرار والهزيمة وهذا ماعقد العزم عليه قبل المعركة ، وابانه في خطبه (١) واقواله . وقد كان من الممكن ان يطول امد الفتنة ، في حالة التجائه الى مكان آخر والتحصن فيه ، حتى ياتي المدد ويعد نفسه للحرب من جديد . الا ان نفسه الابية ابت الفرار والهزيمة ، لتنفيذ المشيئة الالهية بانتهاء الفتنة ، واجتماع الكلمة .

تتبع آل المهلب بعد العقر وتمفيتهم :

كان يزيد بن المهلب قد استخلف ابنه معاوية على واسط وترك عنده الاموال والاسرى الذين اخذهم في حربه مع عدى بن اوطاة في البصرة ، ونساء آل المهلب وذرايرهم فيما يبدو . (٢) فلما جاء الخبر الى معاوية بهزيمة ابيه ومقتله في العقر اخرج اثنين وثلاثين اسيرا كانوا في يده على راسهم عدى بن اوطاة وابنه وابنا مسمع وغيرهم ، فقتلهم ، الا ربيع بن زياد بن الربيع ، فانه عفا عنه ، لانه من اشراف قومه . بل (٣)

(١) عن خطبه واقواله ، انظر / الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٩٢-٥٩٦ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٥١/٤ .

(٢) انظر قبل : ص ١٨٢ .

(٣) مجهول : العيون ، ٧٤/٣ .

(٤) اورد ابن اعثم عددهم "ثلاثة وثمانون" . انظر : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٥٤ - الا ان ابن كثير قال : نحو

من ثلاثين ، وابن خلدون قال : في ثلاثين . (انظر : البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ - العبر ، ٧٩/٣) . وهذا يسند

العدد الذى اوردناه في المتن ويقويه .

(٥) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٩٩-٦٠٠ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١١/٢ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٤/٤

- ابن كثير : نفس المصدر والجزء والمفحة . والثلاثة

الاخرون لم يذكروا استثناء ربيع بن زياد - وكذلك ابن

خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٢٥-٢٢٦ - الياقنى : مرآة

٢٤٢/١ - الذهبى : دول الاسلام ، ٥٢/١-٥٣ (اخبار انه

قتلهم بالبصرة ، والصحيح بالاجماع ، في واسط) .

انه اراد قتل نساء آل المهلب خشية ان يقعن في الامر ،
 فغلن عليهن الابواب . واحتمل معاوية بن يزيد الخزائن وسار
 بمن معه الى البصرة ، وقد اجتمع اليه عمه المفضل ومن
 انهزم معه من العقير من اخوته وبنى اخوته ، ومن بقي معهم
 من الجند . وكانوا يتخوفون العاقبة ، فاعدوا السفن
 وتجهزوا ، معدين انفسهم للحرب ، فجاءهم النذير بامر
 الخليفة فيهم ، وهو انه كتب الى مسلمة بطلب آل المهلب
 وقتلهم اينما كانوا .^(١)
^(٢)
^(٣)
^(٤)

خروج المهالبة الى قنابيل :

فركبوا سفنهم ، ومعهم الاموال والنساء والذرية ،
 محتملين الدواب والسلاح ، قاصدين قنابيل ، وكان يزيد ابن

- (١) مجهول : العيون ، ٧٤/٣ (وقد اورد ان من جاء بالخبر
 الى معاوية هو : خالد بن يزيد بن المهلب . الا ان في
 الخبر غرابة ، حيث ان خالد بن يزيد ، ذكر ان عبد
 الحميد بن عبد الرحمن ، امير الكوفة ، قبض عليه ،
 حين هروب ابيه من السجن ، وامر الخليفة لاميرى الكوفة
 والبصرة باستقباله ، والقبض على آله . فارسله
 عبد الحميد الى الخليفة يزيد في الشام ، فسجن هناك
 حتى هلك . (انظر ذلك في / الطبرى : تاريخ الامم ،
 ٥٨٥/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٩/٤ .
 ولعله اراد ابنا آخر ليزيد ، نجا من معركة العقير ،
 فذكر اسم خالد بدلا منه خطأ .
- (٢) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٠ - ابن اعثم :
 الفتوح ، م ٢٥٤/٤ - مجهول : نفس المصدر والجزء
 والصفحة (لم يذكر احتماله الاموال ، واجتماعه
 بالمفضل) - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٧٥ -
 ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ - ابن خلدون :
 المعبر ، ٧٩/٣ .
- (٣) الطبرى : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن الاثير :
 نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن كثير : نفس المصدر
 والطبعة والجزء والصفحة .
- (٤) ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٥٦-٢٥٧ .

المهلب قد بعث عليها وداع بن حميد الأزدي اميرا من قبله ،
على ان يكون ملجأ لاهله ان هُزم ، يتحتمون عنده حتى ياخذوا
لأنفسهم الامان ، واخذ عليه الايمان بالنصح لهم .^(١)

فركبوا البحر حتى مروا بهرم بن القرار العبدى ، وكان
يزيد قد استعمله على البحرين ، فآشار عليهم بعدم النزول
من السفن لئلا يتخطفهم الناس يتقربون بهم الى بنى مروان ،
فمفوا حتى حاذوا جبال كرمان ، فخرجوا من سفنهم واحتملوا
اهلهم واموالهم وعتادهم على الدواب . وقد اراد معاوية بن
يزيد ان يتامر عليهم ، الا انهم اجتمعوا على المفضل ، فهو
اكبرهم وسيدهم . واجتمعت اليهم بكرمان فلول كثيرة .^(٢)
^(٣)

- (١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٦٠٠/٦ - ابن الاثير : الكامل ،
١٧٥/٤ - ابن اعثم : الفتح ، م ٢٥٤/٤ (لكنه لم يقل
بالاتفاق الذى تم بين يزيد بن المهلب ووداع الأزدي ،
على الجاء اهل عنده ونصرتهم) .
- (٢) المفضل بن المهلب بن ابي صبرة ، الأزدي ، ابو غسان ،
وال من ابطال العرب ووجوههم فى عصره ، كانت اقامته فى
البصرة ، ولاء الحجاج خراسان ، وولاه سليمان جند
فلسطين ، شارك مع اخيه حرب بن امية ، سار بعد
هزيمة اخيه فى العفر بمن معه الى واسط ثم البصرة
ومنها الى قنذابيل ، فادركه ابن اخوز ، فقتل على
ابوابها سنة ١٠٢هـ . (الزركلى : الاعلام ، ٢٨٠/٧) .
- (٣) الطبرى : نفس المصدر ، ٦٠٠/٦ - ٦٠٢ - ابن الاثير : نفس
المصدر والجزء والصفحة - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ،
٣١١/٢ (قال : وركب اى معاوية الى قنذابيل) وهذا يعنى
ان تامر المفضل كان بعد نزولهم كرمان ، وقد كان الامر
قبل ذلك لمعاوية بن يزيد - ابن اعثم : نفس المصدر ،
م ٢٥٦-٢٥٧ (لم يذكر مرورهم على العبدى ، وقال :
وافوا ارض فارس ، فخرجوا منها الى كرمان ، ومن كرمان
الى قنذابيل) . والظاهر ان كلامه صحيح ، اننا نرى
ان مدرك الكلبي سيلحق بهم فى عقبة وهى من ارض فارس ،
ثم سيكون القضاء عليهم فى قنذابيل - ابن كثير :
البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ (ولم يذكر مرورهم بالعبدى) -
ابن خلدون : العبر ، ٧٩/٣ .

معركة عقبة :

وكان مسلمة قد بلغه خبر القوم ، فوجه في طلبهم ، وفي أثر الغل ، مدرك بن ضب الكلبى ، فأدركهم بفارس ، فتبعهم حتى لقيهم في عقبة ^(١) ، فقاتلوه واشتدوا عليه ، وقد قتل ممن مع المفضل النعمان بن ابراهيم بن الاشتر ، ومحمد بن اسحق ابن محمد بن الاشعث ، وغيرهم ، وأمر وفر آخرون ، ورجع أناس من أصحاب ابن المهلب وطلبوا الأمان ، فؤمنوا ، منهم مالك ابن ابراهيم بن الاشتر ، والورد بن عبد الله بن حبيب السعدى ، وهو ممن شهد مع ابن الاشعث مواظنه وإيامه ، وسار آل المهلب ومن معهم من الغل حتى وصلوا قنذابيل ^(٢) .

مقتلة المهالبة في قنذابيل :

^(٣) بعث مسلمة الى مدرك بن ضب فردة ، ومرح هلال بن أحوز

- (١) عقبة : موضع بفارس . (ياقوت : معجم ، ١٣٤/٤) .
 (٢) عواد الأعظمى : مسلمة ، ص ٣٠٤ (نقلا عن الطبرى : تاريخ الأمم ، ١٥٨/٨ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٧/٦) . لكنه قال بقتل المفضل وبعض خواصه في وقعة عقبة . وحيث أن الصحيح أنه قتل في قنذابيل . رجعنا الى مصدرى الأعظمى فوجدناه اعتمد على ابن خلكان ، الذى ذكر ذلك ، وقد يكون خطأ منه فى فهم النص ، إذ يرجوعنا الى مصدره الثانى . الطبرى : نفس المصدر ، الطبعة الثالثة ، ٨٧هـ - ٦٧م ، ٦٠٠/٦ - ٦٠٢ . وجدناه قد ذكر القتال فى عقبة ثم لحاق المهالبة بقنذابيل ، وقتل المفضل فى قنذابيل . وليس فى عقبة كما قال الأعظمى - ابن الأثير : الكامل ، ١٧٥/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ (التبص عليه أمر القيادتين فقال : وجه مسلمة هلال بن أحوز فأمروا عليهم مدرك بن ضب . كما أنه أشار الى قتالهم آل المهلب فى جبال كرمان ، ولم يشر الى معركتى عقبة وقنذابيل) .
 (٣) هلال بن أحوز بن أربد المازنى المالكى التميمى ، قائد من الشجعان القساة ، عرفه ابن حزم : بقاتل آل المهلب فى قنذابيل ، توفى سنة ١٠٢هـ . الزركلى : الأعلام ، ٩٠/٨ .

(١)
التميمي للحاق بهم ، فلحقهم بقندابيل . وكان آل المهلب قد
ارادوا الدخول الى قندابيل ، الا ان اميرها وداع بن حميد
اغلق ابوابها في وجوههم ، ومنعهم من دخولها . فكاتبه هلال
ابن احوز ، الا انه لم يظهر مباينته لآل المهلب ، الا حين
امطفوا للقتال ، فقد كان وداع على ميمنة آل المهلب وعبد
الملك بن هلال على ميمنتهم وكلاهما ازدي ، فلما وقفوا
للقتال رفع ابن احوز راية الامان ، فقال اليه وداع وعبد
الملك وانفض الناس من حول آل المهلب . فلما راوا ذلك اراد
مروان بن المهلب قتل نساءهم لئلا يحملوا اليهن ، فمنعه
المفضل ، وقاتلوا القوم ، قتال من ينس ، فقتلوا من اهل
الشام مقتلة عظيمة ، حتى قتلوا عن آخرهم الا ابا عيينة بن
المهلب وعثمان بن المفضل ، فانهما نجوا ولحقا بخاقان
ورتبيل ، بعد ان لادا بالهرب . وكان ممن قتل بقندابيل مدرك

- (١) اورد البلاذري والمسعودي ان من سرح هلال بن احوز هو
الخليفة يزيد ، ولعل في ذلك تفسيراً لبعث قيادتين
لقتال المهالبة من قبل مسلمة كما اشارت الى ذلك بعض
المصادر . اذ يبدو ان مسلمة بعث في اثر آل المهلب
مدرك بن شب الكلبي ، وكان الخليفة قد وجه من قبل هلال
ابن احوز ، فلما قتل مدرك الكلبي من القماء عليهم في
وقعة عقبه امر مسلمة برده ، ووجه اليهم القائد الذي
بعثه الخليفة وهو هلال بن احوز . انظر : فتوح البلدان ،
ص ٤٢٩ - مروج ، ٢١١/٣ - ٢١٢ .
- (٢) يظهر من النص ان وداع اعتل بعذرهما لآل المهلب في عدم
ادخالهم قندابيل ، وتظاهر بنصرهم ، حتى صفوا للقتال
هلال ، فقال اليه .
- (٣) انصاف ابن الاثير وابن خلدون الى الناجين "ممر بن يزيد
ابن المهلب" . انظر : الكامل ، ١٧٥/٤ - المعبر ، ٧٩/٣
- (٤) الطبري : تاريخ الامم ، ٦٠٢/٦ - اليعقوبي : تاريخ ،
٣١١/٢ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والمفحة -
ابن اعثم : الفتوح ، ٢٥٦/٤م - ٢٥٧ (اورد عدد الجند
الشامي المطارد "عشرة آلاف" . الا انه لم يميز بين
الجيشين الذين بعثا لآل المهلب ، كما لم يشر الى وقعة
عقبه واورد قتلها ممن من قتل في قندابيل مما يدل على =

(١) ابن المهلب والمفضل وعبد الملك وزیاد ومروان ومعاوية بنی المهلب ، كما قتل معاوية بن یزید وآخرین .^(٢)

وبعد نصر هلال بن احوز على بنی المهلب فی قنءابیل وقبائنه علیهم ، بعث بالاثقال والاموال والنساء والذرية ، ورؤوس من قُتل منهم ، الى مسلمة بن عبد الملك ، بالحيرة .^(٣)^(٤)

وكان هلال بن احوز قد قتل اناسا من آل المهلب ، فقد ذكر ان الخليفة امره ان يقتل من بلغ الحلم منهم ، فحرب عنق غلامین ادركا .^(٥) الا انه عامل النساء معاملة حسنة ، فلم یفتشهن ولم یعرض لهن ، وكان عدد من أُسر منهن فی قنءابیل خمسين امرأة ، وتسعة من الغتية الاحداث .^(٦)

-
- = جهله بها) - ابن خلدون : العبر ، ٧٩/٣ .
 (لكنه قال : بان آل المهلب بعد افتراق الناس عنهم ، استامنوا ، فؤمنوا ، ثم قتلوا جميعا ، وهذا خبر شاذ لم أجده عند غيره من المؤرخين الذين اطلعت على مؤلفاتهم ، مما يدعونا الى ابطال الخبر) .
 (١) هذا خطأ ، فمدرك بن المهلب قتل فی معركة المعفر . انظر ذلك قبل : ص ١٩٦-١٩٧ .
 (٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤٢٩ - الزركلي : الاعلام ، ٩٠/٨ .
 (٣) عند ابن خياط والمؤرخ المجهول ، ثم بعثها الى الخليفة یزید . (انظر : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٦ - العيون ، ٧٤/٣ . والاضاهر الى مسلمة ومنه الى یزید . وقد يكونا قد عنيا بالنهاية ايجازا .
 (٤) الطبری : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٥٧/٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٥/٤ ، ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ .
 (٥) ابن خياط : نفس المصدر والصفحة ، ص ٣٢٦ - المسعودی مروج ، ٢١١/٣-٢١٢ - مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة - الذهبي : تاريخ الاسلام ، ٨٦/٤ .
 (٦) عواد الاعظمی : مسلمة ، ص ٢٠٥-٢٠٦ - ابن خياط : نفس المصدر والصفحة - الذهبي : نفس المصدر والجزء والصفحة .

موقف مسلمة والخليفة من اسرى قنءابيل :

اما الرؤوس فقد بعثها مسلمة الى يزيد بن عبد الملك ،
 (١) والآخر بعثها الى العباس في حلب ، حيث نصب رؤوسهم هناك ،
 وحلف مسلمة ان يبيع نساءهم وذرايرهم ، فقام الجراح الحكمي
 واشتراهم بمائة الف درهم ، ليبر يمين مسلمة ، وليطلقهم
 فباعه ، ثم استحي مسلمة ان يبيع قوما احرارا ، فطلب من
 الجراح ان يقيه من بيعته ، فاقاله ، فخلى سبيلهم مسلمة ،
 (٢) والحقهم بقومهم بالبصرة ، وقيل لم يطلب الاقالة من الجراح ،
 لكنه لم ياخذ منه شيئا ، وخلى سبيلهم الا تسعة فتية منهم
 (٣) احداث ، بعث بهم الى الخليفة .

اما الخليفة يزيد بن عبد الملك فقد ظهر ان اصرار ابن
 المهلب على استمرار الفتنة ، وعدم قبوله الامان ودعوة
 السلام ، قد دعاه الى القسوة على آل المهلب خاصة بعد
 انحصار جيشه في العقرة ، فقد امر بقتل اسرى العقرة ، وامر

(١) الطبري : تاريخ الامم ، ٦٠٢/٦ - ابن الاثير : الكامل ،
 ١٧٥/٤ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٧/٦ (خالف غيره بقوله
 انه بعثها الى يزيد وكان على حلب . والصحيح ما قدمناه
 يسلده الاخبار التي سترد عن موقف يزيد من الاسرى ،
 وقتلهم في دمشق . اذ يتضح ان العباس ترك العراق بعد
 انصارهم على ابن المهلب في العقرة ، واستقر في حلب ،
 بينما بقي مسلمة في الحيرة اميرا على العراق من قبل
 الخليفة ، وتولى امر تتبع آل المهلب ، والقضاء
 عليهم) - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ (قال :
 نصبت الرؤوس في دمشق ، ثم ارسلها الخليفة يزيد الى
 حلب فنصبت هناك) وهذا يعزز ما ذهبنا اليه قبل .

(٢) ابن اعثم : الفتوح ، ٢٥٧/٤م .

(٣) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٢-٦٠٣ - ابن الاثير
 نفس المصدر والجزء والمفحة (الا انه قال : ان عدد
 الفتية ثلاثة عشر) - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة
 والجزء والمفحة (اورد ان مسلمة بعث الفتية مع الرؤوس
 وكونها عرفت من طريقه انها نصبت في دمشق ثم حلب ،
 فهذا يدل على ان يزيد كان في دمشق لاحلب) - ابن خلدون
 المعبر ، ٧٩/٣ .

مسلمة بختبع من انهزم من آل المهلب ومن معهم ، وتمفيتهم .
 لذا فان اسرى قنذابيل لما قدموا عليه من عند مسلمة ، امر
 بقتلهم ، ولم تفلح قميدة كثير عزة المتوسلة في العفو عنهم
 فقتلوا وكانوا ثلاثة عشر من ولد يزيد والمفضل وقبيصة بنى
 المهلب . وقيل بل كانوا نحواً من ثمانين ، دفعهم يزيد الى
 من كان له قبل آل المهلب دم ، فقتلوا جميعاً . وذكر
 اليعقوبى منفرداً ان النساء حملن الى الخليفة فحبسهن في
 دمشق . والارجح ما قدمناه ، من تخلية سبيلهن من قبل مسلمة
 وعودتهن الى البصرة بين قومن . اما ابو عيينة بن المهلب
 وعثمان بن المفضل وعمر بن يزيد بن المهلب ، الذين نجوا من
 معركة قنذابيل ، فان هند بنت المهلب ، قد استأمنت لابي
 عيينة من الخليفة ، فامنه وظل عثمان وعمر حتى ولى اسد
 ابن عبد الله القسرى خراسان ، فكتب اليه بامانتهما ،
 فامنهما ، وقدمهما خراسان .^(١)
^(٢)

وقد ذكر اليعقوبى ان ابن هبيرة في طريقه الى العراق
 عندما وليها من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك ، لقي

-
- (١) ابن الاثير : الكامل ، ١٧٥/٤ - ١٧٦ (وقد اورد أسماء احد
 عشر شخصاً ، بينما ذكر انه قتل ثلاثة عشر) - اليعقوبى
 تاريخ اليعقوبى ، ٣١١/٢ (ذكر ان عثمان بن المفضل ممن
 قتلهم يزيد من اسرى قنذابيل في دمشق . وهذا خطأ ، اذ
 انه كان قد نجا من معركة قنذابيل ، والتجأ برتبيل
 حتى استأمن ، فؤمن) انظر قبل : ص ٢١٢ - ابن خلدون :
 العبر ، ٧٩/٣ (ولم يذكر موقف كثير) .
 (٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٧ - الذهبي : تاريخ
 الاسلام ، ٨٦/٤ .
 (٣) نفس المصدر والمجلد ، ص ٣١٢ .
 (٤) كانت ولايته عليها (سنة ١٠٦هـ) . انظر : الطبرى :
 تاريخ الامم ، ٣٧/٧ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء
 ص ١٩٥ .
 (٥) ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٧٥ - ١٧٦ - ابن
 خلدون : نفس المصدر والجزء والصفحة .

جماعة من آل المهلب في الحديد ، قد وجه بهم مسلمة ، فردهم
وكتب الى يزيد في العفو عنهم ، فانبهه يزيد ، فعاد
الكتابة اليه بان ذلك مضافة لقومهم وتالفوا لعشائهم ،
فوافق الخليفة ^(١) . الا ان هذا الخبر فيه غرابة ، ان
امارة ابن هبيرة على العراق جاءت بعد وقت طويل من مواقع
مسلمة مع المهالبة ، فلا يصح ان يكونوا من اسرى العقر
وقندابيل ، فخير هؤلاء تقدم . فان مع الخبر ، فانه يعنى ان
مسلمة قام بعملية تصفية للفراد الاسرة المهالبة وان لم
يكونوا ممن شاركوا يزيد في حركته . الا ان هذا الخبر مشكوك
فيه ، فابن هبيرة كان قد لقي في طريقه مسلمة نفسه
وهو متوجه الى الخليفة في الشام ^(٢) .

مصادرة اموال المهالبة :

ويبدو ان يزيد بن عبد الملك قد ادرك اثر الخراء
المالى في المكانة التي وصلها اعداؤه المهالبة ، وانه من
العوامل التي مكنتهم من جمع الناس حولهم ، ووقوفهم في وجه
الدولة . فسمى بعد احراق منازلهم في البصرة عقب خروجهم
الى قندابيل ^(٣) . في محاولة منه لاجتذاب جذورهم منها وهي
موطنهم الرئيسي بين قومهم ازد عمان ، ومبالغة منه في
التنكيل بهم ، سعى الى سلبهم عنصر القوة لديهم وهو المال
فعمد الى مصادرة اموالهم واملأهم ، ان اصاب لهم اربعة آلاف

(١) تاريخ اليعقوبى ، ٣١٢/٢ (وفي ذلك اشارة الى رغبة
الخليفة في تالف العشائر اليمانية) .

(٢) الطبرى : تاريخ الامم ، ٦/٦١٥-٦١٦ .

(٣) مجهول : العيون ، ٧٤/٣ .

(١) جاموسة نقلها مع جماعة من الزط الى المصيمة ، وصادر
 اقطاعات يزيد ابن المهلب التي منحه اياها الخليفة سليمان
 ابن عبد الملك في البطيحة ، واطاعات خيرة بنت ضمرة
 القشيرية (زوج المهلب) التي اقطعها اياها الحجاج . فقد (٢)
 كان لابن المهلب اقطاعات في بطائح العراق . اذ اقطعه (٣)
 سليمان ما اعتمل من البطيحة ، فاعتمل الشرقى ، والجبان ،
 والخست ، والريحيه ، ومغيرتان ، وغيرها ، فصارت حوزا . (٤) (٥)
 وفيما يبدو ان هذه الممادرة تمت على يد ابن هبيرة امير
 العراق من قبل يزيد بن عبد الملك ، الذي كتب اليه : ان
 يستولى على اموال يزيد بن المهلب ، واخوته وولده . وهذا (٦)
 العمل ليس بدعا من الخليفة يزيد ، بل سبقه اليه غيره من
 الخلفاء والامراء ، فقد عرف نظام الممادرة في تاريخ صدر

-
- (١) المصيمة : مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام ،
 بين انطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس . والمصيمة ايضا
 قرية من قرى دمشق قرب بيت لها . (ياقوت : معجم ،
 ١٤٤/٥-١٤٥) .
- (٢) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٩٢ - البلاذري : فتوح
 البلدان ، ص ٣٦٢ (قال : اقطعها الحجاج عباسان) .
- (٣) البطيحة : أرض واسعة بين واسط والبصرة ، وكانت قديما
 قرى متملة ، وارضا عامرة ، فغاض دجلة والفرات ،
 فتبطح الماء فيها ، وطردها ، فلما نقص اصبتح
 سالحة للعمارة . (ياقوت : معجم ، ٤٥٠/١) .
- (٤) الحوز : من الارض ان يتخذها الرجل ويبين حدودها
 فيستحقها ، ولا يكون لاحد فيها حق معه . والحوز : الجمع
 وكل من ضم شيئا الى نفسه من مال وغيره . انظر /
 اللسان (حوز) . والحوز : قرية من شرقى مدينة واسط
 قبالتها متملة بالخراميين . (ياقوت : معجم ، ٣١٨/٢) .
- (٥) فرج الهونى : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٥٩ - عواد
 الاعظمى : مسلمة ، ص ٤٣ - البلاذري : فتوح البلدان ،
 ص ٣٦٢ .
- (٦) فرج الهونى : نفس المرجع والصفحة .

(١)
الاسلام قبله .

اسباب فشل الحركة :

شاء الله لحركة ابن المهلب التي عاشت مايقارب الخمسة اشهر ، ان تنتهى بالفشل ، والاسباب التي ساعدت على النصر الاموى في العقبر على ابن المهلب ، يبرز في مقدمتها كون هذه الحركة لم تقوم على مبادئ سامية ، ولافكرة او مذهب ، بل جمع انصارها ، دوافع شخصية وقبلية ، وشاركات قديمة . وعداء اقليمي تخالطه نزعة استقلالية ، وكره للبيت الاموى الحاكم كما افتدت هذه الحركة مقومات التنظيم ، حيث لم يتوفر لماحبها الوقت الكافى للاعداد الجيد ، وقد كان نفسه يقول :
"لا اخرج حتى احج واحفظ القرآن ، وتموت امي" . يضاف الى ذلك ثبات القبائل اليمانية الشامية على ولائها لبنى امية ،

(١) لقد شرعت في اعداد بحث عن المقاسمة والتفريم والمصادرة منذ قيام الدولة الاسلامية حتى نهاية العصر الاموى . وانظر بعض ذلك عند / الطبرى : تاريخ الامم ، ٦٤/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٠٠٩٩/٤ - يحيى بن الحسين : غاية الاسانى في اخبار القطر اليماني ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، مراجعة محمد مصطفى زيادة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ، ٩٧/١ - نافع العبود : آل المهلب ، ص ٦٦-٦٩ - محمد امين صالح : العرب والاسلام ، ص ٢٦٦ وغيرها .

(٢) انظر قبل : ص ٢٠٥-٢٠٨ .

(٣) عن اسباب فشل ثورة ابن المهلب . انظر : نافع العبود : آل المهلب ، ص ٩٤ .

(٤) اذ شارك فيها بعض سلاسل مالك الاشتر وابن الاشعث وغيرهم انظر قبل : ص ٨٥ - وفتح عثمان : الحدود ، ص ١٠٩-١١٠ .

(٥) ثابت الراوى : العراق ، ص ٢١٨ .

(٦) ابراهيم بيلون : ملامح التيارات السياسية ، ص ٣٣٢-٣٣٣ . الا اننا لانوافقه بانها حركة اضطرارية ، خصوصا بعد

علمنا ان الخليفة اعطاه الامان بعد هربه الى البصرة ، وفي العقبر من مسلمة مرة اخرى . انظر قبل : ص ١٨٩، ١٤٤ .

(٧) نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٩٣ .

وعدم انحيازها الى ابن المهلب بدافع العممية وآمرة
النسب^(١).

كما ان غياب جزء كبير من قبيلته الازد في خراسان ،
وهؤلاء لم يتمكنوا من الانضمام للحركة ، ونصرة صاحبها ،
ايثارا للعافية ، وخشية من فشل الحركة ، ولوقوف تميم في
وجههم ، وهى التى اخذت موقفا مشابها في البصرة ، ذلك
عندما اجتمعت مع قيس على قتال ابن المهلب . اذ كانوا يرون
ان نجاح الحركة يعنى انتقال الخلافة وهى عنوان سلطان مضر ،
الى اليمانية وحلفائها من ربيعة . وكان خروجه من البصرة
وواسط الى الكوفة خطأ عسكريا ، اذ كان اهل الشام قد سبقوه
اليها ، مما اضطره الى ان يعسكر في العقر بدون تحصينات^(٢) .

كما ان حسد الحاسدين من قومه وحرصهم على المراكز
التى تبوؤها ، قد اضعف موقفه ، وهذا ما تمثل في موقف امير
خراسان عبد الرحمن بن نعيم ، الذى احرى تميم بالوقوف في
وجه مدرك بن المهلب عندما بعثه يزيد الى خراسان^(٣) .

ان هذه الاسباب مجتمعة ، كانت وراء فشل الحركة
المهلبية ، وعجلت بنهايتها .

(١) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٩٥ .
(٢) نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٩٤-٩٦ (الا اننا
لانوافقه على ان معسكره في العقر كان المظارريا ، فقد
خرج من واسط ، بعد ان اختار العقر ميدانا للمعركة ،
وقد كان تقدمه الى العقر ، ليقترب من الكوفة ، آملا
في انضمام اهله اليه . وان كان قد حاول ضمها اليه
بعد نزوله العقر ، من طريق حملات بعثها من هناك ، لكن
محاولاته باءت بالفشل) . انظر ذلك قبل : ص ١٨١، ١٧٨ .
(٣) ناجى حسن : القبائل ، ص ١٥٨ .

تفاعل فئات المجتمع مع الحركة ومواقفها منها :

استجاب معظم العراقيين والمناطق المجاورة ، لحركة يزيد بن المهلب ، بدافع من التنافس الاقليمي الذي يهيجه نزعة استقلالية وكره للبيت الاموي الحاكم وحسد لاهل الشام^(١) على ماجلوه من مكتسبات الحكم تمكنا وثروة، بحكم ولائهم للحكم الاموي وقيامه بينهم . حتى ان البصرة التي غلبت عليها الصفة التجارية ، وقاومت كل حركة رمت الى عرقلة نشاطها الاقتصادي ، هدت مسرحا لحركة ابن المهلب ، واعتمد ابن المهلب في حركته على اهلهما ، اما الاقاليم المجاورة للعراق ، فانضمت اليها بحكم ارتباطها بالعراق اداريا او قبليا او بدافع الجوار والمصلحة . كما كادت الحركة ان تكسب اقاليم كبيرة كخراسان ، التي ابدى اهلهما من الازد وحلفاؤها ، تعاطفهم مع ابن المهلب ، لولا وقوف مفر في وجهها .

(١) ظل شعور العداء لبني امية عند العراقيين يتنامى منذ زمن معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه ، حتى شمل ولائهم واهل الشام ، وهو شعور لم يقتصر على فئة بعينها من اهل العراق بل الكل منهم حتى العلماء والزهاد . فقد قيل للحسن البصري وهو يخذل الناس عن ابن المهلب : (لكانك والله يا ابا سعيد راض عن اهل الشام ؟ قال : انا راض عنهم قبحهم الله ...) . لذا مبروا عنه بمحاولة التخلص من الحكم الاموي في كل مناسبة . انظر هذا الراي عند / ثابت الراوي : العراق ص ١٦٠-١٦١ .

(٢) ثابت الراوي : العراق ، ص ١٣٧ . لكنه اشار الى ان ثورة ابن المهلب ، كانت الثورة الوحيدة التي اشترك فيها اهل البصرة . وهذا قول غير دقيق ، فقد شاركت بايجابية في ثورة ابن الاشعث ، وبايعه جميع اهلهما من قرائها وكهولها . انظر ذلك في / الطبري : تاريخ الامم ، ٣٤١/٦ وما بعدها .

ومن العلامات المميزة لهذه الحركة تاييد بعض الفرق لها ، والانضمام اليها . وعلى راسها فرقة الخوارج ، وقد تمثل ذلك في انضمام السميذع الخارجي واصحابه الى ابن المهلب ، بل أننا نجد عوض خليفات يقدم اخبارا تفيد بمشاركة بعض افراد فرقة الاباضية الخارجية ، في حركة ابن المهلب ، فيقول : ان جابر بن زيد الازدي امام الاباضية ، بحكم انتمائه الى قبيلة الازد ، استطاع ادخال عدد كبير من قبيلته الازد في فرقته ، وكان على رأس هؤلاء بعض افراد الاسرة المهلبية ، اللذين أصبح بعضهم من دعاة الفرقة وحماة البارزين ، كعاتكة بنت المهلب ، وعبد الملك بن المهلب الذي كان على اتصال دائم مع جابر من خراسان فقد اشارت المصادر الى مراسلات متبادلة بين الرجلين حول امر الدعوة . وقد ساعده على انخراط الازد في الحركة الاباضية ، كراهية الازد للحجاج بسبب سوء المعاملة التي وجدوها من

-
- (١) انظر ذلك قبل : ص ١٥٢، ١٥٣-١٥٤ .
 (٢) الاباضية : أحد فرق الخوارج ، وهم اصحاب عبد الله بن ابي نوح ، الذي خرج في أيام مروان بن محمد ، ولهم آراء ومعتقدات منها ، أن في مخالفتهم من أهل القبلة كفار غير مشركين ، ومناكرتهم جائزة ، وموارثتهم حلال ، ولغنيمة السلاح والكراع عند الحرب حلال ، وحرام قتلهم وسلبهم غيلة ، إلا بعد نصب القتال واقامة الحجة ، واجمعوا أن مرتكب الكبيرة كفر كفر النعمة لا كفر الملة ، وغيرها . وهم جماعة متفرقون في مذاهبهم . (الشهرستاني : الملل والنحل ، ص ١٣٤-١٣٥) .
 (٣) نشأة الحركة الاباضية ، طبعة عمان ، ١٩٧٨م ، ص ٩٧-٩٨ (وقد اشار في هامش ٣٤ ، ص ١١١ ، الى عدم تطرق المصادر غير الاباضية للعلاقة بين المعالبة والازد وبين الحركة الاباضية ، معللا ذلك بجهل هذه المصادر بطبيعة العلاقة بين الطرفين ، وبالحركة الاباضية في تلك الفترة السرية من مراحل تطورها) .
 (٤) عوض خليفات : نفس المرجع ، ص ١٠١-١٠٤ .
 (٥) عوض خليفات : نفس المرجع ، ص ٩٨ .

عامله جماعة المزنى فى اعقاب قبائمه على حركة ازد عمان بقيادة ابنى الجلندى ، وموقفه من يزيد بن المهلب واخوته ، ومالحقهم على يديه من سجن وتعذيب وهوان ^(١) . ومع ان الاباضية عاشت فى سلام ابان عهد سليمان فى ظل حماية آل المهلب الذين كانوا على علاقة وثيقة بالخليفة ^(٢) ، الا ان التطورات السياسية بعده ، وما أسفرت عنه من قيام ابن المهلب بحركته ، ولارتباط بين الاسرة المملوكية وفرقة الاباضية لانتماء بعض افرادها اليها ، وكون جزء من اتباع الاباضية من الازد ، قبيلة يزيد بن المهلب ، فان من المؤكد اشتراك افرادها فى الحركة ، بل ان عددا ممن لقي مصرعه على يدى الامويين من اتباع ابن المهلب ، كانوا من الاباضية ومن بينهم عبد الملك ابن المهلب ^(٣) . كما ادت المعاملة السيئة لبني المهلب قادة الازد وزعمائهم وتمهيتهم الى سخط الازد على الحكم الاموى ، ونقمة الاباضية عليه ، مما جعل بعض مشايخهم يدعون الى الانتقام وعلان الحركة ، ومن بين هؤلاء : الشيخ الاباضى ابو نوح صالح الدهان ، لكن الامام ابا عبيدة كان يرى ان الوقت لم يحن لعلان الحركة المسلحة ، واستطاع مقاومة آراء اتباعه المنادين بالعميان . وبقي الاباضية طيلة حكم الخليفة يزيد ابن عبد الملك محافظين على سرية حركتهم ^(٤) . وهذا يعنى ان اشتراك الاباضية فى الحركة كان سرا ، لان الحركة فى ذلك الوقت كانت تعيش مرحلتها السرية . كما ان انضمامهم اليها

(١) موسى خليفات : نشأة الحركة الاباضية ، ص ١٠١ .
 (٢) موسى خليفات : نفس المرجع ، ص ١٠٤ .
 (٣) قتل عبد الملك بن عبد الملك بن المهلب على ابواب قنابيل عندما ادركهم هلال بن أوز . (انظر قبل : ص ٢٢٣) .
 (٤) موسى خليفات : نفس المرجع ، ص ١١١ .

لكون بعض افرادها من المهالبة ، واستجابة لنزعة الكراهة والنسب .

والجدير بالذكر ايضا انضمام فرقة المرجنة الى حركة ابن المهلب ، بعد ما كان الامويون يتخذونهم ملاحا ضد اعدائهم (١) فقد ناهضوا بهم الخوارج ، حيث كانوا يرجئون الامويين الى يوم القيامة ، ويرون شرعية حكومتهم ، اذ انهم يرون ان الايمان هو المعرفة بالله ورسله واداء الفرائض والكف عن الكبائر ، فمن آمن بالله ورسله وترك الفرائض ، وارتكب شيئا من الكبائر ، كان مؤمنا عند المرجنة ، كافرا في نظر (٢) الخوارج .

لقد ترك المرجنة تاييدهم لبنى امية ، وخرجوا مع ابن المهلب لقتال الامويين واهل الشام ، حيث يبدو ان جناحا منهم غير موقفه ، اذ لم يعد يحتمل كل ماجرى على يد الامويين ، ولعل عدم رضاهم عن يزيد بن عبد الملك دفعهم الى مناصرة الداعي الى الكتاب والسنة ، بل لعل موقفهم حتى تلك الفترة ، الذى كان موضع اتهام بالنسبة للمواقف الايجابية للفرق الاسلامية الاخرى ، قد جعلهم يجدون في الحركة فرصة سانحة للدفاع عن مبادئهم ، فعمدوا الى القوة لتقويض ملك بنى امية . (٣)

-
- (١) انظر ذلك قبل : ص ١٤٩ .
 (٢) على حسنى الخربوطلى : الدولة العربية الاسلامية ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م ، ص ٢٨٨ .
 (٣) على الخربوطلى : نفس العرجع ، ص ٢٦٥ .
 (٤) سبق ان خرجت العرجنة على بنى امية قبل ابن المهلب ، بخروجها مع ابن الاضمت . (انظر / على الخربوطلى : نفس المرجع ، ص ٢٨٨) .
 (٥) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٨ .

كما دعم الفرس حركة يزيد بن المهلب^(١) ، وان كنا نرى ذلك أمرا طبيعيا ، خصوصا أنه استطاع ضم فارس وكرمان وغيرها مما حولها إلى حوزته^(٢) ، مع وجود كثير من الموالى بين العرب في العراق ، اعتادوا الخروج إلى الحرب معهم .

الا أننا لانجد ذكرا في المصادر لاشتراك أهل الذمة في هذه الحركة ، أو الحركات التي قامت في العراق بشكل عام^(٣) .

بل أننا نجد المردة قد ساهموا في اخضاع هذه الفترة زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك^(٤) . كما كانت فرقة الوضاحية جزءا من الجيش الشامي الذي حقق النصر الأموي على ابن المهلب في المعر^(٥) .

نتائج وآثار حركة ابن المهلب :

توفر لحركة ابن المهلب من أسباب القوة ما اكسبها هالة وخطرا ، الا أنها قامت على أسس لم تكن معها مؤهلة للنجاح ، ومع ذلك فقد كان لها خطير النتائج ، فلئن كان المعالجة قبل الحركة على خصام مع الحجاج ومن ناصره ، فهم بعدها ومن

(١) توفيق سلطان اليوزبكي : تاريخ أهل الذمة في العراق ، ص ٣١٠ (نقلا عن المسعودي : مروج ، ١٣٤/٣ . الا أننا بالعودة إليه ، طبعة دار الفكر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ٢١٠/٣-٢١٢ لم نجده قد نص على ما نقله اليوزبكي . لذا عللنا قوله في المتن ، ونبهنا على ما نقل) .

(٢) انظر قبل : ص ١٥٩ .

(٣) ثابت الراوي : العراق ، ص ١٣١-١٣٢ .

(٤) فيليب حتي : تاريخ سورية ، ٥٤/١ . إذ أشار إلى انضمام جزء منهم إلى الجيش السوري ، بعد أن تمكن مسلمة بن عبد الملك في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك من القضاء على خطر المردة نهائيا ، بتدمير معامتهم الجرجومة ، فهلك بعضهم ، وهاجر البعض إلى أنطاوليا ، بينما انضم من بقي إلى جيش الاسلام .

(٥) انظر دور الوضاحية قبل : ص ١٩٤ .

تبعهم من ازد عمان على حرب مع بنى أمية عامة ، وكان لابد لليمانية أن تنكح الى جانبهم . وهكذا فان بنى أمية خلفوا هدمهم منذ حركة ابن المهلب عدوا يتربص بهم ^(١) . الا انه ليس من الدقة اطلاق هذا القول بلا حدود ، وتعميمه على القبائل اليمنية . كما انه ليس من المحلة بمكان القول ان حرب الامويين للمهالبة بمثابة حرب على قبائل اليمن .

وقد حاول فتحي عثمان تمحيح هذا القول ، وتحديدده ^(٢) بقوله : الا اننا نستطيع ان نقصر ذلك على العراق ، اذ انقلبت الحكومة الاموية فيه الى حزب يحكم باسم قيس ، اما في الشام فان يزيد بن عبد الملك لم يحاب قيسا على قضاة ، التي كانت نواة الجيش الذي انتصر في العفر ، فقد كان الذي قتل ابن المهلب رجلا من كلب ، كما كان الكلبيون هم الذين تعقبوا المهالبة الهاربين واستاصلوا شافتهم . وفي قوله شيء من المحلة ، والاصح ان الحكومة لم تنقلب الى حزب يحكم باسم قيس في العراق ، ولكنها اعتمدت على القيسية بشكل اكبر .

وهكذا فقدت القبائل اليمنية سيطرتها على العراق ، باستئصال وتنحية من يمت الى المهالبة بصلة القرى او الولاء من ادارة الدولة ، بل تعدادهم الى بنى تميم ، الذين كانوا يتوقعون الاعتراف لهم بالجميل اثر انهزامهم وتيسير ^(٣) النصر لاهل الشام . لكن خيانتهم لابن المهلب لم تشفع لهم

(١) يوسف العث : الدولة الاموية ، ص ٢٨١ .

(٢) الحدود ، ص ١١٠-١٠٩ .

(٣) ناجى حسن : القبائل ، ص ١٥٩ .

عند بنى أمية ، بعد انضمام الكثير منهم الى الحركة اول الامر .

ولقد اورثت مقتلة بنى المهلب على يد بنى أمية وما ترتب عليه بالنسبة لليمنية ، عصبية ابن المهلب وقومه من الآثار ، وخصوصا ابعادهم عن ادارة المشرق في زمن يزيد ، ومالقيوه من عمال يزيد ، اورثت حقدا وغينة في نفوس بعض اليمنيين لم تمحه الايام ، حتى وجدوا الفرصة المناسبة لتفجيرها ، والانتقام من اعدائهم بنى أمية ، بمساعدة خصومهم من آل البيت وتقويض سلطان البيت المرواني . فقد كان التمرد الذي قام به الكرمانى على نصر بن سيار امير خراسان لغاية في نفسه عبر عنها بقوله : "كانت غاييتي في طاعة بنى مروان ان يخلد ولدى السيوف فاطلب بخار بنى المهلب" .^(١)

وكان آل البيت حريين بان يستفيدوا من هذا العدو ، فاستغل ابو مسلم الخراسانى ذلك النزاع ومال الى ابن الكرمانى حين ارسل اليه يستنصره على نصر بن سيار . لذا نجد يوسف العشى يقول : "فعلينا ان نؤرخ بداية الدعوة"^(٢)

(١) الكرمانى : هو جديع بن على الازدى المعنى ، شيخ خراسان وفارسها في عصره ، واحد الدهاة الرؤساء ، ولد بكرمان ، واليها نسبته ، اقام في خراسان الى ان وليها نصر بن سيار ، فخاف الكرمانى ، فسجنه ، فغضب له الازد ، وفر الكرمانى فاجتمعوا عليه ، ثم خرج من جرجان وتغلب على مرو ، فمقت له ، وظهر ابو مسلم الخراسانى ، فاتفق معه على قتال نصر ، فكتب نصر الى جديع يدعوه للملح ، فرغى به ، وخرج في مئة فارس ليكتبا بينهما كتابا ، فوجه اليه نصر ثلاث مئة فارس قتلوه في الرحبة . (الزركلى : الاعلام ، ١١٤/٢) .

(٢) ثريا حافظ عرفة : الخراسانيون ، ص ٢٧-٢٨ .
(٣) عن الخلاف بين الكرمانى ونصر (اليمانية والنزارية) في خراسان ، (انظر / الطبرى : تاريخ الامم ، ٢٨٥/٧ وما بعدها) .

(٤) ثريا حافظ عرفة : نفس المرجع والمفحة .

(٥) الدولة الاموية ، ص ٢٨١ .

العباسية من هذه الحركة - يعنى حركة ابن المطلب - التى امدت اهل البيت بعممية يمانية كبيرة ضد البيت الاموى . وان كنا لانوافق فى هذه المبالغة ، فالدعوة العباسية قامت على تنظيم تميز بالدقة والسرية وامتد طويل لغرس الفكرة وتهيئة البيئة لاقامة الدولة ، صحيح انه بالامكان ان نؤرخ للدعوة بالثورة لان ابتداء الدعوة كان فى نفس الفترة تقريبا نهاية الاول ومطلع الثانى^(١) . لكن الدعوة لم تقم على جهد اليمانية ، واليمانية لم تساند الدعوة الا فى مرحلتها الاخيرة ، بعد ظهور ابي مسلم الخراسانى الذى تم على يديه اعلانها^(٢) . بل ان اليمانية عاشت بعد حركة ابن المطلب اياما سعيدة ، وعلاقات وطيدة مع الحكم الاموى فى بعض فترات ، كمعهد الخليفة هشام وبالدات ابان ولاية خالد القسرى على العراق (١٠٦ - ١٢٠هـ) . وان مما نستنتجه امتدادا لذلك ان الانتماء الاقليمى والمصالح القبلية اصبحت تطفى على التعصب القبلى والتحالفات القبلية القديمة . وهذا مالمسناه من تقديم يمن الشام ولأهم لبنى امية رمز التفوق الاقليمى الشامى والتميز مكانة ومالا ، على آصرة النسب التى تربطهم بابن المطلب الأزدي اليمنى ، وهذا ماينطبق على يمن خراسان ، الذين وان ابدوا تأييدهم للحركة ، الا انهم آثروا العافية وتقديم المصلحة وامن الاقليم . بل ان ربيعة العراق ، لم يكن الحلف دافعها الوحيد الى نصره الحركة بل المصلحة ونزعة الاقليمية،

(١) قيل بعث محمد بن على العباسى دعائه عام ١٠٠هـ . (اليقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣٠٨/٢) . وقيل سنة ١٠١هـ (انظر / ابو حنيفة الدينورى : الاخبار الطوال ، دار السعادة ، مصر ، الطبعة الاولى ، ١٣٣٠هـ ، ٣١٨/١ - ٣١٩) .
(٢) انظر ظهور الدعوة العباسية على يد ابي مسلم فى : (الطبرى : تاريخ الأمم ، ٣٥٣/٧ وما بعدها) .

ولذلك وجدناها لم تمدق القتال وسرعان ما انقضت من حول
(١)
يزيد .

كما ان هذه الفتنة قد كلفت الدولة الكثير من الجهد
والمال ، وعرضت الجبهة الداخلية للانقسام ، اذ انها اخطرت
حدث داخلي في زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك ، الذي شغلته
هذه الفتنة عن توجيه امكانيات الدولة الى ميادينها
الحقيقية في جبهات القتال ، امام الاعداء المتربصين ، في
الشرق والشمال والغرب ، وان كان قد نجح في القضاء عليها
في وقت وجيز ، استطاع بعدها ان يعيد للجبهة الداخلية
وحدتها وتماسكها .

ونحن لانستبعد ان انشغال الدولة بهذه الفتنة ،
وانشغال العرب في خراسان باحداثها بعد ان احيت فيهم روح
العممية القبلية ونعراتها ، قد زاد من اشتعال الحركات في
ماوراء النهر ، وتمادى العصاة في التمرد على سلطان
المسلمين ، حتى تمكن اخيرا سعيد الحرشي من اعادة النفوذ
الاسلامي على تلك المناطق . بل نغزو اليها ايضا الهجوم الذي
شنه الشعوب التركية والقوقازية على الحدود الارمينية ،
والتي ملئ فيها الجيش الاسلامي بهزائم متكررة ، خصوصا بعد
(٢)
(٣)
(٤)
عزل الخليفة يزيد بن عبد الملك لعمر بن هبيرة عن ولاية

-
- (١) انظر قبل : ص ٢٠٧ .
(٢) عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٠ .
(٣) عن فتوح سعيد الحرشي وحروبه في ماوراء النهر ، (انظر
الفصل الرابع ، ص ٣٢٧ وما بعدها) .
(٤) سهيل زكار : تاريخ العرب والاسلام ، منذ ما قبل المبعث
وحتى سقوط بغداد ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة
الثالثة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص ٢١٨-٢١٩ .

(١)
الجزيرة وتأميره على العراق ، في أعقاب عزل مسلمة عنها ،
وقد تمكن الخليفة يزيد من إعادة الهيبة الإسلامية هناك
عندما بعث اليها الجراح الحكمي الذي أوقف تقدمهم وحقق
النصر على جيوشهم .

لقد كانت حركة يزيد بن المهلب التي تمكن الخليفة
يزيد بن عبد الملك من القضاء عليها (سنة ١٠٢هـ) على يد
أخيه مسلمة بن عبد الملك ، فتنة لأمة محمد ، أهلك فيها ابن
المهلب نفسه وأهله ، وسفك الدماء ، وفرق الجماعة ، ونكث
البيعة . وهي في الحقيقة حلقة في سلسلة من الحركات التي
حدثت زمن يزيد بن عبد الملك ، والتي تمكن من إخمادها ،
وحافظ طوال حكمه على سلامة البناء الداخلي للدولة ، وأبقى
على وحدة الأمة .

(١) كانت ولايته على العراق أواخر سنة ١٠٢هـ أو أوائل سنة
١٠٣هـ . (انظر بعد / الفصل الخامس ، ص ١٧٥-١٧٦) .

المبحث الثاني

حركات الخوارج

- (١) حركة شاذب
- (٢) حركة مسعود العبدى
- (٣) حركة مصعب الوالىبى
- (٤) حركة سعيد بن بحدل
- (٥) حركة علفان

المبحث الثانيحركات الخوارج(١) حركة شوذب والقضاء عليها :

ما أن تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة حتى تجددت حركة شوذب الخارجي ، الذي كان قد خرج (سنة ١٠٠هـ) في خلافة عمر ابن عبد العزيز ، ومخرجه بجوخي من أرض العراق ، وأمير الكوفة يومئذ عبد الحميد بن عبد الرحمن . وقد بلغ أصحابه ثمانين فارسا ، أكثرهم من ربيعة ، وقيل : مائتين . وقيل (١) (٢) (٣) (٤) (٥)

- (١) اسمه بسطام بن مرة من بني يشكر ، شاعر جبار ، خرج في أيام عمر بن عبد العزيز بمكان قريب من الكوفة اسمه "جوخا" وكان أصحابه ثمانين ، تريت عمر في قتالهم إلى أن مات ، فلما ولي يزيد بن عبد الملك قاتلهم ، وقد تم القضاء عليه عندما جهز مسلمة جيشا من عشرة آلاف بقيادة سعيد الحرشي ، فحاصروا بشوذب وقتلوه (سنة ١٠١هـ) .
- الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٥٥/٦ - ابن الأثير : الكامل ، ١٥٥/٤ - مجهول : العيون ، ٤١/٣ - الزركلي : الأعلام ، ٥١/٢ .
- (٢) جوخا : اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد ، وهو بين خانقين وخوزستان . (ياقوت : معجم ، ١٧٩/٢) . وجوخي : هي الأراضي التي تحف بجانب نهر المزار - وهو القسم الأسفل من مجرى دجلة الشرقي - وهي تمتد إلى الشمال الغربي حتى كسكر ، كورة واسط . (كي لسترنج : بلدان ، ص ٦٣) . وانظر منها هامش (١) أعلاه .
- (٣) ابن قتيبة : الإمامة ، ١٠٠-٩٩/٢ - المسعودي : مروج ، ٢٠٢-٢٠٠/٣ (قال الدينوري : كان خروجه بالحيرة ، وقال المسعودي : بالجزيرة) . ويبدو أن هذا اللبس حدث ، لأن كثيرا من المؤرخين قالوا بخروج شوذب وحده على عمر ، بينما خرجت الحرورية على عمر في أكثر من مكان ، ولعل هذه المواطن أماكن للشورات الأخرى . وسنعرض لذلك لاحقا عند الرد على من ظن أن عمر سالم الخوارج ولم يحاربهم . حيث أن عمر سالم من كفته الكلمة وأقنعتهم الحجة كشوذب ، وحارب من أعرض عن الحق ومات فسادا .
- (٤) الطبري : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن الأثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة - الأربلي : خلاصة ، ص ٢٥ (ولم يحدد مكان قيامها) .
- (٥) ابن خلدون : المعبر ، ١٦٢/٣ (كما لم يقل من ربيعة ، وحرف جوخي بـ "جوخي") .

(١)

غير ذلك .

فكتب عمر الى عبد الحميد الا يحاربهم الا ان يفسدوا في الارض ، وان يبعث بازائهم رجلا صلبا في قوة ، على ان ياتمر بما كتب اليه . فوجه اليهم عبد الحميد محمد بن جرير البجلي في ألفي رجل . كما بعث عمر من قبله هلال بن احوز في ألف مقاتل ، ووقف مع ابن جرير بازاء الخوارج لا يقاتلونهم . وسارت الرسل بين عمر والمحكمة ، فبعثوا اليه من يناظره ، فاخذا عليه : انه تولى بدون مشورة ، ودعوه الى التبرؤ من اهله ولعنهم ورد احكامهم ، واحتجوا على جعل الامر ليزيد من بعده ، فحاجهم في اقوالهم ، وقال في ضرورة الامر من بعده ليزيد ، بان الذي ولاه غيره ، والمسلمون اولى بمن كان فيهم بعده . فرفضوا قوله ، ورجع واحد منهما عن رأى الخوارج ، وعاد الآخر بقول عمر الى جماعته . وقيل : بل استنظرهما في مسألة ترك الامر ليزيد بعده ثلاثة ايام ، فخاف بنو مروان ان يخلع يزيد ، فدسوا من سقاء سما ، فما لبث بعد خروجهما من عنده ثلاثة ايام حتى مات .^(٢)

(١) مجهول : العيون ، ٤٧/٣ (قال : كان بسطام في ثلاثمائة ويقال في ستمائة) .

(٢) مجهول : نفس المرجع والجزء والصفحة .

(٣) مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٤٣-٤٦ - ابن قتيبة : الامامة ، ١٠٠-٩٩/٢ - المسعودي : مروج ، ٢٠٢-٢٠٠/٣ (والاخيرين لما يشيرا الى اعتراضهم على يزيد) .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٥٦-٥٥٥/٦ - ابن الأثير : الكامل ، ١٥٥/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢١٠-٢٠٩/٩ (لكنه فيما يظهر قد خلط بين ثورة شاذب وغيرها ، إذ أشار الى الثورة في العراق ولم يحدد من قام بها ، ثم محاربة عبد الحميد لهم وهزيمة جيشه ، وقيام عمر بارسال جيش بقيادة مسلمة قضي عليهم ، ثم ذكر طلب عمر من بسطام مفاوضته . والذي يبدو لنا ان هذه حركة سبقت ثورة بسطام وقضى عليها عسكريا ، بعد ان دعوا فلم يجيبوا . يؤيد ماذهبنا اليه ورود النص بذلك عند : الطبري ، نفس المصدر والجزء ، ص ٥٥٥ - ابن سعد الطبقات ، ٣٥٨-٣٥٧/٥ .

وعطفا على الرواية الاولى ، فان الرجل الذى ناظر عمرا
 اخبرهم بما جرى بينه وبين الخليفة ، فلما بلغهم حسن سيرته
 ورده المظالم ، اجتمعوا على عدم مقاتلته ، وقالوا : كفوا
 عنه ما ترككم . فقال رسول عمر : وهو يكف عنكم ما لم تفسدوا
 فنزل بمطام واصحابه حزة من الموصل ، كما كتب عمر الى عبد
 الحميد ، بنتيجة المفاوضات ، وامره بالكف عنهم الا ان
 يقاتلوه . فظل محمد بن جرير البجلي وابن اخوز بازائهم لم
 يقاتلوه حتى مات عمر . ولنا ان نستبعد القول بتفكير عمر
 فى عزل يزيد ، وسم بنى امية له . فما كان عمر لينكت بيعة
 شملت يزيد معه بعهد سليمان ، بل نجده يوصى الى ولى عهده
 فى مرفه ، بالتمتع للامة وتقوى الله ، وهذا يبطل من ادعى
 سمه . لكن الغالب انه قد نجح فى اقناع مناظريه من الخوارج
 وكانت سيرته وعدالته شفيعا له عند جماعتهم ، فى عدم قيام
 حجتهم عليه وبالتالي التوقف عن حربه ، فحمى الامة والدولة
 من شر فتنة مستطيرة ، ووفر كثيرا من الجهد والمال لجند
 الدولة وبيت مالها .

تجدد الحركة فى عهد يزيد بن عبد الملك :

نقف حائرين امام الخلاف حول ما انتهت اليه المناظرة
 بين رسولى شاذب والخليفة عمر بن عبد العزيز ، حيث ان

-
- (١) حزة : بليدة قرب اربل من ارض الموصل ، وقد كانت قعبة
 كسورة اربل قبل . وقد بناها اردشير بن بابك ، وقالوا
 حزة من ارض الموصل . (ياقوت : معجم ، ٢٥٦/٢) .
 (٢) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٦٧ - مجهول
 العيون ، ٤٦/٢ - ٤٧ - الاربلى : خلاصة ، ص ٢٠ .
 (٣) مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٤٧ .

الخلافاً سيستمر بين الطبرى والمؤرخ المجهول فى سبب تجديد الحركة زمن الخليفة يزيد وكيفيته ^(١) . فالطبرى كمؤرخ له ميزة الاقدمية اتبعه آخرون كابن الاثير وابن خلدون ويظهر انهما نقلوا عنه . لنا على روايته

بعض المآخذ ، كقوله ان عمر طلب من مناظريه ان يمهله ثلاثة ايام ، ليبت فى صيرورة الامر من بعده ليزيد . وقد استبعدنا عزم عمر على تحويلها عن يزيد ^(٢) . كما اشار الى سم بنى امية لعمر ، وهذا ما لانقره هناك روايات اثبتت مرفهه ، كما ان بنى امية لم يكن ليعجزهم ذلك قبل اذا ما عزموا عليه . وسنرى الطبرى كما سيتبين بعد يقول بمسارعة عبد الحميد بن عبد الرحمن الى قتال شاذب تقربا الى يزيد ، وهذا القول بعيد عن شخصية عبد الحميد التى عرفناها من مواقفه تجاه حركة ابن المهلب . والتى ظهر من خلالها تجنبه الفتنة وكرهه للقتال . وقد دعانا كل هذا الى العودة الى ترجمة معمر بن المثنى ابو عبيدة التيمى راوى هذا الخبر عند الطبرى ، فوجدناه مع سعة علمه خاصة فى الادب والنسب والاخبار ، قد رمى برأى الخوارج . وهذا يفسر جنوح الرواية الى جانب الخوارج ، بتوقف عمر عند رأيهم فى يزيد ، ومباداة عبد الحميد لهم فى القتال بعد وفاة عمر .

ومن هنا فانا نقدم رواية المؤرخ المجهول ، وان تاخر زمنيا عن الطبرى ، لقربها من المنطق وتناسبها مع الاحداث .

(١) انظر الخلاف بين الطبرى والمؤرخ المجهول حول ذلك فى الصفحة السابقة .
 (٢) انظر الصفحة قبل السابقة .
 (٣) انظر ترجمته عند : ابن حجر : تهذيب ، ١٠/٢٢١-٢٢٢ - ابن حجر : تقريب التهذيب ، ص ٥٤١ .

فقد روى انه "لما مات عمر بن عبد العزيز وولى يزيد ابن عبد الملك عادت الخوارج الذين كانوا مع بسطام فتجمعوا وطلبوا الفتنة ، وكان يزيد بن عبد الملك قد اقر عبد الحميد على الكوفة فوجه عبد الحميد تميم بن الحباب في الفين الى بسطام" ^(١) . وفيما يبدو انه قد تعرض لهم قبل ذلك محمد بن جرير وهلال بن احوز ، فهزما ، مما دعى الخليفة يزيد بن عبد الملك الى التدخل بنفسه في الامر ، فاقر عبد الحميد على الكوفة وبعث من قبله تميم بن الحباب في الفين للقضاء على شوذب ، فحاربهم ، فكان نصيبه القتل وهزم جيشه فلجا بمعظمهم الى الكوفة ورجع الآخرون الى يزيد ، فوجه جيشا آخر بقيادة نجدة بن الحكم الأزدي فقتلوه ، وهزم أصحابه . ثم بعث اليهم الشجاع بن وداع في الفين ، فلم يكن حظه اوفر ممن سبقه ، حيث كان نصيبه القتل ، وان كان قد قتل من اصحاب شوذب في حربه بعض كبار أصحابه . وفي هذا القول ^(٢) ما يوضح ما وصلت اليه قوة شوذب ، يملبها صدق قتال الخوارج وان قل عددهم .

- (١) العيون ، ٦٤/٣ ، لكن الطبري : تاريخ الامم ، ٥٧٥/٦-٥٧٦ فيما ذهب اليه ، اشار الى مباداة ابن جرير لهم بالقتال ، بأمر عبد الحميد ، فاقتتلوا ، وكان النصر للخوارج على جند ابن جرير الذي عاد الى الكوفة منهزما ، وقد اصاب هو نفسه ، كما قتل الكثير من جنده وكان شوذب واصحابه قد طاردوهم حتى الكوفة ، ثم عاد الى موطنه . وانظر ذلك ايضا عند / ابن الاثير : الكامل ، ١٦٦/٤ - ابن خلدون : العبر ، ١٦٣/٣ . لكنه لم يذكر سبب حرب عبد الحميد لهم .
- (٢) ذكر المؤرخ المجهول ان الجيوش قد وجهت من قبل عبد الحميد ، كما انه لم يذكر حملة نجدة الأزدي . انظر : العيون ، ٦٤/٣-٦٥ .
- (٣) الطبري : نفس المصدر والجزء والمفحات - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٦٦-١٦٧ - ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والمفحة .

القضاء على شوذب :

تم القضاء على شوذب واصحابه على يد مسلمة بن عبد الملك اثناء مسيره للقضاء على حركة ابن المهلب . فانه لما دخل الكوفة شكك اليه اهلهما مالقيوه من شوذب ، وخوفهم منه فجعل جيشا من عشرة آلاف جعل قيادته سعيد بن عمرو الحرشي ، ووجهه اليهم ، فدارت سنة ١٠١هـ الواقعة بين بسطام وجند الخلافة ، استبسل فيها الخوارج وكشفوا جند الشام ، فخشي الحرشي الفضيحة ، واستحث جيشه ، وحمل بهم على شوذب واصحابه ، فالحق الهزيمة بهم ، حيث قتل شوذب ، وكل اصحابه .

- (١) لم نجد مسلمة قد دخل الكوفة اثناء مسيره الى ابن المهلب ، وانما عسكر في النخيلة من ارضها . (انظر ذلك قبل في مسيره اثناء عرشنا لاحداث ثورة ابن المهلب) .
- (٢) سعيد بن عمرو الحرشي ، يعود نسبه الى الحرشي بن كعب ابن ربيعة ، قائد من الولاة الشجعان ، كان ثقيا بطلا ، وصفه ابن هبيرة بفارس قيس . من اهل الشام ، هو الذي قتل شوذب الخارجي ، وقتل بمن معه سنة ١٠١هـ ، وولاه ابن هبيرة خراسان سنة ١٠٢هـ ، ثم عزله وسجنه ، لعلمه بمكاتبته للخليفة وانه لايعترف بامارته ، ثم عاد الى الشام بعد ان اخرجته خالد القسري ، فولاه هشام سنة ١١٢هـ غزو الخزر ، ثم امره بالعودة من ارمينية ، وله ولد بها . (الزركلي : الاعلام ، ٩٩/٣) .
- (٣) اورد يحيى بن الحسين خاطبا ان القضاء على شوذب كان سنة ١٠٤هـ . (انظر : غاية الاماني ، ص ١١٩) .
- (٤) ابن الاثير : الكامل ، ١٦٧/٤ - مجهول : العيون ، ٦٥/٣ قال : (ان يزيد ارسل مسلمة واليا على العراق ، فوجه سعيدا الى الخوارج) - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٤/٩ - ابن خلدون : المعبر ، ١٦٢/٣ (وقد عرف نسبه من الحرشي الي "الحرشي") - شابت الراوي : العراق ، ص ٢٣٩ (الا انه قال : ان القضاء عليها كان بعد قتل يزيد بن المهلب ، كما انه ذكر اسم قائد الجيش محرفا "عمرو بن حريث" ولم يذكر مصدره) .

وبهذا النصر أراح مسلمة الدولة من شائر كلفها الكثير
من الجهد والمال والرجال ، وأمن أهل الكوفة ، وتخلص من
عدو متربص ، يخشى خطره ، فلم يكن بوسع مسلمة أن يتجه إلى
ابن المهلب ويترك الخوارج وراء ظهره ، حتى لا يجد نفسه أمام
جبهتين قتاليتين في آن واحد . فقد يشغله هؤلاء من معتمه
الرئيسية ، ويستولي خطرهم على اهتمام جنده الكوفيين .^(١)

(١) عواد الأعظمي : مسلمة ، ص ١٧٢-١٧٣ .

(٢) حركة مسعود العبدى فى البحرين واليمامة :

لم تكن حركة شاذى هي الحركة الوحيدة للخوارج فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، فقد حفل عهده بعدد من الحركات ، من أهمها حركة مسعود بن أبى زينب العبدى فى البحرين واليمامة .

اذ خرج مسعود بالبحرين على الاشعث بن عبد الله بن الجارود ، فترك الاشعث البحرين وغبطها مسعود ، ثم سار الى اليمامة ، وكان أميرها سفيان بن عمرو العقيلي ، ولاء اياها عمر بن هبيرة . فخرج اليه سفيان فى بنى خليفة بالخمرة ، حيث دارت بينهما معركة شديدة ، انتهت بقتل مسعود بن أبى زبيب . فتولى امر الخوارج بعده هلال بن مداح فقاتل سفيان بقية يومه ، فقتل اناس من الخوارج منهم زينب اخت مسعود العبدى . وفى الليل تفرق عن هلال أصحابه وبقي فى عدد قليل فتحصن بأحد القصور ، فنصبوا عليه السلاسل وصعدوا اليه فقتلوه ، واستأمن أصحابه ، فؤمنوا ، وقيل ان مسعود غلب على البحرين واليمامة تسع عشرة سنة حتى قتله سفيان بن عمرو العقيلي .^(٢)

(١) مسعود بن أبى زينب العبدى ، من بنى عبد القيس ، شاعر حرورى ، من الأمراء الشجعان ، وثب فى البحرين على الاشعث بن عبد الله بن الجارود ، فخرج الاشعث منها ، وسار مسعود الى اليمامة فامتلكها ، ثم قتله سفيان العقيلي ، وقيل غلب عليهما تسع عشرة سنة . (الزركلى : الاعلام ، ٢١٧/٧) .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ١٩٠/٤ - ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٦ - عبد الرحمن عبيد الكريم النجم : البحرين فى صدر الاسلام وأثرها فى حركة الخوارج ، رسالة ماجستير ، غير مطبوعة ، مقدمة لكلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧١م ، ص ١٧٨ (نقلا عن / ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٤٤ - أنساب الأشراف ، ج ٧ ، ورقة ١٢٥ - الكامل ، ١١٨/٥ - ١١٩ - ياقوت : معجم ، ٥٧٠/١ - ٥٧١ - ديوان الفرزدق ، ١١٩/١ - ٢٢٦ قال : وفى الديوان قيل : مولى لعبد القيس "يعنى مسعود" - عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٢٩٧-٢٩٨ .

وعلى قول من خبر ان القفاء عليها قد تم سنة ١٠٥هـ ،
فهذا يعنى نشؤها (سنة ٨٦هـ) . وقد كان أمير البحرين آنذاك
قطن بن زياد بن الربيع الحارثي ، وليس الأشعث .^(١)
ويبدو ان مقتلة الخوارج كانت في مكان يعرف "ببرقان"^(٢)
نستدل على ذلك من قول الفرزدق في هذا اليوم مادحا بنى
حنيفة :

ارين الحروريين يوم لقائهم

ببرقان يوما يجعل الموت اشقرا^(٣)

لكن مع اتفاق هذه المصادر على نهاية هذه الحركة على
يد سفيان بن عمرو العقيلي ، أمير اليمامة ، المولى من قبل
ابن هبيرة كما زعم ، الا اننا نجد اختلافا على بداية الحركة
فابن خياط الذي نجده يقول بخروجه في ولاية ابن هبيرة^(٤)
- كانت ولايته على العراق من قبل يزيد سنة ١٠٢هـ - حتى سنة
١٠٦هـ عندما عزل بخالد القسري من قبل هشام - نجده في مكان^(٥)
آخر من نفس المصدر ، يقول بخروج مسعود في البحرين على
الأشعث بن عبد الله بن الجارود سنة ٩٦هـ عندما ولاه اياها
يزيد بن المهلب أمير العراق من قبل سليمان . وحيث ان
مصدرنا الرئيسي في تفصيلات القتال هو ابن الأثير ، الذي لم
يحدد زمن خروجه ، ولكنه قال على الأشعث ، وقد عرفنا تاريخ ولاية

(١) من أجل ذلك : انظر / ابن خياط : تاريخ ابن خياط ،
ص ٣١٠ .

(٢) برقان اليوم في جنوب الكويت ، وهو من حقول الزيت
المهمة . (انظر / عبد الرحمن النجم : البحرين ، هامش
ص ١٧٨) . وقال ياقوت : برقان موضع بالبحرين قتل فيه
مسعود بن أبي زئب . (معجم ، ١/٣٨٧) .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ٤/١٩٠ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٣٦ .

(٥) ص ٣١٣ .

الاشعث وهى سنة ٩٦هـ . وهو لم يكن بعد ذلك أميرا للبحرين
 فى خلافة يزيد بن عبد الملك . فاننا نستبعد على ضوء هذا^(١)
 القول استمرار حركته تسع عشرة سنة اعتمادا على انها بدأت
 سنة ٨٦هـ ، لاجماع الممدرين الرئيسيين على حدوثها فى اماره
 الاشعث سنة ٩٦هـ ، وهى على هذا الاساس يكون عمرها مايقارب
 عشر سنوات فقط اذا ماصح القول بالقضاء عليها اواخر عهد
 يزيد . غير اننا لانتوقع سكوت بنى أمية على حركة خارجية
 هذه المدة الطويلة من الزمن ، وهى فترة كان صدرها زمن
 سليمان ثم عمر ، وقد امتازت بقوة الدولة وتمكنها من اخمد
 حركة كهذه بيسر . وعليه فاننا نجد فى رواية المؤرخ
 المجهول مخرجا من هذا الاضطراب . اذ قال : ان الذى خرج^(٢)
 بالبحرين هو اخو مسعود بعد قتل اخيه . ويبدو من قوله ان
 مسعود هو الذى خرج على الاشعث سنة ٩٦هـ ، بل اننا وجدنا^(٣)
 ان سليمان قد ولى اليمامة سفيان العقيلي ، ويظهر انه تولى
 مهمة القضاء على حركة مسعود عندما تقدم نحو اليمامة ، وان
 هذا قد تم زمن سليمان بن عبد الملك لايزيد ، وهو الاولى .
 حيث اننا وجدنا ان يزيد بن عبد الملك قد رد على
 ولاية البحرين واليمامة ابراهيم بن العربى ، اى بعد القضاء^(٤)
 على حركة ابن المهلب التى شملت سيادتها هذه المناطق وكان
 ابن المهلب قد ولى البحرين ابان حركته هرم بن القرار

(١) انظر ولاة البحرين فى خلافة يزيد بن عبد الملك ، بعد :
 الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٤٩٤-٤٩٥ .
 (٢) العيون ، ٧٥/٣ .
 (٣) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣١٩ .
 (٤) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٣٣ . كان أميرها منذ خلافة
 عبد الملك ، فلما مات أقره عليها الوليد . (انظر :
 ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٢٩٨-٣١١) .

(١) العبدى . وهذا يعنى أن الأشعث بن عبد الله الذى قامت عليه الحركة ، وسفيان العقيلى الذى قضى عليها ، كانا أميرى البحرين واليمامة زمن سليمان ، مما يؤكد قيامها والقضاء عليها فى عهده ، لازمن يزيد بن عبد الملك . الذى فيما يظهر أن الحركة التى قامت زمنه كانت بقيادة أخ مسعود ، فخلط بينهما المؤرخون ، ووسموا الأخيرة بسمات الأولى وأحداثها . إلا أن المصدر الوحيد الذى وجدناه قد أشار إلى حركة أخى مسعود لم يقدم لنا معلومات عن أحداثها وكيف تم القضاء (٢) عليها .

(١) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٦٠٠/٦ .
(٢) المصدر الوحيد الذى وجدناه أشار إليها هو : العيون والحدائق ، للمؤرخ المجهول ، ٧٥/٣ .

(٣) حركة مصعب الوالبي :

نجد عند ابن الاثير والمؤرخ المجهول ذكرا لحركة (١) (٢)
 حرورية جديدة ، تزعمها رجل من رؤساء الخوارج ، هو : مصعب
 ابن محمد الوالبي ، في العراق ، على عمر بن هبيرة أمير (٣)
 العراق من قبل يزيد بن عبد الملك ، والذي تسبب في قيامها
 كما يبدو لنا ، ان مصعبا كان من رؤساء الخوارج فطلبه ابن
 هبيرة وطلب معه مالك بن الصعب ، وجابر بن سعد ، فخرجوا
 واجتمعوا بالخورنق ، وأمروا عليهم مصعب ومعه أخته آمنه ، (٤)
 فساروا عن ابن هبيرة ، فلما استعمل خالد القسري على
 العراق من قبل هشام بعد ابن هبيرة ، بعث اليهم جيشا ،
 كانت قيادته لسيف بن هانيء ، وكانوا قد صاروا بحزة من
 أعمال الموصل فالتقوا ، واقتتلوا ، فهزم الخوارج وقتل
 زعيمهم مصعب الوالبي ، وقيل : كان قتلهم آخر أيام يزيد بن
 عبد الملك ، لكننا لم نجد لهم خبرا في ولاية القسري ، مما
 يرجح القضاء عليهم زمن يزيد ، اذ كيف يتركهم ابن هبيرة
 وقد خرجوا على الامام ، وكان قد طلبهم قبل الخروج واعلان
 الحركة .

-
- (١) الكامل ، ١٩٠/٤ .
 (٢) العيون ، ٧٥/٣ .
 (٣) مصعب بن محمد الوالبي ، أمير شائر ، كان له شأن في
 العصر المرواني ، خرج على ابن هبيرة فطلبه ، وسار
 بمن معه الى حزة بالموصل ، حتى بعث خالد القسري ،
 جيشا ، تمكن من القضاء على حركته وقتله . (الزركلي :
 الاعلام ، ٢٤٧/٧-٢٤٨) .
 (٤) الخورنق : موضع بالكوفة ، وقيل هو نهر ، والذي عليه
 اهل الاخبار والاثر انه قصر كان بظاهر الحيرة . (ياقوت
 معجم ، ٤٠١/٢) .

(٥) حركة عقفان :

(١)
خرج عقفان الحروري على يزيد بن عبد الملك ، بناحية
(٢)
دمشق ، وكان عدد أصحابه ثمانين رجلا من الخوارج .
ولقد كانت حركته تجربة ونهجا جديدا اتبعه الخليفة
يزيد في مواجهة الخوارج والتعامل مع حركاتهم . حيث سلك
الطريق السلمي في اخماد هذه الحركة .
فعندما اراد يزيد القضاء عليه عسكريا ، اشير عليه ان
يبعث الى كل رجل من اصحاب عقفان رجلا من قومه يرده عن راي
الخوارج ، على ان يؤمنهم الخليفة . فقد قالوا للخليفة :
ان قتل بهذه البلاد اتخذها الخوارج دار هجرة . فوافقهم
(٣)
الخليفة على رايهم . وسار اليهم اهلهم ، وقالوا لهم انا
نخاف ان نؤخذ بكم ، وامنهم ، فرجعوا عن رايهم وانفضوا من
حول زعيمهم عقفان ، فبقى وحده ، فارسل اليه يزيد اخاه
فاستعطفه وامنه ، فردده وقد ترك راي الخوارج ، بل انه خدم
الدولة فتولى زمن هشام امر العمارة ، ثم استعمل على الصدقة

-
- (١) عقفان الحروري : لم اعثر له على ترجمة .
(٢) مجهول : العيون ، ٧٥/٣ - ابن الاثير : الكامل ،
١٨٩/٤ - ١٩٠ - عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ،
ص ٥٩٨ .
(٣) لم تكن الشام مسرحا لثورات الخوارج ، حيث كان العراق
مركزها ، لذا خشي الشاميون ان يسقى الدم البذرة
الخارجية في ارض الشام فتنبؤ بها ، وتورث الاحقاد
مراعا حروريا سنيا لا ينتهي هناك . فان الخوارج اذا
ما قامت لهم ثورة في مكان ما ، اعتبروه دار هجرة وجب
على من على رايهم الهجرة اليه ، بل ان الازارقة ،
كفروا القعدة ولو كانوا على دينهم . (انظر :
الشهرستاني : الملل ، هامش ص ١١٨-١١٩ ، ١٢١ - على
الغرابي : تاريخ الفرق الاسلامية ، ص ٢٢٧) .

(١)

حتى توفي هشام .

ولقد نجح هذا النهج ، واخذت هذه الفتنة ، دون عناء
 ويعلق عماد الدين خليل على نجاح سياسة يزيد السلمية ازاء
 عقفان بقوله : ان بمقدور يزيد ان يتأسى بسياسة سلفه ازاء
 هذه الكتلة بدل العنف واراقة الدماء ومايجره ذلك على
 الدولة من خسائر فى الارواح والاموال ، وتفتت الوحدة وتغلغل
 الحقد فى النفوس . خصوصا بعد نجاح تجربته مع عقفان ، مما
 يعنى انه ليست اساليب عمر وحدها التى نجحت فى هذا المجال .^(٢)
 وهو هنا يرمز الى اسلوب عمر السلمى فى معالجة حركة شاذب
 الخارجى . لكننا وان وافقناه على نجاح عمر سلميا فى تعطيل
 حركة شاذب ، ويزيد فى انهاء حركة عقفان ، وان الحل السلمى
 خير على الدولة والامة . الا اننا نخالفه فيما يرمى اليه من
 وراء قوله ، وهو انه كان على يزيد ان يعالج الحركات
 الخارجية التى ظهرت فى عهده سلميا كما فعل عمر ونجح هو مع
 عقفان . فعمر لم ينجح فى التعامل مع كل الحركات الخارجية
 التى قامت فى عهده سلميا ، بل اضطر الى اخماد بعضها
 عسكريا عندما لم تستجب الحرورية الى توجيهاته . وماكان^(٤)

(١) ابن الاثير : الكامل ، ١٨٩/٤ - ١٩٠ - مجهول : العيون ، ٧٥/٣ - عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ص ٢٩٨ ،

(٢) نفس المرجع والمصحة .

(٣) انظر قبل : ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(٤) خرجت الحرورية على عبد الحميد بن عبد الرحمن امير الكوفة ، زمن عمر ، فلما دماهم بأمر عمر ، ولم يستجيبوا أمره عمر بقتالهم ، فحاربهم وهزم جيشه ، فبعث عمر اليهم جيشا من قبله بقيادة مسلمة بن عبد الملك فهزمهم . ويبدو أن هذه الخارجية سبقت شاذب فى القيام على عبد الحميد فى العراق . (انظر عن ذلك / ابن سعد : الطبقات ، ٣٥٧/٥ - ٣٥٨ - الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٥٥/٦) . كما خرجت خارجة أخرى فى المومل على=

يزيد ليسعى الى الحرب مع امكانية ذلك الفتنة سلميا ، خصوصا وقد رايناه قد عمل بذلك مع عقفان ، ودعى ابن المهلب من قبل الى السلم ، وماأظن جنده قد قاتلوا خارجيا قبل أن يدعوه الى الجماعة وترك الفرقة والخلاف . وهل ردت الدعوات السلمية من على رضى الله عنه قبل فرقة المحكمية عن غيرها .

اننا نرى يزيد بن عبد الملك قد تمكن من تتبع الخوارج واخماد حركاتهم المتعددة ، فى شىء من السرعة واليقظة والقوة . ولقد أدت هزائهم المتلاحقة فى عهده ، الى ضعف (١)

أمر الخوارج لسنوات لاحقة .

= يحيى الفسائى عامل عمر بن عبد العزيز على الموصل ، فدعوا ولم يجيبوا ، اذ لم تغلح معهم الطرق السلمية ، ولم تقنعهم الحجة ، وأبوا الا القتال (انظر حركتهم عند ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٩٤-٩٦) .

(١) نايف محمد معروف : الخوارج فى العصر الاموى ، ص ١٧٥ .

(*) هذا وقد أورد المؤرخ المجهول صاحب العيون والحدائق ، ٧٥/٣ ، أنه فى عهد يزيد بن عبد الملك حدثت حركة أخرى من حركات الخوارج ، ينسبها الى سعيد بن بحدل . ولكن برجعنا الى المصادر السابقة والموشوق بها ، اتضح لنا أن هذه الحركة انما حدثت فى عهد يزيد بن الوليد ابن عبد الملك (الناقص) سنة ١٢٦هـ . عن ذلك انظر / ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٧١ ومابعدها - الطبرى : تاريخ الأمم ، ٣١٦/٧ ومابعدها - ابن الاثير : الكامل ، ٢٨٩/٤-٢٩٠ ، ٢٩٥-٢٩٦ . وقد ورد اسم هذا الخارج فى المصدرين الاخيرين (سعيد بن بهدل) ، ولعل ذلك تحريف لاسمه .

المبحث الثالث

حركة شيريم اليهودي

نعم أهل الذمة برعاية الدولة الإسلامية والأمن في حماها وحسن المعاملة من المسلمين في ظل سماحة مبادئ الإسلام وإنسانية تعاليمه ، كما تمتعوا بحريتهم الدينية التي تبيحها شريعة الإسلام لرعايا دولته . وهكذا تم التعايش السلمى بين الديانات تحت مظلة الدولة الإسلامية وشريعتها السمحة ، إلا أن بقاء بعض الأفكار والمعتقدات عند غير المسلمين والتفكير في أحيائها ، ولو كان ذلك مخالفاً لشرائع الإسلام أو سيادة دولته ، أدى إلى قيام بعض الحركات التمردية ، والمهادم بين تلك الفئات غير المسلمة مع سلطان الدولة الإسلامية .

(١)

فإن الكنيس اليهودي لم يحل في قلوب اليهود محل

(١) الكنيس اليهودي : مكان يجتمع فيه اليهود للعبادة منذ أيام موسى عليه السلام ، واستعملت الكلمة للدلالة على جماعة من اليهود يتلاقون لغرض ديني ، وبعد هدم الهيكل لأول مرة ، ازدادت أهمية الكنيس ، وأصبح في القرون الوسطى المركز الاجتماعى والثقافى للحياة اليهودية ، وكانت إقامة الطقوس والعبادات فيه بسيطة لا تحتاج إلى كاهن معين (رسمى) ، أما الآن فيعين لكل كنيس كاهن يقوم بالشعائر الدينية فيه . (الموسوعة العربية الميسرة : تاليف مجموعة من الأساتذة المتخصصين برئاسة الأستاذ/محمد شفيق غربال ، دار نهضة لبنان للطبع والنشر ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ٢/ ١٤٨٦-١٤٨٧) . وهو غير (الكنيسة) ، وهى كلمة عبرية تعنى حرفياً (مكان الاجتماع) ، ويسمى المعبد اليهودي "بيت هاكنيسيت" أى المكان الذى يجتمع فيه اليهود ، وتستخدم هذه الكلمة الآن فى إسرائيل للإشارة لمجلس البرلمان الاسرائيلى ، وقد تم تكوينه لأول مرة فى فبراير ١٩٤٩م ، ويتكون من (١٢٠) عضواً . (انظر / عبد الوهاب المسيرى : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٧٤م ، ص ٣١٤) .

- (١) الهيكل بكل معاني الحلول ، فقد ظل أمل اليهودى أن يقدم
(٢) القربان ليهوه ، فى يوم من الايام أمام قدس الاقداس على تل
(٣) صهيون ، مما عرضه لخداع من ادعى انه "المسيح المنتظر" فى
(٤)

- (١) الهيكل : هو أهم مبنى للعبادة اليهودية فى فلسطين
شيده سليمان عليه السلام ، وهدمه البابليون عام ٥٨٦
ق.م ، ثم أعيد بناؤه عام ٢١٥ ق.م ، وادخل المكابيون
والحشمونيون بعض التعديلات والتجديدات عليه ، ثم قام
هيرود بتوسيعه ، وبلى حوله سوراً عالياً ولكن الرومان
حطموا الهيكل عام ٧٠م على أثر ثورة قام بها اليهود .
(عبد الوهاب المسيرى : موسوعة المفاهيم ، ص ٤٢٥) .
وانظر بتوسع : حسن ظاظا : أبحاث فى الفكر اليهودى ،
الطبعة الأولى ، مطبوعات دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٧هـ ،
ص ٥٣٠، ٥٢٠، ٤٥٠ .
- (٢) يهوه : اسم لله ورد فى سفر الخروج ، وهو لفظ عبرى ،
معناه الموجود أو الكائن ، أو الذى كان ، وقد أطلقت
التوراة اسم يهوه على الله فى المواضع التى اعتبرت
فيها اله اليهود وحدهم ، وهو الذى أعلن نفسه بهذا
الاسم لموسى النبى - عليه السلام - وكلفه أن يبلغه
 لليهود كي يعرفوه بهذا الاسم ، اذ جاء فى سفر الخروج
"فقال موسى لله هاأنا آتى الى بنى اسرائيل وأقول لهم
اله آبائكم أرسلنى اليكم ، فإذا قالوا لى مااسمه ،
فماذا أقول لهم ؟ فقال الله لموسى ... هكذا تقول
لبنى اسرائيل ، يهوه اله آبائكم ، اله ابراهيم
واله اسحق واله يعقوب أرسلنى اليكم ، هذا اسمى الى
الابد (الخروج ٣/١٣-١٥) . انظر / زكى شنودة : اليهود
نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم ، من واقع نصوص التوراة
كتابهم المقدس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،
الطبعة الأولى ، ١٩٧٠م ، ص ٢٩٢-٢٩٣ . وأشار الى ذلك
(محمد خليفة التونسى (مترجم) : الخطر اليهودى
(بروتوكولات حكماء صهيون) ، الطبعة الرابعة ، ص ٢٦، ٦١)
(٣) صهيون : قيل هى : الروم ، وقيل : البيت المقدس ، قلت
موضع معروف بالبيت المقدس ، محلة فيها كنيسة صهيون .
(ياقوت : معجم ، ٣/٤٣٦) . وقالت ابكار السقاف : هو آخر
حصون كنعان ، وقد امتلكه داود . انظر كتابها :
اسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ، عالم الكتب ،
القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٧م ، ص ٣٦٦ .
- (٤) المسيح المنتظر : يفتخر اليهود مسيحا يخلصهم من
الخنوع للأفقيين على شرط ألا يكون فى صورة قديس ، كما
ظهر عيسى بن مريم - عليه السلام - كي يخلصهم من
الخطايا الخلقية ، لذلك أنكروه ، لكنهم يشترطون أن
يكون فى صورة ملك من نسل داود يعيد الملك الى
اسرائيل ، ويخضع الممالك كلها لليهود، وذلك بالقضاء =

(١)
كل الاوقات .

وهذا ما استغله بعض الدجالين اليهود ، فقامت على ايديهم بعض الحركات اليهودية ، من ذلك ما حدث عام (١٠١ - ١٠٢هـ / ٧٢٠م) حين أعلن شيريم (Sereme) وهو يهودى سورى انه المسيح المنتظر ، والمنقذ لليهود ، وسير حملة لانتزاع فلسطين من المسلمين . فغادر يهود بابل واسبانيا مواطنهم ليشتركوا فى هذه المغامرة . بل قيل : انه لما سمع بخبره عرب الاندلس ، وكان بعضهم من اهل الشام ، صدقوا مقالته ، فعادوا الى سوريا وقد تركوا الغنائم التى غنموها ، والمساكن التى ارتضوها ، فضبط عنبة بن سحيم الكلبي (امير الاندلس ١٠٣ - ١٠٧هـ) ، الاملاك التى تركوها ، وحولها لبيت

= على السلطة فى كل الاقطار الاممية ، اذ يعتبرون السلطة على شعوب العالم من اختصاص اليهود ، حسب وعد الله وتقديره . (محمد التونسى : نفس المرجع ، ص ٥٨) .
واضافت ابيكار السقاف : ان هذه الفكرة باستعادة الدولة الزائلة فى الارض الموعودة ، على اعتبار ان فلسطين منحة من الرب يهوه لبنى اسرائيل منذ عهد ابراهيم ، تولدت عند اليهود فى غضون الاسر البابلى ، فتحولت الى عقيدة . (انظر : نفس المرجع ، ص ٣٦٨-٣٧٤) .
(١) ديورانت : قصة الحضارة ، ٧٦/١٤ .
(٢) اورده شكيب ارسلان اسم هذا الدعى "زوناريا" . حيث قال "خرج فى سورية نبى كذاب اسمه زوناريا" . انظر : غزوات العرب ، ص ١١٢-١١٣ .
(٣) ديورانت : قصة الحضارة ، ٧٧-٧٦/١٤ - توفيق اليوزبكى : تاريخ اهل الذمة فى العراق ، ص ٣٠٩ (نقلا عن : ديورانت : قصة الحضارة ، ٧٨-٧٧/١٤) الا انه حرف النص فقال : ان شيريم أعلن انه سيسير باليهود ويحملهم على انتزاع فلسطين من المسلمين . ولم يقل سيّر حملة كما انه اشار الى ان يهود فارس تبعوه ويهود العراق والاندلس . واخيرا ، قال : بان القائم بها قبض عليه ، ولم يقل اسر ، كما نص على ذلك ديورانت . وهذا يعنى انه اراد ان يقول ان شيريم أعلن عن عزمه ، لكنه قبض عليه قبل تسير الحملة . وهذا يخالف مانص عليه ديورانت ، الذى اخبر بتسيير الحملة ، واسر صاحبها . وهذا ما جعلنا نقف عند قول اليوزبكى ان مصدره الوحيد ديورانت ، فلم نجد مبررا لتحريفه ، واهافته .

(١)

المال .

الا ان القائم بها اسر ، وعرضه الخليفة يزيد بن عبد الملك على الناس على انه مهرج دجال ، ثم امر به فقتل .^(٢)
 ويغلب على الظن ان هذه الحركة ، لم تصل الى مرحلة التنفيذ ، فيبدو انه قد تم اكتشاف امر شيريم وهو لا يزال يدعو الى حركته ، ويعد نفسه للقيام بحملته . واليهود اجدر الناس بابرام المؤامرات وتدبير الدسائس في سرية تامة وتنظيم دقيق . نقول هذا مع ان ديورانت قد نص على تسييره^(٣) الحملة لانتزاع فلسطين ، ووقوع القائم بها في الاسر . وهذا يعنى مواجهة الدولة في عهد الخليفة يزيد لهذه الحركة ، واخمادها . لكن اغفال المصادر الاسلامية لهذه الحركة اليهودية ، دعانا الى القول باحتمال انكشاف امر القائم عليها ، وان حركته لازالت في مرحلتها السرية ، وان قيامها - ان صح ذلك - كان نتيجة لعقائد يهودية باطلة ، رعى اصحابها ان تتحقق ، فكانوا ضحية الادعاء منهم .

-
- (١) شكيب ارسلان : غزوات العرب ، ص ١١٢-١١٣ .
 (٢) هو في الحقيقة دجال ، لانه ادعى ماليين حقا ، ففكرة المسيح المنتظر ، دعوى يهودية باطلة . (انظر / قبل : هامش ٤ ص ٢٤٩-٢٥٠) .
 (٣) ديورانت : قصة الحضارة ، ٧٧-٧٦/١٤ .
 (٤) نفس المرجع والجزء والمفحة .

المبحث الرابعحركة بلای

لم يعد المشرق الاسلامی وحده موطناً للحركات القمردية ، فان توسع رقعة الدولة الاسلامية ، وما انضوى تحت لوائها من اجناس وقوى ، لم تدخل فى دين الاسلام ، ولم يجد الولاء لحكومته طريقاً الى نفوس بعض اهلها، جعلها حرباً على الاسلام ودولته . ومن تلك القوى ، بقايا القوط فى الاندلس ، الذين التفوا حول رجل منهم يدعى بلای ، خرج بهم على سلطان المسلمين فى الاندلس ، وقاد حركة المقاومة النصرانية هناك .

منشأ الحركة :

تختلف المصادر العربية وغير العربية على منشأ حركة بلای من حيث التاريخ والكيفية ، بل وتقدم لنا روايات متفاربة عن احداث هذه الحركة ، نموها وموقف المسلمين منها، حتى تعذر على المؤرخ الوصول الى الحقيقة التى لاشك فيها ، بل وقلمما يتفق مؤرخان على شئ منها ، وان حدث فالاختلاف وارد على غيره .

فتختلف المراجع على بلای وكيفية قيامه بالامر ، فمنها ما يذهب الى انه كان حامل سيف لذريق (آخر حكام القوط الذى تم الفتح فى زمنه، بعد ان قضى عليه المسلمون سنة ٧١٢هـ) وانه هرب مع الغل الى جليقيه ، فجمع الناس حوله ، وحارب بهم المسلمين . ومنها ما يشير الى انه كان منغيا من طليطلة

بسبب خلاف حدث بينه وبين غيشطة وقيل مع لذريق ، ففر الى كنتبرية واشترى فلما لجأ الغل الى هذه النواحي دعاهم الى حرب الفاتحين ، فولوه امرهم .

وبعض المصادر ، كالمقرئ يشير الى ان بلای من اهل اشتوريش من جليقية ، كان رهينة عن طاعة اهل بلده ، فهرب من قرطبة ايام الحر بن عبد الرحمن (سنة ٩٨هـ) ، وشار النصارى معه ، على نائب الحر ، فطردوه ، وملكوا البلاد .^(١)

وبلای كما يذكر حسين مؤنس ابنا لقافيل دوق كنتبرية ،^(٢)

وان فافيل كان قد استقر في تودة عاصمة كنتبرية في ذلك الحين ، بعيدا عن البلاط القوطي في طليطلة ، على اثر نزاع

قام بينه وبين الملك "أجبكا" ، وقد تجدد النزاع بعده مع خلفه الملك غيشطة ، لطمع غيشطة في زوجه "ام بلای" او لسبب

آخر ، ففر مرة اخرى الى كنتبرية ، حيث مات هناك خلفا ابنه بلای ، الذي انضم الى لذريق واعانه عندما وثب على غيشطة ، فلما ادرك العرش ، كافأ بلای بأن جعله "حامل سيفه"

واستمر على هذا حتى فتح المسلمين لشبه الجزيرة الايبيرية .^(٣)

(١) فح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، والمجلد الاول ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر بيروت ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، ٣٥٠/٤ .

(٢) جمع هذه الروايات المتناقضة حسين مؤنس في كتابه : فجر الاندلس ، ص ٣١٤-٣٢٠ . وقد حاول الصوفيق بينها والوصول الى تسلسل منطقي للاحداث . انظر : نفس المرجع ، ص ٣٣٣-٣٣٥ . ورايه اجتهدا منه خالفه فيه او في بعضه ، بعض المؤرخين كخليل السامرائي . (انظر كتابه : الثغر الاعلى ، ص ١٠٨) .

(٣) نفس المرجع ، ص ٣٣٣-٣٣٤ - وخليل السامرائي : نفس المرجع ، ص ١٠٢-١٠٣ .

(٤) هناك رواية تذكر انه كان على خلاف مع لذريق فنفاه عن طليطلة ، فاقام نفسه اميرا على اشتريش . انظر ذلك عند / حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٣١٨ .

وايا كان بلاى وقمته حتى تزعم المقاومة ضد المسلمين ،
فانه ظهر كمنافىء للسيادة الاسلامية على اسبانيا فى ولاية
الحر بن عبد الرحمن على الاندلس ، اذ يخبرنا المقرئ : أن
اول من جمع فل النصارى بالاندلس بعد غلبة العرب لهم شخص
يدعى بلاى من اهل اشتوريش من جليقية ، كان رهينة عن طاعة
اهل بلده ، فهرب من قرطبة ايام الحر بن عبد الرحمن ، سنة
٩٨هـ ، وخرج معه النصارى على نائب الحر فطردوه ، وملكوا
البلاد . كما نجد شكيب أرسلان يشير الى قيامه على الحكم
الاسلامى زمن الحر وانه اول ملك لاسبان بعد دخول العرب
لاندلس . لكن الامر على ما يبدو لم يمل الى اخراج حاكم
الاقليم المسلم من خيخون مركز الناحية . وانما كان اعلانا
للمرء ، ادى فى الغالب الى مناوشات بين نائب الحر
والمتمردين ، الا أن عزل الحر وتولية السمح الاندلس ، لم
يمكن السلف من مباشرة الامر بنفسه ، وتولى السمح هذه
المهمة ، فبعد أن اطمأن على استقرار الامور داخليا ، وأعد

- (١) الحر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفى ،
أمير الاندلس لسليمان بن عبد الملك ، وليها بعد مقتل
عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وكانت الاندلس فى ايامه
تابعة لوالى افريقية . (الزركلى : الاعلام ، ١٧٢/٢) .
لكنه أخطأ عندما قال باستمراره الى سنة ١٠٦هـ وعزل
بعنيسة بن سحيم . اذ الصحيح أنه عزل من قبل عمر بن
عبد العزيز بالسمح بن مالك سنة ١٠٠هـ . (انظر /ابن
عذارى : البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب ،
تحقيق ج.م. كولان ، ا.ليفى بروفنسال ، ج ١ دار الثقافة
ببيروت ، ج ٢ ليدن هولندا ، مطبوعات ا.ج. بريل ١٩٥١م ،
٢٦/٢ - محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ،
من الفتح الى بداية عهد الناصر - العصر الاول - القسم
الاول ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ،
١٣٨٩هـ ، ص ٧٤ .
(٢) نفخ الطيب ، ٣٥٠/٤ - خليل السامرائى : الشجر الاعلى ،
ص ١٠٣ .
(٣) غزوات العرب ، ص ٦٧ .

جيشه لخوض غمار الحروب ، توجه الى المناطق الشمالية من
الاندلس ، فحارب عصاة المسيحيين ، وهزمهم ، واجبرهم على
اللاجوء الى المعاقل الجبلية في الاسترياس . غير ان هزيمة
المسلمين واستشهاد قائدهم السمع بن مالك في معركة طولوشة
في بلاد الغال ، قد اوجد الفرصة للمتمردين بقيادة بلای من
معاودة نشاطهم ضد المسلمين . لكن عبد الرحمن الغافقى -
الذى ارتد بالجند بعد الانكسار في معركة طولوشة الى الاندلس
فولاه اهلها امرهم حتى قدوم الوالى الجديد - تمكن من اخماد
بوادى الخروج التى ظهرت في الولايات الجبلية الشمالية .^(٣)

قيام بلای ابان ولاية عنبة الكلبى :

اخذت حركة بلای في ولاية عنبة بن سحيم (١٠٣ - ١٠٧هـ)
بعدا اكبر ، اذ تشير مجموعة من المصادر والمراجع الى ان
بلای قام بجليقية في ولاية عنبة - امير الاندلس زمن يزيد بن
عبد الملك - فحرض اهل البلاد ، ودعاهم الى حرب المسلمين ،

- (١) محمد زيتون : المسلمون في المغرب والاندلس ، دار
الوفاء للطباعة ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ١٩٧ .
(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن بشر بن المارم الغافقى ،
امير الاندلس ، من كبار القادة الفزاة الشجعان ، اصله
من غافق من قبيلة عك باليمن ، رحل الى افريقية ،
كثرت جموعه بعد مقتل السمع سنة ١٠٢هـ ، فانتقل الى
اربونة ، فانتخب اميرا من المسلمين ، واقربه والى
افريقية ، فنشا خلاف بينه وبين عنبة بن سحيم (احد
القادة) فعزل عبد الرحمن وولى عنبة مكانه ، ثم ولاه
هشام امارة الاندلس سنة ١١٢هـ ، فخرج لفتح بلاد الغال
وتوغل فيها ، الا انه استشهد في معركة بلاط الشهداء
سنة ١١٤هـ . وذكر في حاشيته ان من المؤرخين من ارخ
لوفاته سنة ١١٥هـ و١٢٢هـ والاصح ما قدمناه . (الزركلى :
الاعلام ، ٣١٢/٣ - ٣١٣) . وترجم له في ايجاز ابن حجر .
(انظر : تهذيب ، ١٩٧/٦) .
(٣) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، ص ٨١-٨٢ .

(١) ودافع عن أرضه ، فأخذ نصارى الأندلس فى مدافعة المسلمين عما بقى بأيديهم من أرضهم ، وكانوا لا يطمعون فى ذلك . ويفهم من (٢) هذا القول أن بلأى يعتبر منشىء حركة المقاومة النصرانية ، ومجدد دولة النصرانية فى الأندلس ، وأن نهوضه بها كان الحجر الأول فى بنائها الجديد . وأن زمن عنبسة كان بدايتها (٣) عندما استجاب أهل جليقية لبلأى وعملوا على حرب المسلمين ومدافعهم عن أرضهم ، وإن كان نجاحهم قد تحقق بعد ذلك . وبطبيعة الحال تمدت لهذه الحركة القوة الإسلامية المتواجدة فى المنطقة الشمالية ، فقد سكن المسلمون تلك المناطق ، وتركوا بعد الفتح حامية فى خيخون ، ونائب يحكم المنطقة تحت إمرة الوالى ، إلا أنه ليس لدينا تفصيلات عن القوات التى تولت اخماد الحركة . غير أن القول بمدافعته عن أرضه ومدافعة النصارى المسلمين عما بأيديهم ، يعنى مقاومة الجيش الإسلامى الذى حاول القضاء على الحركة . ويشير (٤) منطق الأحداث السى فشل الحامية الإسلامية وحاكم الاقليم فى التمردى للمتمردين ، واخماد حركتهم ، فصارت الامور فى صالح بلأى ، الذى بادر الى اخراج المسلمين . اذ نجد حسين مؤنس يشير السى قيام بلأى على الحاكم المسلم ، الذى يملك اطراف جهته ، فنفاهم عنها . أى أخرج المسلمين عنها . ونحن نعلم

-
- (١) فى هذا القول اشارة الى أن بلأى كان مستقلا بفناحيته ، وله أرضه التى فيما يبدو أنها الصخرة وماحولها .
 (٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٣٢٤-٣٢٥-٣٢٧ - المقرئ :
 نفيع الطيب ، ١٧/٣ ، ١٦-١٥/٤ ، ٣٥١-٣٥٠ - خليل
 السامرائى : الشفر الأعلى ، ص ١٠٥ .
 (٣) حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ٣٢٤ .
 (٤) خليل السامرائى : نفس المرجع ، ص ١٠٥ .
 (٥) نفس المرجع ، ص ٣٢٧ .

أن حاكم الاقليم كان مركزه خيخون ، وهذا يعنى اخراج بلای للمسلمين من خيخون واستيلائه عليها . يعزز مذهبنا اليه ، رواية تقول أن العرب استولوا على خيخون مدة قصيرة من (سنة ٩٥هـ / ٧١٥م - ١٠٣هـ / ٧٢٢م) لأن الأمير بلای اول أمير اسباني مستقل بعد مجيء العرب ، استرجعها وصارت مركزا لملوك اشتوريث . وهذه السنة التى استعاد فيها بلای خيخون كما تشير الرواية ، هي اول حكم عنبسة فى الاندلس (سنة ١٠٣هـ) . مما يعنى أنه استولى عليها فعلا عندما قام على نائب عنبسة وهذا مادفع عنبسة الكلبي أن يقوم بنفسه الى بلای لاختاد حركته واعادة السيادة الاسلامية على تلك الانحاء ، ان يُذكر أن عنبسة توجه على رأس قوة عسكرية الى منطقة جليقية ، فقام بتوطيد سلطة الدولة وقضى على مظاهر المقاومة فيها ، عدا بلای ومن التف حوله ، فقد لجأوا الى الجبال وأبوا أن يلقوا السلاح ، فتركهم المسلمون . وهذا يعنى دحر بلای ومن معه الى المناطق الجبلية ، واستعادة خيخون وفرض السيطرة الاسلامية على جليقية من جديد، مع بقاء المقاومة تتربص بالمسلمين ، منتظرة الوقت المناسب للانقضاض عليهم .

-
- (١) شبيب أرسلان : الحل السندسية فى الاخبار والآثار الاندلسية ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٥٥هـ ، ٥٨/٢ .
- (٢) خالد الصوفى : تاريخ العرب فى الاندلس ، الفتح وعصر الولاة (٩٢-١٣٨هـ / ٧١١-٧٥٦م) ، منشورات الجامعة الليبية ، كلية الآداب ، بنغازى ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، دار النجاح ، بيروت ، ص ٢٢٠-٢٢١ .

الحركة بعد عهد يزيد بن عبد الملك :

ظل بلای فيما يبدو يرقب الاوضاع ، فعندما رأى اضطراب المسلمين بعد انكسارهم فى بلاط الشهداء سنة ١١٤هـ ، قوى امره مرة أخرى ، لكن عقبة بن الحجاج السلولى والى الأندلس (١١٦ - ١٢٣هـ) تمكن من رد بلای الى الصخرة ، وعمت فتوحاته جليقية كلها . (١) الا أنه فى أعقاب فترة هذا الوالى ، واضطراب امر الأندلس ، بغتة أبى الخطار وشوابه ، وحركات البربر فى شمال افريقية ، استفاد بلای من هذه الظروف ، فأخرج المسلمين من اشتريس ، ويبدو أن أهل استورقه من المسلمين حاربوه ، لكنه هزمهم ، اذ تشير المصادر الى معركة تسمى "كوفاً دونجا" لقي فيها المسلمون الهزيمة ، واستطاع بلای على أثرها اخراج المسلمين من جليقية كلها ، وتنصر كل مذبذب فى دينه . ويرجع حسين مؤنس أن هذه المعركة حدثت سنة ١٣٣هـ أو مابعدھا . وأن وفاة بلای كانت بعد ذلك بقليل من

-
- (١) خليل السامرائى : الشجر الأعلى ، ص ١٠٨ .
 (٢) انظر أخبار هذه الفترة التى قامت على أساس العصبية بين المظرية واليمنية ، عند / أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ص ٩٤-٩٥ .
 (٣) عن شورات البربر العامة سنة ١٢٢هـ ، بزعامة ميسرة المظفرى ، ومن خلفه . (انظر / أحمد العبادى : نفس المرجع ، ص ٩٠-٩٣) .
 (٤) انظر أخبارها عند / حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٣٢١-٣٢٢ - خليل السامرائى : نفس المرجع ، ص ١٠٥-١٠٦ .
 (٥) حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ٣٢٦ - خليل السامرائى : نفس المرجع ، ص ١٠٩ .

(١) نفس السنة . لقد كانت هذه الواقعة حاسمة ، فقد مهدت لدولة
اشتريس ، فثبتت قواعدها ، على نحو لم يستطع المسلمون
ازالتها بعد ذلك ، وبذلك كانت حركة بلاى حادشا فاصلا فى
التاريخ الاسبانى ان انها كانت البداية الحقيقية لحركة
(٢)
المقاومة النصرانية ضد المسلمين فى الاندلس .

-
- (١) فجر الاندلس ، ص ٣٣٠-٣٣١ - وقد وافقه خليل السامرائى
الشفر الاعلى ، ص ١٠٩ . حيث ان بعض المؤرخين ذهبوا
الى ان هذه المعركة حدثت فى ايام غنبة الكلبي .
(انظر هذا القول عند / حسين مؤنس : نفس المرجع ،
ص ٢٢٩) . لكننا نذهب الى ماوصل اليه حسين مؤنس فى
التاريخ لهذه المعركة ، وان بلاى وان قام على غنبة ،
الا ان معركة كوفادونجا لم تحدث فى زمنه ، لانها كانت
تعنى نجاح حركة المقاومة ، وتأسيس دولتها النصرانية
وهذا لم يحدث الا بعد عهد غنبة الكلبي .
- (٢) حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ٣٣٦-٣٣٧ - السيد عبد
العزیز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ،
ص ١٦٩ .

المبحث الخامس

حركة أخيلا

خروجه على السمح بن مالك في الأندلس والقضاء على حركته :

لم يكن بلای الرجل الوحيد الذي سعى الى اعادة الحكم القوطى فى اسبانيا ، بل ان هناك من شاركه هذا الامر ، وهو أخيلا بن غيطة ، الذي تعاون مع المسلمين الفاتحين ظنا منه أنهم سيكتفون بالفنائم ، ويتركون له البلاد ، فلما تبين له هدفهم ، وان الفتح للفتح والدعوة للإسلام ، مما يعنى البقاء والاستقرار ، تمرد عليهم ، وخرج على سلطانهم .
(١)
وقد كان أخيلا يقيم فى مدينة طركونة الأندلسية ، عندما
(٢)

(١) كان غيطة ملكا على أسبانيا من سنة (٨١-٨٩٠هـ/٧٠٠-٧٠٩م) وقد قام ببعض الأعمال التي أشارت عليه نقمة اهل البلاد ، حيث عمل على تولية ابنه الطفل "أخيلا" حاكما على ولايتى اربونة وطركونة ، تحت وصاية عمه رخشندش ، فلما توفي غيطة ، تولت زوجته تدبير ملكه فى طليطلة فتغلب عليها لذريق ، فلجا آل غيطة الى جليقية ، وحاولوا استرداد عرشهم ، لكنهم هزموا أمام لذريق ، ويبدو ان أخيلا هرب الى افريقيا واقام عند يوليان حاكم سبتة ، ودعا المسلمين الى فتح اسبانيا . وكان ابناء غيطة ياملون من وراء تعاونهم مع المسلمين أن يعود اليهم ملك أبيهم ، وأن المسلمين سيكتفون بالفنائم ويتركون البلاد لهم . وقد كان لأخوى أخيلا وهما بالمندو وأرطياس دور فى هزيمة لذريق أمام المسلمين فى معركة وادى بكة (سنة ٨٩٢هـ) ، ان كانا معه فخذلاه وتعاونوا مع المسلمين . (خليل الصامرائى : الخضر الأعلى ، ص ٣٨٢-٣٨٥) .

(٢) طركونة : بلدة بالأندلس ، متصلة بأعمال طرطوشة ، وهى مدينة قديمة على شاطئ البحر ، وهى بين طرطوشة وبرشلونة ، بينها وبين كل واحدة منهما سبعة عشر فرسخا . (ياقوت : معجم ، ٢٢/٤) .

(١) استولى عليها المسلمون على يد الحر بن عبد الرحمن الثقفي ، ضمن
النواحي التي استكمل المسلمون فتحها بعد حركة الفتح الأولى
للأندلس . وقد ظن أخيلا أن المسلمين سيتركون ناحية طركونة
له ، كما ظن غيره من آل غيطشة أن المسلمين يتركون البلاد
لهم ، فلما وجد أخيلا المسلمين مقيمين في البلاد وأنه لن
يصل إلى العرش على أيديهم ، خرج عليهم في طركونة ، فسار
إليه السمع بن مالك الخولاني (١٠٠ - ١٠٢هـ) ، واخضع البلد
واحمد التمرد . ومن المحتمل أن السمع قضى على هذه الحركة
وهو في طريقه إلى بلاد الغال (فرنسا) غازيا (سنة ١٠١هـ)
ومواصل فتوحات المسلمين فيها . (٥)

- (١) كانت ولاية الحر بن عبد الرحمن على الأندلس بين عامي
(٩٧-١٠٠هـ) . (انظر / أحمد العبادي : تاريخ المغرب
والأندلس ، ص ٨٦) .
(٢) عن فتح الأندلس . (انظر / أحمد العبادي : نفس المرجع ،
ص ٥١-٧٨) .
(٣) السمع بن مالك الخولاني ، أمير من بني خولان من قضاة
استعمله عمر بن عبد العزيز على الأندلس ، وأمره أن
يميز أرضها ، ويخرج ما كان فتحه عنوة فيأخذ منه الخمس ،
وأن يكتب إليه بمئة الأندلس ، فقدمها سنة ١٠٠هـ ،
وفعل ما أمره به عمر ، واستشهد غازيا بأرض الفرنجة ،
وكانت قرطبة عاصمته ، وهو الذي بنى قنطرتها (ت
١٠٢هـ) . (الزركلي : الأعلام ، ١٣٩/٣) .
(٤) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٥٠٦-٥٠٧ (نقلا عن ابن
القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٥ - سيمونيت ، ص
١٧٠-١٧١) . لكنه أشار إلى أنزال السمع شيثامن
التخريب بطركونة ، كما سنجد بعد ذلك يقول بنهب
عنبسة لها عند حديثه عن قضائه على نفس الحركة بعد
تجددها في ولايته . وهذا القول ، لا يتناسب مع شخصية
السمع التي عرفت بحسن السيرة والتدين ، بل أنه يظهر
أن المؤلف استقاه من المراجع الأجنبية والتي ما انفكت
تسعى إلى تشويه التاريخ الإسلامي ، وأعمال قادته
وفتوحاتهم المجيدة ، وهم براء من ذلك ، فقد اتهمت
بعض المراجع الغربية السمع بالقسوة وتهديم الأديرة
والكنائس في الغال كذلك ، وهذا ما سنناقشه لاحقا أثناء
الحديث عن فتوحاته - خليل السامرائي : الثغر الأعلى ،
ص ٣٨٥-٥٨٦ . ولم يشر إلى ما يسمى لطبيعة الفتح من
تخريب ونهب .
(٥) خليل السامرائي : نفس المرجع والمفحة .

وهذا يدفعنا الى التاريخ لعمل السمع هذا باواخر عهد
عمر بن عبد العزيز ، او مطلع زمن الخليفة يزيد بن عبد
الملك ، وهذا ما تقدمه ، لارتباط هذا العمل بخروج السمع الى
بلاد الغال . والذي فيما يبدو انه حدث مطلع زمن الخليفة
يزيد بن عبد الملك .^(١)

وبالنظر فى هذه الاقوال يتضح ان هذه الحركة لم تقم
لاخراج المسلمين من الأندلس ، فقد تبين لأبناء غيطشة ، عزم
المسلمين على الاستقرار ، وأنهم لم يأتوا ليعيدوا اليهم
ملك ابيهم ، وقد اتضح هذا بجلاء فى أعقاب الفتح الاول ،
عندما اسرع طارق بن زياد الى طليطلة ، ليمنع محاولة اخيلا
نفسه الذى ما ان تحقق النصر للمسلمين على لذريق فى معركة
وادي البرباط (سنة ٩٢هـ) ، حتى عجل الى طليطلة لاسترجاع
ملك ابيه ، فوصلها طارق قبل ان يوافق مجمع طليطلة الدينى
على قرار تعيينه ملكا على اسبانية ، ليتأكد اخيلا واخوته ،
ان هدف المسلمين هو البقاء ، والعمل على نشر الاسلام فى
اسبانية وماوراءها ، فرفضوا على مضض بالضياع التى كانت
لأبيهم وحصلوا على عهد بذلك من المسلمين . لكن اخيلا فيما^(٢)
يبدو كان يطمح ان يترك له المسلمون له ناحيته وهى طركونة
فلما وجدهم جاءوا لفتحها واستولوا عليها ، تمرد عليهم ،
ساعده على ذلك مكانته بين اهلها منذ عهد ابيه ، بل وربما^(٣)
يكون لوجود كنيسة جامعة على رأسها مطران ، فى هذه المدينة^(٤)

(١) سنبلين ذلك أثناء حديثنا عن حملة السمع على بلاد الغال
محاولين الوصول الى التاريخ الصحيح لخروج الحملة .
(٢) خليل السامرائى : الثغر الأعلى ، ص ٢٨٢-٢٨٥ .
(٣) انظر قبل : ص ٢٦٠ ، هامش (١) .
(٤) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٥٠٦-٥٠٧ .

اثر فى دفع اهلها الى هذه الحركة وتحريضهم على المسلمين .
ويبدو ان القضاء على هذه الحركة لم يكلف السمع كبير عناء
اذ كان يقود حملة اعدت لما هو اعظم من هذا التمرد ، فلم
يزد على اخمادها ، بل ظهر تسامحه مع الخارجين ، اذ عفا
عن اخيلا ، وتركه على حاله فيها ، وهذا ماسيؤدى الى تجديد
حركته بعد ذلك .

تجدد الحركة فى ولاية عنبة بن سحيم وقضائه عليها :

يبدو ان اخيلا بن غيطشة حاول استغلال هزيمة المسلمين
فى بلاد الغال فى معركة طولوشة سنة ١٠٢هـ ، واضطراب امر
الولاية بعد استشهاد اميرها السمع بن مالك فى هذه المعركة
فاعلم التمرد من جديد ، وانتفض اهالى طركونة على عنبة بن
سحيم الكلبي ، لكن الامير الجديد لم يكن اقل همة من سلفه
فقد سارع الى اخماد حركتهم ، حيث زحف اليهم ، فذك حصونهم
واقترض من زعمائهم ، وقد استسلم اخيلا ، وانتقل الى طليطلة

- (١) انظر عن هذه المعركة : احمد مختار العبادى : تاريخ
المغرب والاندلس ، ص ٨٧ . وسنعرض لهذه الواقعة
بالتفصيل فى الفصل الرابع من هذا البحث ، فى ثنايا
الحديث عن فتوحات المسلمين فى بلاد الغال .
- (٢) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٥٠٦-٥٠٧ - خليل
السامرائى : الشجر الاعلى ، ص ٣٨٥-٣٨٦ .
- (٣) عنبة بن سحيم الكلبي ، فاتح من الغزاة الشجعان ،
كان عاملا على الاندلس ، وليها سنة ١٠٣هـ ، واوغل فى
غزو الفرنج ، يرى ايزيدور اسقف باجه فى ذلك العصر ،
ان فتوحات عنبة كانت فتوحات حذق ومهارة اكثر منها
فتوحات بطش وقوة ، وتضاعف خراج بلاد الغال فى ايامه ،
وقد افتتح قرقشونة ملحا ، واوغل فى بلاد فرنسا فعبر
نهر الرون الى الشرق ، اميب فى بعض الوقائع فمات
شهيدا سنة ١٠٧هـ . (الزركلى : الاعلام ، ٩١/٥) .
لكنه قال : كان عاملا على الاندلس من قبل هشام ، والاصح
تولاها من قبل يزيد ، ثم اقر زمن هشام حتى استشهد .
(انظر / احمد العبادى : نفس المرجع والمفحة) .

(١) فاقام فيها ، ولم يحاول الخروج على المسلمين بعد ذلك .
ويظهر ان عنيسة اخرجته من طركونة لالتفاف اهلها حوله ،
فازال راس الفتنة لئلا تظهر من جديد ، كما فرض على اهل
طركونة غرامة مضاعفة .^(٢) واطنه يقصد الجزية او ماصولحوا
عليه ، فاستقرت بذلك البلاد داخليا واستتب الامن فيها ،
وساد النظام والعدل ربوعها .^(٣)

اما اخيلا ، فقد استعرب ابناؤه من بعده ، اذ نجد في
احد النصوص اسم احد احفاده وهو حفص بن البر قاضي المعجم .^(٤)
ان تجاوز المسلمين جبال البرقات الى بلاد الغال ، وقد
خلفوا وراءهم بعض الخصوم ، اوجد مجالا لهؤلاء المتربصين ،
في تنظيم حركاتهم ، والخروج على سلطان الفاتحين ، فان
المسلمين وان تمكنوا من القضاء على حركات بعض هؤلاء ،
كتمرد اهل طركونة بقيادة اخيلا ، الا ان غيرها تمكن من
الخبثات في ظل غياب قوة المسلمين ، واحتقار شان المتمردين
وقد تمثل هذا في حركة بلاى ، التى استغلت كثيرا من العوامل
لتصبح نواة المقاومة المسيحية للوجود الاسلامى فى الاندلس .

(١) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٥٠٦-٥٠٧ - خليل
السامرائى : الشجر الاعلى ، ص ٣٨٥-٣٨٦ - شبيب ارسلان :
غزوات العرب ، ص ٨٥ - محمد محمد زيتون : المسلمون في
المغرب والاندلس ، دار الوفاء للطباعة ، القاهرة ،
١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٢٠٠ .

(٢) شبيب ارسلان : نفس المرجع والصفحة .

(٣) محمد زيتون : نفس المرجع والصفحة .

(٤) حسين مؤنس : نفس المرجع والصفحة .

الفصل الثالث

مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك
بتكسير الأصنام وإتقانها وإزالة الصور وهدم
الكنائس المستحدثة

الفصل الثالث**مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك**

بتكسير الاصنام والتماثيل والملبان
وازالة الصور وهدم الكنائس المستحدثة

كان للخليفة يزيد بن عبد الملك سياسته الادارية والمالية تجاه اهل الذمة ، والتي اتسمت بشيء من التشدد والعسف في الفواحى المالية ^(١) . وان كانت تلك السمة لم تقتصر على اهل الذمة بل شملت جميع رعايا دولته .

ومن اهم تلك الاجراءات التي اتخذها الخليفة يزيد حيال النصارى ، المرسوم او القرار الذى أصدره بخصوص النصارى ومعابدهم وبعض مظاهر عبادتهم . والذى يؤسف له انه لم يصل إلينا نصه ، لافى المصادر العربية ولاغير العربية من يونانية ، ولاتينية ، وسريانية ، وارمينية .

لكننا عرفنا بهذا المرسوم مما ذكر عنه فى عدد من المصادر العربية الخاصة بمصر الاسلامية ، اربعة منها مصادر اسلامية ، ومصدر واحد قبطى كتب باللغة العربية ، وهى :

ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ) : فتوح مصر ، والكندى (ت ٣٥٠هـ) : كتاب الولاه وكتاب القضاة ، والمقرئزى (ت ٨٤٥هـ) : الخطط المقرئزية ، وابن تفرى بردى (ت ٨٧٤هـ) : النجوم الزاهرة ، والمصدر القبطى ل : ساويرس بن المقفع ^(٢) (عاش فى القرن الرابع الهجرى) : سير الالباء البطارقة .

(١) أوردنا سياسته الادارية والمالية ، نحو اهل الذمة فى ثنايا حديثنا عن مجمل سياسته الادارية والمالية ، (انظر : الفصل الخامس) .
 (٢) تجدر الاشارة الى اقتمار ذكر هذا المرسوم فى المصادر العربية اسلامية ومسيحية على المصادر الخمسة المشار اليها أعلاه ، والخاصة بمصر الاسلامية . الى جانب ما ذكر =

ونستعرض الآن ما أورده كل مؤرخ من هؤلاء المؤرخين الخمسة حول هذا المرسوم ، لنصل الى صيغة ذلك القرار وما تضمنه ، ولناقشه في ضوء ما ذكر عنه في المصادر والمراجع الأجنبية القديمة والحديثة .

(١)

أولا : نص ابن عبد الحكم ، قال خلال حديثه عن حمام زباني : " وكان فيه صنم من رخام على خلقة المرأة عجب من العجب حتى كسر في السنة التي أمر يزيد بن عبد الملك فيها بكسر الأصنام ، وكان أمر بكسرها في سنة اثنين ومائة " .

(٢)

(٣)

ثانيا : نص الكندي ، قال : " وكتب يزيد بن عبد الملك في سنة أربع ومائة يأمر بكسر الأصنام فكسرت كلها ، ومحيت التماثيل ، وكسر فيها صنم حمام زباني بن عبد العزيز الذي يقال له حمام أبي مرة وله يقول كريب بن مخلد الجيشاني :
من كان في نفسه للبيض منزلة

فليات أبيض في حمام زباني

(٥)

(٤)

عبل لطيف هفيم الكشح معتدل

(٦)

على تراثبه في الصدر ثديان "

- = عنه في المصادر الأجنبية التي تبين صداه وأهميته فيها أكثر من المصادر العربية . والحق أننا لم نعثر له على ذكر في مصادر التاريخ الإسلامي العام أو غيرها من المصادر العربية ، ولانعلم لذلك سببا .
- (١) فتوح مصر ، طبعة ليدن ، ١٩٢٠ م ، ص ١١٣-١١٤ .
- (٢) ما أورده ابن عبد الحكم عن هذا المرسوم جاء عرضا ، عند ذكره لحمام زباني ، فلم يقدم معلومات وافية عنه .
- (٣) كتاب السولة وكتاب القضاة ، تهذيب وتمحيص رفن كست ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨ م ، ص ٧١-٧٢ .
- (٤) عبيل : فخيم ، وامرأة عبلة ، أي تامة الخلق ، والاعبل حجارة بيض . انظر : اللسان (عبل) .
- (٥) الكشح : مابين الخاصرة الى الضلع الخلفي ، وهو من لدن السرة الى المتن ، وقيل جانبا البطن ، وقيل الخصر . وهفيم الكشح أي دقيق الخصرين . انظر : اللسان ، (كشح) .
- (٦) التراثب : موضع القلادة من الصدر ، وقيل مابين الترقوة الى التندوة ، وقيل عظام الصدر ، وقيل ماولى الترقوتين منه ، وقيل مابين الثديين والترقوتين . انظر : اللسان (ترب) .

(١)

ثالثا : نص المقرئى فقله : "ثم هدمت الكنائس وكسرت

الملبان ومحيت التماثيل وكسرت الاصنام باجمعها وكانت كثيرة

فى سنة اربع ومائة والخليفة يومئذ يزيد بن عبد الملك" .

(٢)

رابعا : نص ابن تغرى بردى الذى قال : وخرج - يعنى

حنظلة بن صفوان عامل يزيد بن عبد الملك على مصر (١٠٢ -

١٠٥هـ) - سنة ثلاث ومئة الى الاسكندرية واستخلف على مصر عقبة

ابن مسلم التجيبى ، "ثم ورد عليه كتاب الخليفة يزيد بن

عبد الملك بن مروان بكسر الاصنام والتماثيل ، فكسرت كلها

ومحيت التماثيل من ديار مصر وغيرها فى أيامه" .

(٣)

خامسا : المصدر القبطى للمؤرخ ساويرس بن المقفع فنه

"ثم تولى بعده - يعنى بعد عمر بن عبد العزيز - يزيد

ومانحسن بشرح ماجرى فى أيامه ولانذكره من سوء والبلاء لانه

سلك طريق الشيطان وحاد عن طريق الله ، واول ماأخذ المملكة

أعاد الخراج الذى كان عمر قد رفعه عن البيع والاساقفة سنة

واحدة وحمل على الناس ثقلا عظيما حتى فاق كل من فى بلاده ،

ولم يكتف بهذا فقط حتى أمر بكسر الملبان فى كل مكان وكشط

المصور الذى فى البيع لانه كان قد أمر بذلك ، لكن السيد

المسيح اهلكه لأجل ذلك وأخذ نفسه بعد ان ناله قبل موته

بلايا كثيرة وكان مدة مقامه فى الملك سنتين وأربعة شهور" .

(١) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف
بالخطط المقرئية ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر
والتوزيع ، القاهرة ، ٤٩٣/٢ .

(٢) النجوم ، ٢٥٠/١ .

(٣) كتاب سير الأباء البطارقة ، باريس ، ١٩٠٣م ، ١٥٣/١ .
(وتجدر الإشارة الى خطأ مدة خلافة يزيد التى ذكرها،
والمحيي انها أربع سنوات وشهر) .

ومن هذه النصوص نستخلص أن المرسوم تناول المسائل
الآتية الخاصة بالنصاري وعبادتهم :

أولا : الأمر بتكسير الأصنام ، ذكر ذلك ابن عبد الحكم
والكندي والمقرئزي وابن تغري بردي . ولم يذكره ساويرس ابن
المقفع . ويتضح من هذا أن البلاد المفتوحة كان بها بقايا
من آثار الوثنية القديمة ، ممثلة في بقاء نماذج من الأصنام
كمنم حمام زبان الذي ورد في نص ابن عبد الحكم والكندي، وهو
عبارة عن تمثال لجسد امرأة حسنة .^(١) ويتبين أن الخليفة
يزيد أراد بذلك تطهير الدولة الإسلامية من بقايا الوثنية
ومظاهرها ، وصبغ مظاهر الحياة في دولته بالسمة الإسلامية .
ثانيا : وتضمن المرسوم محو التماثيل ،^(٢) اورد ذلك
الكندي والمقرئزي وابن تغري بردي .

ويرجع أن المقصود بمحو التماثيل ، هو محو الصور^(٣)

-
- (١) انظر وصف هذا التمثال شعرا في نص الكندي ، قبل :
ص ٢٦٧ .
- (٢) محا : محا الشيء يمحوه ويمحاه محوا ومحيا، اذهب أثره،
والمحو لكل شيء يذهب أثره . ومحا لوحه يمحوه محوا ،
فهو محو ، والمحاحي من أسماء الرسول صلى الله عليه
وسلم محا الله به الكفر وآثاره . انظر : اللسان
(محا) .
- (٣) ورد لفظ التماثيل بمعنى الصور في عدد من الأحاديث
النبوية المحرمة للتموير ، منها : ما روى عن عائشة
رضي الله عنها قالت : دخل على النبي صلى الله عليه
وسلم وقد سترت سهوة لى بقرام فيه تماثيل ، فلما
راه هتكه وتلون وجهه وقال : "يا عائشة أشد الناس
عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله" قالت
عائشة فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين . رواه
مسلم . (انظر هذا الحديث وأحاديث أخرى أوردت لفظ
التماثيل بمعنى الصور عند / الشيخ عبد العزيز بن باز،
الجواب المفيد في حكم التموير ، الرئاسة العامة
لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ،
إدارة الطباعة والترجمة ، المطابع الأهلية للأوقاف ،
الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٦هـ ، ص ٥
ومابعدا) .

وازالة التماثيل الدينية ، وبخاصة ماوجد منها داخل الكنائس . وليس المقصود من ذلك فيما يبدو تكسير الاصنام ، لان النصوص فصلت في ذلك وقالت بكسر الاصنام ومحو التماثيل ، كما ان ساويرس بن المقفع افصح عن المقصود بذلك ، فلم يقل بمحو التماثيل ، وقال : "وكشط الصور" .^(١)

والصور المستهدفة بهذا المرسوم هي عموم الصور لكل ذي روح ، يتلخ ذلك من عمومية اللفظ في النصوص الواردة حول المرسوم ، وماأوردته المصادر من ان تنفيذ المرسوم شمل فيه التخطيط عموم الصور بناء على امر الخليفة . وقد جاء هذا التعميم لان الاسلام يحرم التصوير وصور وتماثيل كل ذي روح ، وان كان بعض المؤرخين الاجانب اشاروا الى اسباب اخرى وراء اصدار المرسوم بمحو الصور والتماثيل .^(٢)

وقد جاء تحريم الصور والتماثيل في ديننا الحنيف لحكمة بالغة ، هي البعد عن مظاهر الوثنية وحماية العقيدة من الشرك وعبادة الاصنام ، فنهى القرآن عن عبادة الاصنام وشنع على من كان يعكف عليها وندد بمن يتخذ الاصنام والوثان آلهة ، من ذلك قوله تعالى : {قال اتعبدون ما تفتحون . والله خلقكم وما تعملون} . وقال : {ياايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون} . وايضا قوله تعالى : {وقالوا

(١) انظر كامل النص في الصفحة قبل السابقة .

(٢) انظر ماسنكتبه عن تنفيذ مرسوم يزيد ، وماثم على اثر تنفيذه ، بعد : ص ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ .

(٣) سنشير الى المصادر الاجنبية التي اشارت الى هذا المرسوم وماأوردته من اسباب اصداره ، انظر بعد : ص ٢٨٦ ومابعدها .

(٤) المافات : ٩٦ ، ٩٥ .

(٥) المائدة : ٩٠ .

لاتذرن المعتكم ولاتذرن ودا ولاسواعا ولايفوث ويعوق ونسرا . وقد

أضلوا كثيرا ولاتزد الظالمين إلا ضلالا^(١) . وقوله : {انما
تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ... }^(٢) .

كما نهت السنة النبوية المطهرة عن اتخاذ الصور

والتنكير منها . ومعلوم ان عبادة غير الله شرك ، وعبادة^(٣)

الاصنام والتماثيل والصور شرك ، وقد بين عز وجل حكم من

اشرك به فقال : {ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون^(٤)

ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا } .

اما فيما يخص حكم التصوير والصور وماهى فيه ، فيقول

الشيخ عبد العزيز بن باز : "جاءت الاحاديث الكثيرة عن^(٥)

النبي صلى الله عليه وسلم فى الصحاح والمسانيد والمسنن

دالة على تحريم تصوير كل ذى روح آدميا كان او غيره ، وهتك

المستور التى فيها الصور ، والامر بطمس الصور ولعن المصورين

وبيان انهم اشد الناس عذابا يوم القيامة " . ثم ذكر جملة

من الاحاديث الصحيحة الواردة فى هذا الباب ، سنورها نحن

بالفاظ النصوص التى خرجناها ، ومنها : ما رواه البخارى

بسنده عن الاعمش عن مسلم قال : "كنا مع مسروق فى دار يمار

ابن نمير ، فرأى فى صُفَّة تماثيل فقال : سمعت عبد الله قال

سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ان اشد الناس عذابا^(٦)

عند الله يوم القيامة المصورون " .

(١) نوح : ٢٣ ، ٢٤

(٢) العنكبوت : ١٧

(٣) حسنين ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ،
دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، دار
وهذان للطباعة والنشر ، ص ١١٠-١١١ وهامش (١٦) منها .

(٤) النساء : ١١٦

(٥) الجواب المفيد فى حكم التصوير ، ص ٣ .

(٦) البخارى مع فتح البارى ، ١٠ / ٣٩٦ ، ٤٠٠ - صحيح مسلم ،
١٦٧٠ / ٣ - مسند الامام احمد ، ١ / ٣٧٥ ، ٤٢٦ ، ٥٥٠٢٦ / ٢ .

ومارواه البخارى بسنده عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم انها اشترت نمرقة فيها تماوير ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قام على الباب فلم يدخل ، فعرفت في وجهه الكراهة ، فقالت يا رسول الله اتوب الى الله والى رسوله ، ماذا اذنبت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بال هذه النمرقة ؟ قالت فقلت اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان اصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، ويقال لهم احيوا ما خلقتم ، وقال : ان البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة " (١) .

ومارواه مسلم عن سعيد بن أبى الحسن قال : جاء رجل الى ابن عباس فقال : انى رجل صور هذه الصور ، فافتنى فيها ، فقال له : ادن منى ، فدنا منه ، ثم قال ادن منى فدنا حتى وضع يده على راسه . فقال : انبئك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " كل مصور فى النار ويجعل له بكل صورة صورها نفسا فتعذبه فى جهنم " (٢) .

ومارواه ابو داود بسنده عن جابر رضى الله عنه : " ان النبى صلى الله عليه وسلم امر عمر بن الخطاب زمن الفتح وهو بالبطحاء ان يأتى الكعبة فيمحو كل صورة فيها ، فلم يدخلها النبى صلى الله عليه وسلم حتى محيت كل صورة فيها " (٣) .

(١) البخارى مع فتح البارى ، ٣٥٩/٦ ، ١٥٧/٩ ، ٤٠٢،٣٩٦/١٠ ، ٤٠٦ - صحيح مسلم ، ١٦٦٩/٣ .
 (٢) صحيح مسلم ، ١٦٧٠/٣ - مسند الامام احمد ، ٣٠٨/١ .
 (٣) سنن أبى داود بشرح عون المعبود ، ٢١٢/١١ - مسند الامام احمد ، ٣٩٦،٣٨٢،٣٢٦،٣٣٥/٣ .

ومارواه مسلم بسنده الى ابي الهياج الاسدي قال : "قال
لنى على بن ابي طالب : الا ابعثك على مابعثنى عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ان لاتدع تمثالا الا طمسته ،
ولاقبرا مشرفا الا سويته " . وروى عن ابي بكر بالاسناد
المتقدم بلفظ "ولاصورة الا طمستها" ^(١) .

ومن ذلك ايضا ، مارواه البخارى بسنده عن ابن عباس
رضى الله عنه يقول : سمعت ابا طلحة سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول : "لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب
ولاصورة تماثيل" ^(٢) . وغيرها من الاحاديث الكثيرة فى هذا
^(٣)
الباب .

(١) صحيح مسلم ، ٦٦٦/٢ - النسائى ، ٨٨/٤ - مسند الامام
أحمد ، ١٣٨٠٨٧/١ - سنن البيهقى ، ٣/٤ بدون لفظ
"ولاصورة الا طمستها" - جامع الترمذى ، ١٥٠/٤ وقال حديث
على حديث حسن والعمل على هذا عند بعض اهل العلم .
وقال الألبانى فى هذا الاسناد علة وهى عنعنات حبيب فقد
كان مدلسا ولم يصرح بالتحديث فى شيء من هذه الطرق
اليه ، لكن الحديث صحيح فان له طرقا أخرى يتقوى بها
(ارواء الغليل ، ٢٠٩/٣) .

(٢) البخارى مع فتح البارى ، ٤٤٦٠٤١٤،٣٥٩/٦ ، ٣٦٧/٧ ،
١٥٧/٩ - صحيح مسلم ، ١٦٦٥-١٦٦٦/٣ - سنن أبى داود
بشرح عون المعبود ، ٢١٠٠،٢٠٧/١١ - جامع الترمذى بشرح
تحفة الأحوذى ، ٨٨/٨ - ١٠٧٠٨٩،١٣٩،١٤٦،١٤٨،١٥٠،٢٧٧ ،
٩٠/٣ ، ٣٠٠٢٩،٢٨/٤ ، ٣٣٠٠٢٤٦،١٤٣/٦ .

(٣) لمزيد من هذه الاحاديث فى هذا الباب ، انظر كتب
الحديث باب الصور والتصوير ، وكذلك : عبد العزيز بن
باز : الجواب المفيد فى حكم التصوير ، ص ٤-١٠ -
وكذلك كتابه الفتاوى ، كتاب الدعوة ، سلسلة نصف
سنوية تصدر عن مؤسسة الدعوة الاسلامية الصحفية ،
المملكة العربية السعودية ، الرياض ، الطبعة الثالثة،
١٤٠٩هـ - ، ٢٠-١٩/١ . وهناك احاديث أخرى عنده ، وانظر
ايضا / أحمد تيمور : التصوير عند العرب ، أخرجه وزاد
عليه الدراسات الفنية والتعليقات ، زكى محمد حسن ،
القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
١٩٤٢م ، ص ١١٩ .

وعلى أساس هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نجد أن الإسلام حرم التصوير والمصور والتماثيل ، وتبين أن التحريم للتصوير جاء على العموم لكل ذى روح ، وأن ذلك من كبائر الذنوب المتوعد عليها بالنار، وهى حرمة عامة لأنواع التصوير ، سواء كان للصورة ظل أم لا ، سواء أكان التصوير فى حائط أو ستر أو قميص أو قرطاس أو مرآة أو غير ذلك ، واستعمال ما فى فيه ودخول البيت الذى فى فيه ، إلا إذا كانت فيما يمتحن أو قطع رأس المصور ، ولا يجوز تعليقها أو نصبها فى أى مكان ، لأن ذلك وسيلة للشرك بالله ولأن فى ذلك مضاهاة لخلق الله وتشبها بأعداء الله .^(١)

ونقل الشيخ عبد العزيز بن باز قول النووى فى شرح مسلم فى باب تحريم التصوير قوله : قال أصحابنا وغيرهم من العلماء : تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم ، وهو من الكبائر لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور فى الأحاديث ، وسواء صنعه بما يمتحن أو بغيره ، فمنعته حرام بكل حال ، لأن فيه مضاهاة لخلق الله تعالى فى أى شيء كان ، وأما تصوير ما ليس فيه روح كالشجر فليس بحرام . هذا حكم التصوير ، أما اتخاذ المصور فيه صورة حيوان فإنه إن كان معلقا على حائط أو ثوبا ملبوسا أو عمامة أو نحو ذلك ، مما

(١) عما كتبه أعلاه وتفصيل أوفى واشمل : انظر : الشيخ عبد العزيز بن باز : الجواب المفيد فى حكم التصوير ، ص ١٠-١٣ - وله أيضا : الفتاوى ، ١/ ١٨-٢٠ - أحمد تيمور : التصوير عند العرب ، ص ١٢٠ - زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ١٦٣-١٦٤ .

(٢) الجواب المفيد فى حكم التصوير ، ص ١٣-١٤ ، ولمزيد من الفائدة حول هذا الموضوع انظر كامل الكتيب .

لا يعد ممتعنا ، فهو حرام ، وان كان فى بساط يداس ومخدة ونحوهما مما يمتحن فليس بحرام ، ولا فرق فى هذا بين ماله ظل ومالا ظل له . وقال : ان هذا تلخيص مذهبنا وبمعناه قال جمهور العلماء من المحابة والتابعين ومن بعدهم ، وهو مذهب الثورى ومالك وأبى حنيفة وغيرهم .^(١)

وليس شمة شك فى أن تحريم الاسلام للصور والتماثيل - بناء على ماورد بشأنه فى القرآن والسنة - كان هو الدافع وراء قرار الخليفة يزيد بن عبد الملك بتكسير الأصنام ومحو^(٢) الصور والتماثيل .

ثالثا : وتضمن المرسوم أيضا الامر بهدم الكنائس . وقد انفرد بذكر ذلك من المصادر العربية المقرريزى . والبين أن المقصود بقوله هدم الكنائس أى الكنائس المستحدثة ، التى

(١) تجدر الإشارة الى أن من الدارسين المحدثين من يرى أنه لايراد تعميم تحريم التصوير فى كل زمان ومكان ، خصوصا اذا امن جانب العبادة والتعظيم ، وذلك لما فى التصوير من فوائد ، ويرى بعضهم ان حكم التصوير الكراهة فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم لاالتحريم ومن المستشرقين من قال : ان القرآن لم ينفه عن عمل الصور والتماثيل ، وان النبى صلى الله عليه وسلم لم ينفه عن ذلك ، وأن هذه الكراهة نشأت بين الفقهاء فى القرن الثانى الهجرى ، وأن الأحاديث المنسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم حول ذلك موضوعة . ونحن نشير الى هذه الآراء ، للعلم والاحاطة لا تمديقا لها أو تسليما بها ، بل ندفعها وندحضها ، لشبوت تحريم التصوير والتماثيل ، بما ورد من آيات قرآنية وأحاديث نبوية صحيحة ثابتة ، ذكرنا بعضها منها فى الصفحات السابقة .

من اجل هذه الآراء الأنفة الذكر ، (انظر / أحمد تيمور : التصوير عند العرب ، ص ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٨، ١٢٩ - زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، ص ١٦٣-١٦٤، ١٧٠، ١٧١ . وانظر أيضا فى هذا الصدد بحث كريزول :

Creswell, K.A.C : The Law Fulness of Painting in Early Islam, in Ars Islamica, XI-XII, 1946).

(٢) حسنين ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١١١ .

(٣) انظر النص الذى أورده قبل : ص ٢٦٨ .

بناها المسيحيون بعد الفتح الاسلامى . حيث ان الملح جرى بين المسلمين واهل الذمة على ان لاتهدم بيعة ولاكنائسهم ، والا يحدثوا بناء بيعة ولاكنيسة ، فان فعلوا شيئا من ذلك عوقبوا (١) واخذ منهم .

ونستعرض الآن مقتطفات من عهد الملح التى ابرمها المسلمون مع اهالى البلاد المفتوحة فيما يخص اعطاءهم الامان على ما يديهم من الكنائس وعدم استحداث غيرها .

فقد ذكر ابو يوسف ان خالد بن الوليد صالح اهل الحيرة على ان لا يهدم لهم بيعة ولاكنيسة ، وبقراءة الكتاب الذى كتب بينهم - وكان قد اوردته - وجدناه لم ينص على ذلك ، كما صالح اهل عانات وقرقيساء وغيرها على ذلك . ومن نصوص الملح التى حفظتها لنا المصادر ، كتاب الامان الذى اعطاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه اهل اللد وسائر كورها وقد جاء فيه : "بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اعطى عبد الله امير المؤمنين اهل لد ومن دخل معهم من اهل فلسطين اجمعين ، اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم وكنائسهم وصلبهم وسقيمتهم وبريتهم وسائر ملتهم ، انه لاتسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقم منها ولا من خيرها ، ولا مللها ، ولا من صلبيتهم ، ولا ... " (٢)

وورد فى ملح اهل مدينة دمشق : "بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما اعطى خالد بن الوليد اهل دمشق اذا دخلها ،

(١) ابو يوسف : الخراج ، تحقيق محمد ابراهيم البنا ، دار الاصلاح للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص ٢٨١-٢٨٢ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٤ .

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٦٠٩/٣ .

امانا على انفسهم واموالهم ، وكناثسهم وسور مدينتهم لايهدم
(١)
ولايسكن شيء من دورهم ، " .

كما ورد في كتاب الامان الذي اعطى لنصارى اهل الشام
مانمه : "بسم الله الرحمن الرحيم ، ، وعلى الا نمنع احدا
من المسلمين ان ينزل كناثسنا في الليل والنهار ، ونهيفهم
فيها ثلاثا ، ونطعمهم من الطعام ، ونوسع لهم ابوابها ،
ولا نضرب فيها بالنواقيس الا ضربا خفيا ، ولا نرفع اصواتنا
بالقراءة ، ولا نؤوى فيها ولا في شيء من منازلنا جاسوسا
لعدوكم ، ولا نحدث كنيسة ، ولا صومعة ، ولا قلابة ، ولا نجدد ما خرب
منها ، ولا نقصد الاجتماع فيما كان منها من خطط المسلمين
وبين ظهرائهم ، ولا نظهر شركا ، ولا ندعو اليه ، ولا نظهر
مليبا على كناثسنا ، ولا في شيء من طرق المسلمين واسواقهم ،
ولا ، شرطنا ذلك على انفسنا واهل ملتنا ، فان
خالفناه ، فلاذمة لنا ولا عهد ، وقد حل لكم منا مايحل لكم من
(٢)
اهل الشقاق والمعاندة " .

وقد ورد في كتاب صلح اهل ايلياء الذي يعتبر الاساس في
كتب الصلح والامان لاهل الشام مانمه : "بسم الله الرحمن
الرحيم ، هذا ما اعطى عبد الله امير المؤمنين اهل ايلياء
من الامان ، اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم ، ولكناثسهم
وملبانهم ، وسقيمتها وبريئتها وسائر ملتها ، انه لا تسكن

(١) شريبا حافظ عرفة : الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في
العصر الاموي ، رسالة دكتوراه ، مقدمة لقسم الدراسات
العليا التاريخية والحضارية ، بكلية الشريعة ، جامعة
ام القرى ، بمكة ، المملكة العربية السعودية ،
١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، غير مطبوعة ، ص ٥٥ .
(٢) شريبا عرفة : نفس المرجع ، ص ٥٦-٥٧ .

كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ، ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ... " .^(١)

أما صلح أهل مصر فقد ورد فيه : "بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم ، وبرهم وبحرهم ، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ، ... " .^(٢)

ويتبين أن من أهم بنود عقود الصلح التي أبرمها المسلمون مع أهل الذمة ، أن يحترموا الشعائر الدينية للمسلمين ، ولا يظهروا من طقوسهم مايؤذي مشاعر المسلمين ، وأن يؤمنوا أهل الذمة على كنائسهم التي جرى عليها الصلح ،^(٣) ولا يحدثوا أي كنائس أو دور عبادة غيرها .

وعلى هذا الأساس تركت البيعة والكنائس القديمة ، فلم تهدم ، ولذلك قال أبو يوسف : "ولست أرى أن يهدم شيء مما جرى عليه الصلح ، ولا يحول ، ويمضي الأمر على ما مضاه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم ، فإنهم لم يهدموا شيئاً مما كان الصلح جرى عليه ، فأما ما أحدث من بناء بيعة أو كنيسة فإن ذلك يهدم " .^(٤)

-
- (١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٦٠٩/٣ .
 (٢) الطبري : نفس المصدر ، ١٠٩/٤ .
 (٣) شربا عرفة : الحياة الاقتصادية في بلاد الشام ، ص ٥٩ .
 (٤) الخراج ، ص ٢٩٤-٢٩٥ .
 (٥) جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خلفائه ذمته لنصارى نجران على بيعهم . (انظر : توفيق اليوزبكي : تاريخ أهل الذمة في العراق ، ص ١٠٠) .
 (٦) وانظر أيضاً عن إعطاء المسلمين العهد لأهل الذمة بالابقاء على بيعهم وكنائسهم ، على ألا يستحدثوا غيرها ومما قيل حول ذلك / الماوردي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الفكر ، مصر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م ، ص ١٢٧ - المقرئ : خطط ، ٤٩٢/٢ - توفيق اليوزبكي : نفس المرجع ، ص ١٠٠ - ١٠٣ - ترتون : أهل الذمة في الإسلام ، ص ٤١٠، ٣٩٠، ٩ .

(١) ونقل ابو يوسف ان ابن عباس سئل عن العجم لهم ان يحدثوا بيعة او كنيسة في امار المسلمين ؟ فقال : " اما مصر مصرته العرب فليس لهم ان يحدثوا فيه بيعة او كنيسة ، ولا يهربوا ناقوسا ، ولا يتخذوا فيه خنزيرا ، وكل مصر كانت العجم مصرته ففتح الله على العرب ، فزلوا على حكمهم ، فللعجم ما في عهدهم ، وعلى العرب ان يفوا لهم بذلك " .

الا ان بعض الامراء الامويين تسامحوا مع اهل الذمة ، فتركوا لهم الفرصة في استحداثها ، والسماح بتجديد بعض ما خرب منها ، والاعانة على ذلك احيانا واقرارها ، من ذلك (٢) امر معاوية رضي الله عنه بتجديد بيعة الرها الكبرى عقب زلزال هدم بعض اجزائها . وموافقة عبد العزيز بن مروان حين بنى مدينة حلوان بمصر ، على استحداث كنيسة لخادمين ملكانيين عرفت بكنيسة الفراشين . ولكاتبه اثناسيوس ، ببناء كنيسة في قصر الشمع ، فلم يكتف اثناسيوس بواحدة ، بل شيد اثنتين هما كنيسة مار جرجس ، وكنيسة ابي قير داخل قصر الشمع ، واقام ثالثة بالرها . وما ذكر من قيام خالد

(١) الخراج ، ص ٢٩٦-٢٩٧ .

(٢) عن تسامح بنى أمية مع اهل الذمة في تجديد الكنائس واستحداثها . (انظر / صالح الحمارنة : المسيحية في أرض الشام في أوائل الحكم الاسلامي ، بحث ضمن مجموعة أعمال المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام (من القرن ٦-١٧م) ، المنعقد في الجامعة الاردنية ، نشر الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ص ٥٥٦ - سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام من الفتح العربي الى قيام الدولة الطولونية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٠م ، ص ١٩٠-١٩١ - توتون : اهل الذمة في الاسلام ، ص ٤٤-٤٥ ، ٥٣-٥٤ - توماس ارنولد : الدعوة الى الاسلام ، ترجمة وتعليق حسن ابراهيم حسن ، وعبد المجيد عابدين ، واسماعيل النجراوى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٠م ، ص ٨٤-٨٥) .

القسري أمير العراق في عهد هشام ببناء كنيسة لأمه - وكانت نصرانية - في ظهر المسجد الجامع بالكوفة ، وأنه سمح للنصارى بوجه عام ببناء كنائس أخرى .^(١)

ويبدو أن المسيحيين ، بالغوا في استغلال هذا التسامح وتمادوا في استحداث كثير من الكنائس والبيع . لذلك نجد سلف يزيد وهو الخليفة عمر بن عبد العزيز يأمر بهدم الكنائس المستحدثة ، كما أكد على ألا يحدث كنيسة ولا بيت نار بينما أمر بالاحتدام دور العبادة من بيع وكنائس وبيوت نار التي كان قد صولح عليها أهلها .^(٢)

ومن هنا فيما يبدو جاء مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك متضمنا الأمر بهدم الكنائس المستحدثة . بل يتضح أنه أخذ سياسة متشددة نحو أهل الذمة في هذا الشأن ، فلقد ذكر أنه أمر بإعادة بعض الكنائس التي أقطعها بعض أسلافه من الخلفاء الأمويين لأشراف من العرب ، إلى من أقطعت لهم بعد أن ردها عمر بن عبد العزيز إلى النصارى .^(٣)

(١) ثريا عرفة : الحياة الاقتصادية في بلاد الشام ، ص ٦٧-٦٨ .

(٢) من أجل سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه هذا التجاوز وتطبيق ما تضمنته مواثيق الملح . (انظر / أبو يوسف : الخراج ، ص ٢٦٢ - نجدة خماش : الشام في صدر الإسلام ، ص ٩٩ - نادية مقرر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه أهل الذمة ، ص ٧١-٧٢ - ثريا عرفة : نفس المرجع ، ص ٦٧ - فيليب حتى : تاريخ العرب (مطول) ، تحقيق أدورد جرجي وجبرائيل جبور ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦١ م ، ٣٠٢/١-٣٠٣) .

(٣) عن تلك الكنائس التي أعادها يزيد إلى من أقطعت لهم . (انظر ما ذكرناه عنها بعد : الفصل الخامس ، المبحث الثاني ، ص ٦٠٨) .

رابعاً : الأمر بكسر الملبان ، نص على ذلك المقرئ
وساويرس بن المقفع .

وكان المسلمون قد منعوا أهل الذمة واشتروا عليهم في
الملح معهم من اخراج ملبانهم الا في يوم عيدهم الاكبر ،
خارج المدينة بلارايات ولابنود ، والا يظهروا ملبانهم داخل
بيوت المسلمين ومساجدهم . يقول أبو يوسف : "حدثني بعض أهل
العلم عن مكحول الشامي : أن أبا عبيدة بن الجراح صالحهم
بالشام واشترط عليهم حين دخلها على أن يترك كنائسهم
وبيعهم ، على أن لا يحدثوا بناء بيعة ولاكنيسة ،
ولا يرفعوا في نادي أهل الاسلام صليبا ، ولا يخرجوا الرايات
في يوم عيد ، فان فعلوا شيئاً من ذلك عوقبوا واخذ
منهم " .

وقال في موضع آخر ينقل أمر عمر بن الخطاب الى أبي
عبيدة رضى الله عنهما ورأيه فيما أعطاه أهل الذمة من
العهد : "وأما اخراج الملبان في يوم عيدهم فلا تمنعهم من
ذلك خارج المدينة بلارايات ولابنود على ما طلبوا منك يوماً في
السنة ، فأما داخل بيوت المسلمين ومساجدهم فلا تظهر
الملبان " . فإذن لهم أبو عبيدة في يوم من السنة ، هو يوم

(١) عيدهم الاكبر : عيد الفصح ، وهو يوم الفطر من صومهم
الاكبر وفيه - كما يزعمون - قام المسيح بنفسه بعد
الملبوت بثلاثة أيام ، وخلص آدم من الجحيم وأقام في
الأرض أربعين يوماً آخرها يوم الخميس ثم صعد الى
السما ، وفي الفصح يوقدون المشاعل ، ويدعون أيضاً
الفصح بالقيامة ، لتذكّار قيامة المسيح من الموت يوم
الفصح . (توفيق اليوزبكي : تاريخ أهل الذمة في العراق
ص ٢٩٠-٢٩١) .

(٢) من أجل ذلك انظر / أبو يوسف : الخراج ، ص ٢٨١-٢٨٢ ،
٢٨٥-٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٨١-٢٨٢ .

عيدهم الذى فيه صومهم ، واما غير ذلك فلم يكونوا يخرجون
(١)
مليانهم .

وقد نص على عدم اظهارهم للمليان امان المسلمين
لنصارى الشام حيث ورد فيه مانعه : "....." ولانظر مليبا
على كفافنا ، ولافى شئ من طرق المسلمين واسواقهم ،...." (٢)
وهناك مايدل على تجاوز المسيحيين لشروط المص
(٣)
واظهارهم لمليانهم ، فيذكر تروثون : أن عبد العزيز بن
مروان أمير مصر (٦٥ - ٨٦هـ) ، أمر بتحطيم جميع المليان
(٤)
الموجودة بمصر . كما ذكر ابو يوسف أن الخليفة عمر بن عبد
العزيز كتب الى أحد عماله يأمره بقوله : "أما بعد ،
فلتدعن مليبا ظاهرا الا كسر ومحق ..." . مما يشير الى وجود
تجاوز أدى الى فعل عبد العزيز وأمر ابنه عمر .
ولعل هذا مادعى الخليفة يزيد بن عبد الملك الى أن
(٥)
يضمن مرسومه الأمر بكسر تلك المليان .

-
- (١) أبو يوسف : الخراج ، ص ٢٨٥-٢٨٦ .
(٢) ثريا عرفة : الحياة الاقتصادية فى بلاد الشام ، ص ٥٧ .
(٣) أهل الذمة فى الاسلام ، ص ١٠٩ .
(٤) الخراج ، ص ٢٦٢ .
(٥) مما تجدر الإشارة اليه ، وقوع الاختلاف بين عهود الامان
التي أعطيت لأهل الذمة فى الاقطار المختلفة ، اجمالا
وتفصيلا ، فنجد من الشروط فى عهد بلد ما لانجده فى عهد
آخر . وانى لارى أن ذلك راجع لشخص القائد وظروف الفتح
والتفاوض . مع التسليم بأن هناك أشياء تعتبر من
الثوابت والمسلمات ، لايعنى عدم ذكرها فى شروط المص
عدم تطبيقها على أهل ، خصوصا فيما يتعلق باحترام أهل
الذمة للمسلمين وشعائرهم الدينية ، وحدود الحرية
الدينية لأهل الذمة . فعلى سبيل المثال ، اذا لم يذكر
فى شروط مص ما النص على عدم استحداث الكنائس أو رفع
المليان ، فان ذلك لايعنى الاباحة لهم ، باعتبار ذلك
منهج اسلامى يطبق على الكل وان لم يذكر . اما مايسلم
به من الاختلاف والالتزام بحرفيته فقد يكون ذلك فى
النواحى المالية التي راعى فيها الفاتحون اختلاف ظروف
البلاد وأهلها .

خامسا : عموم امر الخليفة وسريان تنفيذه على سائر الاقطار الاسلامية ، مصر وغيرها ، أشار الى ذلك بوضوح ابن تغرى بردى فى نصه حيث قال : ".... فكسرت كلها - اى الامنام - ومحيت التماثيل من ديار مصر وغيرها فى ايامه " .
(١)
وكذلك ساويريس بن المقفع الذى اورد فى نصه : "...." .
(٢)
ولم يكتف بهذا فقط حتى امر بكسر الصلبان فى كل مكان "...." .
كما اشارت الى عمومية مرسوم الخليفة وتنفيذه فى جميع الولايات الاسلامية ، عدد من المصادر والمراجع المسيحية القديمة والحديثة .
(٣)

سادسا : ان تأريخ صدور هذا المرسوم كما ورد فى المصادر العربية ، مختلف فيه ، فابن عبد الحكم يؤرخ له ب (سنة ١٠٢هـ - ١٢/ يولييه ٧٢٠م - ٢ يونيه ٧٢١م) . بينما يؤرخ له كل من الكندى والمقرئى ب (سنة ١٠٤هـ - ٢١/ يونيه ٧٢٢م - ١٢ مايو ٧٢٣م) . اما ابن تغرى بردى فقد قال : ان كتاب الخليفة يزيد وصل الى عامله على مصر بعد خروجه الى الاسكندرية (سنة ١٠٣هـ - ١/ يولييه ٧٢١م - ٢٢ مايو ٧٢٢م) . الا ان ساويرس بن المقفع ارخ له بأوائل خلافة يزيد التى بدأت فى (رجب سنة ١٠١هـ - ١٧/ يناير ٧٢٠م) . لكنه لم يحدد . ويفهم من قوله ان صدور هذا المرسوم تم فى اواخر سنة ١٠١هـ او سنة ١٠٢هـ - ١/ يولييه ٧٢١م . فيكون بذلك تأريخ ابن عبد الحكم

(١) انظر كامل النص قبل : ص ٢٦٨ .

(٢) انظر كامل النص قبل : ص ٢٦٨ .

(٣) سنستعرض ماورد فى تلك المصادر والمراجع حول هذا المرسوم فى الصفحات التالية ، وسيكون لنا تعليق على عمومية أمره ، واتفاحه وتبين أثره فى بعض البلدان الاسلامية دون الأخرى .

وساويرس بن المقفع للمرسوم متقارباً ان لم يكن متوافقاً ،
 اذا كان ساويرس عنى بأول خلافته ، صدر خلافته ، لا أول شهر
 منها أو نحوه على وجه الدقة ، واللفظ يحتمل أن يكون أولها
 فى حدود العام من البداية ، خصوصاً اذا كنا نعلم أن يزيد
 شغل منذ تولى الخلافة بحركة ابن المهلب والتى لم تنته الا
 فى صفر سنة ١٠٢هـ ، فيكون المرجح أنه أصدر أمره بعد فراغه
 من تلك الحركة ، يسند ذلك أن هناك روايات أشارت الى اشراف^(١)
 أخيه مسلمة بن عبد الملك على تنفيذ مرسومه فى العراق ،
 ومسلمة هو الذى تولى اخماد حركة ابن المهلب ، مما يعنى أن
 صدور المرسوم كان بعد القضاء على ابن المهلب ، أى فيما
 بعد (صفر سنة ١٠٢هـ) . كما أرى أن تاريخ ابن تغرى بردى
 للمرسوم لا يخالف تاريخ ابن عبد الحكم وساويرس ، بل أراه
 موافقهما ، إذ أنه أخبر أن أمر يزيد ورد على عامله بمصر
 (سنة ١٠٣هـ) ، ولم يقل أصدر أمره (سنة ١٠٣هـ) ، فلا خلاف
 صريح بينهما ، فلعل يزيد أصدر أمره أواخر سنة ١٠٢هـ كما
 أخبر ابن عبد الحكم ، وورد أمره على عامل مصر أوائل (سنة
 ١٠٣هـ) .

وحيث أنا سنستعرض روايات أجنبية أرخت لهذا المرسوم ،
 فانا نترك أمر الوصول الى التاريخ المرجح الى ما بعد^(٢)
 ذكرها .

هكذا كان مرسوم الخليفة يزيد فى مصادر مصر الإسلامية
 والقبطية ، وقد قام على تنفيذ مرسومه فى مصر عامل الخراج

(١) انظر هذه الروايات بعد : ص ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ .
 (٢) انظر ماكتب عن هذا المرسوم فى المصادر الأجنبية ، بعد
 ص ٢٨٦ وما بعدها .

عليها في زمنه أسامة بن زيد الذي قام بمهاجمة الاديرة ،
 وهدم الكنائس ، وكسر الأصنام والملبان والتماشيل ومحو
 الصور ، ولم تفلح خلال هذه الحركة بعض الآثار الفرعونية
 القديمة من الهدم والتخريب .^(١)

كما قام مسلمة بن عبد الملك امير العراق (سنة ١٠٢هـ)
 من قبل الخليفة يزيد ، بتنفيذ مرسومه فأمر بمحو الصور
 جميعها سواء ماكان منها في الكنائس ، أو على الجدران أو
 في البيوت والكتب ، كما قام بتحطيم جميع الأصنام والتماشيل
 سواء اكانت من الحجر أم العاج .^(٢)

ومن الواضح انمنية أدركت الخليفة يزيد بن عبد
 الملك ، والذي لم تظل مدة خلافته قبل أن يتم تنفيذ أمره .^(٣)

(١) سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ، ص ١٨٠-١٨١ - ترتون :
 اهل الذمة في الاسلام ، ص ٤٥-٤٦ ، ١١١ .

(٢) ترتون : نفس المرجع ، ص ١١١ (نقلا عن : Anonymous :
 Syrenc chronicle, lp 308 .

لكن الجدير بالاشارة ان اصدار مرسوم الخليفة يزيد قد
 جاء بعد عزل مسلمة عن امارة العراق (آخر سنة ١٠٢ أو
 اوائل سنة ١٠٣هـ) ، اذا كان اعتمادنا على تاريخ صدور
 المرسوم عند المؤرخين المسلمين الذين أرخوا له بسنة
 ١٠٤هـ . أما مارجحه المؤرخ فازيليف من التواريخ
 المختلفة لصدور هذا القرار ، وهو (شهر يوليو سنة
 ٧٢١م أي الموافق المحرم من سنة ١٠٣هـ) فيمكن أن يكون
 موافقا لآخر ولاية مسلمة على العراق ، فأشرف على
 تنفيذ المرسوم هناك في الشهور الأخيرة من ولايته ، هذا
 اذا كان عزله تم في سنة ١٠٣هـ ، وذلك لوجود الاختلاف
 في سنة عزله ، ولعدم تحديد الشهر الذي عزل فيه . (عن
 تاريخ عزل مسلمة انظر بعد : الفصل الخامس ، المبحث
 الاول ، ص ٤٧٤-٤٧٥) .

وفي قول ترتون ان صح قرينة على صحة أو مقاربة الصحة
 في التاريخ الذي توصل اليه فازيليف لهذا المرسوم .
 (انظر ماتوصل اليه بعد : ص ٢٩٤) . وسنناقش هذا
 التاريخ نحن ، وسيكون لنا فيه رأيا . (انظره بعد :
 ص ٢٩٥) .

(٣) انظر : ترتون : نفس المرجع ، ص ٤٥-٤٦ .

(١)

ويخص المؤرخ (فيازيلييف A. A. Vasiliev) مرسوم الخليفة يزيد ببحث جمع فيه ماوردته المصادر المصرية الاسلامية والقبطية والاجنبية حول هذا المرسوم ، اسبابا ، وتاريخا ، ومضمونا ، ونتائج . وسنعرض الآن لاهم ماورد فيه : لقد ذكر اولا اربعة من المصادر العربية التى تحدثت عن المرسوم وهى الكندى ، المقرئى ، ابن تغرى بردى ، ساويرس ابن المقفع ، اى ثلاثة اسلامية ، وواحد قبطى ، والتى ناقشنا نصوصها فى الصفحات السابقة ، بينما لم يشر الى ماورده (٢) ابن عبد الحكم عن هذا المرسوم .

ثم ذكر ان اول اشارة الى هذا المرسوم وردت فى المصادر الاغريقية ، وجاء ذلك فى الخطاب الذى القاه بطريك القدس حنا ، والذى كان من قبل بطريركا لانطاكية ، وكان يمثل بطارقة الروم ، فى مجمع نيقية المسكونى المنعقد (٣) (١٧٠هـ - رجب ١٧١هـ / ٧٨٧م) وذلك بقصد ايضاح تاثر الامبراطور البيزنطى ليو الايسورى فى سياسته الخاصة بتحريم الصور بما

(1) The Iconoclastic Edict of the Caliph Yazid II, A.D. 721 .

(٢) اوردنا ماذكره ابن عبد الحكم عن هذا المرسوم وناقشناه مع ماورد فى المصادر العربية الاخرى . (انظر قبل : ص ٢٦٧ ومابعدها) .

(٣) عقد مجمع نيقية المسكونى ، سنة (١٧٠-١٧١هـ / ٧٨٧م) بامر الامبراطورة ايرينى ، واصدر اعضاؤه القرار بتحريم صور المسيح والقديسين وتعليقها فى كل مكان ، لالعبادتها . وقد جاء هذا المجمع ردا على المجمع الذى انعقد (١٣٦-١٣٧هـ / ٧٥٤م) بامر الامبراطور قسطنطين الخامس وقرر تحريم اتخاذ الصور والتماثيل فى العبادة (انظر / محمد ابو زهرة : محاضرات فى النصرانية ، تبحث فى الادوار التى مرت عليها عقائد النصارى وفى كتبهم وفى مجامعهم المقدسة وفرقهم ، طبع ونشر الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٧٦-١٧٧) .

حدث فى الدولة الاسلامية فى عهد الخليفة يزيد بن عبد
(١)
الملك .

وفى هذا الخطاب اشار حنا الى ان يزيد بن عبد الملك
(٢)
كان مدفوعا فى سياسته تلك بساحر يهودى كان يعيش فى طبرية
اسمه (Tessarakontapechys) ، كان من الد أعداء المسيحية ،
وكان الخليفة يزيد قد قربته اليه بعد ان طلبا له ، بانه ان
استمع الى نصيحته سيحكم ثلاثين سنة ، ونصيحته ان اراد
الخليفة ان يحكم هذه المدة الطويلة ان يمدد مرسوما ينفذ
فى جميع بلاد الدولة الاسلامية ويقضى بتدمير وازالة كل
التماوير سواء اكانت على الموائد او من الفسيفساء على
الجدران ، او على الاوانى المعدنية ، او مطرزة على الاغطية
التي تغطي الهيكل المقدس ، وعلى كل مثل هذه الاشياء التي
توجد عادة فى الكنائس المسيحية . وقد استمع الخليفة الى
نصيحته وارسل مبعوثين من قبله الى كافة الولايات الاسلامية
قاموا بتحطيم الصور التي كانت فى الكنائس واحرقوها .

-
- (١) اورد وسام عبد العزيز فرج نص الوثيقة التي قدمت الى
مجمع نيقيية المسكونى المنعقد سنة (١٧٠-١٧١هـ/٧٨٧م)
حول مرسوم الخليفة يزيد ، لكنه لم ينص على انها خطاب
حنا بطريرك القدس ، او غيره ، وقد وافقت هذه الوثيقة
تقريبا ما جاء فى خطاب حنا الذي ذكر مضمونه فازيليف ،
لذا يظن ان تكون هذه الوثيقة هي نص خطابه فى هذا
الشان . (انظر نص الوثيقة فى كتابه : دراسات فى
تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ، (١)
الامبراطورية البيزنطية من (٣٢٤-١٠٢٥م) ، مطبعة مصر
اسكندرية الكراس ، ١٩٨٢م ، ص ١٨٠-١٨١) .
- (٢) طبرية : بليدة مطلية على البحيرة المعروفة ببحيرة
طبرية ، يطل عليها جبل الطور ، تقع فى طرف الفور ،
بينها وبين دمشق ثلاثة ايام . (ياقوت : معجم ، ١٧/٤) .
- (٣) قال وسام فرج انه احد زعماء اليهود السحرة ، وانه
كان يسمى ذو الاربعين ذراعا (طولا) . (نفس المرجع ،
ص ١٧٩) .

واضاف : ولم يعمر الخليفة يزيد بعد ان امر بذلك الا سنتين ونصف . كما ذكر ان ابن الخليفة يزيد وهو الخليفة الوليد ابن يزيد بن عبد الملك ، امر بقتل هذا الساحر اليهودي الذى سيطر على ابيه ودفعه الى هذه السياسة ، ولم تتحقق تنبؤاته .^(١)

واشار الى هذا المرسوم ايضا بطريرك القسطنطينية نقفور (١٨٩ - ٢٠١هـ / ٨٠٥ - ٨١٦م) ذاكرنا تأثير ذلك اليهودي على يزيد بن عبد الملك ، وانه استطاع التأثير عليه ، لان الخليفة كان يعانى من المرض ، فأعطاه الامل بانه ان نفذ وصيته سيشفى من مرضه وينعم بحياته ويعيش سعيدا ، وردد كلام بطريرك القدس هنا - الذى اشرنا اليه فى الصفحتين السابقتين - لكنه اضاف ، انقال عدوى هذه السياسة الخاصة بتحريم الصور الى الامبراطورية البيزنطية ، وتأثر الامبراطور ليو بهذه السياسة . وقد ذكر نقفور ان الخليفة يزيد توفى بعد سنتين وخمسة اشهر من اصدار هذا المرسوم .^(٢)

كما اشار الى هذا المرسوم فى المصادر الاغريقية ايضا الصورخ (جيورجىوس مرناخوس Georgius Mrnachus) ، وردد^(٣) كامل التفاصيل .

(١) A. A. Vasiliev : op. cit, p 28-30 . ويضيف وسام فرج : دراسات فى تاريخ وحفارة الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٨٠-١٨١ ان الولاة والامراء اذاعوا ونشروا مرسوم الخليفة يزيد ، فقام العرب واليهود باحراق الايقونات المقدسة ، وطلاء حيطان بعض الكنائس بينما كشطوا حيطان البعض الآخر ، كما اشار الى مشاركة بعض المسيحيين فى تنفيذ امر الخليفة عندما سمعوا به كاسقف ناكوليا Nacolea واتباعه ، ويبدو انهم ممن يحرم عبادة الصور وتقديسها .

(2) A. A. Vasiliev : op. cit, p 31-33 .

(3) A. A. Vasiliev : op. cit, p 31 .

ووردت الإشارة كذلك الى هذا المرسوم فى الخطاب الذى
 ألقاه فى نفس الانعقاد السابق لمجمع نيقية (سنة ١٧٠ -
 ١٧١هـ/٧٨٧م) اسقف مدينة ميسيتا والذى قال فيه : كنت طفلا
 فى الشام عندما أمر خليفة المسلمين بتحطيم الصور .^(١)
 وممن أشار الى مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك
 المؤرخ ثيوفانوس الذى كتب تاريخه فى بداية القرن التاسع
 الميلادى/الثالث الهجرى ، لكنه ذكر أن ذلك الساحر من
 (اللاذقية/لاوديكية Laodicea) ، وأنه أمل الخليفة يزيد
 بالحكم أربعين سنة .

كما ذكر أن الخليفة يزيد بن عبد الملك صمم أن يفعل
 مانعه به الساحر اليهودى من تحطيم للصور المقدسة ، لكنه
 توفى فى نفس العام . وقد عرفت الناس بعزمه ، كما عرف بذلك
 الامبراطور البيزنطى ليو الاسورى عن طريق أحد المسيحيين
 ويدعى (باسر Baseor) ، والذى كان يعيش فى ذلك الوقت فى
 سورية ، وكان - على حد زعمه - قد أرغم على اعتناق الاسلام ،
 إلا أنه نجح فى الفرار الى القسطنطينية ، وفى القسطنطينية
 نجح باسر الذى عاد الى المسيحية أن يكسب ود الامبراطور ليو

(١) A. A. Vasiliev : op. cit, p 30 .

(٢) اللاذقية : ميناء مشهور على ساحل بلاد الشام . (ياقوت
 معجم ، ٥/٥) .

(٣) أجمعت المصادر والمراجع على أن يزيد أصدر مرسومه
 ونفذ ذلك المرسوم ، وأشارت بعض المصادر والمراجع الى
 ما أزيل وحطم بمقتضاه وبقاء آثاره الى عهد قريب .
 يتبين ذلك من مجمل الروايات العربية والاجنبية التى
 ذكرناها ، مما يثبت تنفيذ هذه العزم عليه كما يقول
 المؤرخ ثيوفانوس أعلاه .

(٤) لم يعرف التاريخ ارغام المسلمين للناس على الاسلام ،
 اعتمادا على قوله تعالى : {لا اكراه فى الدين} .
 البقرة : ٢٥٦ .

الايصوري ، فنقل اليه ماشاع في سورية عن تحريم عبادة الصور وعيل فازيليف الى ان باسر هذا هو اليهودي الذي ورد اسمه في خطاب البطريرك حنا^(١) .

كما تكررت الاشارة الى مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك في المصادر الاغريقية ، في الخطاب الذي وجهه البطارقة الثلاثة الملكانيين الى الامبراطور ثيوفيل (٢٢١ - ٢٢٢هـ / ٨٣٦م) ، والخاص بعبادة الصور ، والذي نشر اولاً في القرن السابع عشر الميلادي ثم أعيد نشره فيما بعد سنة ١٩١٢ - ١٩١٣م ، ورددوا نفس الاقوال الخاصة بهذا اليهودي وتأثيره على الخليفة يزيد ، وان يزيد مات بعد سنة من اصدار هذا المرسوم^(٢) .

كما اشارت المصادر السريانية الى مرسوم الخليفة يزيد ابن عبد الملك ، وذكرت ان الخليفة عهد الى اخيه مسلمة بتنفيذ مرسومه الخاص بازالة الصور من الكنائس وغيرها . كما اشارت الى ان الامبراطور ليو الايصوري في حملته ضد عبادة الصور كان متأثراً في ذلك بمياسة يزيد بن عبد الملك في هذا الصدد .

وتفصح الرواية السريانية المعروفة باسم (بسيودو ديونيوس Pseudo Dionys) انه في سنة ١٠٣٥ من العصر السلوقي / الموافق ١٠٤ - ١٠٥هـ اي ٧٢٣ - ٧٢٤م) أمر الخليفة يزيد بازالة جميع الصور اينما وجدت سواء في

(1) A. A. Vasiliev : op. cit, p 30-31 .

(2) A. A. Vasiliev : op. cit, p 34-35 .

(١) الكنائس ، او المعابد ، او فى المنازل .

كما ذكر ذلك المرسوم فى القرن الثانى عشر الميلادى /
السادس الهجرى ميخائيل السريانى ، واوضح انه نص فيه على
ازالة صور الكائنات الحية ، من المعابد والكنائس والمباني
والجدران والحجارة ، بل وازالة الصور الموجودة فى الكتب
كما ربط بين سياسة يزيد والامبراطور ليو الثالث الايسورى
(٢)
فى ذلك .

كما ذكره فى القرن الثالث عشر الميلادى /السابع الهجرى
المؤرخ السورى اليعقوبى جريجورى أبو الفرج ، وابان تآثر
الامبراطور ليو الثالث بيزيد فى هذا المدد .
(٣)

كما كتب مؤرخ مجهول كان يعيش فى النصف الاول من القرن
الثالث عشر الميلادى /السابع الهجرى ، والذي كتب تاريخ
الخلافة والمسيحية حتى (سنة ١٢٣٤م) ، انه فى (سنة ١٠٢هـ /
٧٢٠ - ٧٢١م) قام مسلمة بن عبد الملك بتكليف من اخيه يزيد
بازالة الصور حيثما وجدت سواء فى المعابد او على الجدران ،
او فى المنازل ، وكذلك الصور التى فى الكتب ، كما قام
بتكسير التماثيل ، سواء اكانت على الخشب او العاج ، او
الابنوس .
(٤)

هذه الروايات السريانية والمسيحية لم تحدد أى البلاد
كلف مسلمة بن عبد الملك من قبل اخيه الخليفة بتنفيذ
المرسوم فيها ، وكنا قد اوردنا خبرا عن ترتون ، يذكر فيه
(٥)

(1) A. A. Vasiliev : op. cit, p 37 .

(2) A. A. Vasiliev : op. cit, p 38 .

(3) A. A. Vasiliev : op. cit, p 38 .

(4) A. A. Vasiliev : op. cit, p 38-39 .

(٥) انظر قوله قبل : ص ٢٨٥ .

أن مسلمة أشرف على تنفيذه في العراق والمشرق ، فلعل هذه الروايات السريانية والمسيحية تقدم إشرافه على تنفيذ هذا المرسوم في العراق .

أما المصادر اللاتينية ، فإنها تنقل مذكرته المصادر الإغريقية عن مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك ، مثال ذلك أن (أنستاسيوس بيلوثيكاريوس Anastasius Binliothecarius) والذي كان يعيش في القرن التاسع الميلادي/الثالث الهجري ينقل مذكره المؤرخ الإغريقي ثيوفانوس .

كما نقل عن ثيوفانوس في هذا المصد أيضا ، المؤرخ الروماني (لاندولفوس ساكس Landulfus Sagax) الذي كان معاصرا للإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني (٣٦٥ - ٤١٥هـ/ ٩٧٦ - ١٠٢٥م) والإمبراطور البيزنطي قنسطنطين الثامن (٤١٥ - ٤١٨هـ/ ١٠٢٥ - ١٠٢٨م) وقد ورد ذلك في تاريخه المعروف باسم تاريخ ميسلا Historid Miscella (١) .

كما كان اعتماد المجمع الديني الذي عقد في باريس في نوفمبر (٢٠٩ - ٢١٠هـ/ ٨٢٥م) لبحث قضية تقديس المور في مناقشته هذه القضية منذ أشارها الإمبراطور البيزنطي ليو الأيسوري ، على التقرير الذي قدمه بطريرك القدس حنا إلى مجمع نيقية المسكوني الذي انعقد (١٧٠ - ١٧١هـ/ ٧٨٧م) ، والذي أشار فيه إلى مرسوم الخليفة يزيد (٢) .

كما أشارت المصادر الأرمنية لمرسوم الخليفة يزيد ، أشار إلى ذلك المؤرخ الأرمني (جيفوند Ghevond) في كتابه

(1) A. A. Vasiliev : op. cit, p 35 .

(2) A. A. Vasiliev : op. cit, p 36-37 .

"تاريخ حروب وفتوح العرب في أرمينية" . وقد عاش في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ، وأوائل القرن التاسع الميلادي/الثالث الهجري ، فروى ما أمر به يزيد في هذا الشأن ، ذاكرا أن يزيد حكم ست سنوات ، وأنه كان ^(١) ميلا لسفك الدماء . ^(٢)

أما بخصوص ماورد عن هذا المرسوم في المراجع الحديثة فان فازيليف ينقل عن المستشرقين (فلهوزن Wellhausen) في كتابه الدولة العربية أنه يشك في وجود مرسوم ليزيد بن عبد الملك في هذا الصدد . ^(٣)

لكن فازيليف ينقل لنا عن مؤرخين محدثين مايدحض قول فلهوزن فينقل عن المؤرخ (كروفوت I. Crowfoot) الذي كتب في (سنة ١٩٣٨م) في كتابه عن (الكنائس المسيحية في جرش) . 1938 . ed . The Christian Churches at Gerasa أن آثار مرسوم يزيد شوهدت في أماكن كثيرة ، في فلسطين ، وشرق الأردن ، ومصر . وأن هذا المرسوم طبق في جرش (شرق الأردن) في قسوة شديدة . فالنقوش ، والزخارف ، والمور التي كانت توجد في الكنائس والمنازل نزعمت ، بل أن كل مايتعلق بصور الكائنات الحية قد حطمت وأزيلت وأن آثار ذلك التحطيم كانت لاتزال معالمها واضحة حتى صدور كتابه هذا عنها في ^(٤) الكنائس المسيحية في جرش .

(١) الصحيح أن مدته خلافته أربع سنوات وشهر واحد .
 (2) A. A. Vasiliev : op. cit, p 43-44 .
 (3) A. A. Vasiliev : op. cit, p 45 .
 (4) A. A. Vasiliev : op. cit, p 45 .

كما ينقل فازيليف عن الاثرى (كريزويل J. E. Quibell) الذى قام بحفائر (سنة ١٩٠٨ - ١٩١٠م) فى دير الالبا جريمياس Jeremias فى سقارة فى مصر ، ماشاهده فى هذا الدير من تشويه ماكان به من صور ، وماذكره من انه يعزو ذلك الى مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك .^(١)

واخيرا استعرض فازيليف التاريخ الذى اوردته المؤرخون لهذا المرسوم ، فرأى ان اصحها (محرم ١٠٣هـ/يوليو ٧٢١م) . اعتمادا على ماذكره بطريرك القدس حنا عن مرسوم يزيد وتاريخه فى التقرير الذى قدمه لمجمع نيقية (١٧٠ - ١٧١هـ/ ٧٨٧م) ، اى بعد صدور المرسوم ب (٦٦ عاما) . وقد قال حنا : ان الخليفة لم يعمر بعد امره بذلك الا سنتين ونصف . الى جانب بعض الروايات المدعمة له ، خصوصا رواية نقفور بطريرك القسطنطينية (١٨٩ - ٢٠١هـ/ ٨٠٥ - ٨١٦م) الذى قال : ان يزيد توفى بعد سنتين وخمسة اشهر من اصدار هذا المرسوم . لان هاتين الروايتين اليونانيتين هما اقدم ماذكر فى هذا الشأن واعتمادا فى ذلك ايضا على ماوردته المؤرخ القبطى ساويرس ابن المقفع ، وقد ارخ له باوائل خلافة يزيد ، والمؤرخ^(٢) السريانى المجهول الذى ارخ له ب (١٠٢هـ/ ٧٢٠ - ٧٢١م) . وهو بذلك يستبعد تاريخ كل من الكندى والمقرىزى اللذين ارخا له ب (سنة ١٠٤هـ/ ٧٢٢ - ٧٢٣م) .

فترى ان المؤرخ فازيليف قد قارب المواعيد ان لم يكن اصابه . فقد ارخ له ب (يوليه ٧٢١م/الموافق محرم ١٠٣هـ) .

(1) A. A. Vasiliev : op. cit, p 45 .

(2) A. A. Vasiliev : op. cit, p 46 .

ونحن ، اعتمادا على تاريخ ابن عبد الحكم وهو أقدم مؤرخ مسلم تحدث عن هذا المرسوم (ت ٢٥٧هـ/٨٧٠ - ٨٧١م) ، وساويرس ابن المقفع ، وابن تفرى بردى ، وكذلك رواية المؤرخ السريانى المجهول الذى أرخ لهذا المرسوم ب (١٠٢هـ/٧٢٠ - ٧٢١م) ، نرجح ان يكون الخليفة يزيد قد أصدر امره فيما بعد (شهر صفر سنة ١٠٢هـ) ، والتى تنتهى بذى الحجة ، الموافق ٢ يونيه ٧٢١م ، أى الشهر الذى يسبق الشهر الذى حدده فازيليف لمدور هذا المرسوم وهو يوليه ٧٢١م/محرم ١٠٣هـ .

وكان فازيليف قد التزم بحرفية رواية بطريك القدس حنا الذى قال : ان يزيد قد توفى بعد اصدار المرسوم بسنتين ونصف .

وحيث اننا لاحظنا ان فازيليف لم يشر الى تاريخ ابن عبد الحكم لهذا المرسوم ، الذى خفى عليه فيما يبدو ، وهو أقدم المؤرخين المسلمين ، فلعله كان يغير ما توصل اليه فى حالة اطلاعه على خبره .

وبناء على ماتقدم يكون الخليفة يزيد بن عبد الملك قد أصدر مرسومه هذا فى (أواخر سنة ١٠٢هـ/٧٢١م) ، على أساس ما توصلنا اليه ، او (المحرم سنة ١٠٣هـ/٧٢١م) على ما رجحه فازيليف ، والفرق بينهما كما هو واضح قد يكون أياما ، وعلى الأكثر شهورا لاتتعدى أصابع اليد الواحدة ، وعلى كل حال ، فإنه ليس لدينا ما يتوقف الحكم عليه بتحديد التاريخ لمرسوم الخليفة يزيد ، ولكن في هذه المناقشة شيء من جدية البحث ، وعدم التسليم بما عقد الغير ، ورغبة فى الوصول الى الحقيقة ، ولعل قادم الأيام يخرج من الأحداث ما يترتب

على هذا التاريخ .

ونخلص من هذه الروايات التي أوردتها فازيليف في بحثه أن الخليفة يزيد بن عبد الملك كما ذكرت المصادر الاغريقية واللاتينية كان مدفوعا في هذا القرار من قبل ساحر يهودي ، زين له ازالة الصور والتماثيل عموما بشتى انواعها وايضا وجدت ، وعلى اى شيء مورت ، الا ان بعض الروايات قالت ان الامر اختص بازالة صور الكائنات الحية . وقد شمل هذا القرار كافة اقاليم الدولة الاسلامية ، ولم يقتصر على مصر ، الذي اقتصر ذكر المرسوم على مصادرها ، ودل على ذلك عمومية الامر كما اشارت اليه بعض المصادر الاسلامية والقبطية ، وكذلك الاجنبية ، حيث ورد ذلك على لسان بطريرك القدس حنا في خطابه الذي القاه في مجمع نيقية السابق ، فقد اخبر ان الخليفة يزيد ، اصدر امره ، وارسل مبعوثين من قبله الى كافة الولايات الاسلامية ، قاموا بتحطيم الصور في الكنائس واحرقوها . وكذلك ماوردته المصادر السريانية حول اشراف مسلمة بن عبد الملك على تنفيذ مرسوم اخيه الخليفة في العراق والمشرق ، وما اثبتته الدراسات الاثرية والحفائر ، من وجود آثار هذا المرسوم بوضوح في فلسطين وشرق الاردن ومصر ، وبخاصة في جرش بالاردن ، وسقارة بمصر .

(١) لم يرد القول بهذا السبب في الروايات الاسلامية والقبطية والسريانية والارمنية ، (انظر ذلك في الصفحات السابقة) .

(٢) انظر : A. A. Vasiliev : op. cit, p 38 .

(٣) انظر ماكتبناه عن ذلك ، قبل : ص ٢٨٣ .

(٤) انظر روايته قبل : ص ٢٨٧ .

(٥) انظر ماوردته حول ذلك ، قبل : ص ٢٨٥ .

(٦) انظر نتائج تلك الدراسات ، قبل : ص ٢٩٣-٢٩٤ .

واتضح من خلال هذه الروايات أن الصور والتماثيل التي بالكنائس قد تعرضت للإزالة والتعطيم ، محو أو كسح أو إحراق أو طلاء ، ومن هنا جاء قول بعضهم ، أن المقصود من هذا المرسوم هو إزالة الصور والتماثيل المقدسة التي في الكنائس ، وإن تعميم المرسوم على كافة أنواع الصور ماجاء إلا بنصيحة من الساحر اليهودي ، مكيدة خبيثة منه لئلا يشك الخليفة في نواياه الحقيقية كعدو للمسيحيين .^(١)

والحق أن في الروايات الواردة في هذا المدد ما يشكك فيها ، فهي تختلف على اسم الساحر اليهودي ، كما أنها تختلف على المدينة التي كان يسكن بها ، كما اختلفت في المدة التي منى الساحر اليهودي الخليفة يزيد أن يحكمها ، إذا فعل مانحه به ، من إصدار هذا القرار ، وبعد ذلك فإن الخليفة لم يحكم تلك المدة وتوفي بعد صدور قراره بمدة^(٢) وجيزة .

أما القول ، بأن المرسوم خص به صور الكائنات الحية ، فلعل ذلك أن المسلمين في تنفيذه عنوا بإزالة صور الكائنات الحية أكثر من غيرها ، لأن الصور المحرمة في الإسلام ، هي صور ذات الأرواح دون غيرها .^(٣)

أما القول بأن المرسوم استهدف الصور المقدسة عند

(١) وسام فرج : دراسات في تاريخ وحضارة الدولة البيزنطية ص ١٧٩-١٨١ .

(٢) انظر ذلك في ثنايا الروايات التي عرضناها في الصفحات السابقة ، وكذلك : وسام فرج : نفس المرجع ، ص ١٨١-١٨٢ .

(٣) انظر عن ذلك : قبل : ص ٢٧٠ . وكذلك : أحمد تيمور : التصوير عند العرب ، ص ١٠٠-١٠١ . وقد أورد حديثاً عن ابن عباس ينهى ويحذر من تصوير ذوات الأرواح ، لكنه يبيح تصوير ماليين فيه روح .

النمارى ، فان التعرض لها لم يكن الا لان المرسوم كان يتضمن ازالة الصور كلها واينما وجدت ، كما ان الصور المقدسة عند النمارى كانت هى الصور الشائعة عندهم سواء فى كنائسهم واديرتهم وبيعهم وبيوتهم .

وشمة سبب آخر ، وهو الاله ، وهو ان الصور المقدسة عند المسيحيين لم تكن مجرد صور تقام او تعلق للزينة او الذكرى وانما اصبحت تعبد وتقديس ، وهو ما عرف عندهم بعبادة الاليقونات ، أى عبادة الصور . وذلك مظهر من مظاهر الوثنية (١)

(١) لم تكن عبادة الاليقونات جديدة على النمارى ، فترجع بدايتها الى القرن الرابع الميلادى عندما تم الاعتراف بالمسيحية وبدا المسيحيون يزينون الكنائس بصور المسيح والعذراء والقديسين والتماشيل الدينية ، مما يدل على ذلك ان المجلس الذى عقد فى مدينة الفيرا باسبانيا فى بداية القرن الرابع الميلادى حرم اقامة الصور فى الكنائس ، وانها بدعة . والاصل ان المسيحية تنهى عن الصور والتماشيل ، لكن انتمار المسيحية فى عهد قسطنطين وماكان للبيئة والتقاليد اليونانية من اثر ادى الى دخول بعض المظاهر الوثنية القديمة على الكنيسة ، فزينوا كنائسهم بالصور والتماشيل ، وقد اعتبر بعضهم ذلك مظهرا من مظاهر الوثنية ، فنقده بعض المؤرخين وبعض القديسين ، كما قامت حركة فى انطاكية فى القرن السادس الميلادى ضد عبادة الصور ، الى جانب بعض حوادث الهجوم على الصور وتحطيمها فى القرن السابع الميلادى ، ومع ذلك فقد اعترف بشرعية الاستخدام الصحيح للاليقونات فى مجمع عقد فى القرن السابع الميلادى ، ثم حرمت فى مجمع عقد فى العقد الاخير من ذلك القرن كما حرم اتخاذ الصور والتماشيل فى العبادة فى مجمع عقد بامر قسطنطين الخامس (سنة ٧٥٤م) ، لكن الملكة ايرينى امرت بعقد مجمع نيقية (سنة ٧٨٧م) الذى قرر تقديس صور المسيح والقديسين لآبائهم . ومع ذلك انتشرت الصور المقدسة فى كل مكان ، وتحول الامر ، من تعليقها للزينة والذكرى ، الى عبادة تلك الصور والسجود لها والتماس البركة وتحقيق المعجزات منها . حتى اتكل عليها فى دفع الاخطار ، وغدت الصورة انجيل الامى يفهم منها مالا يقرأه من الكتاب المقدس . =

ليس له أصل فى المسيحية . ولعل هذا ما حدا بالخليفة يزيد ابن عبد الملك الى اصدار مرسومه لان الاسلام يحرم التصوير ، ومور ذات الارواح ، كما يحرم اى مظهر من مظاهر الوثنية والشرك .

وعبادة الصور والتماثيل شرك بالله ، وقد نمت بعض عهود الملح بعدم اظهار اهل الذمة للشرك والدعوة اليه ، والا برئت منهم الذمة ، وحل عليهم مايحل على اهل الشقاق والمعاندة . من ذلك مانص عليه ملح نصارى اهل الشام ^(١) .

ويتضح من خلال الروايات الاجنبية التى عرضت لهذا المرسوم انه تم على اثره محو الصور من الكنائس ، والمنازل وكل مكان ، ماكان منها على جدار او قماش او الواح او انية او كتب ، فى جميع اقطار الدولة الاسلامية ، وفى هذا دلالة واضحة على تفشى التدمير وانتشار الصور وخاصة المقدسة . وحيث ان النصارى يعيشون رعايا اهل ذمة بين المسلمين وفى ديارهم فقد خشى الخليفة يزيد بن عبد الملك افتتاح المسلمين بذلك ومحاكاة النصارى فى عمل الصور واتخاذها

= وفى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ادرك المسيحيون حاجة الكنيسة الى اصلاح والتطهير ، فعملوا على تحريم عبادة الايقونات . عن ذلك انظر : حسنين ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٠٩ - هسى : العالم البيزنطى ، ترجمة وتعليق رافت عبد الحميد ، مكتبة سعيد رافت ، مؤسسة الوفاء للطباعة ، القاهرة ، ص ١٣٣-١٣٤ ، وهامش (١) ص ١٣٣ - محمد ابو زهرة : محاضرات فى النصرانية ، ص ١٧٦-١٧٧ - وانظر عن الايقونات ايضا : اسد رستم : كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ، منشورات المكتبة البولسية ، لبنان ، بيروت ، طبعة ١٩٨٨م ، ٧٩/٢-٩٧ . وقد تحدث خلال حديثه عن الايقونات ، عن مرسوم الخليفة يزيد تجاهها ، وان ليو الثالث ماثلة فى ذلك ، ولم يصف جديدا .

(١) انظر نص ذلك الملح قبل : ص ٢٧٧، ٢٨١ .

وتقديسها خصوصاً أنهم كانوا قريبى عهد بالجاهلية ومظاهر
وثنيتهما ، فلعله رأى من الحكمة استئصال ذلك الداء قبل
استفحاله .

كما نخلص من دراسة هذه الروايات الى امر غاية فى
الاهمية ، وهو القول بأن الامبراطور ليو الثالث الايسورى
تأثر بسياسة الخليفة يزيد بن عبد الملك فى ازالة الصور
(١)
المحرمة .

فقد أصدر الامبراطور ليو الثالث الايسورى سنة (١٠٧ -
(٢)
١٠٨هـ / ٧٢٦م) ، وبموافقة الاساقفة ، وأعضاء مجلس الشيوخ ،
مرسوما يقضى بازالة جميع الصور والتمائيل الدينية من
الكنائس ، وأمر أن يغطى بالجص ماعلى جدران الكنائس من صور
وذلك فى كافة ولايات الدولة البيزنطية .

وقد اتخذ ليو الثالث الايسوى سياسته هذه بشئ من
الحذر والتمس لها الأسباب ، وسعى لتنفيذها بشكل تدريجى ،
لكن ثورة الجماهير والرهبان فى وجه سياسته ، ومنع جنوده من
تنفيذها ، بل وقتلهم القائد المكلف بتنفيذها وبعض معاونيه،
كان مما دعا الامبراطور الى الاستعانة بالقوة العسكرية فى
تنفيذ امره ، والقيام بسلسلة من اعمال القتل والنفى ضد
المعارضين لسياسته . ويقال ان أوامره فى هذا الصدد لم

(١) قال بهذا التأثير ايضا / سيدة كاشف : مصر فى فجر
الاسلام ، ص ١٨٠-١٨١ - حسنين ربيع : دراسات فى تاريخ
الدولة البيزنطية ، ص ١١٠ - هسى : العالم البيزنطى ،
ص ١٣٥ - أحمد تيمور : التصوير عند العرب ، ص ١٣٠ -
ابراهيم العدوى : الامويون والبيزنطيون ، ص ٢٩٣-٢٩٤ -
السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، دار
النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص ٢٠١ .

(٢) أى بعد مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك بنحو خمس
سنوات .

تقتصر على ازالة الايقونات المعلقة فى الكنائس بل شملت كافة انواع الصور سواء المرسومة على جدران الكنائس ، او تلك المطرزة على النسيج الذى يغطى الهياكل المقدسة ، كما احترقت آثار القديسين ، وازيلت جميع التماثيل والصور (١) المقامة خارج الكنائس .

(٢) ولعل هذا ماادى الى تساؤل وسام فرج ، لماذا تبنى الامبراطور البيزنطى الحركة اللايقونية (اى تحريم عبادة الصور) فى القرن الثامن الميلادى بالذات ، بينما كان التيار المعادى لعبادة الايقونات موجودا منذ عدة قرون ؟

وجوابه على ذلك هو تاثر الامبراطور ليو الثالث الايسورى والامبراطورية البيزنطية بقرار الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وبمؤثرات اخرى .

وهنا يظهر سؤال جديد ، كيف تاثر الامبراطور ، وماهى المؤثرات الاخرى ؟

يقال ان اصل ليو الثالث من اسباب تأثره بسياسة الخليفة يزيد تجاه الصور ، فيذكر فى هذا الصدد ان ليو من

(١) عن امر ليو الثالث بتحريم الصور وازالتها . (انظر / عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فرع الاسكندرية ، ١٩٧٧م ، ص ١١٣-١١٤ - اومان : الامبراطورية البيزنطية ، تعريب مصطفى طه بدر ، الناشر دار الفكر العربى ، ١٩٥٣م ، ص ١٥٢) (لكنه أرخ لأمر ليو هذا بمئة ٧٢٥م / ١٠٦-١٠٧هـ) - وسام فرج : دراسات فى تاريخ وحضارة الدولة البيزنطية ، ص ١٨٤-١٨٥ - هسى : العالم البيزنطى ، ص ١٣٥ ، وهامش (١) منها - محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص ١٠١-١٠٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٧٦ .

(١) مواليد مرعش ، وان أصله في الواقع من ايسوريا ، في اقليم قليقية ، ولد من ابوين ارمنيين ، ثم انتقل مع ابيه الى تراقية ، ثم انخرط في سلك العسكرية حتى اصبح قائد فيلق الاناضول . وقيل ان أصله سوري وكان مولى للخليفة - ولم يحدد المرجع أي خليفة - يجيد التحدث بالعربية واليونانية . بل قيل ان الخليفة يزيد ادخله الاسلام سرا . وقيل ايضا ان سياسته اللايقونية لم تكن الا تزلفا للمسلمين ومجاملة لهم وان كان ذلك لا يعقل ومواقفه العسكرية وحروبه ضد المسلمين تدل على عكس ذلك . (٧)

والحق ان من اهم المؤثرات التي أدت الى احتكاك ليو بالمسلمين والتاثر بفكرهم ، ما ثبت من مرافقته لهم واختلاطه بهم ابان حملتهم الشهيرة على القسطنطينية (سنة ٩٨٨هـ) في خلافة سليمان بن عبد الملك . فقد ورد في عدد من المصادر والمراجع ، ان ليو الايسوري ، الذي كان قائدا لفيلق الاناضول ، سار مع الجيش الاسلامي بقيادة مسلمة بن عبد الملك ليكون دليلا يهديهم الطريق الى القسطنطينية ، حتى وصلوا

-
- (١) مرعش : مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم . (ياقوت : معجم ، ١٠٧/٥) .
 - (٢) ايسوريا : او (ايزورية) ، امارة في داخل آسيا الصغرى على حدود منطقة الثغور اليونانية القديمة . (كي لسترنج : بلدان ، ص ١٧٦) .
 - (٣) تراقية او تراقيا : ولاية بيزنطية تطل على بحر مرمرة من جهة أوروبا .
 - (٤) محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ٩٣ - عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٠٤ .
 - (٥) عمر كمال توفيق : نفس المرجع والصفحة - فيليب حتى : تاريخ سورية ، ٥٠/٢ .
 - (٦) اومان : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٥٢ .
 - (٧) عمر كمال توفيق : نفس المرجع ، ص ١١١-١١٢ - فيليب حتى : نفس المرجع والجزء ، ص ١١٧ .

اليها . مشيرة الى قيامه بالتفاوض مع مسلمة على أساس تسهيل دخول المسلمين اليها وتسليمها صلحا ، وأنه نجح في مخادعة مسلمة واستغل الثورة التي قامت في القسطنطينية وقت حصار المسلمين لها ، وتمكن من أن يسيطر على الموقف ، ثم بعد أن نصبه البيزنطيون امبراطورا عليهم ، تمضى للمسلمين وصمد أمام حصارهم ، حتى تكالبت عليهم الظروف ، وأمر عمر ابن عبد العزيز خليفة سليمان بفك الحصار وانسحاب المسلمين سنة ٩٩ هـ . وبلاشك فإن اختلاط ليو بالمسلمين خلال مسيرهم الى القسطنطينية ، كان فرصة لاطلاعه على الفكر الاسلامي ، ومبادئ الدين الحنيف ، وبخاصة صفاء العقيدة ، ومحاربة الشوكيات . ولعل ذلك من أهم أسباب تأثره بمرسوم الخليفة يزيد . ومن هنا جاء القول بأن ليو الايسوري كان ذا عقلية اسلامية .

(١)

ويذكر وسام فرج في هذا الصدد أيضا أن الامبراطور ليو تأثر بجماعة من رجال الدين في الاقاليم الشرقية ، منهم قسطنطين أسقف ناكوليا في فيرجيا بآسيا الصغرى ، وهذا الأسقف تأثر بفكر المسلمين ، واليهود ، ثم نقل ذلك الى

-
- (١) عن قيام ليو الايسوري بدور الدليل لهذه الحملة وتفاوضه مع المسلمين ، ووصوله الى كرسى الامبراطورية وتمديه لمسلمة وجيشه ، (انظر / نبيه عاقل : تاريخ خلافة بني امية ، ص ٢٤٧-٢٥٠ - يوسف العش : الدولة الاموية ، ص ٢٥٦-٢٥٧ - محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ٩٤-٩٨) .
- (٢) حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١١٢ .
- (٣) دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٧١-١٧٢، ١٧٧، ١٨١ ، وهوامشها .
- (٤) نقل وسام فرج عن وثيقة رسمية قدمت للمجمع المسكوني المنعقد (سنة ٧٨٧ م) : أن أسقف ناكوليا عندما سمع بمرسوم الخليفة يزيد ، قام هو وأتباعه ، بإزالة الصور والتماثيل من الكنائس ، شأنهم شأن المسلمين واليهود الذين شاركوا أيضا في هذه المهمة بالدولة الاسلامية . (انظر : نفس المرجع ، ص ١٨١) .

الامبراطورية البيزنطية ، وقام بدور الدعوة الى تحريم الصور داخلها ، وكذلك توماس اسقف كلاوديوبولس ، وكانا قد اقاما لبعض الوقت فى العاصمة البيزنطية (١٠٧ - ١٠٨هـ / ٧٢٦م) ، وان كان هناك من يرى ان ليو هو العقل والمفكر الرئيسى وراء سياسته .

ولعل قيام الامبراطور ليو بذلك كان هدفه اصلاح الكنيسة وفى نفس الوقت لايمكننا اغفال الاسباب السياسية التى دعت الى ذلك ، فليس لنا ان نتجاهل مراعاة مصلحة الامبراطورية من وراء هذا القرار ، فقد ادى انتشار الاديرة الى نقصان موارد الدولة ، لاعفائها من الضرائب ، وجذبها لاعداد كبيرة من الناس كان من الممكن ان يقوموا بدور كبير فى خدمة الدولة ، الى جانب تزايد نفوذ الرهبان حتى اصبحوا مصدر خطر على السلطة ، فقد كان ذلك بلا شك من الاسباب التى كانت وراء الحركة اللايقونية (١) .

ويبدو ان التأثير بسياسة الخليفة يزيد لم يقتصر على الامبراطور ليو الثالث ، فقد ادى اتصال اهالى الولايات الاسيوية فى الامبراطورية البيزنطية بالاسلام واهله ، لعدد من العقود قبل تلك الحركة ، الى معرفة موقف الاسلام من تحريم الصور والتماثيل . اذ لم يحمل المسلمون معهم الى آسيا الصغرى اثناء فتوحهم ابان تلك الفترة فكرة الجهاد فقط ، بل نقلوا عقائدهم وثقافتهم وحضارتهم ، ومنها تحريم الصور والتماثيل وبالاخص ماقدس منها . فلم يكن التحدى الاسلامى

(١) عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١١١-١١٢ .

البيزنطى عسكريا فحسب ، وانما فكريا وحضاريا ، اثر فى العقيدة نفسها ، واثار ازمة حول الصور المقدسة عند المسيحيين .^(١)

وفى هذا الصدد يشير اومان ، الى ان المثقفين العلمانيين البيزنطيين كانوا يذكرون عبادة الصور وازدادت كراهيتهم لذلك بتاثير الدين الاسلامى على عقولهم ، فحدث رد فعل قوى على تلك العقائد الفاسدة بين هذه الفئة ، كما جاء التاثر بالعقيدة الاسلامية والحضارة الاسلامية فى آسيا الصغرى بحكم قربها من بلاد الاسلام ، اكثر منه فى اوروبا ، فازدادت الحركة ضد عبادة الصور هناك . وفى آسيا الصغرى نشأ البيزنطيون اللايقونيون ، فكان ليو من آسيا الصغرى ، وكان معظم جنده من هذه المنطقة التى تاثرت بعقيدة الاسلام وبحضارته ، لذلك ناصر هذا الجيش سياسة ليو اللايقونية ، بينما تمثلت قوة المعارضة لهذه السياسة فى الاساقفة ورجال الخدمة المدنية فى اوروبا .^(٢)

وقد عزا بعض المؤرخين سياسة ليو اللايقونية الى مؤثرات يهودية الى جانب المؤثرات الاسلامية ، فقالوا : انهم شروا موافقته على تحطيم التماثيل بالمال ، وانه حاول

(١) اومان : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٥١ - حصنين ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١١١-١١٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٥٢-١٥١ .

(٣) عن التاثر بالاسلام وتاثير ذلك على الحركة اللايقونية فى الدولة البيزنطية ، (انظر / مجهول : الامبراطورية البيزنطية ، تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ص ١١٤ - عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١١١ - السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٢٠١ - احمد تيمور : التصوير عند العرب ، ص ١٣٠) .

ارضاءهم ، ولعل هذا القول قد جاء لأن اليهودية تحرم عبادة
(١)
المور .

ونحن لانستبعد أن يكون لليهودية دور فى ذلك ، بل
أن المسيحية نفسها تحرم المور ، لكن الواقع يقول أن عبادة
المور قد عاشت مع وجود هذه المؤثرات ، وهذا مايدفعنا
لإعادة القول ، لماذا قامت حركة تحريم عبادة المور على يد
الامبراطور فى القرن الثامن بالذات ؟ انه بلا شك المؤثر
المباشر الذى حدث فى هذا القرن ، ألا وهو مرسوم الخليفة
يزيد .

أن الأهمية الكبرى لاتكمن فى إصدار الامبراطور ليو
قراره بتحريم عبادة المور تأسيسا بالخليفة يزيد بن عبد
الملك ، بل فيما نتج عن هذا التأثير ، فقد عاشت الدولة
البيزنطية حروبا داخلية خطيرة بسبب الحركة اللايقونية بين
المؤيدين والمعارضين مدة تزيد على قرن من الزمان ، فعمت
بلاد اليونان وإيطاليا عدد من الثورات التى تمتد لسياسة
الامبراطور ، ووضع البابوات انفسهم على رأس المعارضة ، لذلك
حالفوا اللمبارد ، وطلبوا العون من الحكام الفرنجة ،

(١) عن القول بتأثير اليهودية أيضا على الحركة
اللايقونية ، (انظر / عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة
البيزنطية ، ص ١١١-١١٢ - أومان : الامبراطورية
البيزنطية ، ص ١٥٢ - حسنين ربيع : دراسات فى تاريخ
الدولة البيزنطية ، ص ١١٠ - هسى : العالم البيزنطى ،
ص ١٣٥) .

(٢) السيد الباز العريفى : الدولة البيزنطية ، ص ١٩٩-
٢٠٠ ، ومما يستحب الإشارة اليه هنا أن الحركة
اللايقونية قد اوقفت تماما ، وأعيدت عبادة المور فى
المجمع المسكونى الذى عقد سنة ٨٤٣م بدعوة من
الامبراطورة تيودورا التى تولت بعد زوجها تيوفيلوس
(توفيل) ، الذى أصدر قراراته بإعادة قوانين مجمع
نيقية (سنة ٧٨٧م) ، القاضى بتقديس المور . (عن هذا ،
انظر / هسى : نفس المرجع ، ص ١٣٦ وهامش (٢) منها - =

فانتقم ليو بفعل مناطق جنوب ايطاليا عن السيادة البابوية ، وقد ساعد ذلك حكام الفرنجة على التدخل ، وجعل شارل العظيم نفسه حاميا للارشودكسية ، فبدأت دولة الفرنجة فى الظهور كإمبراطورية منافسة لبيزنطة ، فترتب على هذه الاحداث ، انسحاب روما من الشرق ، وخروج بيزنطة من الغرب اللاتينى ، فانهارت بذلك فكرة الوحدة التى تمسكت بها كل من الامبراطورية البيزنطية والبابوية .^(١)

تلك كانت الحركة المعادية لعبادة الصور فى بيزنطة بتأثير مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك الا انه بالرغم من أن اول قرار ضد عبادة الصور لم يصدر فى القسطنطينية بل فى دمشق عاصمة الخلافة فى خلافة يزيد بن عبد الملك ، فان المسلمين فى تنفيذهم لمرسوم الخليفة يزيد ، اقتتمروا على ازالة الصور والتمائيل وتحطيمها او محوها، بينما الامبراطور ليو وابنه قسطنطين ورجاله تعدوا ذلك الى اضطهاد الرهبان وقتلهم وتعذيبهم .^(٢)

ومن علامات سياسة المسلمين الحكيمة فى هذا الصدد اعطاؤهم حرية الراى للرعايا المسيحيين فى التعبير عن راىهم فى هذه الحركة ، تمثل ذلك فى افساح المجال للقديس يوحنا الدمشقى فى الدفاع عن استخدام الصور كوسيلة للعبادة،

= - أومان : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٦٥ - فازيليف : العرب والروم ، ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة ، مراجعة فؤاد حسنين على ، دار الفكر العربى ، ص ٣٦٥-٣٦٨ .

(١) عن هذه النتائج الخطيرة للحركة اللايقونية فى الدولة البيزنطية ، (انظر / أومان : نفس المرجع ، ص ١٥٢-١٥٣ - هسى : العالم البيزنطى ، ص ١٣٥-١٣٦، ١٣٨ - السيد الباز العريفى : الدولة البيزنطية ، ص ٢٠٨ .

(٢) نجدة خماش : الشام فى صدر الاسلام ، ص ٩٥ .

حيث قدم عددا من الرسائل الشهيرة صاغ منها الأدلة اللاهوتية لاستخدام الصور ، فغدت سلاحا مافيا بيد مؤيدي عبادتها ، كما قام بجولة واسعة فى سورية داعيا الى مقاومة مبطلى الايقونات ، فاعتبر الزعيم الاساسى المدافع عن الايقونات . كل ذلك فعله وهو داخل الدولة الاسلامية ، التى لاتقر عبادة الصور وأمرت بازالتها من اراضيها .^(١)

وقد ذكر فيليب حتى ، ان يوحنا هذا ، قد خلف أباه سرجون فى استلام الادارة المالية فى الدولة الاسلامية ، ولم يزل مشرفا عليها حتى اوائل خلافة هشام ، حينما اعتزل الادارة وانصرف الى حياة الزهد والتعبد واقام فى دير القديس سابا بالقرب من بيت المقدس حيث قضى نحبه . ولعل تركه العمل فى ادارة الدولة الاسلامية ، وانصرافه للتعبد والزهد ، ان صحت هذه الرواية ، بسبب مرسوم الخليفة يزيد ، لما علمنا من الدور الذى قام به فى الدفاع عن عبادة الصور والتمسك بالحركة اللايقونية التى تزعمها الامبراطور ليو .

الا ان من الواجب الاشارة هنا ، اننا لم نجد ليوحنا بن سرجون بن منصور الرومى دورا فى الادارة المالية فى الفترة السابقة لهشام ، منذ ان عربت الدواوين فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان . كما ان عبد الملك عزل سرجون والد منصور ولم يول ابنه يوحنا بن سرجون ، بل ولاها سليمان بن سعد

(١) عن يوحنا الدمشقى ، وتمديه لسياسة ليو الثالث اللايقونية ، ودفاعه عن الايقونات من داخل الدولة الاسلامية ، (انظر / اسد رستم : كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ، ص ٦٣-٧٨ - ابراهيم العدوى : الامويون والبيزنطيون ، ص ٢٩٣-٢٩٤ - فيليب حتى : تاريخ سورية ، ١١٧/٢ - هس : العالم البيزنطى ، ص ١٣٧) (٢) تاريخ العرب (م) ، ٣١٤/١ - وتاريخ سورية ، ١١٦/٢ .

الخشنى ، وقيل بل ظل سرجون على الدواوين حتى عزله عمر بن عبد العزيز عندما وجد عليه شيئا .^(١)

ويتبين أن سياسة تحريم عبادة الصور والأمر بإزالتها يخالف معتقد مسيحي الشام ، وتجلى هذا فى موقف يوحنا الدمشقى الذى أشرنا اليه ، وكذلك فى موقف مسيحي مصر ، حيث قام بطريرك اليعاقبة فى مصر المدعو قسيما بمناظرة الامبراطور تيوفيل (٢١٤هـ — ٨٢٩م — ٢٢٨هـ / ٨٤٢م) فى سياسته المعادية لعبادة الصور .^(٢)

ومعنى هذا أن مرسوم الخليفة يزيد وماترتب عليه ، قد ساء المسيحيين ، من رعايا الدولة الاسلامية ، لكنهم فيما يبدو لم يستطيعوا عمل شيء يذكر لتمدى لسياسة الخليفة يزيد داخل الدولة الاسلامية فى عهده .

(١) عن تولية سرجون بن منصور ، وعزله على اثر تعريب الدواوين . (انظر / فرج الهونى : النظم الادارية ، ص ٢٠٩، ٢٠٥، ١٩٦ — ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٢٩٩، ٢٢٨ ، والصفحات التى اورد فيها ذكر عمال الخلفاء بعده .

ويؤيد اسد رستم خبر عزل يوحنا الدمشقى عن العمل فى ادارة الدولة الاسلامية ، من قبل عمر بن عبد العزيز بعد أن كشف خيائنه ، وقد ذكر أن ذلك كان بفعل حيلة لجأ اليها الامبراطور البيزنطى ليو الثالث ، اظهر فيها للخليفة عمر خيانة يوحنا للمسلمين وأنه كتب اليه يشكو ما يلاقيه النصارى من ذل فى دولة الاسلام ، ويبين لامبراطور موطن الضعف فى الدولة الاموية . مشيرا أن هدفه من هذه الحيلة اغصاب الخليفة عليه ، للتخلص منه بعد أن تمضى لسياسته اللايقونية فى الدولة البيزنطية (كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى، ص ٧٠-٧١) . وهذا الخبر من اساسه يكون باطلا ، لأن ليو الثالث لم يتخذ سياسته اللايقونية الا سنة (٧٢٦م / ١٠٧-١٠٨هـ) ، وعلى اثر مرسوم الخليفة يزيد ، أى أن ذلك تم بعد عهد عمر بل وبعد عهد خليفته يزيد . فكيف يكيده الامبراطور ليو الثالث عند عمر ليوحنا لكونه تمضى لسياسته اللايقونية ، وهو لم يشرع فى هذه السياسة بعد .

(٢) سيده كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١٨٠-١٨١ — المقرئى : خطط ، ٤٩٤/٢ .

ومع ذلك فمن المرجح أن مرسوم يزيد إلى جانب سياساته المالية المتشددة مع أهل الذمة ، وخاصة بمصر ، كان من الأسباب التي أدت إلى ثورة أقباط مصر على الحكم الإسلامي (سنة ١٠٧هـ) في أوائل خلافة أخيه هشام بن عبد الملك ،

(١) لم يكن يزيد متشدداً مع أهل الذمة في كل شيء ، فيذكر أن يزيد بن عبد الملك أذن في أول سنة من حكمه ، للبطريرك الملكاني مار الياس ، بدخول أنطاكية ، في موكب حافل من الرهبان والاتباع ، بعد مضي مائتين وثلاث سنوات ، من خروج ساويرس رأس المسيحيين الملكانيين الأرثوذكس في أنطاكية ، والتي لم يسمح لهم فيها بتضمين بطريرك منهم . وصارت البطريركية في هذه المدة لليعاقبة (البلديين) ، فقالوا الحظوة عند حكام المسلمين .

(انظر : نجدة خماش : الشام في صدر الإسلام ، ص ٩٦-٩٧) . ومثل هذا أذن الخليفة هشام سنة ١٠٧هـ ، بإقامة بطرك ملكاني على الاسكندرية ، بعث من قبل ملك الروم ، وذلك بعد أن نزع البطريركية من الملكانيين في مصر وصارت لليعاقبة منذ زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبقيت في أيديهم سبعة وسبعين عاماً . (انظر / المقرئ : خطط ٤٩٣/٢) .

ولعل هذا حدث بعد أن أمن الخلفاء الأمويون ، تحزب الملكانيين للبيزنطيين ، خصوصاً بعد الحركة اللايقونية وانقسامهم على أنفسهم . (نجدة خماش : نفس المرجع ، ص ٩٥) .

ويبدو لي أن هناك سبباً آخر دعا هشام بن عبد الملك إلى ذلك ، وهو غضبه على أقباط مصر ، إذ قاموا (١٠٧هـ-٧٢٦م) بثورات ضد الحكم الإسلامي . فكان نزع بطريركية الاسكندرية منهم ، واعطاؤها للملكانيين ، عقاباً على موقفهم . ولعله كذلك نوعاً من التقارب مع الحكومة البيزنطية ، التي اتخذت امبراطورها في السنة نفسها السياسة اللايقونية ، كما تم في عهد الخليفة يزيد بالدولة الإسلامية قبل ذلك . لكننا لانعرف سبباً محدداً لسماح الخليفة يزيد بدخول البطريرك الملكاني أنطاكية في أول سنة من حكمه وربما يكون قد فعل ذلك عقاباً لليعاقبة بعد أن لمس منهم منذ أن تولى الخلافة ما يدعو للغضب عليهم ، فأذن للبطريرك الملكاني بدخول أنطاكية ثم أصدر مرسومه ، ولعل ما تضمنه المرسوم ، كان ظواهر استشرت بين المسيحيين اليعاقبة ، فاستثارت غضب الخليفة ، ودعته لهذه السياسة ، إذ رأهم خرجوا عن حدود ما كان لهم في عهد ملحم .

والتي تعددت واستمرت حتى أخذت نهائيا (سنة ٢١٦هـ) في
(١)
خلافة المأمون العباسي .

(١) عن شورات القبط في مصر ، (انظر / المقرئزي : خطط،
٤٩٤-٤٩٣/٢ - الكندي : الولاة والقضاة ص ٧٣-٧٤، ١٩٠-١٩٢-
ساويرس بن المقفع : سير الأبناء البطارقة ، ١٥٤/١-١٥٥).

الفصل الرابع

الفتوحات لإسلامية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك

المبحث الأول : الفتوح في بلاد ما وراء النهر .

المبحث الثاني : الفتوح في أرمينية .

المبحث الثالث : الفتوح في أرض الروم .

المبحث الرابع : الفتوح في بلاد الغال .

الفصل الرابع

الفتوحات الإسلامية في عهد
الخليفة يزيد بن عبد الملك

نشطت الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، بعد حالة الفتور التي عاشتها أيام سلفه الخليفة عمر بن عبد العزيز ، والذي لجأ لذلك في شيء من التوازن من أجل التفرغ لحركة الإصلاح الكبرى التي شهدتها عهده .

وقد عاود الجيش الإسلامي نشاطه العسكري في زمن الخليفة يزيد ، مدفوعا بثلاثة عوامل : أما لاختفاء بعض الحركات التمردية في أقاليم الأطراف ، وإعادة نفوذ الدولة على تلك الأقاليم ، ويتمثل ذلك في الجهود العسكرية التي وجهت لاختفاء تمرد المغد في بلاد ماوراء النهر .

وأما لمد العدوان الخارجي على الممالك الإسلامية ، كالتمدد لهُجوم الخزر على أرمينية . أو لبقاء على زمام المبادرة العسكرية بأيدي المسلمين ، خصوصا مع عدوهم اللدود ، وخصمهم العنيد ، الدولة البيزنطية ، وذلك بالاستمرار في غزو أراضيها برا وبحرا .

أو استمرارا في حركة الفتوحات ، ومواصلة الجهاد ، ونشر الدعوة في البلاد التي لم تطأها أقدام الفاتحين من قبل ، كحملاهم في بلاد الفال .

وسنعرض في هذا الفصل للجهود العسكرية زمن يزيد في الجبهات الأربع التي أشرنا إليها ، وما أسفرت عنه تلك الجهود .

المبحث الاولالفتوح فى بلاد ماوراء النهر

(١)

توقفت الفتوحات الاسلامية الكبرى فى بلاد ماوراء النهر

بمقتل قتيبة بن مسلم الباهلى (سنة ٩٦هـ) ، على يد جنده من

القبائل العربية ، عندما اراد مخالفة الخليفة سليمان بن

عبد الملك . ذلك القائد الذى يعود له الفضل فى اتمام

الفتح الاسلامى لذلك الاقليم ، وفرض السيادة الاسلامية عليه ،

(٣)

وضمه الى دولة الاسلام .

(٤)

لكن شكرى فيصل يقول : ان مقتله لم يكن مجرد توقف

للفتوح الاسلامية فى آسيا الوسطى حتى ولاية نصر بن سيار

- مابين ١٢٠ و ١٣١هـ - بل كان بداية انحسار وتراجع للنفوذ

(١) ماوراء النهر : اسم أطلقه العرب على المنطقة

المتحضرة الواقعة فى حوض نهري أموديا (جيحون)

وسيردريا (سيحون) . (بارتولد : تركستان من الفتح

العربى الى الغزو المغولى ، نقله عن الروسية صلاح

الدين عثمان هاشم ، أشرف على طبعه قسم التراث العربى

بالمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ،

١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص ١٤٥) . ويعتبر نهر جيحون الحد

الفاصل بين الاقوام المتحدثة بالفارسية والمتحدثة

بالتركية ، كما انه الحد الفاصل بين مناطق ايران

وتوران ، والعرب اول من سمى المناطق الواقعة وراءه

"بما وراء النهر" أو بلاد الهياطلة . (ناجى حسن :

القبائل ، ص ٢٠٧ - وانظر أيضا : كى لمترنج : بلدان ،

ص ٤٧٦) .

(٢) عن مقتله ، انظر / نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى أمية،

ص ٢٤٠ - راضى عبد الله عبد الحليم : تاريخ خراسان ،

ص ٤٣-٤٤ .

(٣) انظر قبل : التمهيد ، ص ٣٧ .

(٤) حركة الفتح ، ص ٢١٨ (وسيكون لنصر بن سيار دور مميز ،

انظر اشارتنا له بعد : ص ٣٤٦) .

(١)
الاسلامى هناك .

اذ يبدو أن الولاة الذين جاءوا بعده ، لم يكونوا على استعداد للاضطلاع بمهمة الفتح وماأخذ به نفسه ، فقدوا سيطرتهم على ولايات حوض سيحون فى العام التالى لمصرعه ، وتحولوا من دور الهجوم الى دور الدفاع .^(٢)

واذا ماتجاوزنا عهد سليمان بن عبد الملك ، لنرقب الموقف الحربى فى ماوراء النهر زمن عمر بن عبد العزيز ، سلك الخليفة يزيد ، لتبيين أن سياسة عمر بن عبد العزيز الحربية ، وبخاصة فيما وراء النهر ، حينما أمر بايقاف الغزو والاكتفاء بما فتح ، بل ومحاولته اجلاء المسلمين من تلك البلاد الى خراسان ، كما نص على ذلك الطبرى ، بقوله :^(٣)
"وكتب عمر الى عبد الرحمن بن نعيم - عامله على خراسان - يأمره باقفال من وراء النهر من المسلمين بذرايرهم . قال : فابوا وقالوا : لايسعنا مرو . فكتب الى عمر بذلك ، فكتب اليه عمر : اللهم انى قضيت الذى على ، فلا تغز بالمسلمين ، فحسبهم الذى فتح الله عليهم " .^(٤)

(١) سنعرف من خلال هذا البحث فى الصفحات التالية ، دورا بارزا لسعيد الحرشى عامل الخليفة يزيد بن عبد الملك على خراسان ، فى اعادة الفتح والسيادة الاسلامية على بلاد ماوراء النهر .

(٢) بارتولد : تركستان ، ص ٣٠٤ - الهادى الغزى : الشعر الاموى فى خراسان ، ص ٣٣ .

(٣) تجاوزناه لأن عامله على خراسان يزيد بن المهلب ، كان قد وجه فتوحاته الى جرجان وطبرستان ودهستان . (انظر رافى عبد الله عبد الحليم : تاريخ خراسان ، ص ٤٥-٤٩)

(٤) انظر حديثنا عن مجمل سياسته الحربية قبل : التمهيد ، ص ٦٤-٦٧ .

(٥) تاريخ الأمم ، ٥٦٨/٦ .

(٦) مرو : وهى مرو الشاهجان ، او مرو العظمى ، اشهر مدن خراسان وعاصمتها . (ياقوت : معجم ، ١١٢/٥ - ١١٦) .

وان كان مبعث هذه السياسة هو الخشية على المسلمين ،
 من راع يرى مسئوليته عن رعيته ، الى جانب تغليب طريق نشر
 الاسلام بالحكمة والموعة الحسنة ، على الجهاد الحربى ،
 وذلك عن طريق دعوة ملوك ماوراء النهر الى الاسلام ، والمبر^(١)
 على اهل الفتن ، ومعالجة الامور بالعدل ، ثقة فى ظاهر
 اسلامهم ، وتالفا لهم ، وهذا مادفعه الى عزل الجراح الحكى
 عامله على خراسان ، الذى اراد استخدام أسلوب العنف والشدة
 للضرب على يد اهل الفتن ، واختبار صحة اسلام من اظهر
 اعتناق الاسلام ، وتولية عبد الرحمن بن نعيم ، لما عرف^(٢)
 عنه من لين وايشار للعاقبة . ومع مالهذه السياسة من
 ايجابيات ، كاسلام بعض ملوك واهالى هذه المناطق ، لتبين
 انها اطمعت آخرين فى المسلمين ، وحفزتهم الى التمرد وشق^(٣)
 عما الطاعة .

(٤)

فقد تمرد الصفد على سلطان المسلمين ، وهاجم الترك

-
- (١) انظر حديثنا عن ذلك قبل : التمهيد ، ص ٦٥-٦٦ .
 (٢) انظر ذلك فى / الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٥٨/٦ - ٥٦٢ -
 ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٠ - البلاذرى : فتوح
 البلدان ، ص ٤١٥ - ابن الاثير : الكامل ، ١٥٧/٤ - ١٥٩ .
 (٣) شكرى فيصل : حركة الفتح الاسلامى ، ص ٢١٨ .
 (٤) الصفد : كورة قمبتها سمرقند ، وهما صفدان ، صفد
 سمرقند وصفد بخارى . ذكر أن مساحته ستة وثلاثين فرسخا
 فى ستة واربعين ، ومغبرها الاجل سمرقند ثم كش ثم نسف
 ثم كشانية ، وقيل قمبته اشتيخن ، والبعض يجعل بخارى
 من الصفد . (ياقوت : معجم ، ٤٠٩/٣ - ٤١٠) .
 ويذكر كى لستونج : أن الصفد (مغديانا القديمة) كان
 يشمل الاراضى الواقعة بين سيحون وجيحون ، والتي
 يسقيها نهري زرفشان ، وعليه تقوم بخارى وسمرقند ،
 والنهر حياى مدينتى كش ونسف . الا أنه قال : من الأوجه
 أن يعد الصفد اسما للرساتيق المحيطة بسمرقند . فان
 بخارى وكش ونسف ، كانت كل واحدة منها تعد كورة
 بذاتها . (انظر/بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٠٣) .
 والصفد اهل هذه البلاد .

تلك البلاد وعاونوا الصفد في حربهم المسلمين ، خلال ولاية
عبد الرحمن بن نعيم الغامدي (١٠٠ - ١٠٢هـ) وظلت مستعرة^(١)
الأوار حتى ولاية سعيد بن عبد العزيز (١٠٢ - ١٠٣هـ) ، الذي^(٢)
تولى خراسان بعده من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك ،^(٣)
الذي كان عليه اخماد ذلك التمرد .

سعيد بن عبد العزيز وسياسة المسالمة تجاه الصفد :

استمرت ولاية عبد الرحمن بن نعيم على خراسان منذ سنة
١٠٠هـ في خلافة عمر بن عبد العزيز ، حتى سنة ١٠٢هـ زمن
يزيد بن عبد الملك ، حيث دامت نحو ستة عشر شهرا . واستمرت^(٤)
مع ولايته الاضطرابات التي عمت مناطق الصفد منذ ايام عمر ،
ولم يكن مقدم امير خراسان الجديد زمن يزيد بن عبد الملك ،
وهو سعيد بن عبد العزيز (١٠٢ - ١٠٣هـ) ، نهاية لتلك
الاضطرابات ، بل ظل الصفد بالتعاون مع الترك على تمردهم
ومخالفة المسلمين ، رغم ما بذله الوالي الجديد من جهد في
استمالة دهاقنتها وتسكين اهلها ، واتباع سياسة المسالمة
تجاههم ، لدرجة وسم معها بالضعف وثقل على الناس .^(٥)

-
- (١) لم اعثر على ترجمة له .
(٢) سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن ابي العاص
الأموي ، ختن مسلمة بن عبد الملك . (الطبري : تاريخ
الأمم ، ٦/٦٠٥) . ولم اعثر على ترجمة له .
(٣) بارتولد : تركستان ، ص ٣٠٨ - وانظر ماسنكتبه عن تمرد
الصفد منذ زمن عمر ، والقضاء على ذلك زمن يزيد في
المفحات التالية .
(٤) الطبري : نفس المصدر ، ٥/٥٦٢ .
(٥) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٦١٢-٦١٤ - بارتولد :
نفس المصدر ، ص ٣١٨ (وقد اشار الى ضعف سعيد بن عبد
العزيز ، وقال من اجل ذلك لقبوا سعيد ب "خدينة" .
والصحيح انما لقب بذلك كما يقول الطبري : انه كان
رجلا ليناً سهلاً منعماً ، دخل عليه ملك ابغر عندما قدم =

لقد تمسك أهل المدن الكبرى في ماوراء النهر بموقفهم وهو عدم دفع الضرائب ، والامتناع عن تنفيذ أوامر الحكومة الإسلامية ، ومقاومة جيوشها .^(١) ويبدو أن من هذه الضرائب ، الجزية التي أعاد الخليفة يزيد فرضها على من أسلم بعد أن أسقطها عنهم عمر بن عبد العزيز .^(٢) وعمل عماله على جبايتها بالعنف والقوة ، فآدى ذلك إلى نقض أغلب ممالك ماوراء النهر كالصفد وفرغانة وكش ونسف عهدها مع المسلمين ، بل وارتد كثير من الأهالي عن الإسلام .

ولعل مما ساعد على استفحال الفتنة ، انشغال المسلمين بحركة ابن المهلب ، وماورثته من نزاع قبلى ، واضطراب داخلى . إلى جانب اضطراب سياسة بنى أمية وترددها بين

= خراسان ، فوجده في ثياب ممبغة ، وحوله مرافق ممبغة ، فلما خرج ، سألوه عن الأمير ؟ فقال : خذينية لمتة سكينية ، فلقب خذينة . وتعنى عندهم الدهقانة ، ربة البيت . (انظر : تاريخ الأمم ، ٦/٦٠٥) ، ويشير البلاذرى أن سعيد بن عبد العزيز دافع عن نفسه ، وبين أسباب هذا اللقب ، بقوله : سميت خذينة لأنى لم أطاوع على قتل اليمانية ، فضعفونى . (انظر : أنساب الأشراف ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٣٦م ، ٥/١٦١-١٦٢) . وفي قوله هذا إشارة إلى سياسة الدولة نحو القبائل اليمانية ، وعدم ملاحقتهم بعد القضاء على حركة ابن المهلب اليمنى ، وتلك رغبة القبائل المضربة هناك ، كما يبدو ، وأن صح هذا الخبر ، فإن الذى أطلق عليه اللقب هم العرب لأمك أبقر .

(١) عبد الله مهدى الخطيب : الحكم الأموى في خراسان ، رسالة جامعية مطبوعة ، منشورات مؤسسة الأعللى ، بيروت دار التربية ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ص ١٢٤ . لكنه أشار إلى انضمام المزارعين العرب إلى أهل البلاد في مقاومة الحكومة ، وهذا ماخطئه دلائل الأحداث ، إذ نجد الترك وأهل الصفد قد حصروا العرب في قصر الباهلى (انظر / الطبرى : نفس المصدر ، ٦/٦٠٨) وهذا يعنى حربهم للمسلمين الذين لديهم ، لمقاومة جيوش الخلافة فحسب مما ينفى هذا التحالف .

(٢) عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٢٠٠-٢١١ (نقلا عن : فلهاوزن : الدولة العربية ، ص ٣١٢ - ماجدة : التاريخ السياسى ، ٢/٢٧٨ - الطبرى : تاريخ ، ٦/٦٠٥-٦٠٧ - ابن الأثير : الكامل ، ٥/٩٢) ، وسناقش القول بإعادة يزيد فرض الجزية على من أسلم . انظر ذلك بعد : الفصل الخامس ، المبحث الثانى ، ص ٥٥٢ .

(١)
اللين والقوة .

(٢)
لكن فيما يبدو ان بارتولد التمس عليه الامر ، حين قال
باستمرار التمرد في ماوراء النهر منذ قيامه خلال ولاية عبد
الرحمن بن نعيم ، حتى ولاية خلفه سعيد بن عبد العزيز امير
خراسان ، من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك ، اذ تشير بعض
المصادر الى ان اهل الصفد عادوا الى الملح في ولاية عبد
الرحمن الفامدى بعد انتقامهم عليه . والظاهر ، انهم
انتقموا مرة اخرى في ولاية سعيد بن عبد العزيز ، وتحالفوا
مع الترك على حرب المسلمين ، اذ يشير الطبرى ان دهاقين
(٤)
الصفد بايعوا الترك على حرب المسلمين ماعدا ملك قى .

ونجد ان علاقة خدينة مع الصفد كانت في بدايتها في
منتهى الوفاق ، فقد ولى شعبة بن ظهير عاملا عليهم بمشورة
الدهاقين ، لكون ابيه احد اصدقاء الصفد القدامى ، فاستطاع
معالجة الموقف هناك . غير ان امير الصفد شعبة ، شكى ضمن
مجموعة من الامراء ، لاتهامهم بممالة اهل البلاد ، فعزل عنها
وولى عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشخير مكانه .
(٦)
ويتبادر الى الذهن ان الوالى الجديد سعى الى تنفيذ سياسات
الخليفة يزيد بن عبد الملك وخاصة المالية منها . وكان
الناس قد ضعفوا سعيد بن عبد العزيز ، فطمع فيه الترك ،

-
- (١) عماد الدين خليل : نفس المرجع ، ص ٣٣ - الهادى الغزى :
الشعر الاموى في خراسان ، ص ٣٣ .
(٢) انظر قوله في الصفحة قبل السابقة .
(٣) الطبرى : تاريخ الامم ، ٦٠٥/٦ - ٦٠٦ - ابن الاثير :
الكامل ، ١٧٧/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٨٠/٣ .
(٤) نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٨ .
(٥) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٧٠-١٧١ .
(٦) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٧ .

وجمع خاقانهم جيشا ، وجهه الى الممالك الاسلامية فيما وراء
النهر بقيادة كورمبول ، فانضم اليهم الصفد وبايعوهم على
حرب المسلمين ، فسار بهم حتى نزل على قصر الباهلى وحاصر
المسلمين فيه .^(١)

موقعة قصر الباهلى (سنة ١٠٢هـ) :

كنا قد ذكرنا بان الترك والصفد قد حاصروا المسلمين
فى قصر الباهلى ، وقد اشارت بعض المصادر الى سبب آخر غير^(٢)
استغلال الترك لضعف امير خراسان وعزل عامله على الصفد شعبة
ابن ظهير . وهو ان احد الدهاقين اراد ان يتزوج امرأة من
باهلة ، كانت فى قصر الباهلى ، فابت ، فاستجاش الترك ،
راجيا ان يسبوا من فى القصر ، فيأخذ المرأة وان كنا
لانستطيع ان نعد الى هذا السبب ، فليس من المنطق ان يبعث
خاقان الترك جيشا لحرب المسلمين من اجل ان ينال دهقان من
الصفد امرأة مسلمة ، وان صح هذا السبب فيكون على الاكثر
عاملا مساعدا دفع الى تحالف هذا الدهقان وقومه مع الترك .
اما بقية اهل الصفد وتمردهم فان وراءه من الاسباب السياسية^(٣)
والمالية ما كنا قد اشرنا اليه .

وكان فى قصر الباهلى مائة اهل بيت من المسلمين
بذرائعهم ، وامير سمرقند آنذاك عثمان بن عبد الله ، ويظهر

(١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٦٠٧/٦ - ٦٠٨ - ابن الاثير :
الكامل ، ١٧٨/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٨/٩ -
ابن خلدون : العبر ، ٨٠/٣ .
(٢) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٧ - ٦١٠ - ابن الاثير :
نفس المصدر والجزء ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .
(٣) انظر ذلك فى الصفحتين السابقتين .

أن المسافة بين القصر وسمرقند كانت بعيدة ، فخشى المحصورون أن يبطئ عليهم المدد ، فصالحوا الترك على أربعين ألف ، واعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة حتى ياخذوا صلحهم ، فبعث اليهم أمير سمرقند المسيب بن بشر الرياحي ، في أربعة آلاف لمساعدة من بقصر الباهلي من المسلمين وانقاذهم ، فانصرف عنه اثناء الطريق جل الجند حتى لم يبق منهم معه وقد أصبح على بعد فرسخين من قصر الباهلي ، الا سبعمائة ، اذ كان يخطبهم كلما نزل منزلا ، ينوه فيهم بشأن العدو قوة وكثرة ، وكأنه لا يريد أن يسير معه الا من عزم على الغزو وصدق النية والمبر . وقد لقيه في الطريق ترك خاقان ملك قى في ثلاثمائة من قومه ، فاخبره بانتقاض كافة الصفد ماعداه ومبايعتهم الترك ، وان الترك المحاصرين قد قتلوا الرهائن عندما علموا بمقدمه من قبل أمير سمرقند . فبعث المسيب رجلا يستطلعان خبر القوم ، فوجد الترك قد اجروا المياه حول القصر لتمنع الوصول اليه ، وتمكنا من محادثة أحد المسلمين المحصورين ، فوجداهم قد اعتزموا الخروج من الغد ، وتقديم النساء للموت قبلهم حتى لا يبقى منهم احد ، فاخبراهم بمقدم النجدة ، وحث القوم على المبر حتى وصولها .

اما المسيب فقد اعتزم المسير وبايعه من معه على الموت ، وكانت خطته أن يبني القوم ، فحث رجاله على الصدق والمبر ، وجعل على ميمنته كثير بن الدبوسي ، وعلى ميسرته ثابت قطنية ، وهاجم القوم ، فصبر لهم الترك ، وانهزم المسلمون الى المسيب ، فترجل اناس من المسلمين وثبتوا ،

فانهزم المشركين ولاذوا بالفرار ، فأمر المسيب رجاله بقصد
 القمر ، وحمل المال ، ومن لا يقدر على المشى من الشيوخ
 والنساء والمبنيان ، اما حصة أو بأجر ، واحتمال أهل العهد ،
 فاحتملوهم ، وانزلوهم قصر ترك خاقان ملك قى الذى بقى على
 ولائه للمسلمين . وعاد البعث الى سمرقند ، فرجع الترك من
 الغد ، فلم يجدوا فى القمر أحدا ، ولم يعثروا على اثر
 للمسلمين .^(١)
^(٢)
^(٣)
^(٤)

وينجلى لنا من هذا الخبر عن وقعة قصر الباهلى تعرض
 الديار الاسلامية للغزو الخارجى من قبل الترك وتمرد أهل
 الصفد فى الداخل ، وتحالفهم مع العدو ضد المسلمين . ومع
 تحقيق المسلمين للنصر فى الميدان العسكرى فى هذه الوقعة ،
 الا انها مع ذلك قد أسفرت عن جلاء المسلمين عن قصر الباهلى ،
 اذ ان القوة الاسلامية كانت نجدة انقذت المسلمين كأفراد ،
 ثم ارتدت الى مركزها سمرقند . بل ان عودة الترك فى اليوم
 الثانى يعنى بقاء القوة المعادية فى الديار الاسلامية
 والاستيلاء على بعضها مما أوجب على المسلمين وأمير خراسان
 خاصة ، طرد الأعداء وحماية الثغور ، واعادة السيادة

-
- (١) قال ابن الاثير : "حمل الماء" والاصح ما قدمناه ، فليس
 أكثر من مياه الصفد وانهارها . انظر : الكامل ،
 ١٧٨-١٧٩ / ٤ .
 (٢) حدد الأجر : أربعون ألف درهم . انظر : الطبرى : تاريخ
 الأمم ، ٦١٠ / ٦ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء
 والمفحات .
 (٣) هنا إشارة الى وفاء المسلمين بعهدهم لأهله ، ووجوب
 منعهم لقاء الجزية ، والمساواة فى أحلك الظروف .
 (٤) عن وقعة قصر الباهلى : (انظر / الطبرى : نفس المصدر
 والجزء ، ص ٦٠٧-٦١٠ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء
 والمفحة - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٨ / ٩ (فى شئ
 من الاختصار) - ابن خلدون : العبر ، ٨٠ / ٣ .
 (٥) الهادى الغزى : الشعر الاموى فى خراسان ، ص ٢٨ .

الاسلامية على الصفد والقضاء على تمرد أهله .

غزو سعيد بن عبد العزيز الصفد وحربه الترك :

عبر سعيد بن عبد العزيز (سنة ١٠٢هـ) ، نهر جيحون غازيا الصفد ، ومحاربا الترك ، فقد غزا الترك بلاد الصفد وفرغانة ، وتكررت هجماتهم ، وقد أعانهم الصفد في حربهم للمسلمين ، ويذكر أن سعيد بن عبد العزيز عبر النهر مرتين،^(١) كانت الثانية منها سنة ١٠٣هـ ، لكنه في كليهما لم يتعد مدينة سمرقند . واكتفى بالنهر الذي حققه على الترك في معاركه ، ولم يتكلف تتبعهم وإخراجهم من البلاد ، وإعادة سلطان المسلمين عليها .

والمصادر لتمييز بوضوح بين غزواتيه ، وإن كانت قد اتفقت على آخر نقطة وصل إليها (وهي سمرقند) ونتائج غزوه ، فيصف لنا الطبري وغيره إحدى غزواتيه فيقول : إن الناس استحثت سعيد بن عبد العزيز على الغزو بعد أن رأوا غزو الترك لبلادهم فيما وراء النهر وأعانة أهل الصفد لهم ، فقطع النهر إلى الصفد ، وهناك التقى مع الترك وطائفة من أهل الصفد ، فهزمهم المسلمون ، إلا أن سعيدا منع المسلمين من تتبعهم ، محتجا بأن الصفد بستان أمير المؤمنين ، وأنه لا يريد بوارهم ، فلما رأت الترك مسير المسلمين عنهم ، كروا عليهم

(١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٦١٢/٦-٦١٤ .

(٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٧ .

(٣) الهادي الفزى : الشعر الأموي في خراسان ، ص ٢٨ (لكن قوله ليس من الدقة بمكان فكما سقينا أنه سيميل إلى اشتيخ شمال سمرقند ، ويبعث مرية إلى ورغسر شرق سمرقند أيضا . انظر الصفحات التالية) .

وقد جعلوا لهم كميناً ، فقاتلوهم ، وانحازوا حتى جازوا
الكمين فخرج على المسلمين ، فانهزموا ، وتبعهم الترك ،
فثبت المسلمون ، حتى انكشف عنهم العدو ، فلم يتبعوهم ايضاً
وقد انهزموا ، ومن الغد خرجت مسلحة للمسلمين عليها شعبة^(١)
ابن ظهير ، فخرج عليهم الترك فجأة ، فهزم المسلمون وقتل
منهم نحو خمسين على راسهم شعبة بن ظهير ، فخرجت لاغاثة
المسلحة جماعة من تميم بقيادة الخليل بن اوس العبشمي ،
فكفوا الترك عن الناس ، حتى جاء الامير ، فانهزم العدو .^(٢)

والخبر السابق ينقصه مكان القتال وعلى ماذا تقاتل^(٣)
الغريقان وهذا مانجده عند البلاذري الذي وان خالف لفظ
الطبري ، فانه اتسم هذا النقص ، ووافقه في سمة الحادثة
العامية . اذ يخبرنا : ان سعيد لما عزم على الغزو قدم سورة^(٤)
ابن الحر الحنظلي ، فتوجه الى ماوراء النهر ، فنزل اشتيخن^(٥)

-
- (١) مسلحة : مسلحة الجند خطاطيف لهم بين ايديهم ، ينفضون
لهم الطريق ويتجسسون خبر العدو ، ويعلمون لهم علمهم ،
لئلا يهجم عليهم ، ولا يدعون احداً من العدو يدخل بلاد
المسلمين ، وينذرون المسلمين بتقدم الجيوش نحوهم .
(ياقوت : معجم ، ١٢٨/٥ - ١٢٩) .
- (٢) تاريخ الامم ، ٦١٢/٦ - ٦١٣ - ابن الاثير : الكامل ،
١٨٠ - ١٧٩/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٨١/٣ .
- (٣) فتوح البلدان ، ص ٤١٦ - انساب الاشراف ، ص ١٦١ - ١٦٢ .
- (٤) اورد البلاذري اسمه في فتوح البلدان : سورة بن الحر ،
وفي الانساب : سورة بن ابجر . ووجدناه عند الزركلي :
كما جاء في فتوح البلدان ، وقد قال عنه ايضاً : امير
سمرقند واحد رؤساء تميم ، انتدبه الجنيد لنجدته وهو
يقاتل الترك ، فجاءه من سمرقند باثني عشر الف ،
فاعترضها الترك ، فقاتلهم حتى كشفهم وكانوا قد اوقدوا
نارا خلفهم ، فلما اغار سوره واصحابه سقطوا في
اللهيب ، فقتل مع اكثرهم . (انظر : الاعلام ، ١٤٥/٣) .
- (٥) اشتيخن : مدينة تقع على بعد سبعة فراسخ شمال سمرقند
نعتها الاصطخري بقلب السفد لخميتها . (كي لمترنج :
بلدان ، ص ٥٠٩) .

وقد صارت الترك اليها فحاربهم ، وهزمهم ، ومنع الناس من طلبهم ، خشية أن تكون منهم كره ثم لقي الترك بعد ذلك ، فهزموه ، واكثروا القتل في أصحابه ، واظنه قمد بذلك الهزيمة التي لحقت بالمسلحة التي أشار اليها الطبرى قبل .
 أما الغزوة الثانية ، فإن المصادر لتمييزها ، لكننا نجد عند الطبرى إشارة اليها ، إذ يخبر أن سعيداً نزل بأزاء العدو ، فقليل له : ناجز أهل الصفد فأبى ، فرأى دخاناً سال عنه ، فأخبر أنهم متمردي الصفد ومعهم بعض الترك ، فقاتلهم حتى النصر ، إلا أنه منع طلبهم وتتبعهم .

وفي العام التالي لغزوة سعيد الأولى ، بعث سرية من بنى تميم إلى ورغسر ، وكانوا ياملون لقاء العدو ، ليطارده ، إذ كان سعيد بن عبد العزيز يمنعهم من تتبعه ، وإذا ما وجد السرية قد أصابت وغنمت وسبت ، رد ذراري السبي وعاقب السرية .^(١)

ومن عرفنا لجهود سعيد بن عبد العزيز العسكرية في بلاد الصفد ، تبين أنه عمل على طرد الترك مما وراء النهر ، واتباعه سياسة اللين والتودد مع الصفد ، آملاً عودتهم للطاعة دون تعريضهم للبوار والابادة ، كما حرص على تجنيب بلادهم الحرب ، لئلا تكون ميدان قتال ، فيلحق بها الخراب والتدمير . إذ يشير عبد الله الخطيب إلى وجود منشآت^(٢)

-
- (١) تاريخ الأمم ، ٦١٣/٦-٦١٤ .
 (٢) ورغسر : قرية كبيرة ، خربة تسقيها أنهار تأخذ من نهر الصفد ، وتقع بين مدينتي سمرقند وبنجيكت ، الواقعة على بعد تسعة فراسخ شرق سمرقند . (كي لمترنج : بلدان ص ٥٠٨-٥٠٩) .
 (٣) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٦١٤ - ابن الأثير : الكامل ، ١٨٠/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٨١/٣ .
 (٤) الحكم الأموي في خراسان ، ص ١٢٢-١٢٣ .

اروائية ، تتمثل فى قنوات مائية يروى منها الفلاحون المغار
مزارعهم وتعود ملكيتها للحكومة أو الاقطاعى الكبير أو الى
المشاعة ، وقد كان الفلاحون يعملون مجانا فى اوقات معينة
من السنة لميانة هذه المنشآت ، وأن الأمير سعيد كان الى
جانب خوفه على الاراضى الزراعية العائدة للخليفة أو لأمراء^(١)
العرب وأشرافهم ، يسعى الى تجنب توتر العلاقات مع الخانات^(٢)
الحاكمين .

ونخلص أن سياسة اللين التى اتبعتها سعيد بن عبد
العزیز مع المغد وغزواته التى كانت تهدف الى محاولة كسبهم
وارجاعهم الى حظيرة الاسلام ، لم تفلح فى إعادة المغد الى
الطاعة ، حيث ظلوا على حلفهم مع الترك ، واستمر عصيانهم
على المسلمين ، كما ازداد الوجود التركى فى الاقليم ،
وضاعت هيبة المسلمين ، بانتصار العدو احيانا ، واحجام
المسلمين عن طرده ، فقد أجلوا المسلمين عن قصر الباهلى ،
وتقدموا نحو اشتيخن ، فى محاولة منهم لاجراج المسلمين
وتقليص النفوذ الاسلامى وراء النهر ، ويظهر أن تمرد المغد
والوجود التركى كان واضحا شرق وشمال شرق ماوراء النهر ،

(١) لم تشر المصادر الى وجود ملكيات خاصة للخلفاء فيما
وراء النهر ، ويبدو أنه يقصد الاراضى العائدة للحكومة
وهى أرض الخراج والموافى .

(٢) نجح بعض الاثرياء فى شراء بعض الاراضى الخراجية فى
العصر الاموى ، وتحولت الى عشيرة ، حتى منع ذلك
الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وسار على نهجه خليفته
يزيد ثم هشام ، وأن كان الأمر لم يتوقف نهائيا ، ففرض
الخراج على الارض الخراجية وأن ابتاعها المسلم . (انظر/
عبد العزيز الدورى : العرب والارض فى بلاد الشام فى
صدر الاسلام ، بحث مقدم للمؤتمر الدولى الاول لتاريخ
بلاد الشام ، من القرن السادس الى القرن السابع عشر ،
المنعقد فى الجامعة الاردنية ، الدار المتحدة للنشر ،
بيروت ، ١٩٧٤م ، ص ٢٩) .

لذا أجل امر التخليص منه . اما المحصورين فى الحصن ، فقد طلبوا الملح بعد مسير الديواشنى عنهم ، عارضين على ابن أبى السرى تسليم المدينة بما فيها ، شريطة أن لايعرض المسلمون للاهالى ، فوافقهم على الملح ، وبعث الى الحرشى بذلك ليرسل من يقوم بقبض مافى الحصن ، فقبض مافيه ، وبيع مزاييدة ، فاخرج منه الخمس ، وقسم الباقى بين الجند ، هكذا تم الاستيلاء على حصن ابغر صلحا ، وقضى على فتنة من لجأ اليه ، اما زعيمهم الديواشنى ، فقد اورد الطبرى ، أن سعيذا الحرشى بعد أن صالح كس ، وخرج الى ربنجن ، امر بقتله ، وصلبه ، وبعث براسه الى العراق . ولعل ذلك كان بعد تسليم قومه الذين بحصن ابغر ، وممالحتهم لسليمان بن أبى السرى .

مصالحة كس :

توجه الحرشى بجيشه الى كس ، بعد المراسلات التى دارت بينه وبين قائده ابن أبى السرى المحامر لابغر ، والتى عرف من خلالها تمكن المسلمين هناك من عدوهم . ويبدو أن الضربة

(١) ربنجن : مدينة كبيرة بين سمرقند وبخارى ، تقع على مرحلة بريد من شرق الدبوسية . (كى لسترنج : بلدان ، ص ٥١١-٥١٢) . وانظر قول الطبرى عن مقتل الديوانشى فى كتابه : تاريخ الامم ، ١١/٧ ، الا أن ابن الاثير خالفه فى ذلك وقال : قتله فى زرنج . انظر : الكامل ، ١٨٦/٤ ، وبالرجوع الى كتاب بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٣٧٣ ، لكى لسترنج ، وجدنا أن زرنج ، قاعدة اقليم سجستان . وحيث أن ميدان الاعمال العسكرية التى قام بها الحرشى هو اقليم ماوراء النهر لاسجستان ، فان كون مدينة ربنجن هى مكان مقتل الديواشنى ، هو الاصح . فهى فى ميدان غزوه والاقرب الى مدينة كس التى خرج منها الحرشى ، والواقعة أيضا فيما وراء النهر . (انظر : الهامش السابق) .

(٢) انظر عن اخضاع ابغر ، والقضاء على الديواشنى : الطبرى : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن خلدون : العبر ، ٨٣/٣ .

القاصمة للمعد فيجندة قد أورثت الجزع في قلوب أهل الاقليم حتى ان دهقان كس خرج الى الحرشى يدعوه للملح ، على ان يعطوه عشرة آلاف رأس ، وقيل : ستة آلاف رأس ، يقدمونها خلال اربعين يوما . فقبل منهم ذلك ، وولى نصر بن سيار قبض صلحهم . ثم سار من هناك نحو ربنجن .^(١)
^(٢)

غزو طخارستان :

ويغلب على الظن ان الحرشى سير قائده سليمان بن ابي السرى بعد انتحائه من ابغر الى طخارستان ، اذ يشير الطبرى ان الحرشى عندما قتل الديواشنى فى ربنجن بعث بيده اليسرى الى سليمان بن ابي السرى فى طخارستان . وكنا قد تركناه محاصرا لحمن ابغر ، وليس هناك مكان للقول ، بأن وجوده هناك كان كوال . اذ يشير الطبرى نفسه الى استعمال الحرشى لابن ابي السرى على كس ونسف . وقد تم هذا غالبا بعد غزو طخارستان ، الذى لاتسعدنا المصادر بأكثر من ذلك عنه .^(٣)
^(٤)
^(٥)

-
- (١) لا أعلم من أى شيء ، فقد يكون من الناس ، ليكونوا فى خدمة الجيش الاسلامى ، او من البهائم ، ان كانوا رعاة .
(٢) انظر مصالحته لأهل كس فى / الطبرى : تاريخ الأمم ، ١١/٧ - ابن الأثير : الكامل ، ١٨٦/٤ . الا أنه قال : وسار منها الى زرنج ، والامح مذكوره الطبرى ، اذ ان زرنج فى سجستان ، وهو فى ماوراء النهر . انظر هامش (١) الصفحة السابقة .
(٣) طخارستان : ناحية عظيمة فى شرق بلخ ، تمتد بحذاء الضفة الجنوبية لنهر جيحون حتى حدود بدخشان ، تحتوى على عدد من المدن . (كى لسترنج : بلدان ، ص ٤٦٩) .
(٤) نفس المصدر ، والجزء والصفحة .
(٥) نفس المصدر ، والجزء والصفحة .

مصالحة خزار :

(١)
كانت خزار من المنعة بمكان ، وهذا مادفع الحرشي الى قبول تمحيحة من اشار عليه بأن يوجه اليها المسربل بن الخريت بن راشد الناجي ، لما كان بينه وبين ملكها سبغري من المداقة ، عسى أن ينجح في فتحها صلحا وبلاكبير عناء .
فسار الى فتحها ، وفأوض الملك سبغري ، ذاكرًا له فعل الحرشي بأهل خجندة ، وخوفه عاقبة العميان ، فصالح المسلمين ، وأعطى أمانًا له ولبلاده .
(٢)

ويتضح أن الحرشي سعى الى ضمان الولاء ، وعدم رجوع الصفد الى العميان ، فسير عظماءهم في جيوشه ، وامطحب بعضهم . لذلك نجده قد أخذ سبغري معه ، فلما نزل أسنان ، قتل سبغري وولديه ومعه أمانه ، ويقال : كان هذا دهقان ابن ماجر قدم على ابن هبيرة ، فأخذ أمانًا لأهل الصفد ، فحبسه الحرشي في قهندز مرو ، فلما قدم مرو ، دعا به ، وقتله وولديه في الميدان .
(٣)

(١) خزار : موضع بغرب دخن من نواحي بلخ ، وقيل : خزار موضع بقرب نسف بما وراء النهر . ياقوت : معجم ، ٣٦٤/٢ . والقول الأخير الأقرب ، لقربه من المكان الذي وصله الحرشي في طريق غزوه ، إذ كان خارجًا من كس (القريبة من نسف) الى ربنجن .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم ، ١١/٧-١٢ - ابن الأثير : الكامل ، ١٨٦/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٨٣/٣ (وقد أشار الى ذلك بدون تفصيل) .

(٣) أسنان : من قرى هراة . (ياقوت : معجم ، ١٨٩/١) .

(٤) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ١٢ - ابن الأثير : نفس المصدر والجزء والمفحة (أشار الى مقتله ، ولم يحدد مكان ذلك) - ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والمفحة (أورد اسمه قشغري ، وقال قتله في مرو ، ولم يشر الى ابن ماجر) .

(١)
وقد استغل هذا الخبر عبد الله الخطيب فقال : "كان
الحرشى سىء السمعة فى اقليم خراسان ، وكان لا يلتزم بشروط
المعاهدات ولا يحترم الالتزامات التى كان يعقدها مع دهاقين
الترك خلافا للاخلاق الاسلامية وقوانين الحرب التى كان العرب
الاولائل يتبعونها فى فتوحاتهم الاولى فى الشرق او فى الغرب
كان الحرشى يقتل من يعقد معه معاهدة او امان او بعد ان
يعطى الامان الشخصى لهم كما فعل - بملك خزار - وكان اسمه
سبقرى ، صلبه ومعه امانه " . فكان لزاما علينا تجاه هذا
القول ان نعيد النظر فى موقف الحرشى من الصفد ، للتحقق من
صحة القول ، او اجحافه . فالحرشى عندما امر بقتل الصفد فى
خجندة بعد عقد الصلح والامان ، لم يكن غدرا منه ، كما قال
بارتولد ، الذى اتبعه الخطيب فى النيل من قادة المسلمين (٢)
وسمو تعاملهم . فالصفد هم الذين نقضوا الصلح ولم يلتزموا
بشروطه ، عندما قتلوا امرأة عربية غيلة ، ودفنوها تحت احد
الحيطان ، فاكثفى الحرشى بقتل القاتل ، وكان قد جاز له
حرب الصفد جميعا بعد نقضهم ماصولحو عليه ، ثم غدر الصفد
بالمسلمين وهاجموا عسكرهم ، وقتلوا من بأيديهم من الاسرى ،
تماديا فى الباطل ونقضا للعهد . فحاربهم دفاعا عن النفس ،
وردعا للناكثين ، ومع ذلك نجد من يعتبر قتاله للغادرين
غذرا . اما قتله الديواشنى وهذا كان حربا على المسلمين ،
فنزل على حكم الحرشى ، وكان حكمه فيه القتل ، وليس فى ذلك

(١) الحكم الاموى فى خراسان ، ص ١٢٦ (نقلا عن / الشيبانى :
شرح كتاب السير الكبير ، ٣٥٨/١ - الطبرى : تاريخ
الامم ، ١٢/٧ - ابن الاثير : الكامل ، ١١٠/٥) .
(٢) تركستان ، ص ٣٠٨ (نقلا عن / الطبرى : القسم الثانى ،
ص ١٤٣٩-١٤٤٩ - البلاذرى : فتوح ، ص ٢٢٧) .

مخالفة . أما المثال الذى هربه الخطيب لغدر الحرشى ، وهو مقتل سبقرى ، فقد وجدنا الطبرى وهو المصدر الاقدم قد اشار^(١) الى ذلك بخبر يكتنفه الشك اذ قال مانصه : "ورجع الحرشى الى مرو ومعه سبقرى ، فلما نزل أسنان وقدم مهاجر بن يزيد الحرشى ، وامره ان يوافيه ببرذون بن كشاينشاه قتل سبقرى ومليه ومعه امانه ، ويقال : كان هذا دهقان ابن ماجر قدم على ابن هبيرة فاخذ امانا لاهل الصفد ، فحبسه الحرشى فى قهندز مرو ، فلما قدم مرو دعا به ، وقتله ومليه فى الميدان" .

فليس من المؤكد اذا قتل سبقرى . وعطفا على ما ذكرناه من سلامة سيرة الحرشى ، فان الاظهر ان يكون المقتول ابن ماجر وليس سبقرى ، واذا ما قال قائل : والاخير ايضا كان لديه امان من ابن هبيرة ، نقول : الامير فى خراسان هو الحرشى ، والاعلم بما يستحقه اهل خراسان ، فقد يكون ابن هبيرة اعطى ابن ماجر الامان قبل ارتحال الصفد عن بلادهم^(٢) عميانا . فلما وصل خراسان ، كان الصفد قد خرجوا الى خجندة وابغر ، بعد ان رفضوا دعوة الحرشى لهم بالبقاء ، والعودة الى الطاعة ، فرأى وجوب حربهم^(٣) .

ولنا ان نتساءل عند من كان الحرشى سيء السمعة ، وقد قال من معه فيه : "كان يذكر بشجاعة وديانة ، فلما صار

(١) تاريخ الامم ، ١٢/٧ .
 (٢) انظر عن محاولة ابن هبيرة ، شتى الصفد عن الخروج ، قبل : ص ٣٢٨ .
 (٣) انظر قبل : ص ٣٢٨ .

بالعراق ماق" ^(١) . وماقالوا ذلك عنه الا لانه لم يكن مسارعا
لحرب الصفد ، فجبفوه .

وقبل ان نصل الى عودة الحرشى الى مرو ، نجد خبرا
ينقرد به فامبرى ، اذ يشير الى ان فرغانة نقضت عنها حكم ^(٢)
العرب ، ابان الاضطرابات التى اعقبت مقتل قتيبة بن مسلم
(سنة ٩٦هـ) وعزل يزيد بن المهلب (سنة ٩٩هـ) ، فلما كانت
ولاية الحرشى سير الجند لحرب اميرها خج ، وظلت الحرب سجالا
بعض الوقت حتى قضوا عليه اخيرا ، ثم عادوا الى بخارى
بغنائم وفيرة . ونحن لانعلم من اين استقى فامبرى معلوماته
هذه اذ ان المصادر الاسلامية التى اعتمدنا عليها فى فتوحات
سعيد الحرشى فى ماوراء النهر ، اظهرت تعاون ملك فرغانة مع
المسلمين ، وامتناعه عن مساعدة الصفد عندما لجأوا اليه ،
بل ظهر واضحا ان خجندة كانت آخر نقطة وصل اليها الحرشى ثم
عاد الى مناطق الصفد وراءه لاختضاعها من جديد . وهذه قرائن
كافية لاثبات ولاء اهل فرغانة وبقائهم على الطاعة . وان كنا ^(٣)
نجد ابن اعثم يذهب الى محاربة الحرشى لملك فرغانة فى
خجندة ، لكن ذلك من باب اللبس فهو يشير الى حادثة ايقاع
الحرشى بالصفد ، ولكنه جعلها مع ملك فرغانة خطأ .

ورجع الحرشى الى مرو ، وقد افتتح عامة حصون الصفد ^(٤)
واعادهم الى الطاعة ملحا او عنوة . بعد سلسلة من المعارك

(١) فى الطبرى "بخراسان" . (انظر : تاريخ الامم ، ٨/٧) .
(٢) ابن الاثير : الكامل ، ١٨٥/٤ (قال : وماق . اى تاخر) .
(٣) تاريخ بخارى ، ص ٧٥ .
(٤) الفتوح ، ٢٥٨/٤٢ - ٢٥٩ .
(٥) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤١٦ - قدامة بن جعفر :
الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤١٠ .

التي خاضها اiban حملته على ماوراء النهر مابين عامي (١٠٣-١٠٤هـ) وبذلك أعاد المسلمون سيطرتهم التامة على تلك المنطقة من جديد . وقضى الحرشي على أعنف انتفاضة قامت بها شعوب ماوراء النهر ، مكنه من ذلك سياسة الخليفة يزيد بن عبد الملك الممندة من ملاك الأرض الكبار والعسكريين العرب ، والدهاقين . فقد شارك الموالي في جيش الحرشي بقيادة سليمان بن ابي السري ، كما نجد ذكرا للمجندين من أهل بخارى وخوارزم وشومان الى جانب تأييد غورك أمير سمرقند بصورة ظاهرة .^(١)^(٢)^(٣)^(٤)

ونحن ان كان لنا من كلمة اخيرة عن حملة الحرشي فاننا نؤكد ان النصر الذي حققه المسلمون ، كان بفعل من الله ثم توفر القيادة الجادة والقديرة ممثلة في شخص سعيد الحرشي ، وجنده من المسلمين الذين استشعروا خطر هذه الانتفاضة ، والمهم ضياع مكتسبات الفاتحين السابقين ، ليعيد الحرشي حكم العرب على ماوراء النهر ، ويبسط السيادة الاسلامية على تلك المنطقة ، مخلدا اسمه بين مشاهير الفاتحين في هذا الميدان .

التحول من دور الهجوم الى الدفاع :

لم يدم للمسلمين ما حققه سعيد الحرشي من تمكن وسيادة

-
- (١) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٧٣ - بارتولد : تركستان ، ص ٣٠٨ .
 - (٢) عبد الله الخطيب : الحكم الأموي في خراسان ، ص ١٢٥ .
 - (٣) محمد شعبان : نفس المرجع والمفحة .
 - (٤) محمد شعبان : نفس المرجع ، ص ١٧٠-١٧١ . (اظنه يعنى أميرهم الوطني ، لا أمير سمرقند من قبل المسلمين) .

فى ماوراء النهر ، فقد تحول المسلمون من دور الهجوم الى الدفاع فى ولاية خلفه على اماره خراسان مسلم بن سعيد الكلابى (١٠٤ - ١٠٦هـ) . فقد غزا الاخير الترك فيما وراء النهر (سنة ١٠٥هـ) ، فلم يفتح شيئا ، وعاد ادراجه ، بل ان الترك تعقبوه ، فلاحقوا به وهو يعبر نهر جيحون بجنده ، فاتم ذلك فى حماية الساقة .^(١)

وقد كانت هذه الحملة آخر الغزو فى عهد الخليفة يزيد ابن عبد الملك ، وهى فى ظاهرها حملة ناجحة ، وان لم تحقق مكتسبات جديدة ، الا ان لحاق الترك بمسلم وتعقبه ، كان فيه دلالة على طمع الترك به ، وبداية لضعف سيطرة المسلمين على ماوراء النهر ، وعودة الاضطراب اليها . الا انه قام فى آخر العام نفسه ، صدر خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) بغزوة ناجحة على افشين ، لكن الامر تطور بسرعة نحو الاسوا ، عندما فشلت حملة قام بها مسلم بن سعيد (سنة ١٠٦هـ) على ماوراء النهر ، عرفت بيوم العطش ، حيث بلغ فرغانة ، وفى طريق عودته نال منه الترك ، فانصرف متقهقرا الى سمرقند .^(٢)

-
- (١) عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠١ - ابن الاثير : الكامل ، ١٩٣/٤ .
 (٢) افشين : ثانى اكبر مدينتين فى غرجستان قريبا من الضفة الشرقية لاعلى نهر مرغاب ، وعلى اربع مراحل فوق مرو الروذ . (كى لسترنج : بلدان ، ص ٤٥٨) .
 (٣) الطبرى : تاريخ الامم ، ٢١/٧ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والمفحة - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٥٩/٩ .
 (٤) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٧٩ - بارتولد : تركستان ، ص ٣٠٨ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٢/٢ .

وقد كانت هذه المعركة آخر معركة توسعية فيما وراء
النهر^(١) خلال الخمسة عشر عاما التالية ، وتحول المسلمون الى
دور الدفاع ، وظلوا يتراجعون فيما وراء النهر ، ويخسرون
مكتسبات فتوحاتهم المجيدة . فلم يبق في ايديهم سنة ١١١هـ /
٧٢٩م من بلاد ماوراء النهر ، سوى سمرقند وبخارى وماحولها^(٢)
وظل الوضع على هذا الحال حتى تولى نصر بن سيار خراسان
(١٢٠ - ١٣١هـ) ، وبذل جهدا كبيرا في اعادة النفوذ الاسلامي
الى هذه البلاد .^(٣)

-
- (١) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٧٩ .
(٢) بارتولد : تركستان ، ص ٣٠٩-٣١٠ .
(٣) عن جهود نصر بن سيار في اعادة النفوذ الاسلامي في بلاد
ماوراء النهر واهم اعماله هناك ، انظر : الطبري :
تاريخ الامم ، ١٥٤/٧ ومابعدها - ابن الاثير : الكامل ،
٣٨/٤ ومابعدها - راضي عبد الله عبد الحليم : دراسات
في تاريخ خراسان ، ص ٧٨-٩٣ .

المبحث الثانى

الفتوح فى أرمينية

كُنَّا قَدْ أَشْرْنَا إِلَى سِمَةِ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيَّ فِي أَرْمِينِيَّةٍ ،^(٢)
وَالَّتِي ظَلَّتْ طَوَالَ الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ مَيْدَانِ قِتَالٍ مِنْ جَرَاءِ ثَوَرَاتِ
الْأَرْمَنِ وَتَمَرْدِهِمِ الْمُسْتَمِرِّ عَلَى الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَكَذَلِكَ تَدَخَّلَ
الْبِيزَنْطِيِّينَ وَالْخَزَرَ فِي شُئُونِ ذَلِكَ الْإِقْلِيمِ ، أَمَّا بِغَزْوِهِ ، أَوْ
بِالْتِّحَالِفِ مَعَ أَهْلِهِ هُدِّ الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ بِتَحَالُفِ الْبِيزَنْطِيِّينَ
وَالْخَزَرَ هُدِّ الْمُسْلِمِينَ أَوْ الْأَرْمَنِ . وَكَانَ آخِرُ أَمْثَلَةٍ ذَلِكَ الصَّرَاعِ^(٤)

- (١) انظر قبل : التمهيد ، ص ٣٧-٣٨ .
(٢) يقصد بإقليم أرمينية ، المنطقة الجبلية الوسطى
العالية فى غرب آسيا ، ويحد هذه المنطقة من الغرب
آسيا الصغرى وهضبة أذربيجان والشاطئ الجنوبى لبحر
قزوين من الشرق والجنوب الشرقى ، وساحل البحر الأسود
والقوقاز من الشمال والشمال الشرقى ، ومن الجنوب
الركن الشمالى الغربى من أرض الجزيرة . (ابراهيم
العدوى : الأمويون والبيزنطيون ، ص ١٢١-١٢٢) .
ويقول كى لسترنج : كانت أرمينية الكبرى تنقسم إلى
أرمينية الداخلة وأرمينية الخارجة ، وكانت قصبة
أرمينية الإسلامية فى الأزمنة الأولى "دبيل" وتسمى أيضا
دوين أو توين . (انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢١٦)
ويذكر صابر دياب : أن أول حملات المسلمين على أرمينية
كانت بقيادة عياض بن غنم سنة ١٩هـ ، وأن أشهر الحملات
الإسلامية التى فتح على أثرها أهم مدن ومناطق ذلك
الإقليم ، هى حملة سليمان بن ربيعة الباهلى وحبيب بن
مسلمة الفهرى (٢٤-٢٥هـ) . مشيرا إلى اختلاف المصادر
الإسلامية والأرمنية على سير الفتح وحملاته وزمنه . (انظر:
أرمينية من الفتح الإسلامى إلى مستهل القرن الخامس
الهجرى ، ص ١٩-٣٦) .
(٣) الخزر : من أصل جرمانى (هونى) . فيليب حتى : تاريخ
سورية ، ٦٩/٢ . ويفيف هاشم اسماعيل الجاسم : أنهم
قوم استقروا فى منطقة القوقاز تقريبا ، لكن نفوذهم
يتسع وينكمش حسب التطورات السياسية ، وقد عرفوا
بتحالفهم مع البيزنطيين ، فاستخدمتهم الدولة
البيزنطية أثناء حروبها مع الأمويين . (انظر : دراسة
تاريخية عسكرية عن الثغور البيزنطية العربية ، هامش
(١) ، ص ٩٦ - وانظر أيضا : كى لسترنج : نفس المرجع ،
ص ٢١٥) .
(٤) عن أرمينية فى العصر الأموى ، انظر : صابر دياب : نفس
المرجع ، ص ٤٠-٦٠ .

(١) تعرض أرمينية وآذربيجان (٩٩هـ) ، لغزو الخزر ، الذين هاجموا المسلمين على غرة ، وأصابوا جماعة منهم ، لكن أمير أرمينية عبد العزيز بن حاتم الباهلي ، تمضى لذلك الغزو (٢) والحق بالخزر هزيمة منكرة ، حتى لم ينج منهم الا القليل (٣) وقدم على الخليفة عمر بن عبد العزيز بخمسين أسيرا منهم .
ويظهر أن الضربة التي تلقاها الخزر على يد عبد العزيز بن حاتم ، كفتهم عن العودة الى مهاجمة هذه المناطق طوال عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، والشرط الأول من خلافة يزيد بن عبد الملك .

(١) آذربيجان : عرف قديما باسم "اتروباقين" ، ويحده من أعلاه نهر أرس ، ومن أسفله النهر الأبيض ، وكلاهما يصب في بحر قزوين ، وأبرز العوارض الطبيعية في هذا الاقليم بحيرة أرمية الملحة ، وبقرتها تبريز ومراغة قاعدتا الاقليم ، وإلى شرقها أردبيل ، وهي من كبار مدنها وأقربها إلى بحر قزوين . قيل : أن به سبعين لسانا ، يتكلم بها أهلها ، وليس بين مدنها مدينة عظيمة الكبر . (كي لسترنج : نفس المرجع ، ص ١٨، ١٩٣-١٩٤ . وقال ياقوت : أن قمبته أردبيل ثم تبريز . معجم ، ١٢٨/١-١٢٩) .

(٢) عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي ، قائد من الأمراء ، كان عامل عمر بن عبد العزيز على الجزيرة ، (ت ١٠٣هـ) ، (الزركلي : الأعلام ، ١٦/٤) . وكان على أرمينية زمن الوليد بن عبد الملك ، وهو الذي بنى مدينة بردعة بأرمينية ، أو أبيه ، زمن عبد الملك بن مروان . (انظر : صابر دياب : أرمينية من الفتح الاسلامي الى مستهل القرن الخامس الهجري ، ص ٤٢، ٤٩) .

(٣) عن هجوم الخزر هذا ، وتمضى عبد العزيز بن حاتم له . انظر / ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٠ - اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣٠٢/١٢ - الطبري : تاريخ الأمم ، ٣٥٣-٣٥٤/٦ - الذهبي : تاريخ الاسلام ، ٣٣٣/٣ .

نظام الموائف والشواتى فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك :

- (١)
استؤنفت الحملات العسكرية المنظمة الى الثفور ، وهو
(٢)
معارف بنظام الموائف والشواتى ، بعد وفاة الخليفة عمر بن
(٣)
عبد العزيز ، فقد ظل نظاما معمولاً به طوال العصر الأموى .
الا أن تغييرا فى ذلك التنظيم قد حدث ، إذ نجد ظهور نوعين
من الموائف ، هما : المائفة اليمنى ، والمائفة اليسرى ،
(٤)
واستقلال كل واحدة منهما فى الغزو والقتال .
فقد كانت هذه الحملات توجه من ثفور الشام ومن ثفور

- (١) الثغر : كل مكان قريب من ارض العدو من ناحية البر او البحر ، سواء كان مدينة أو حصنا ، واتخذ كقاعدة عسكرية ، وضيقتها التصدى لهجمات العدو ، والدفاع عن المدن الداخلية ، وانطلاق الهجمات الاسلامية منها الى ديار الاعداء ، برا كان ذلك أو بحرا . (هاشم الجاسم : دراسات تاريخية عسكرية، ص ٧٤-٧٥ .
- (٢) الموائف والشواتى : اسم للجيش الاسلامى الذى يجمع مرة فى الصيف ومرة فى الشتاء ، ويجهز ، ويخرج للاغارة على مواقع العدو ، ومقاتلته فى ارضه . وتخرج الحملة الربيعية لعشر أيام تخلو من أيار "مايو" بعد أن يكون الناس قد ربعوا دوابهم ، وحسنت أحوال خيلهم ، فيقيمون ثلاثين يوما ، ثم يقفلون ، فيقيمون خمسة وعشرين ، حتى يقوى ويسمن الظهر ، ويجتمع الناس لغزو المائفة ، ثم يفزون لعشر من تموز "يولية" فيقيمون لوقت قفولهم ستين يوما ، ولايقدم عليها الا وقت الضرورة . (انظر : هاشم الجاسم : نفس المرجع ، ص ١٠٢ . عمر سليمان العقيلي : خلافة معاوية بن أبى سفيان ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٩٧-٩٨ .
- (٣) وفيق الدقدوقى : الجندي فى عهد الدولة الاموية ، ص ٢٠٩ .
- (٤) عواد الاعظمى : مسلمة ، ص ٢٣١ (وقد اورد فى هامش (٣) ، (٤) من نفس الصفحة ، تفسيراً للمائفة اليمنى واليسرى فقال : أصبحت المائفة اليمنى تعنى الغزو من نحو الثفور الجزرية باتجاه نواحي ارمينية واذربيجان والخزر . واليسرى : تعنى الغزو من نحو الثفور الشامية ، باتجاه ارض الروم) .

الجزيرة ، واصبح لكل جبهة نشاطها المستقل ، فتركز نشاط
 الثغور الجزرية حول البند الأرمنى ، لمراقبة الحدود
 الغربية الأرمينية ، وجرى على هذا التنظيم الخليفة يزيد بن
 عبد الملك وخليفته هشام بن عبد الملك . لقد شغلت أرمينية^(١)
 الأمويين المتأخرين ، لمحاولة الروم الاستفادة من غارات
 الخزر ، والمناقصات الداخلية بين الأسر الأرمينية ، فقد كان
 منها ما يوالى المسلمين مثل (Bamikonian) ، وهؤلاء خصوم^(٢)
 يحقدون عليهم ويتعرضون لأخطارهم ، مثل : (Mamikonian) .
 لذا حاول ليو الأيسورى (امبراطور الروم) ان يفيد من هذه
 الأوضاع ، مستغلا حسن علاقته بجيرانه من الخزر ، فسعى الى^(٣)
 تعزيزها ، بتزويج ابنه قسطنطين الخامس من ابنة خان الخزر
 فكان لزاما على الخليفة يزيد بن عبد الملك ان يحول
 دون استغلال بيزنطة لمقاعب المسلمين الداخلية فى أرمينية ،^(٤)
 فكان هدفه ازعاج البند الأرمنى ومراقبته بتيقظ . بل ان
 تغيير نظام اخراج الحملات الثغرية الموسمية (الموائف
 والشواتى) . كان فيما يبدو لاشغال كل من الروم والخزر ،
 وتفويت فرصة التحالف بينهما والتعاون فى حرب المسلمين ،
 وسفرى من العرض التاريخى للجهود العسكرية فى عهد الخليفة
 يزيد ، تمكنه من مد الخزر ، واستمرارية الغزو والبقاء فى
 آسيا الصغرى .

-
- (١) فتحى عثمان : الحدود ، ص ٩٨ .
 (٢) فتحى عثمان : نفس المرجع ، ص ٩٩ .
 (٣) هسى : العالم البيزنطى ، ص ١٣٠ .
 (٤) فتحى عثمان : نفس المرجع والمفحة .

غزو معلق بن صفار الخزر سنة ١٠٣هـ :

- (١) يشير الطبرى وغيره الى اغارة قام بها الترك (٢) سنة ١٠٣هـ ، على اللان ، ومنها يتبين عودة الخزر الى التحرش بالمسلمين ومهاجمة ممالكهم فى ارمينية . وهذا مادفع امير ارمينية آنذاك معلق بن صفار البهرانى الى القيام بحملة (٤) على الخزر ، فلقى بهم بمرج الحجارة ، فى شهر رمضان من نفس العام ، وقد كلب الشتاء . فدارت المعركة ، وهزم المسلمون وقتل جماعة منهم ، واستولى الخزر على عسكرهم وغنموا مافيه (٥) لكن ابن اعثم ، يورد اسم القائد شبيت النهرانى ، من اهل حمص ، ويوافقه على هذا الاسم ابن الاثير ، الذى ارخ للمعركة (٦) ب (سنة ١٠٤هـ) وأشار الى تحالف حدث بين الخزر والقفجاق ، (٧) (٨) (٩)

- (١) تاريخ الامم ، ٦١٩/٦ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٥/٢ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٤/٤ .
(٢) يبدو انه يعنى الخزر (انظر التعريف بهم قبل : ص ٣٤٧ .
(٣) اللان : بلاد واسعة فى طرف ارمينية قرب باب الابواب مجاورة للخزر . (ياقوت : معجم ، ٨/٥) . ويقول عنها كى لمترنج : انها احد الولايتين اللتين تكونا بلاد الخزر ، اذ تتألف بلاد الخزر من أبخاز واللان . (انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢١٣) .
(٤) معلق بن صفار بن فلح بن جنب الجمار بن موقد النار البهرانى ، من اهل حمص ، ولاء يزيد بن عبد الملك ارمينية سنة ١٠٣هـ ثم عزله سنة ١٠٤هـ . (ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٣) .
(٥) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٢٨ .
(٦) الفتوح ، م ٢٥٨، ٢٦٠/٤ (وقد ذكر ان عدد الخزر فى هذه المعركة ثلاثين الفا ، ولم يشر الى تحالفهم مع الترك) شبيت النهرانى : لم أعثر على ترجمة له . كما لم يرد ذكره بين عمال يزيد بن عبد الملك على ارمينية واذربيجان والجزيرة (انظر بعد : الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٤٩٦ وما بعدها) ، حيث وجدنا ان عامل يزيد (سنة ١٠٣هـ) هو معلق بن صفار البهرانى الحمصى ، وهذا مايقوى اعتقادنا بوروده عند ابن اعثم وابن الاثير محرفا ، والمحيح ماقدماه .
(٨) نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٦ .
(٩) القفجاق : هم سكان قوقاسية . (انظر / سيد امير على : مختصر تاريخ العرب ، ترجمة عفيف البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١م ، ص ١٣٣-١٣٤) . فى المنطقة التى تقع بين شمال بحر قزوين والبحر الاسود ، وهم من الترك .

وغيرهم من انواع الترك ، ضد المسلمين . ويتضح ان ابن الاثير ذكر هذا الاسم نقلا عن ابن اعثم المتقدم عليه ، حيث يتفقان في تقديم معلومات عما آل اليه امر المسلمين بعد انكسارهم امام الخزر وحلفائهم ، فيذكران ان المنهزمين لاذوا بالشام ، وعلى راسهم قائدهم ، فلما مثلوا بين يدي الخليفة لامهم ووبخهم على انهزامهم ، فكان عذر قائدهم ، يسامير المؤمنين ماجبنت ولانكبت عن لقاء العدو، ولقد المقت الخيل بالخيول والرجل بالرجل، ولقد طاعتت حتى انقمف رمحي ، وضاربت حتى انقطع سيفي، غير ان الله تبارك وتعالى يفعل ما يريد .

اذا فما اسباب هذه الهزيمة ، وقد علمنا صدق المسلمين في القتال ؟

ان المتفحص لخبر هذه الغزوة قد يجد في ثناياه بعض العوامل التي لم تكن في صالح المسلمين ، وعلى راسها ياتي تحالف الخزر مع القفجاق وغيرهم من الاقوام التركية ، الى جانب حدوث المعركة في فصل الشتاء ، وبرده القارس الذي يصعب على العرب تحمله والقتال فيه ، كما ان حدوثها في شهر رمضان ، ودخول بعض الجند او الكل المعركة وهم صيام ، قد اثر على قدرتهم القتالية ، لذلك كنا نجد الكثير من القادة ينصحون جنودهم بالافطار ابان الحرب .

اما الاختلاف على قائد هذه الحملة ، فامر اورثه اختلاف المصادر على ولاية ارمينية ، وهو اختلاف انحصر في قائد

(١) سنعرض لهذا الاختلاف حول ولاية ارمينية ابان خلافة يزيد ابن عبد الملك ، عند دراستنا لسياسة الخليفة يزيد بن عبد الملك الادارية في الفصل الخامس .

الحملة وسنة حدوثها ، أما الغزوة واحداشها فقد اتفقت عليها تلك المصادر ، فيما عدا بعض التفاصيل . وقد اخذنا بقول اقدمها .

غزوة الحارث بن عمرو الطائي :

(١)
ينفرد البلاذري بالاشارة الى غزوة قام بها الحارث بن عمرو الطائي ، والى ارمينية بعد معلق بن مغار على حد قوله (٢)
فيذكر : انه غزا اهل الكز ففتح رستاق حسمدان (٣) .
ويتجلى لنا محدودية هذه الحملة ، واثار قيادتها ، ولعل ذلك مادفع الخليفة يزيد بن عبد الملك الى عزله واسناد ولاية ارمينية وامر الخزر الى رجل ذي قدرة وتجربة . لكن ولاية الحارث ارمينية من قبل يزيد بن عبد الملك ، وقيامه بهذه الجهود الحربية ، موضع شك للاختلاف على ولايته ارمينية زمن يزيد ، ولقول ابن خياط ، ان ذلك قد حدث زمن هشام بن عبد الملك ، فان صح ذلك ، كان قوله أرجح ، لتقدمه (٥)

-
- (١) فتوح البلدان ، ص ٢٠٨ .
(٢) الحارث بن عمرو الطائي ، وال من القادة ، ولى امرة البلقاء لعمر بن عبد العزيز ، و ارمينية سنة ١٠٧هـ ، واذربيجان سنة ١٠٨هـ ، ومد الترك سنة ١١١هـ وهزمهم واستباح عسكرهم ، وقد كان حيا سنة ١١٢هـ . (الزركلى : الاعلام ، ١٥٦/٢) . وهو قى هذه الترجمة لم يشر الى ولايته ارمينية زمن يزيد بن عبد الملك ، وعند النظر فى هامشه وجدناه لم يعتمد على المصدر الذى اعتمدنا عليه فى هذا الخبر ، وقد اشرنا الى تفرد ذلك من خلال ما اطلعنا عليه من مصادر .
(٣) لكز : بليدة خلف الدربند تتاخم خزران ، سميت باسم بانيتها ، وقيل : لكز والكز والخزر وصقلب وبلنجر بنو يافث بن نوح عليه السلام ، عمر كل واحد منهم مكانا عرف باسمه . (ياقوت : معجم ، ٢٢/٥) .
(٤) رستاق حسمدان : لم أجد له تعريفا .
(٥) انظر ما كتبناه عن هذا الاختلاف ، وما اورده ابن خياط ، بعد : الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٤٩٦ .

على البلاذري .

فتوحات الجراح الحكمي في أرمينية :

أطمعت الهزيمة التي تلقاها المسلمون سنة ١٠٣هـ على يد الخزر في أرمينية ، الاقوام القوقازية والحركية في المسلمين ، فاندفعوا نحو الحدود الأرمينية ، وشنوا غاراتهم وتوغلوا في البلاد . مما دعا الخليفة يزيد بن عبد الملك الى استعمال الجراح بن عبد الله الحكمي ، على أرمينية وأذربيجان (سنة ١٠٤هـ) ، وأسند اليه مهمة صد الخزر وأمر حربهم ، وأمدّه بجيش كبير ، وأمره بحرب الأعداء ، وقصد بلادهم . وفي ذلك دلالة على جدية الخليفة في مواجهة الموقف بالجبهة الأرمينية ، فقد اختار القيادة القديرة ، وزودها بالجيش الكافي لتحقيق الأهداف ، ولم يكن همه تطهير البلاد

- (١) ابن الأثير : الكامل ، ١٨٦/٤ - ١٨٧ - سهيل زكار : تاريخ العرب والإسلام ، ص ٢١٨-٢١٩ .
- (٢) الجراح بن عبد الله الحكمي ، دمشق الأصل ، من الإشراف الشجعان ، ولي البصرة للحجاج ، ثم خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز ، ثم ولاه يزيد بن عبد الملك أرمينية وأذربيجان ، غزا الخزر وافتتح بعض حصونهم ، أقره هشام ، ثم عزله (سنة ١٠٨هـ) ، وأعادته (سنة ١١١هـ) ، فاستشهد فاتحاً في حروبه مع الخزر (سنة ١١٢هـ) قال الواقدي : كان البلاء بمقتل الجراح على المسلمين عظيماً فبكوا عليه في كل جند . (الزركلي : الأعلام ، ١١٥/٢) .
- (٣) جمل المؤرخ المجهول ، غزو الجراح (سنة ١٠٢هـ) ، وأشار الى فتوحه بأجمال موجز فحسب . (انظر : العميون ، ص ٧٥) . الا أن هذا التاريخ لا يتناسب مع منطق الأحداث التي قدمنا ذكرها ، ويخالف إجماع المصادر الإسلامية على كون (سنة ١٠٤هـ) ، هي عام ولاية الجراح ، وغزوة الخزر .
- (٤) ابن الأثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٦٠/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٨٣/٣ - صابر دياب : أرمينية من الفتح الإسلامي حتى مستهل القرن الخامس الهجري ، ص ٥٠ .

الاسلامية من وجود الغزاة ، بل مهاجمتهم في بلادهم ، ردعا لهم ، واحياء لهيبة المسلمين في نفوسهم ، حتى لا يعودوا لحربهم مرة اخرى . فسار الجراح بجيشه حتى وصل ارمينية ، فنزل برذعة ^(١) ، ليعطى جنده قليلا من الراحة ، بعد عناء السفر من دمشق الشامية حتى برذعة في الديار الارمينية ، وليعد نفسه وينظم صفوفه ، لمواجهة الخزر . الذين ما ان سمعوا بمقدم الجراح في جيشه ذاك ، حتى ارتدوا عن البلاد الاسلامية التي كانوا قد استولوا عليها ، وانسحبوا عائدين حتى نزلوا مدينة الباب والابواب . ^(٢) ^(٣) ^(٤)

وبعد ان اخذ الجراح وجنده قسطا من الراحة ، توجه نحو الخزر في عامه ذاك (١٠٤هـ) ، فعبر نهر الكر ، واجتاز ^(٥)

- (١) برذعة : قرية (مركز) اقليم الران ، الواقع بين نهرى الكر والرص عند التقائهما ، وتقع على بعد ثلاثة فراسخ من نهر الكر ، قائمة على أحد روافده ، وكان بيت المال زمن بنى امية في هذه المدينة . (كي لسترنج : بلدان ، ص ٢١١-٢١٢) ، وقد كانت برذعة دار الامارة والجنود في ولايتي ارمينية واذربيجان . (اديب السيد : ارمينية في التاريخ العربى ، المطبعة الحديثة ، حلب الطبعة الاولى ، ١٩٧٢م ، ص ٩٥) .
- (٢) لم تشر المصادر الى عدد الجيش الذى سيره الخليفة يزيد بقيادة الجراح ، لكن ابن اعثم ، يورد ان عدد جند الجراح في معركة الران مع الخزر كان (٢٥) الفا . وهذا يعنى ان من سار بهم من دمشق كان اقل من هذا العدد ، باعتبار انه قد انضم اليه من كان قبله في ارمينية . (انظر : الفتوح ، م ٢٦٠/٤) .
- (٣) باب الابواب : مدينة في اقصى الشمال لبلاد شروان ، وهي اجل موانئ بحر قزوين ، يقول كي لسترنج : ان هذه التسمية من العرب لمدينة دربند ، مدينة كبيرة حمينة من شغور الاسلام . (انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢١٤-٢١٥) .
- (٤) ابن الاثير : الكامل ، ١٨٦/٤ - ١٨٧ - ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٦٠-٢٦٢ - ابن خلدون : العبر ، ٨٣/٣ - كما اشار ابن قدامة الى نزوله برذعة . (انظر : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٣٢٠) .
- (٥) نهر الكر : مخرجه من الجبال غرب تفليس ببلاد جورجيا ، اى بلاد الخزر ، يمر بتفليس وشمکور ، ثم يلتقى بنهر الرص اسفل من برذعة بقليل ، بعدها يصب في بحر قزوين بولاية كشتاسفى . (كي لسترنج : نفس المرجع ، ص ٢١٢) .

اقليم شروان ، حتى قطع نهر السمر متجها صوب مدينة باب
 الابواب .^(١)
^(٢)

ويبدو ان الجراح الحكمي لم يجد مقاومة تذكر من اهالى
 اقليمى الران وشروان ، بعد انسحاب الخزر وارتدادهم الى
 باب الابواب على بحر قزوين ، ومع ذلك فان الجراح عمل على
 تسيير بعض اهل الجبال فى جيشه ، للتثبت من ولائهم ،
 وتأمينا لنفسه من ان يقطعوا الطريق عليه ، تعاونا مع
 الخزر او من تلقاء انفسهم . حيث ان غالبية اهل تلك
 المناطق بقيوا على نصرانيتهم ، بعد الفتح الاسلامى ، وفى ظل
 سيادة الدولة الاسلامية ، الى اعقاب الفتح المغولى واستقرار
 الترك هناك ، فصار الدين السائد هو الاسلام . وهذا فى
 الغالب ماسهل للخزر امر التوغل فى البلاد ابان غياب القوة
 الاسلامية . وابن الاثير يخبرنا بان واحدا من اهل الجبال ،
 الذين ساروا فى ركاب الجراح قد كاتب ملك الخزر بمسير
 الجراح اليه ، مما اضطر القائد الى التوقف بعد عبوره نهر
 الكر ، اذ انه كان يامل ان يلقي العدو على غره ، فخدع ذلك
 الرجل وكاتب الخزر بتوقف الجراح واقامته ، فما لبث الجراح

-
- (١) شروان : اقليم يلى نهر الكر على بحر قزوين ، فيه
 تنتهى جبال القفقاس ، قمبته الشماخية (شماخى) . (كى
 لسترنج : بلدان ، ص ٢١٤) .
 (٢) نهر السمر : نهر يصب فى بحر قزوين على شىء يسير
 جنوب دربند ، ويسمى ايضا (نهر الملك) . (كى لسترنج :
 نفس المرجع ، ص ٢١٥) .
 (٣) ابن قدامة : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٣٣٠ -
 البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٠٨ - ابن اعثم : الفتوح
 م ٢٦٠/٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٧/٤ .
 (٤) نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٦-١٨٧ - ابن اعثم : نفس
 المصدر والجزء ، م ٢٦١/٤ (أخبر ان الذى كتب هو ملك
 بلاد الكر ويسمى اربيس بن بسباس) .

ان عاود المسير من ليله ذاك ، وسار مجدا الى باب الابواب .
 فوجدها خالية ، بعد ان تركها الخزر ، الذين علموا بمقدمه
 فيما يبدو . فلحقوا ببلادهم . وخرج الجراح من مدينة باب
 الابواب وعسكر عند عين باب الجهاد ، على بعد نصف فرسخ منها
 فبث الجراح سراياه على مايجاوره من البلاد ، فنصروا وغنموا
 ويحدد ابن اعثم وجهة احد هذه السرايا ، وهي ارض حيداق حيث
 يذكر ان الجراح وجه احد قادته على رأس ثلاثة آلاف فارس
 اليها ، فكان غنمها كبيرا .

معركة الران :

وكان الجراح قد ارتحل في عشرين الفا من جنده ، بعد
 ان بعث سراياه ، فنزل على نهر الران على ستة فراسخ من
 مدينة باب الابواب ، واجتمع اليه جند السرايا بعد ان ادوا
 الهدف الذي وجهوا من اجله . فاصبح في خمسة وعشرين الفا من
 المسلمين (٧)

-
- (١) ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٦٠/٤ - ٢٦١ - ابن الاثير :
 الكامل ، ١٨٧/٤ - لكن صابر دياب الذي اشار الى غزو
 الجراح في ايجاز ، قال : "ودخل على الخزر ليلا - يعنى
 فى مدينة باب الابواب - وهزمهم ، وقتل منهم الكثير
 بسيف المسلمين" وذكر ان عبيد المسلمين نحو بضع
 وثلاثين الفا . (انظر : ارمينية من الفتح الاسلامى حتى
 مستهل القرن الخامس الهجرى ، ص ٥٠) .
- (٢) ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد والصفحات .
- (٣) ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٦١ .
- (٤) ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة .
- (٥) نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٦١ .
- (٦) لم نجد لها ذكر بهذا الاسم عند ياقوت وكى لسترنج .
 ولكننا وجدنا "هيزان" : من مدن ارمينية قريبة من
 شروان . (انظر : ياقوت : معجم ، ٣٢١/٢) ، فنظنهما هي
 لوجودها فى نفس المنطقة . وقد يكون حدوث الاختلاف
 تحريفا ، او خطأ فى النقل .
- (٧) ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٦١ .

ويظهر ان تلك الاشارات الاسلامية وماحققته من نصر
ومغانم قد اشارت الخزر ، ولعل ذلك ماكان يبغيه قائد
المسلمين ، فتوجهوا اليه في اربعين الفا بقيادة ابن ملكهم
ويدعى نارستيك^{بن خاقان} . ونزلوا معه على نهر الران . فدارت بين
الفريقين (سنة ١٠٤هـ) معركة عظيمة نصر الله فيها المسلمين
وهزم الخزر ، وقتل الكثير منهم واسر ، وغنم المسلمون جميع
مامعهم . بل قيل : وغرق الترك وعامة ذراريهم في الماء .^(٣)
ويفهم من هذا القول ان الخزر عبروا النهر الى المسلمين ،
فلما هزموا لم يتمكنوا من العبور اما لقطع الجسر ، او
لحيلولة المسلمين بينهم وبين الفرار ، فسقط الكثير منهم
في النهر ، هروبا من هول الهزيمة وخشية القتل ، وتبع
المسلمون من فر .

فتوح الجراح بعد معركة الران :

سهل النصر الذي حققه المسلمون في معركة الران ، مهمة

- (١) لم نجد تعريفا بنهر الران عند ياقوت وكى لسترنج .
- (٢) ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٦١/٤ - ابن الاثير : الكامل ،
١٨٧/٤ .
- (٣) عن معركة الران انظر : ابن اعثم : نفس المصدر
والمجلد ، ص ٢٦١-٢٦٢ - ابن خياط : تاريخ ابن خياط ،
ص ٣٢٩ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة -
البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٠٨ (لم يحدد مكان
المعركة) - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٣/٢ -
الطبرى : تاريخ الامم ، ١٤/٧ - ١٥ (ذكر اللقاء ولم يذكر
مكانه) - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٥٧/٩ - الذهبي
المعبر في خبر من غير ، ١٢٦/١ (كنهه اسمى المعركة
"بهرازن" وجعلها مع الخاقان) - الذهبي : تاريخ الاسلام ،
٨٧/٤ - ابن خلدون : المعبر ، ٨٣/٣ - ابن العماد :
شذرات ، ١٢٦/١ - الذهبي : دول الاسلام ، ٥٢/١ (جعلها
في رمضان سنة ١٠٥هـ ، ويبدو انه خلط بينها وبين نصر
المسلمين عليهم سنة ١٠٥هـ ، عندما هاجموا ارمينية
بقيادة الخاقان . انظر ذلك بعد : ص ٣٦٦-٣٦٧) .

الجراح ، فى اخضاع تلك المناطق لحكم المسلمين وسيادتهم ، وذلك فى أعقاب التخليص من القوة الرئيسية للخزر ، التى لم تعد قادرة على مواجهة المسلمين ذلك الحين على الأقل . فجرد الجراح جيشه لفتح مدن وحصون الخزر هناك . الا أن المصادر الإسلامية تقدم لنا معلومات مضطربة عن تلك الجهود ، ترتيبا وزيادة ونقصا ، ولعل ما أصاب الاسماء من تحريف وتصحيف هو ما أورثنا ذلك الخلل .

وقد لجأ الجراح فى حروبه مع الخزر الى سياسة التهجير لأهل تلك المناطق والحصون ، ردعا لهم ، وإضعافا لقوتهم بتحويلهم عن مكان القوة والاعتماد فى بلادهم ، الى مناطق أخرى ، ليضمن دوام ولائهم وطاعتهم ، فيقول الطبرى : ففتح (١) - يعنى الجراح - الحصون التى تلى بلنجر وجلا عامة أهلها . وهذا أسلوب دفاعى لجأ اليه الجراح الحكيم ، سنلاحظه فى ثنايا حديثنا عن فتوحاته المقبلة . فبعد انتمار المسلمين فى الزان تتبعوا المنهزمين ، حتى وصلوا الى حصن يعرف بـ (٢) "الحمين" نزل أهله على الأمان مقابل مال يؤدونه ، فأعطاهم (٣) ذلك ، ونقلهم عنها الى حيزان . (٤)

الا أننا نجد شيئا من اللبس عندما يورد ابن قدامة نصا (٥) يوافق فيه البلاذرى ، يشير الى مقاتلة الجراح لأهل بلاد

(١) تاريخ الأمم ، ١٤/٧-١٥ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٥٧/٩ .

(٢) لم أجد له تعريفا .

(٣) ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٦٢/٤ - ابن الأثير : الكامل ، ١٨٧/٤ (لكنه لم يحدد المكان الذى نقلهم اليه) - ابن خلدون : العبر ، ٨٣/٣ (وهو كذلك لم يذكر المكان الذى نقلوا اليه) .

(٤) الخراج ومناعة الكتابة ، ص ٣٣١-٣٣٠ .

(٥) فتوح البلدان ، ص ٢٠٨ .

(١) حمزين ، ومما لاحتهم على ان ينقلهم الى رستاق خيزان ، حيث جعل لهم منه قريتين . وحيث انا لم نعثر على تعريفات بهذه المواضع سوى خيزان ، فيغلب على الظن ان الحمين هو حمزين وخيزان هو خيزان ، فيكون الخبر الذي اوردته ابن اعثم وابن الاثير وابن خلدون ، هو الذي ورد عند من سبقهم كابن قدامة والبلاذري ، وجاء ذلك التحريف في الاسماء اثر النقل او سوء الخط .

الا ان خليفة بن خياط في سياق حديثه عن فتح حصن بلنجر يورد ان اهله حولوا الى رستاق خيزان ، وقد يؤدي هذا الى الشك في ان حصن حمزين هو حصن بلنجر الذي سنتحدث بعد قليل عن فتحه ، الا ان اختلاف الاحداث في فتح كلا الحصنين ، وما ترتب عليها من نتائج ، حيث ان اهل حمزين (الحمين) انتهى الامر معهم صلحا ، بينما تم فتح بلنجر عنوة ، يدل على لبس وقع فيه مؤرخنا ابن خياط . اذ ان اهل بلنجر لم يحولوا عن حصنهم ، وهذا ماسفراه اثناء تحدثنا عن فتحه .

فتح رستاق يزموا :

بعد مصالحة اهل حمزين (الحمين) ، سار الجراح الحكمي الى رستاق "يزموا" ، فحاصر مدينة يزموا ستة ايام ، فلما وجد اهلهما جدية الحكمي في قتاله ، طلبوا الصلح ، فاعطاهم

-
- (١) لم نعثر لها على تعريف .
 (٢) لم نعثر على تعريف له بهذا اللفظ ، وقلنا ان الظاهر انه يعني خيزان ، فجاء بزيادة نقطة على الحاء .
 (٣) انظر الخبر في الصفحة السابقة .
 (٤) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٩ .
 (٥) لم نعثر له على تعريف .

(١)
ذلك وامنهم ، على أن يحولهم الى رستاق "قبلة" ، فتسلم
(٢)
حمنهم ، وانزلهم بقرية الغانية في رستاق قبلة . ونحن في
هذا الخبر نقف حائرين أمام مشكلة التمحيف فابن خياط
المؤرخ الاقدم يورد اسم الرستاق يزعوا ، بالزاي ، بينما
نجد الاسم مصحفا عند ابن الاثير حيث يورده "يرغوا" بالراء .
لكن ابن اعثم يقدمه لنا "برعوفا" . وحيث اننا لم نعثر على
تعريف لاي من تلك اللفاظ ، لم يكن لنا بد من تقديم اللفظ
الذي ورد عند ابن خياط ، المؤرخ الاسبق . أما المكان الذي
نقلوا اليه ، فأخذنا بلفظ ابن اعثم وهو "قبلة" لوجود
تعريف لهذا اللفظ عما عداه ، مما يعنى محته . وليس هنا
مكان للقول انها الفاظ لاماكن متعددة ، فصفا الحدث ونتائج
لاتختلف في كل هذه المصادر .

فتح حصن بلنجر (سنة ١٠٤هـ) :

(٣) (٤)
تجعل بعض المصادر فتح حصن بلنجر قبل معركة الران ،

-
- (١) قبلة : قلعة في الجبال القريبة من دربند من أرض
شروان . (كي لسترنج : بلدان ، ص ٢١٥) ، ويبدو أن
القلعة قصبة الرستاق ، فلايمح أن ينقل الجراح هؤلاء
المحاربين الى حصن يعتصمون به ، ويفسر ابن اعثم في
خبره ماذهبنا اليه ، اذ يقول : انزلهم بقرية تسمى
الغانية في رستاق قبلة .
- (٢) انظر عن فتح يزعوا / ابن خياط : تاريخ ابن خياط ،
ص ٣٢٩ (وقد ورد اسم الرستاق عنده "يزعوا") - ابن
اعثم : الفتوح ، م ٢٦٢/٤ (وورد اسم المدينة عنده
برعوفا) - ابن الاثير : الكامل ، ١٥٧/٤ (ورد عنده اسم
المدينة يرغوا) .
- (٣) ورد ذلك عند / اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٣/٢ -
الطبرى : تاريخ الامم ، ١٤/٧ - ابن كثير : البداية
١٦ ، ٢٥٧/٩ .
- (٤) بلنجر : مدينة ببلاد الخزر خلف باب الابواب ، قيل :
كان فتحها على يد عبد الرحمن بن ربيعة ، وقيل :
سلمان بن ربيعة الباهلى . (ياقوت : معجم ، ٤٨٩/١) . =

الا أن غالبيتها ، تسوق ذلك بعد تلك المعركة ، كما أوردناه نحن في سياق الفتوح التي قام بها الجراح بن عبد الله .
 فبعد أن خلس الجراح من فتح يزعوا ، توجه بجنده الى حمن بلنجر ، وكان مشهورا بين حصونهم ، فحاصره ، الا أن جيش الجراح الذي كان عدده بضعة وثلاثين ألفا ، صعب عليه فتح ذلك الحصن ، حيث لجأ أهله الى طريقة دفاعية تمثلت في شد ثلاثمائة عجلة ، بعضها الى بعض ، وأحاطوا بها حصنهم ، لتمنع المسلمين من الوصول اليه ، فازداد حصنهم بها حصانة وازدادوا بها منعة .

فما كان من المسلمين ، الا أن وهب جماعة منهم أنفسهم لله ، وتبايعوا على الموت ، وكسروا جفون سيوفهم ، فحملوا على الحصن ، ولم يثنهم عن الوصول الى ذلك العجل ، وحله ، ما قذفوا به من السهام وما لقيوه من القتال ، فتمكنوا من الوصول اليه ، وقطعوا الحبل الذي شد به العجل ، وجذبوها ، فأنحدرت جميعا ، وهنا دار القتال ، والتحم الفريقان في معركة عظم فيها الأمر على الجميع ، حتى كان النصر حليف المسلمين على أعدائهم الخزر ، فاستولى المسلمون على حصنهم غنوة ، وغنموا ما فيه . وكانت غنائم عظيمة ، أصاب الفارس منها ثلاثمائة دينار ، وكان ذلك الفتح يوم الأحد الثالث من ربيع الأول سنة ١٠٤هـ .

أما صاحب بلنجر ، فقد تمكن من الفرار في خمسين من

= وهذا يعنى أن تلك المناطق كان قد تم فتحها من قبل ، لكن السلطة الإسلامية لم تكن ثابتة فيها ، وتعرضت للزوال ، بفعل انتفاض أهلها كل ما أنصوا من المسلمين ضعفا .

قومه ، فشرى الجراح زوجته وأولاده وخدمه ، وبعث اليه بالآمان ، فرد اليه حصنه وأهله وأمواله ، ليكون صنيعه للمسلمين وعينا لهم على أعدائهم .^(١)

فكان فتح البلنجر ، فتحا مبينا ، كما كان موقف الجراح الحكمي من صاحبه ، بعد نظر سنرى نتائجها الخيرة في سياق الأحداث التالية ، وذلك عندما يخبر المسلمون باتفاق الخزر واجتماعهم على قطع الطريق على المسلمين ، فينقذ المسلمون بذلك من كارثة كادت ان تحل بهم .

مصالحة اهل حصن الوبندر (سنة ١٠٤هـ) :

وامل الجراح الحكمي فتوحاته ، فبعد ان فرغ من أمر بلنجر ، توجه الى حصن الوبندر ، وكان به نحو أربعين ألف بيت من الترك ، وقال ابن خياط : أربعين بيتا . فحاصروهم حتى عظم الأمر عليهم ، فسألوه المخرج ، على مال يؤدونه فقبل منهم . وقيل : بل صالحوه على أن يكونوا معه على الخزر . فعزم بعد ذلك على المسير الى سمندر .^(٢)
^(٣)
^(٤)
^(٥)
^(٦)

-
- (١) عن فتح الجراح الحكمي لحصن بلنجر ، انظر : ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٩-٣٣٠ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٦٢-٢٦٣ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٧/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٨٤/٣ (ذكر ذلك بشيء من الايجاز) .
(٢) لم أعثر له على تعريف .
(٣) نفس المصدر ، ص ٣٣٠ (لكنه لم يصرح باسم الحصن) .
(٤) عن فتح الوبندر . (انظر / ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٦٣ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والصفحة (لكنه حرف الاسم فأورده "الوبيد") .
(٥) ابن خياط : نفس المصدر والصفحة .
(٦) ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد والصفحة .

ارتداد المسلمين الى شكى :

(١) كان الجراح قد اعتزم التوجه الى سمندر بعد فتح حصن الويندر ، الا ان صاحب بلنجر ، قد كتب اليه يخبره باجتماع الخزر لحربه ، وانتفاض اهل البلاد التى سار عنها ، وعزمهم على قطع الطريق على المسلمين ، وينمحه بالاسراع فى العودة قبل ان يتم لهم الامر ، فعاد الجراح مجدداً بجنده ، الا انه فيما يبدو قد اوقع فى طريقه باهل منطقة تسمى "غوميك" ،^(٢) فنصر وغنم وسبى . وواصل ارتداده حتى نزل شكى ، وكان الشتاء قد حل ، فاقام المسلمون بها .^(٣) وقيل : بل قفل الى الشقاء قد حل ، فاقام المسلمون بها .^(٤) وقيل : بل قفل الى شكى ، وشكى جنده ببردعة والبيلقان . وهذا الارتداد ، ليعنى للمؤرخ ، الا ان المسلمين خسروا ماوطنته اقدامهم من البلاد

- (١) سمندر : مدينة خلف باب الابواب ، بارض الخزر ، تبعد عن الباب مسيرة ثمانية ايام ، كانت دار مملكة الخزر فانتقلت مملكتهم الى "اقل" بعد فتح المسلمين لها اول مرة ، التى تقع على مسيرة ثمانية ايام وقيل سبعة ، بعد سمندر . (ياقوت : معجم ، ٢٥٣/٣) .
- (٢) لم اعثر على تعريف لها .
- (٣) ابن قدامة : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٣٣١-٣٣٠ - البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٠٨ . وقد اشار الطبرى الى فتح الحصون التى تلى بلنجر واجلاء اهلها . (انظر : تاريخ الامم ، ١٥/٧) .
- (٤) شكى : ولاية بارمينية ، على نهر الكر قرب تفليس . ياقوت : معجم ، ٣٥٧/٣ .
- (٥) ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٦٣/٤-٢٦٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٧/٤ (وقد اورد اسمها "ملى" . فلم نجد له تعريفاً) - ابن خلدون : العبر ، ٨٤/٣ (اورد الاسم "سبى" تحريفاً) .
- (٦) ابن قدامة : نفس المصدر والمفحة - البلاذرى : نفس المصدر والمفحة - وينفرد ابن خياط بالقول : ان الجراح عاد الى ورشان . (انظر : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٠) .
- (٧) البيلقان : قرية اقليم الران بعد خراب بردعة ، تقع الى جنوب بردعة وشمال نهر الرس . وهى مدينة عظيمة ، طيبة . (كى لسترنج : بلدان ، ص ٢١٢) .

وراء مدينة شكى ، ولعل المكسب الوحيد هو الغنم الذى اصابوه . وان كنا لانعدو الحقيقة ان قلنا ان انتصارات الجراح قد احييت الهيبة الاسلامية فى نفوس الخزر وحلفائهم من الاقوام التركية غرب بحر قزوين ، كما انها مهدت الطريق لفتوحات وانتصارات اخرى .

ولا يغيب عن عين المتفحص ، ان هذه النتيجة تبين بجلاء ، ان الفتوحات الاسلامية فى هذه الجبهة ، كانت تعنى حربا مع عالم كبير ، واقوام لم تقبل دين الاسلام ، ولم يذبطها حكم المسلمين . فقد ظل جل اهلها على دياناتهم القديمة ، ولم يكن خضوعهم للسلطان الاسلامى الا ظاهريا ومؤقتا ، فطالما انتكشوا على المسلمين ، ونقضوا ولاءهم ، بل وهاجموا الممالك الاسلامية ، وحاولوا طرد الفاتحين منها ، كلما تيسر لهم ذلك ، وهكذا بقيت هذه الجبهة الارمينية ومثيلاتها بلاد ماوراء النهر ، منطقة حرب لاتنقطع ومراع لاينتهى ، حتى غزا الاسلام قلوب اهلها ، فثبت سلطان اهلها عليها .

وتشير المصادر الى ان الجراح الحكمى بعد ارتداده ونزوله شكى ، قد كتب الى الخليفة يزيد بن عبد الملك بما فتح الله على يديه ، ذاكرا له اجتماع الخزر لحربه ، كما سألهم المدد . فوعده الخليفة بذلك ، الا ان الاجل قد ادركه قبل انفاذ المدد اليه . ويظهر ان الموقف على الجبهة لم

(١) ابن الاثير : الكامل ، ١٨٧/٤ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٦٣-٢٦٤ - ابن خلدون : العبر ، ٨٤/٣ - صابر دياب ارمنيانية من الفتح الاسلامى حتى مستهل القرن الخامس الهجرى ، ص ٥٠-٥١ (وقد ذكر عظمة الغنائم التى حصل عليها المسلمون ، حتى اصاب كل منهم ثلاثة آلاف دينار ، كما ذكر ان الخليفة يزيد بن عبد الملك ، قد امد الجراح بما طلب . نقلا عن ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة اعلاه ، لكن ابن الاثير قال : وعده فقط)

يكن مطمئنا ، وأن الخطر كان كبيرا باجتماع الخزر على حرب المسلمين ، وانتقاص أهل البلاد عليهم ، مما دفع بالجراح الى الانسحاب ، وطلب العون من الخليفة ، ويبدو أن الخليفة قد أدرك ذلك ، وهو الذى رأيناه جادا فى السيطرة على الموقف فى أرمينية ، عندما بعث جيشا كان هدفه تطهير أرمينية من وجود الأعداء ، ومهاجمتهم فى بلادهم . لذلك بعث الى قائده يعده بالمدد ويقويه .

الموقف فى الجبهة الأرمينية بعد يزيد بن عبد الملك :

حرص الخليفة هشام بن عبد الملك على اكمال مابداه سلفه ، فاقر الجراح على ولاية أرمينية ، وأمده بما يمكنه من ميانة الثغور ، ودفع الأعداء عن ديار الاسلام .^(١)

ونحن بعد ذلك نقف امام غزو آخر ، قام به الجراح الحكمى (سنة ١٠٥هـ) ، على اللان ، حتى تجاوز بلنجر ، ففتح كثيرا من المدن والحصون وراءه ، وأجلى أهل بعضها ، فنصر ،^(٢) وغنم . لكن هذه المصادر لاتحدد الشهر الذى حدثت فيه هذه الغزوة ، مما يحيرنا ، أتمت هذه الغزوة فى عهد الخليفة يزيد ، ام فى زمن خليفته هشام بن عبد الملك . الا أن اخبار بعض المصادر ، عن هجوم قام به الخزر بقيادة ملكهم جابان ،^(٣)

-
- (١) أديب السيد : أرمينية فى التاريخ العربى ، ص ٩١-٩٢ .
 (٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣١ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، م ٣١٥/٢ - الطبرى : تاريخ الأمم ، ٢١/٧ - ابن الأثير : الكامل ، ١٩٣/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٥٩/٩ .
 (٣) ابن خياط : نفس المصدر والمفحة - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٥٧ - الذهبى : تاريخ الاسلام ، ٨٨/٤ - الذهبى : المعبر فى خبر من غبر ، ١٢٨/١ .

(سنة ١٠٥هـ) على أرمينية ، وانتصار الجراح عليهم ، في معركة حدثت في الزم^(١) بين نهري الكر والرس ، وذلك في شهر رمضان من هذا العام ، يجعلنا نقدم احتمال قيام الجراح بفضوه لبلاد اللان ، بعد هجوم الخزر على أرمينية ، أي بعد شهر رمضان (سنة ١٠٥هـ) ، إبان خلافة هشام بن عبد الملك ، حيث كانت وفاة الخليفة يزيد بن عبد الملك في شهر شعبان من سنة ١٠٥هـ ، فنرى أنه بعد ارتداد الجراح إلى شكي ، في أعقاب غزوته التي تمت (سنة ١٠٤هـ) ، قام الخزر الذين اجتمعوا لحربه ، بالهجوم على المسلمين في أرمينية ، فهزموا في الزم ، وعلى أثر هزيمتهم هناك في شهر رمضان (سنة ١٠٥هـ) ، خرج الجراح في حملة تاديبية رادعة ، وتبع الخزر ، وأعاد فتح كثير من البلدان فيما وراء باب الأبواب وبلنجر في أواخر عام ١٠٥هـ . فتكون بذلك غزوة الخزر للديار الإسلامية ، وغزو الجراح لبلادهم مرة ثانية ، واللذان تمتا (سنة ١٠٥هـ) قد حدثتا في خلافة هشام لايزيد بن عبد الملك .

(١) لم أعثر لها على تعريف .

المبحث الثالثالفتوح فى أرض الروم

أبنا الى أى مدى وصلت اليه الفتوحات فى العصر الأموى حتى نهاية عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وأهم منجزات تلك الحقبة ، بما فيها حروبهم مع الدولة البيزنطية ، والفتوحات التى تحققت لهم فى أراضيها^(١) .

ولقد تمثلت الجهود العسكرية التى تمت فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، ضد الروم ، فى تحصين الشغور وشحنها ، وميانة الحدود والدفاع عنها ، والفتح برا عن طريق الموانئ والشواطئ ، وفى ماتم خلال ذلك من فتوحات فى آسيا الصغرى ، والغزو بحرا لجزر الحوض الأوسط والغربى من البحر المتوسط عن طريق افريقية ، وهذا ماسنبينه اثناء عرضنا لتلك الجهود التى سيتضح على ضوءها أن عهد الخليفة يزيد ، كان خاليا من الحملات العسكرية الكبرى ضد البيزنطيين ، وفى معاودة التفكير فى فتح القسطنطينية عاصمتهم العتيقة ، وان كانت الموانئ والشواطئ التى وجهت لآسيا الصغرى ، قد حفلت بكثير من الانتصارات وفتح كثير من المدن والمواقع الرومية ، ولعل السبب وراء عدم التفكير زمنه من محاولة فتح القسطنطينية يعود الى كون عهده لم يكن ببعيد عن آخر محاولة لفتحها ، وهى تلك المحاولة التى تمت فى خلافة سليمان بن عبد الملك . وقد كلفت الدولة الكثير من الرجال والمال . ولم يكن فى

(١) انظر ذلك قبل : التمهيد ، ص ٣٩ .

امكان الدولة ان تتحمل تكاليف الانفاق على حملة مثل تلك الحملة ، وبعد فترة قصيرة من حدوثها ^(١) . والتي من المحتمل ان الدولة فى عهده كانت لاتزال مشغولة بتعويض ما استنزفته من اموال . خصوصا ان بيت مال الدولة كان مثقلا بتحمل الانفاق على الاعمال العسكرية التى زخر بها عهده ، سواء فى مجال القضاء على الفتن الداخلية ، او الفتوح الخارجية . هذا فضلا عن ان الحملات الثلاث التى وجهت الى القسطنطينية قد انتهت بثبوت استحالة قيام البحرية الاسلامية التى لاتزال وليدة ناشئة ، بفتح القسطنطينية وهى على ما هى عليه من حماية الموقع ، وقوة التحمين ، بالاضافة الى ان الدولة البيزنطية لم تكن قد دخلت بعد فترة الضعف والتدهور ، وظلت قائمة بعد ذلك فترة زمنية طويلة ولعل ذلك الراى الذى تقول به بعض المصادر الاسلامية من ان المسلمين اتجهوا الى محاولة فتح القسطنطينية براءء عن طريق الالتفاف اليها من جنوب ^(٢) أوروبا ، وهو ما يفسر انطلاق الفتوحات الاسلامية اول القرن الثانى الهجرى الى أوروبا عبر جبال البركات . اما خلو عهده من الحملات الكبرى ضد الروم ، فيبدو ان وراء ذلك تغير نظام الموانئ والشواطىء ، وجعلها على قسمين صائفة اليمنى ^(٣)

-
- (١) عن الحملة التى وجهها سليمان بن عبد الملك لفتح القسطنطينية ، انظر : هاشم الجاسم : دراسات تاريخية عسكرية ، ص ١٣٨-١٤٠ .
ولقد كان بين المحاولة الثانية (٥٤-٦٠) زمن معاوية ، والثالثة التى تمت زمن سليمان (٩٨هـ) ثمان وثلاثون عاما تقريبا .
- (٢) انظر ما كتبناه قبل عن تفكير المسلمين فى فتح القسطنطينية من الغرب عن طريق أوروبا : التمهيد ، ص ٤٠ .
- (٣) انظر مائطرا على ذلك التنظيم من تغيير قبل : الفصل الرابع ، المبحث الثانى ، ص ٣٤٩-٣٥٠ .

(١) وأخرى يسرى . واستنزاف التحرك الخزرى على الحدود الأرمينية فى زمنه ، جل جهده فى الميدان الشمالى . الى جانب ماطلبه انتقاص الصفد فيما وراء النهر ، واضطراب الأحوال الداخلية من توزيع الجهد والاهتمام . وعطفا على ماذكرناه فليس من الصواب فى شىء القول بتوقف الحملات الإسلامية فى عهده على المواقع البيزنطية ، أو إهمال تلك الجبهة ، وانشغال (٢) الخلافة بالفتن الداخلية حتى كادت جهود الدولة أن تتوقف (٣) تماما ضد الروم ، أو ماغالى فيه فتحى عثمان عندما قال : "فى عهد الخلفاء الأمويين الأقوياء ، توغل العرب داخل (٤) كليسيا وكبادوكيا . ولكن الدولة البيزنطية فى عهد يزيد (٥) الثانى وخلفائه الضعاف استردت المدن التى كان قد احتلها المسلمون" . ولاندرى على أى شىء اعتمد فتحى عثمان فى قوله ، اذ لاتزودنا المصادر والمراجع التى اطلعنا عليها بمعلومات

-
- (١) يظهر أن حدوث هذا التغيير وجعل المائفة على قسمين يمنى ويسرى ، قد بدأ منذ زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز اذ يقول ابن خياط أثناء حديثه عن المائفة فى عهده : "فرقها - يعنى عمر - بين الوليد بن هشام وبين عمرو بن قيس السكوني" . (انظر : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٤) . ومثل هذا التقسيم لانجده عند من سبقه ، بينما نرى استمراريته ووضوحه عند من خلفه .
- (٢) قال ذلك نبيه عاقل فى كتابه : تاريخ خلافة بنى امية ، ص ٣١٨ .
- (٣) سهيل زكار : تاريخ العرب والاسلام ، ص ٢١٩ .
- (٤) فتحى عثمان : الحدود ، ص ٩٩ .
- (٥) نفس المرجع ، ص ٥ .
- (٦) كليسيا وكبادوكيا ، من مناطق الشفور البيزنطية فى آسيا الصغرى ، وهى مناطق كبرى تحتوى على عدد من المدن والحصون ، ومرت هاتين المنطقتين الشفريتين كغيرها من المناطق الشفوية البيزنطية فى آسيا الصغرى بشىء من التنظيم والتغيير عبر عصورها المختلفة . ولمعلومات أوفى حول ذلك ، (انظر / هاشم الجاسم : دراسات تاريخية عسكرية ، ص ١٤-٥٧) .

عما قال ، بل تشير الى فتوحات وانتصارات اسلامية .
 منها ما يصفه ويؤكده وسام فرج بقوله : " اذا كانت
 القسطنطينية قد تم انقاذها بغفل الامبراطور ليو الثالث
 الايسورى فان اجزاء كثيرة من آسيا الصغرى كانت لاتزال تحت
 رحمة اغارت العرب كل عام ، ففي سنة (١٠٤هـ/٧٢٣م) استولى
 العرب على حصن كماخة وعلى بلدة ايكونيون" .^(١)
^(٢)

والغزو الوحيد للروم على الديار الاسلامية زمن يزيد بن
 عبد الملك ، ماذكر من مهاجمة الروم الساحل الممري ،
 ونزولهم تنيس في رمضان (سنة ١٠١هـ) في ولاية بشر بن صفوان
 الكلبي (١٠١ - ١٠٢هـ) ، حيث قتل اميرها مزاحم بن مسلمة^(٤)
^(٥)

-
- (١) دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ،
 ص ١٧٨ . .
 (٢) كماخة : عند ياقوت وكي لسترنج (كمخ) : مدينة بالروم
 على الفرات الغربى في يماره ، على مسيرة يوم أسفل
 ارزنجان ، وهي قلعة عظيمة ، في أسفلها مدينة على الضفة
 النهر ، ومن أعمالها كثير من القرى الخصبة ، وتلغظ
 عند الروم كماغ ، او كمخا . (انظر : معجم البلدان ،
 ٤٧٩/٤ ، وبلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٥١) .
 (٣) ايكونيون او ايكونيوم : هي مدينة قونية ، وقد عرفت
 بهذا الاسم بعد فتح السلاجقة لها ، واتخاذها عاصمة لهم
 (كي لسترنج : نفس المرجع ، ص ١٧٢-١٨١) .
 (٤) تنيس : جزيرة في بحر مصر وبلدة من أجل بلدان مصر ،
 سميت نسبة الى تنيس بن حام بن نوح ، تقع على مقربة
 من البر بين الفرما ودمياط ، وهي جزيرة في وسط بحيرة
 يغفلها شريط برى عن البحر المتوسط ، تحتمل بحيرتها
 بالبحر عن طريق قوهتين . (ياقوت : معجم ، ٥١/٢ - ٥٤ -
 المقرئى : خطط ، ١٧٦/١ - ١٨٢) . وقد اشار للحملة عليها
 زمن يزيد بايجاز) .
 (٥) بشر بن صفوان الكلبي : امير المغرب ، واحد الشجعان
 ذوى الراى والحزم ، ولى مصر ليزيد بن عبد الملك (سنة
 ١٠١هـ) ، ثم وجهه الى اماره افريقية (سنة ١٠٢هـ) ،
 فخرج اليها ، واقام في القيروان وغزا صقلية وغيرها ،
 ومات بالقيروان (سنة ١٠٩هـ) . (الزركلى : الاعلام ،
 ٥٤/٢) .

(١) المرادى فى جماعة من الموالى . ويفيد الخبر الى اشتراك القبط مع المسلمين فى الدفاع عن بلدهم ، كما يفيد أن تلك الحملة وان حققت بعض النجاح الا انها لم تكن الا مجرد غارة خاطفة ، ونوعا من أعمال القرصنة ، أو ردة فعل لهجمات المسلمين الدائمة على ثغور بيزنطة البرية والبحرية . فالواقع أن مصر بعد فتح المسلمين الاسكندرية للمرة الثانية (سنة ٢٥هـ) ، استمرت بمفة دائمة تحت الحكم الاسلامى . لكن الروم لم يسلّموا بضياع مصر ، فحاولوا استعادتها ، وكانت معركة ذات الصواري (٣٤هـ) ، المحاولة الاولى والاكبر لتحقيق ذلك ، لكنها باءت بالفشل ، ومعهم أن نعرف أن من نتائجها ، أنها كانت حدا فاصلا فى سياسة الروم تجاه المسلمين ، وافاقت الامبراطورية البيزنطية على حقيقة أن أى حملات برية أو بحرية لاسترداد مصر أو الشام ، يعتبر مجهود ضائع ومحاولات فات أو انها .

ومع ذلك لم تنقطع الغزوات البحرية الرومية على سواحل مصر والشام ، لكن الطابع الغالب على تلك الهجمات ، طابع القرصنة ورد فعل على الغارات الاسلامية الموجهة الى الممالك

-
- (١) أورد الكندى اسمه : "ابن أحمر بن مسلمة المرادى" . (انظر : كتاب الولاة ، ص ٧٠) .
- (٢) الموالى : يقصد بهم أهل البلد من القبط .
- (٣) سيده اسماعيل كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٧٧ - عليه عبد السميع الجنزورى : هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الاسلامية فى العصور الوسطى ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٤٩ - ٥٠ .
- (٤) عليه عبد السميع الجنزورى : نفس المرجع ، ص ٣٦ .
- (٥) عن معركة ذات الصواري ، انظر : عليه الجنزورى : نفس المرجع ، ص ٣٧ - ٤٤ - عمر العقيللى : خلافة معاوية بن أبى سفيان ، ص ١٠٢ - ١٠٦ .
- (٦) عليه الجنزورى : نفس المرجع ، ص ٣٤ .

(١) الرومية . وماكانت الفارة على تنيس زمن يزيد الا واحدة منها . والراجع ان هذه الحملة ، والحملة التي سبقتها على الاذقية سنة ١٠٠هـ أيام عمر بن عبد العزيز ، كانت رد فعل لغزو المسلمين القسطنطينية زمن سليمان بن عبد الملك .^(٢)

اهتمامه بالثغور :

كان عمر بن عبد العزيز قد أمر ببناء الاذقية التي هدمها الروم ابان اغارتهم عليها (سنة ١٠٠هـ) ، لكنه توفي قبل ان يتم ذلك ، فاتم بناءها وشحنها الخليفة يزيد بن عبد الملك .^(٣) وان كان البلاذري يؤكد اتمام عمر لها ، وان جهد الخليفة يزيد ، اقتصر على ترميمها وزيادة في شحنها . وليس من المنطق ترميم ماتم انشاؤه حديثا ، والاولى ان الخليفة يزيد اتم ماشرع عمر فيه من بناء الاذقية وشحنها . ولانعشر للخليفة يزيد في مجال التحمين على عمل آخر ، مما يبين انه قد اقتصر على اصلاح ماتهدم ، ولعل الموقف في الجبهة وكون المسلمين في دور المهاجم ، وخلو فترته من تحرك بيزنطى على الثغور البرية ، هو ماسرفه عن ذلك . الا أننا نجد له جهدا آخر في ميدان الثغور ، وهو تأمين دروب الغاتحين ، فقد كان

-
- (١) علية الجنزورى : هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية ، ص ٤٤ .
 (٢) اشارت علية الجنزوى الى مثل هذا القول ، (انظر : نفس المرجع ، هامش ١٤ ، ص ٤٩-٥٠) .
 (٣) فتحى عثمان : الحدود ، ص ٩٧ - وان كان هاشم اسماعيل الجاسم يقول : ان يزيد هو الذى أعاد بناءها . (انظر كتابه : دراسات تاريخية عسكرية ، ص ٩٨ . نقلا عن : شعيرة : المرابطون في الثغور البرية الرومية ، بحث في كتاب : الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين) .
 (٤) فتوح البلدان ، ص ١٣٩ .

(١) (٢)
 الطريق بين انطاكية والمميصمة مسبعة ، يعترض الناس فيها
 الاسد ، فلما صادر الخليفة يزيد بن عبد الملك اموال بنى
 المهلب بعد القضاء على يزيد بن المهلب الذى خلع الخليفة
 وخرج على سلطان الدولة ، كان مما اصابه منها ، اربعة آلاف
 جاموسة كانت بكور دجلة وكسكر . فامر الخليفة يزيد بنقلها
 الى المميصمة مع زطها . (٣) (٤)

الحملة البرية ضد الروم :

سنعرض الآن لما تحقق من فتوحات اسلامية زمن الخليفة
 يزيد بن عبد الملك فى الاراضى الرومية ، عن طريق الغزو برا
 بقيادة امراء المواف والشواتى .
 فى (سنة ١٠٢هـ) غزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية
 ارمينية ، فانتصر عليهم ، واسر منهم سبعمائة اسير ، وكان

-
- (١) المميصمة : مدينة تقع على نهر جيحان (نهر بيرامس) ،
 فتحها عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وبنى حصنها
 واسكنها بعض الجند من ذوى الباس والنخوة ، وبنى بها
 مسجدا ، ثم عمرها ابو جعفر المنصور ، واسماها
 المعمورة . (كى لسترنج : بلدان ، ص ١٦٢-١٦٣) . وأضاف
 ياقوت : انها من شغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم
 بالقرب من طرسوس . (انظر : معجم البلدان ، ١٤٤/٥-١٤٥)
 مسبعة : أى تكثر فيها السباع .
 (٢)
 (٣) الزط : جيل اسود من السند ، اليه تنسب الثياب الزطية
 وقيل : الزط امراب جت بالهندية ، وقيل جيل من اهل
 الهند ، وقيل : الزط السباجة قوم بالبصرة . يقول
 الشاعر :

فجئنا بحى وائل وبلغها
 وجاءت تميم زطها والاساور
 انظر : اللسان (زطط) .
 (٤) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٧٢ .

(١)
 آنذاك أميرا على الجزيرة ، قبل أن يلى العراق . ويبدو أن
 هذه الغزوة تمثل المائفة اليمنى ، إذ نجد غزوة أخرى قامت
 فى نفس العام بقيادة الوليد بن هشام ، الى ارض الروم ،
 فنزل على المخاضة عند انطاكية . ويظهر أن هذه الحملة تمثل
 المائفة اليسرى عن طريق الثغور الشامية . لكن المصدر
 الوحيد الذى اشار اليها لم يقدم لنا معلومات عن نتائجها .
 وتشير بعض المصادر الى حملة أخرى قام بها العباس بن
 الوليد على ارض الروم ، سنة ١٠٢هـ ، ايضا ، فافتتح مدينة
 "دبسة" . الا أن فتح عثمان ينقل لنا ترجيح الدكتور شعيرة
 أن هذه الحملة كانت سنة ١٠٣هـ/٧٢١م بحجة أن العباس كان
 مشاركا فى اخراج فتنة ابن المهلب . الا أن القضاء على ابن
 المهلب كان فى صفر (سنة ١٠٢هـ) ، وتشير بعض الروايات الى
 وجود العباس بن الوليد فى حلب فى أعقاب ذلك ، فلا يستبعد أن
 (٨)

-
- (١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٦١٦/٦ - اليعقوبى : تاريخ
 اليعقوبى ، ٣١٤/٢ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٢/٤ (قال
 وأسر منهم خلقا كثيرا وقتل سبعمائة أسير) . ويبدو
 أنه خطأ فى النقل ، فالطبرى قال : وأسر منهم بشرا
 كثيرا قيل سبعمائة فقلت القيل قتل . مجهول : العيون
 ص ٧٥ - فتح عثمان : الحدود ، ص ٩٩-١٠٠ .
- (٢) الوليد بن هشام بن معاوية بن هشام بن عقبة بن أبى
 معيط الأموى ، كان عامل عمر بن عبد العزيز على قنشرين
 وعاش الى دولة مروان بن محمد . (ابن حجر : تهذيب ،
 ١٣٧/١١) .
- (٣) لم أعثر على تعريف للمخاضة ، وانطاكية : مدينة على
 نهر اورنطس ، وهى قصبة الثغور الشامية ، بينها وبين
 حلب يوم وليلة . (ياقوت : معجم ، ٢٦٦/١-٢٧٠) .
- (٤) اليعقوبى : نفس المصدر والجزء والصفحة .
- (٥) لم أعثر لها على تعريف .
- (٦) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٧ - ابن الاثير :
 نفس المصدر والجزء والصفحة (وأورد اسم المدينة
 "دلسه") .
- (٧) نفس المرجع والصفحات .
- (٨) انظر : الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٢ - ابن
 الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٧٥ .

يكون قد خرج غازيا الى ارض الروم فى اواخر ذلك العام خصوصا ان المصادر التى اشارت الى غزوته سنة ١٠٢هـ ، اشارت ايضا الى غزوة اخرى له سنة ١٠٣هـ . اما هدف الحملة (١) فيرجح انه لاريسا ، ويقال سيزا .

واستمر انفاذ الصوائف ، فكان على الصائفة الكبرى (٢) (٣) (٤) (سنة ١٠٣هـ) ، محمد بن مروان ، وعلى الصغرى عثمان بن حيان ولايفيف المصدر شيئا عن تلك الصائفتين ، من حيث الوجهة والنتيجة . ويبدو ان المقصود بالصائفة الكبرى ، الصائفة اليمنى ، وهى التى تخرج من الجزيرة ، والصائفة الصغرى اى اليسرى ، وهى التى تخرج من الشغور الشامية ، حيث ان محمد ابن مروان كان اميرا على الجزيرة ، وفى وصف اليمنى بالكبرى اشارة الى ما اكتسبته الجبهة الارمينية من اهمية

-
- (١) فتحى عثمان : الحدود ، ص ٩٩-١٠٠ . ويتضح ان خلو المعاجم من تعريفات لكثير من المواضع فى آسيا الصغرى يعود الى ايراد المصادر القديمة لاسماء تلك المدن والمواقع بصورتها المعربة ، بينما انتهت اليها معظم هذه الاسماء بعد الفتح التركى على غير هذه الصورة ، الى جانب قلة معرفة المصنفين العرب القدماء بجغرافية آسيا الصغرى ، ومخالفة كثير مما ذكروه للواقع . (انظر هذا القول عند / كى لسترنج : بلدان ، ص ١٦٨) .
- (٢) قال : محمد بن مروان ، والاصح ابنه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الاموى ، اذ كانت وفاة محمد بن مروان سنة ١٠١هـ . (انظر : الزركلى : الاعلام ، ٩٥/٧) . اما مروان بن محمد ، فهو آخر خلفاء بنى امية ، ولد بالجزيرة وتولى امارتها مع اذربيجان وارمينية ، فغزا وفتح ، استولى على الخلافة سنة ١٢٧هـ ، وسقطت الدولة الاموية فى زمنه على يد العباسيين (سنة ١٣٢هـ) ، وقتل فى بومير بمصر . (الزركلى : نفس المرجع والمجلد ، ص ٢٠٨) .
- (٣) عثمان بن حيان بن معبد المرى ، وال من الغزاة ، دمشقى ، استعمله الوليد بن عبد الملك على المدينة ، وعزله سليمان ، تولى الصائفة (سنة ١٠٣هـ) ، وغزا قيصرية (سنة ١٠٤هـ) . ثقة عند اهل الحديث . (الزركلى : نفس المرجع ، ٢٠٥/٤) .
- (٤) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٨ .

فى خلافة يزيد بن عبد الملك ، على اثر التحرك الخزرى ومحاولة الروم استغلال ذلك .

كما غزا العباس بن الوليد فى سنة ١٠٣هـ أيضا ، ارض الروم ، وابن خياط واليعقوبى لم يحددوا وجهة الغزوة ، او مانتج عنها ، وان كان اليعقوبى قد اشار الى اصابة الناس فى السرايا ، وفى ذلك قرينة على فشلها . الا ان هناك من يذكر ان هدفه كان مدينة رسة ، وانه تمكن من فتحها .^(١) ويتضح ان هؤلاء المؤرخين خلطوا بين حملته على ديبه او رسله (سنة ١٠٢هـ) والحملة التى قام بها سنة ١٠٣هـ ، والتى لم يحدد هدفها .

ومن المرجح ان غزوة العباس كانت الشاتية ، لخروج المائفة تحت امرة محمد بن مروان وعثمان بن حيان . مما يدل على ان الخليفة يزيد قد عكف على اخراج اكثر من حملة فى العام الواحد وفى نفس الاتجاه ، ليشغل عدوه بالدفاع عن نفسه ، وليبقى زمام المبادرة بيد المسلمين، ويمنع الروم من الاستفادة من تحرك الخزر او التحالف معهم ضد المسلمين ، وكان قد اعطاهم كثيرا من اهتمامه كما رأينا اثناء عرضنا لفتوحه فى ارمينية .

اما (سنة ١٠٤هـ) فقد تمكن عبد الرحمن بن سليم الكلبي قائد المائفة اليمنى ، وعثمان بن حيان امير المائفة^{(٣) (٤)} اليسرى من فتح مدينة "مسرة" . ويتضح من هذه الحملة ،

(١) تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٨ - تاريخ اليعقوبى ، ٣١٤/٢ .
(٢) الطبرى : تاريخ الامم ، ٦١٩/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٤/٤ - ابن خلدون : العبر ، ١٣٣/٣ .
(٣) لم اعثر لها على تعريف .
(٤) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٣٠ - اليعقوبى : نفس المصدر ٣١٥/٢ (أورد اسم الكلبي ، عبد الرحمن بن سليمان) .

التنسيق القائم بين المائفتين ، واجتماعهما على هدف واحد ، اذا مادعت الحاجة . لذا فمن الغالب على الظن ان هذه المدينة كانت من الحصانة والمنعة بمكان ، مما دفع القائدين على تعاونهما على فتحها . ويتضح ان عثمان بن حيان بعد ان فرغ من فتح سمرقند توجه بجندة الى مدينة قيصرية (١) وهي حصن من حصون الروم ، فتمكن من فتحها في نفس العام . وفي (سنة ١٠٥هـ) ، آخر خلافة يزيد بن عبد الملك ، قامت ثلاث حملات ، وفتحت مدينتي قونية ، وكمخ . فقد غزا مروان بن محمد على المائفة اليمنى ، وافتتح مدينة قونية (٢) من ارض الروم ، وكمخ . وحيث ان المسافة بين المدينتين بعيدة ، كما انهما ليسا في اتجاه واحد ، فكمخ في الشمال بالنسبة للجزيرة ، وقونية في الغرب منها ، في قلب آسيا الصغرى الى الجنوب منه ، على الطريق الى عمورية . مما جعلنا نشك في قيامه بفتحها في حملة واحدة ، فقد يكون خرج من الجزيرة الى كل منهما على حدة في نفس العام . او ان نأخذ بما أورده المؤرخ الاقدم وهو ابن خياط ، الذي اشار الى الغزوة ، لكنه ذكر فتح مروان لمدينة واحدة من ارض الروم ، لم يسمها ، وقال : ناحية عنج . (٣)

- (١) هي المعروفة بقيصرية . (انظر هامش ٤ ، ص ٣٣٠ من تاريخ ابن خياط) . وهي من مدن الروم في آسيا الصغرى . (كي لمترنج : بلدان ، ص ١٦٨) . وتسمى قيسارية ايضا ، وهي مدينة عظيمة كبيرة ، كانت كرسى ملوك بني سلجوق . (ياقوت : معجم ، ٤/٤٢١) .
- (٢) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٣٠ - الزركلي : الاعلام ، ٢٠٥/٤ .
- (٣) ابن الاثير : الكامل ، ٤/١٩٣ .
- (٤) نفس المصدر ، ص ٣٣١ - ووافق ابن خياط في افتتاح مروان لمدينة واحدة ، ابن خلدون في كتابه : العبر ، ٣/١٣٣ ، لم يسمها ، وقال : قريبة من ارض الزوكخ . وهذه لم نعثر لها على تعريف .
- (٥) عنج : لم نعثر لها على تعريف .

وحيث أنا لم نعثر على تعريف لعنج ، فقد يكون يعنى كمخ
مما يعنى ان فتح قونية تم فى غزوة اخرى سابقة لها او لاحقة
من نفس العام (اى ١٠٥هـ) .

(١)
وقد اوردنا لوسام عبد العزيز فرج خبرا يشير فيه الى
فتح كمخ او كماخ سنة ١٠٤هـ ، لا ١٠٥هـ ، مما يزيل الشك ان
صحت روايته ، مع انه ليس من المستبعد ان يكون المسلمون قد
فتحوها سنة ١٠٤هـ ، ثم عادوا لفتحها فى السنة التالية ،
لعودة الروم اليها بعد فتحها الاول .

كما غزا عثمان بن حيان المرى ، بلاد الروم ، سنة
١٠٥هـ ، ايضا . لكن المصادر التى اشارت الى هذه الغزوة لم
تبين هدفها ، وماحقته من نتائج . وان كنا نرى انها
المائة اليسرى ، وذلك عطفًا على ما علمناه من امرته على
تلك المائة فى السنتين السابقتين .

(٢)
وتشير مجموعة من المصادر الى غزوة قام بها سعيد بن
عبد الملك على ارض الروم ، فى العام نفسه ، فبعث سرية من
الف مقاتل ، فاصيبوا جميعا ، وينفرد اليعقوبى ، الذى لم
يذكر شان السرية واصابتها ، بتحويل القائد سعيد بن

-
- (١) انظر قوله قبل : ص ٣٧١ .
(٢) الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، ١٢٨/١ - الذهبى :
تاريخ الاسلام ، ١٤٩/٤ (لكنه صحف نسبه من المرى الى
المزنى) - ابن العماد : شذرات ، ١٢٨/١ (وورد نسبه
مصحفا كما فى تاريخ الاسلام ، والاصح المرى) .
(٣) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٢١/٧ - ابن الاثير : الكامل ،
١٩٣/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٥٩/٩ - ابن
خلدون : العبر ، ١٣٣/٣ .
(٤) سعيد بن عبد الملك بن مروان : امير اموى ، كان حسن
السيرة متعبدا ، كان يقال له سعيد الخير ، ولى الغزو
لهشام بن عبد الملك ، وحولى فلسطين للوليد ، وكان
عاملا للموصل ، وقد قتل يوم نهر ابي فطرس سنة ١٣٢هـ .
(الزركلى : الاعلام ، ٩٨/٣) .
(٥) تاريخ اليعقوبى ، ٣١٥/٢ .

عبد الملك لاتجاهه من أرض الروم الى ناحية الترك ، حتى بلغ
 (١) قصر قطن . ويبدو أن غزوة سعيد بن عبد الملك كانت الشاتية
 فقد سبقه الى الغزو مروان بن محمد وعثمان بن حيان ومعروف
 أن الاول على المائفة اليمنى ، والثانى على اليسرى . مما
 يدفعنا الى ترجيح كونه خرج بالشاتية من الثغور الشامية .
 ويتضح أنه قد سار حتى نزل باحد الثغور الشامية ، فبعث
 سرية الى اتجاه لم تحدده لنا المصادر ، فأصيبوا ، فحول
 اتجاهه الى ناحية الترك . مما يدفعنا الى الشك أن أسباب
 تلك الهزيمة وماحدث لتلك السرية ، قد حصل بفعل برودة
 الشتاء ، أو تدخل الترك وتعاونهم مع الروم مما جعل سعيد
 ابن عبد الملك ، يتتبعهم فى بلادهم ، وأن كنا لانعلم ماذا
 فعل فى غزاته هناك . وأن كان لنا أن نشير أن هذه الغزوات
 التى تمت (سنة ١٠٥هـ) لم تحدد المصادر الشهر الذى خرجت فيه
 مما يجعل من المتعذر التاكيد على حدوثها زمن الخليفة يزيد
 ابن عبد الملك المتوفى فى شعبان سنة ١٠٥هـ ، أو زمن خلفه
 هشام بن عبد الملك .

(٢)
 وقد أورد ابن خياط أن عبد الرحمن بن سليم الكلبى ،
 كان على المائفة حتى مات يزيد بن عبد الملك .
 وفى ضوء معرفتنا بتولى عدد من القادة ومنهم عبد
 الرحمن بن سليم ، الخروج على رأس حملات الموائف والضواحي
 فى عهد الخليفة يزيد ، فأننا نرى أنه كان أمير المائفة

(١) قصر قطن : لم أجد له تعريفا .

(٢) تاريخ ابن خياط ، ص ٢٣٥ .

العام . أو أمير الثغور الشمالية الذي يشرف على انقاذ
الصوائف والشوائب ، ويقود بعضها بنفسه .

الجهاد في البحر الأبيض المتوسط

زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك :

اعتمد المسلمون في افريقية في غزواتهم البحرية للجزر
البيزنطية في وسط وغرب البحر المتوسط ، قبل انشاء دار
لمناعة السفن في تونس - على بن حسان بن النعمان ٧٤ - ٨٥هـ -
على الاسطول المصري ، الذي كان يقوم بغزو تلك الجزر
(١)
والعودة الى قواعده في مصر .

(٢)
وبعد أن أصبح لافريقية أسطولها الخاص ، اتجه المسلمون
الى اتخاذ سياسة بحرية من أهدافها السيطرة على جزر البحر
المتوسط الغربي وعلى رأسها صقلية ، واتخاذها قواعد بحرية
أمامية تحمي السواحل الافريقية من هجمات الروم ، وتنطلق
(٣)
منها الغزوات المنتظمة على الاندلس وغالة .

وقد تابع ولاية افريقية من قبل الخليفة يزيد بن عبد
الملك ، جهود من سبقهم من الأمراء بعد موسى بن نصير - الذي
وجه أول غزوة للأسطول الافريقي سنة ٨٥هـ - في غزو الجزر
البيزنطية في وسط وغرب البحر المتوسط . فقد قام يزيد بن

-
- (١) أحمد مختار العبادي ، والسيد عبد العزيز سالم :
تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط ،
الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ٢٨/٢ - ٣٤ .
(٢) عن بناء دار مناعة السفن في تونس ، ونشأة الاسطول
الإسلامي الافريقي ، (انظر : أحمد العبادي والسيد عبد
العزيز سالم : نفس المرجع والجزء والصفحات) .
(٣) أحمد العبادي والسيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع
والجزء ، ص ٣٥ .

(١) أبى مسلم ، أمير افريقية (١٠١ - ١٠٢هـ) بغزو جزيرة صقلية
(٢)
(سنة ١٠١هـ / ٧١٩م) .

كما وجه من قبله (سنة ١٠٢هـ) القائد محمد بن اوس
(٣)
الانصارى ، فى غزوة بحرية الى صقلية أيضا ، فعادت الحملة
(٤)
سالمة غائمة . وكان محمد بن اوس أمير بحر تونس تلك السنة
وقد مات يزيد بن أبى مسلم عامل الخليفة يزيد على افريقية
آنذاك ، وابن اوس غازيا فى البحر الغزوة المذكورة آنفا ،
ولم تكن اماره ابن اوس للبحر سنة ١٠٢هـ ، وقيادته هذه

(١) يزيد بن دينار الثقفى ، بالولاء ، وال من الدهاة فى
العصر الاموى ، جعله الحجاج كاتباً له ، واستخلفه على
الخراج عند وفاته ، لما ظهر من مزاياه ، فاقره
الوليد ، فعزله سليمان ، وطلبه فاعجبه ، واستبقاه
عنده ، ثم تولى اماره افريقية (سنة ١٠١هـ) من قبل
الخليفة يزيد بن عبد الملك ، فقتله اهلها سنة ١٠٢هـ
(الزركلى : الاعلام ، ١٨٢/٨) .

(٢) محمود اسماعيل عبد الرزاق : الخوارج فى بلاد المغرب ،
حتى منتصف القرن الرابع الهجرى ، رسالة دكتوراه ،
مطبوعة ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، الدار البيضاء ،
الطبعة الاولى ، ١٩٧٦م ، ص ٣٣ .

(٣) محمد بن اوس بن ثابت الانصارى : من التابعين اهل
الفيل والدين والفقه ، يروى عن أبى هريرة ، قيل ولى
افريقية (سنة ٧٣هـ) ، وقيل بل دخلها (سنة ٩٣هـ) .
وغزا المغرب والاندلس مع موسى بن نصير ، وهو ممن دخل
الاندلس للجهاد والرباط ، وكان على بحر تونس (سنة
١٠٢هـ) . وقد وافقه المنية فى نفس السنة . (انظر :
الضبى : بغية الملتصق فى تاريخ رجال الاندلس ،
علمائها وامرائها وشعرائها ، وذوى النباهة فيها ممن
دخل اليها وخرج عنها ، طبع بمطابع روجس ، مدينة
مجريط ، ١٨٨٤م ، ص ٥١ - المراكشى : المعجب فى تلخيص
اخبار المغرب ، تقديم ممدوح حقى ، دار الكتاب ،
الدار البيضاء ، ص ٢٦ - الدباغ : معالم الايمان فى
معرفة اهل القيروان ، تصحيح وتعليق ابراهيم شبوح ،
مكتبة الخانجى ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨م ،
١٩٧-١٩٦/١ .

(٤) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٦ - فوزية محمد عبد
الحميد نوح : البحرية الاسلامية فى بلاد المغرب فى عهد
الانغالبة (١٨٤-٢٩٦) ، رسالة ماجستير ، لم تطبع ،
مقدمة لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ،
كلية الشريعة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٤-١٤٠٥هـ ، ص ٤٨

الحملة هي الاولى ، فقد ولى بحر افريقية قبل ذلك (سنة
(١)

٩٣هـ) ، وشارك في غزو المغرب والاندلس مع موسى بن نصير .

وان كنا لم نعلم بنتيجة الحملة الاولى التي قادها

يزيد بن ابي مسلم بنفسه ، فان خروج الحملة الثانية

ونجاحها يدل على نجاح الاولى ، اما تركيز امير افريقية على

جزيرة مقلية فيعود لاهميتها بالنسبة للروم ، وهي محاولات

منه لضرب تلك القاعدة البيزنطية الهامة ، وتهديدا للاعداء ،

واشغالهم عن مهاجمة الساحل الافريقي .

(٢)

وفي سنة (١٠٢هـ/٧٢٠م) ، اشترك محمد بن يزيد القرشي ،

(٣)

في غزوة أخرى لمقلية .

والقول باشتراكه في غزوة أخرى ، يعنى انه كان في

الاولى . والذي كان قائدا للاولى من قبل ابن ابي مسلم هو

محمد بن اوس ، لذا فان الأرجح لدينا ، ان محمد بن اوس هو

(٤)

الذي خرج مرة ثانية ، لغزو مقلية لامحمد بن يزيد ، اذ يروى

ان محمد بن يزيد كان في سجن يزيد بن ابي مسلم عندما قتل .

(١) احمد العبادي والسيد عبد العزيز سالم : تاريخ
البحرية الاسلامية ، ٣٠٠/٢ .

(٢) محمد بن يزيد القرشي ، بالولاء ، امير افريقيا من قبل
سليمان بن عبد الملك ، عزله عمر ، وقيل تولاه بعد
مقتل يزيد بن ابي مسلم سنة ١٠٢هـ ، أعاده اليها
اهلها ، وأقره الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وكان
عندهم وقيل : كان غازيا بمقلية وقدم . ثم عزل ببشر بن
مفوان ، ت بعد سنة ١٠١هـ . (الزركلي : الاعلام ، ١٤٣/٧)

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير (العصر
الاسلامي) ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦م ،
٢٩٥/٢ (نقلا عن ابن الاثير : الكامل ، ١٨٢/٤ - السلاوي
الاستقراء ، ص ١٠٣) - فوزية نوح : البحرية الاسلامية ،
ص ٣٨ (نقلا عن : السيد عبد العزيز سالم وأحمد العبادي

تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، ص ٣٨) .
(٤) انظر تلك الرواية عند / ابن خياط : تاريخ ابن خياط ،
ص ٣٢٦ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٤٣ - السيد
عبد العزيز سالم : نفس المرجع والجزء ، ص ٢٩٤ .

وان محمد بن أوس كان غازيا لمقلية ، فلما عاد ولى امرة
افريقية بعد ابن أبى مسلم ^(١) ، وان كانت الروايات قد اضطربت
حول ذلك ، فمنها من قال ان الغازى الذى تولى بعد ابن أبى
مسلم هو محمد بن أوس واخرى تقول محمد بن يزيد ، وثالثة
تقول : اسماعيل بن عبد الله ، والاول الأرجح ، لورود الخبر
بمسجن محمد بن يزيد ، وكون محمد بن أوس هو أمير البحر
^(٢)
آنذاك .

أما ولاية بشر بن صفوان على افريقية (١٠٢ - ١٠٩هـ)
فقد كانت حافلة بالغزوات البحرية ، على جزر سردانية
وكورسيكا وصقلية ، وربما يعود ذلك لوصول قائد الاسطول
الاسلامى فى افريقية ، محمد بن أوس الانصارى ، الى منصب ولاية
افريقية ، عندما اختاره أهل الحل والعقد هناك عقب مقتل
ابن أبى مسلم أميرا عليهم (سنة ١٠٢هـ) قبل ان يوليها
الخليفة يزيد بن عبد الملك بشر بن صفوان . وولايته هذه
تعتبر علامة مميزة فى تاريخ البحرية الاسلامية الناشئة فى
افريقية ، اذ وصلت تحت امرته لها مع مطلع القرن الثانى
المجرى ، الى مرحلة الفتوة ، وذلك بعد استيلاء المسلمين
على السواحل البحرية الشرقية فى اسبانية ، وكانت غزواته
سنوية تقريبا ، الح بها على قواعد الروم القريبة ،
^(٣)
لارهابهم ، واشغالهم عن مهاجمة سواحل المغرب .

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٤٨/١ - ٤٩ - حسين مؤنس :
فجر الاندلس ، ص ١٥٩ .
(٢) انظر مناقشتنا لذلك بعد : الفصل الخامس ، ص ٥١٦-٥١٩ .
(٣) الفبى : بغية الملتصم ، ص ٥١ - الدبباغ : معالم
الايمان ، ١٨٩/١ .
(٤) فوزية نوح : البحرية الاسلامية ، ص ٤٨-٤٩ .

ومن غزواته في خلافة يزيد بن عبد الملك ، الحملة التي
 وجهها بقيادة يزيد بن مسروق اليمصبي الى جزيرة سردانية ،
 وذلك في المحرم من (سنة ١٠٣هـ) ، فكان نصيبها النجاح ،
 حيث غنم المسلمون وسلموا .
 كما وجه (سنة ١٠٤هـ) القائد عمرو بن فاتك الكلبي
 لغزو البحر ، فغنم وسلم . وتقول فوزية نوح : أن هذه
 الحملة لانعرف وجهتها ، وربما يكون الاسطول قد غزا فيهما
 سردانية وكورسيكا ، هذا اذا لم يكن قد عرج كذلك في طريقه
 على مقلية .

-
- (١) يزيد بن مسروق اليمصبي : لم أعثر له على ترجمة .
 (٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٨ - فوزية نوح :
 البحرية الاسلامية ، ص ٤٩ .
 (٣) لم أعثر على ترجمته .
 (٤) فوزية نوح : نفس المرجع والصفحة - ابن خياط : نفس
 المرجع ، ص ٣٣٠ .
 (٥) نفس المرجع والصفحة .

المبحث الرابعالفتوح فى بلاد الغال

- (١) تكررت فتوحات المسلمين فى بلاد الغال ، منذ اجتاز
 موسى بن نصير جبال البرقات ، لأول مرة . (٢) (٣)

(١) بلاد الغال (الأرض الكبيرة ، غالة ، فرنسا) : تعنى عند العرب الأرض الواقعة بين جبال البرقات (البرنية) ، وبين جبال الألب والأوقيانوس ، ونهر الباي ومملكة الروم وهذا المفهوم ينطبق على فرنسا أيام شارلمان . وأمامها تحدث بعدة لغات . (شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٥٠-٥١) .

- ويقول السيد عبد العزيز سالم : أن بلاد الغال انقسمت بعد سقوط الدولة الرومانية الى عدة ولايات منها : سبتمانيا ، وأكيتانيا ، وبروفانس ، وبرغنديسة والدولة الميروفنجية شمال نهر اللوار . (انظر : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ١٣٧) . وكان الحكم فيها للدولة الميروفنجية ، فلما ضعفت سيطر فرنج الجنوب على ملك أكيتانية ، وسبتمانية ، ودوقها "أود" وبقي بيدي القوط الغربيين قسم من مقاطعة لانغدوق وبروفانس . (شكيب أرسلان : نفس المرجع ، ص ٦٩، ٣٣) .
- (٢) يقول محمد عبد الله عنان : أن بعض الكتاب يسمى جبال البرنيه خطأ بجبال البرانس ، حيث أن جبال البرنيه تسمى فى الجغرافيا العربية بجبال البرت أو البرقات ، تحريفا عن الإسبانية (Puerta) ، ومعناها الباب ، وسميت هذه الجبال بهذا الاسم لأنها تحتوى على خمسة أبواب أو ممرات للمعبر . أما جبال البرانس فهى سلسلة أخرى من الجبال الإسبانية تقع شرقى ماردة وجنوبى طليطلة ، وسميت بذلك نسبة لقبيلة البرانس البربرية التى نزلت فى الأندلس على مقربة من هذه الجبال ، وتعرف فى الجغرافيا الحديثة بجبال المعدن ، لوقوعها بالقرب من مدينة المعدن . (انظر : دولة الاسلام ، هامش (١) ، ص ٨٢ ، وهامش (١) ، ص ٥٣) - وانظر ما أورده عبد الرحمن على الحجى ، حول التعريف بها ، وأسماء الممرات التى تخترقها ، فى كتابه : التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م) ، دار القلم ، دمشق ، بيروت ، دار القلم ، الكويت ، الرياض ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، ص ٩٦-٩٨ .
- (٣) انظر اشارتنا الى ماذكر حول اجتياز موسى بن نصير الى بلاد الغال فاتحا ، وأهدافه ، قبل : الحميد ، ص ٤٠ .

وقد شهد عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، حملة من أهم الحملات التي قام بها المسلمون لفتح بلاد الغال عن طريق الأندلس ، وهي الغزوة التي قادها السمع بن مالك الخولاني (١٠١ - ١٠٢هـ) ، إلى تلك الأصقاع .

كما تم الإعداد في عهده لحملة لاتقل أهمية عن سابقتها وهي التي قادها عنبة بن سحيم الكلبي ، إلى تلك الاقطار ولنفس الغرض .

(١) فتوحات السمع بن مالك الخولاني في بلاد الغال :

من المتفق عليه أن ولاية السمع بن مالك (رمضان ١٠٠هـ - ذي الحجة ١٠٢هـ) ، قد جاءت من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز ، واستمرت باقرار الخليفة يزيد بن عبد الملك ، منذ توليه في رجب (سنة ١٠١هـ) ، حتى استشهاد السمع بن مالك في (١) (ذي الحجة ١٠٢هـ) .

غير أن المختلف عليه والمشوب بالغموض هو تاريخ خروج السمع بن مالك بحملته وهل كان ذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز ، أم كان في زمن خليفته يزيد بن عبد الملك . إذ لم تمدنا المصادر والمراجع التي تمكنا من الاطلاع عليها بتاريخ دقيق لخروج هذه الحملة .

(٢) فمحمد عبد الله عنان ، يؤرخ لزحف السمع على لانجدوك

(١) من أجل ولاية السمع بن مالك على الأندلس : انظر : ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢/٢٦ - حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ١٢٥-١٤٠ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ١٣٤-١٣٥ - محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٧٤ - محمد زيتون : المسلمون في المغرب والأندلس ، ص ١٩٦ .

(٢) دولة الاسلام ، ص ٧٥-٧٦ .

(سبثما نيا) باواخر (سنة ٧١٩م) أى (أوائل سنة ١٠١هـ) وهذا
يعنى خروجها فى أواخر خلافة عمر بن عبد العزيز ، بينما نجد
شكيب أرسلان يؤرخ لخروج حملة السمح بن مالك الخولانى بقوله^(١)
كان ذلك (سنة ٧٢١م) أى (١٠٢هـ) ، فى خلافة يزيد بن عبد
الملك بعد أن مضى على فتح الأندلس إحدى عشر سنة لاغير .
كما سنرى الاختلاف على التاريخ لفتح مدينة أربونة ،^(٢)
وهى أول مدينة تواجه الفاتحين بعد عبورهم جبال البرقات
وأول مدينة فتحها السمح فى حملته تلك بعد عبور البرقات .
فقد كنا عولنا على تاريخ فتحها فى حالة الإجماع عليه ،
للتاريخ لبداية الحملة .

وسعيا منا للوصول الى الحقيقة ، عمدنا الى تاريخ
استشهاد السمح ونهاية حملته ، وإلى تاريخ خلافة يزيد بن
عبد الملك ، ومنطق الأحداث وسمات الفترة ، فى محاولة
لترجيح أصوب الآراء ، والوصول الى حقيقة ذلك التاريخ أو
ماقارب الحقيقة على الأقل .

فإذا ما أخذنا فى الاعتبار أن استشهاد السمح بن مالك^(٣)
ونهاية حملته كان فى التاسع من ذى الحجة (سنة ١٠٢هـ) .

-
- (١) غزوات العرب ، ص ٨٥ .
(٢) أربونة : كانت أهم حاضرة فرنسية جوار إسبانيا ، وهى
أول مدينة تستقبل الخارج من إسبانيا ، تقع على
ارتفاع عشرة أمصار عن سطح البحر ، وعلى مسافة ١٤ كم
منه الى الشرق ، يمر بالقرب منها نهر الأود ، ويمر
بها جدول له اسمه "روبين" . وأربونة من أقدم مدن
الأرض ، وقد تعاقب على ملكها عدد من الأمم ، من أسبقهم
السليتون من القرن (١٢ ق.م) ، وآخرهم قبل المسلمين
القوط . (شكيب أرسلان : نفس المرجع ، ص ٨٦-٨٧) .
وقال ياقوت : بلد فى طرف الشجر من أرض الأندلس ، بينها
وبين قرطبة ألف ميل . (انظر : معجم ، ١/١٤٠) .
(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢/٢٦ - حسين مؤنس : فجر
الأندلس ، ص ١٤٠ - خليل السامرائى : الشجر الأعلى ، ص ١٢٥ .

وان قيامها كان فى اواخر خلافة عمر ، فهذا يعنى انها استغرقت ماينيف على العام والذمف ، وهى فترة زمنية كبيرة اذا ماقيست بالانجازات التى تحققت ابانها مع عظمتها ، خصوصا اذا ماوجدنا من يقول أن السمع قد توجه نحو طولوشة التى استشهد بالقرب منها فى ربيع سنة ١٠٢هـ ، حيث أن ذلك يشككنا فى أن يكون السمع قد قفى الوقت الذى سبق خروجه الى طولوشة فى فتح أربونة وماحولها . وتنظيم الامر هناك .

كما أن الناظر الى مقام به السمع فى بداية ولايته من تنظيمات ادارية ومالية ، ومنشآت عمرانية ، واصلاحات داخلية، وجهود عسكرية استهدفت القضاء على الفتن الداخلية كاخماده لحركة العصاة المسيحيين فى المناطق الشمالية . يراها كفيلة بشغل الفترة التى قضاها السمع كامير للاندلس فى

-
- (١) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٤٠ .
 (٢) قام السمع بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز بفتح الاندلس واخراج الخمس ، والكتابة الى الخليفة بصفتها (انظر : ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢/٢٦ - ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، دار الكتاب الممري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ص ٣٨ - المقرئ : نفح ، ٤/١٣-١٤ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ١٣٥ .
 (٣) من ذلك بناء قنطرة قرطبة ، وسورها ، ومقبرتها ، وجامع سرقسطة ، وغير ذلك . (انظر / مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الاندلس وذكر أمرائها ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، نشر دار الكتاب الممري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص ٣٠-٣١) وقد أشار أن بناءها تم سنة ١٠١هـ ، مما يقوى ماسنذهب اليه من القول أن حملة السمع كانت فى خلافة يزيد لاعمر) - حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ١٣٩ - محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والاندلس ، ص ١٩٧ .
 (٤) المراكشى : المعجب ، ص ٢٤ - محمد زيتون : نفس المرجع ، ص ١٩٦-١٩٧ - خالد الموفى : تاريخ العرب فى الاندلس ، ص ٢٠٩ .
 (٥) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، ص ٧٥-٧٦ .

اواخر خلافة عمر بن عبد العزيز ، خصوصا ان معظم تلك الاعمال جاء الامر بها من الخليفة عمر الى السمع وبدا في تنفيذها (١) (سنة ١٠١هـ) . بل قيل ان جابر مولى عمر والذي وكل بمهمة مسح الاندلس ، جاءه الخبر بموت الخليفة عمر وهو لم يفرغ من تخميس ارض الاندلس . (٢)

اما منطق الاحداث ، وسمة سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فانها تصوره غير راغب في التوسع ، مقدما اصلاح الداخلى ، ونشر الاسلام بين رعايا الدولة ، مع المحافظة على ديار الاسلام وعزة اهله ، على ذلك . وعلى وجه الخصوص سياسته نحو الاندلس ، فان المصادر تشير الى تفكير الخليفة عمر في نقل المسلمين من الاندلس واخراجهم منها ، لبعدهم وانقطاعهم عن المسلمين ، فعدل عن ذلك بعد علمه بقوتهم ومنعتهم فيها . فليس لنا بعد معرفة موقف عمر هذا ، وسياسته الحربية المتمثلة في ايقاف الفتوح عند الحدود التى وصلت اليها مع المحافظة عليها . ان نقول بخروج السمع بتلك الحملة الكبرى لفتح بلاد الغال فى زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز ، او دون علمه وادنه .

وهذا بالتالى يدفعنا الى ترجيح قيام السمع بن مالك بحملته فى بداية خلافة يزيد بن عبد الملك ، الذى اتسم عهده

-
- (١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢/٢٦ - مجهول : اخبار مجموعة ، ص ٣٠-٣١ .
 (٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٣٨ .
 (٣) ابن عذارى : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن القوطية : نفس المصدر والصفحة (قال : انه كتب بذلك الى السمع ، فاخبره بقوة المسلمين وكثرة مدائنهم ، وشرف معاقلهم) - مجهول : نفس المصدر ، ص ٣٠ - المقرئ : نفح ، ١٤/٤ .

بالعودة الى سياسة التوسع وتجديد عملية الفتوح ، ولانستبعد أن يكون السمح قد بعث الى الخليفة الجديد ببيعة اهل الاندلس ، واستأذنه في استئناف الفتح في بلاد الغال ، فاذن له ، وكانت حملته الشهيرة التي استشهد على أثرها .

وعليه فمن المرجح أن يكون السمح قد قضى على حركة أخيلا بن غيطشة في طركونة^(١) ، وهو في طريقه الى بلاد الغال ، ابان خلافة يزيد بن عبد الملك ، ويغلب أن يكون السمح قد قضى عليها بمن سار معه من قرطبة ، وقبل الوصول الى برشلونة ، التي اتخذها قاعدة تجمع ، اجتمع له فيها الجيش الاسلامي من نواحي الاندلس الاخرى ، اذ أن طركونة تقع في طريق برشلونة للقادم من قرطبة .

وبعد هذه المناقشة لتحديد بداية الحملة التي قام بها السمح بن مالك لفتح بلاد الغال ، نقوم بعرض لاهم أحداثها وماحققته من فتح ونتائج ، ولعل في ذلك تفسيراً أوضح لما ذهبنا اليه .

حملة السمح بن مالك على بلاد الغال :

مهد السمح بن مالك لغزوه ماوراء البرقات ، بتوجيه البعوث والسرايا الى بلاد الغال ، خلال انشغاله بالتنظيمات التي قام بها في الاندلس .^(٢) ويبدو انه أراد بذلك تبين احوال

(١) من أجل قضاؤه على حركة أخيلا في طركونة ، (انظر ماكتبناه عن تلك الحركة قبل : الفصل الثاني ، المبحث الخامس ، ص ٢٦١-٢٦٢) .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، ص ١٣٥ .

تلك البلاد وقوة أهلها ، الى جانب احياء روح الجهاد فى نفوس الجند وجعلها ميدانا لتدريبهم واكسابهم الخبرة .

لقد كان السمع رجلا قوى الايمان جم النشاط ، من خيار اهل زمانه ثقة وعدالة ، توفرت فيه الحكمة والخبرة والعقل فاجتمع عليه الناس ورفضوا به ، مما ساعده على القبض على زمام الامور بكل حزم ، فقمع الفتن واصلح الامور المالية والادارية والعسكرية فى ولايته .^(١)

وكانت ولايته تجديدا للغزو واستئنافا للفتح فيما وراء البرقات ، فانه ماكاد يخلص من مهمة التنظيم والاصلاح ، حتى هب لتوطيد سلطان الخلافة فى الولايات الشمالية ، وحرب الاعداء فيما وراء البرقات .^(٢)

لقد اتخذ السمع بن مالك من مدينة برشلونة قاعدة لتجمع الجيش الاسلامى ، المتوجه لفتح بلاد الغال ، وكان اختياره لها قاعدة لاعماله الحربية موفقا ، وذلك لموقعها البحرى وصلاحيه مينائها لرسو السفن ، مما يسهل ارسال الامدادات العسكرية منها عن طريق البحر الى الساحل الجنوبى لبلاد الغال ، وبالاخص مدينة اربونة التى ستكون بعد فتحها

(١) المراكشى : المعجب ، ص ٢٤ - حسين مؤنس : فجر الاندلس ص ٢٤٦-٢٤٧ - محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، ص ٧٤ - خالد الصوفى : تاريخ العرب فى الاندلس ، ص ٢٠٩ .

(٢) محمد عنان : نفس المرجع ، ص ٧٥-٧٦ . (وانظر جهوده فى اخماد الحركات التمردية فى الشمال ، قبل : الفصل الثانى ، المبحث الرابع ، ص ٢٥٤-٢٥٥ ، والمبحث الخامس ، ص ٢٦١ .

(٣) حسين مؤنس : نفس المرجع والمفحة .

(٤) برشلونة : قال ياقوت "برشليانة" بلدة بالاندلس من اقالييم لبلة (انظر : معجم البلدان ، ١/٣٨٤) . وهى مدينة على الساحل الشرقى لاندلس فى الشمال منه بالقرب من جبال البرقات .

قاعدة اسلامية متقدمة فيما وراء البرتات ، كما أن قربها من ممرات جبال البرتات ، وخاصة ممر "باربينيان" الموصل بين برشلونة واربونة ، والذي سارت منه جيوش الاسلام الفاتحة الى بلاد الغال ، يدل على حسن اختياره وبعد نظره .^(١)

وفى اوائل خلافة يزيد بن عبد الملك زحف السمح بن مالك من برشلونة ، فى جيش كبير ضم جماعة من وجوه اهل الاندلس ، قادة وزعماء ، مخترقا جبال البرتات من الشرق ناحية روسيون وعبر ممر باربينيان ، حتى اشرف على سبتمانيا من بلاد الغال وظل يتقدم بجيشه حتى وصل الى مدينة اربونة ، ففرض عليها الحصار ، وتمكن من فتحها بعد ثمانية وعشرين يوما . ويببدو^(٢) ان الاستيلاء عليها كان عتوه ، ان يقول شكيب ارسلان : فقتل^(٣) - يعنى السمح - رجالها وسبى نساءها واطفالها .^(٤)

ونظرا لاهميتها المتمثلة فى استراتيجية موقعها

- (١) خليل السامرائى : الثغر الاعلى ، ص ١٢٥ .
- (٢) سبتمانيا : اقرب ولايات غالة ناحية الاندلس ، وتشتمل على سبعة مدن هى : اربونة ، ونيمه ، وآجد ، وبيزييه ولوديف ، وقرقشونة ، ومجلون ، واربونة عاصمتها ، وقد كانت تابعة للقوط الغربيين . (السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ١٣٧) .
- (٣) ارخ محمد عنان لزحف السمح على سبتمانيا ب (اواخر سنة ٧١٩م/اى اوائل سنة ١٠١هـ) . انظر : دولة الاسلام ، ص ٧٦-٧٥ . وعن التاريخ لبداية هذه الحملة . (انظر : قبل ، ص ٣٨٧-٣٨٨) .
- (٤) عن مسير السمح بجيشه حتى وصوله اربونة ، (انظر : محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٧٦-٧٥ - خليل السامرائى نفس المرجع والمفحة - شكيب ارسلان : غزوات العرب ، ص ٨٥ - محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والاندلس ، ص ١٩٧-١٩٨) .
- (٥) لم نستطع الوصول الى تاريخ محدد لخروج الحملة ، او وصولها اربونة . ولكننا رجحنا حدوث ذلك اوائل خلافة يزيد بن عبد الملك . (انظر مناقشتنا لذلك قبل : ص ٣٩٠) .
- (٦) نفس المرجع ، ص ٨٥-٨٨ .

الجغرافى ومواقبتها للبحر ، مما يسهل وصول الامدادات اليها بحرا من موانئ الاندلس الشرقية ، الى جانب منعتها الطبيعية من جهة البر وقربها من الديار الاسلامية فى الاندلس ، اتخذها السمع بن مالك قاعدة (مسلحة) للمسلمين فى بلاد الغال ،^(١) فحصنها وشحنها بالميرة ، كما وضع حاميات اسلامية فى المدن المجاورة لها ، بعد فتحها . وتمشيا مع عادة المسلمين فى بناء الابراج والحصون على قمم الجبال ، لاستخدامها فى المراقبة والانذار ، حيث كانت المسلمين توقد بها النيران ليلا ، اعلاما بهجوم الاعداء ، ووقوع الحرب ، مما يترتب عليه جمع القوى وتوجيه الامدادات ، قام السمع بن مالك ببناء بعض الحصون والابراج على الساحل الجنوبى لبلاد الغال .^(٢)

وهكذا أصبحت برشلونة قاعدة جنوبية داخلية لتجمع القوات الاسلامية الآتية من سائر الاقاليم الاندلسية ، ومنها تسير الى القاعدة الشمالية اربونة ، والتي أضحت بعد فتحها وتحصينها اقصى ثغور الاسلام ، والقاعدة الاسلامية المتقدمة التى تخرج منها جيوش الاسلام الفاتحة ، الى اقاليم بلاد الغال المختلفة .^(٣)

-
- (١) دلى شكيب أرسلان على منعة اربونة الاسلامية ، بممودها بعد فتحها وصورتها شغرا اسلاميا ، امام حصار شارل مارتل (سنة ٧٣٢م / ١١٣-١١٤هـ) ، وحصار بيبين القمير (سنة ٧٥٢م / ١٣٤-١٣٥هـ) . حتى تمكن شارلمان منها (سنة ٧٥٩م / ١٤١-١٤٢هـ) بعد أن شار أهلها على الحامية الاسلامية لطول الحصار الذى استمر سبع سنوات . (انظر : غزوات العرب ، ص ٨٨) . وفى ذلك اشارة على ما صنعه المسلمون فيها من تحصينات وترتيبات عسكرية .
- (٢) شكيب أرسلان : نفس المرجع ، ص ٨٥-٨٨ .
- (٣) شكيب أرسلان : نفس المرجع ، ص ٢٩٧-٢٩٨ .
- (٤) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٢٩٣-٢٩٤ - خليل المامرائى : الثغر الأعلى ، ص ١٢٥-١٢٦ .

وبعد أن حصن السمح أربونة وشحنها ، خرج بجندة فاتحا
 لمدن وحصون اقليم سبتمانيا التابع للقوط الغربيين ،
 فاستولى على قرقشونة ، وماصادفه غيرها من مدن ذلك الاقليم^(١)
 وحصونه ، مثل بيزى وماجلون ، وقد عرفت الاخيرة باسم "ثغر^(٢)
 المسلمين" . فيبدو أن المسلمين اتخذوها قاعدة فحمنوها^(٣)
 وجعلوا بها قوة عسكرية ، وقد تمكن السمح أثناء اجتياحه
 لجنوب بلاد الفال ، من التغلب على كل القوى التى قاومته^(٤)
 وتمدت لزعفه حتى اتم فتح جميع نواحي سبتمانيا .^(٥)
 وقد أرخ محمد عنان لفتوح السمح فى سبتمانية ب (سنة^(٦)
 ١٠١١هـ/٧٢٠م) . ويشير حسين مؤنس الى قيام السمح بالزحف على

-
- (١) قرقشونة : مدينة فى غاله على نهر الأود . (شكيب أرسلان
 غزوات العرب ، ص ٢٨-٢٩) . ويقول ياقوت : انها مدينة
 غزاها موسى بن نصير ، حين افتتح الأندلس ، وفيها
 الكنيسة العظيمة عندهم المسماة "ثنت مارية" . (انظر:
 معجم البلدان ، ٣٢٨/٤) .
- (٢) بيزى وماجلون : من المدن السبتمانية ، (انظر ذلك
 قبل : هامش ص ٢٩٣) .
- (٣) يجعل بعض المؤرخين كإبراهيم على طرخان فتح السمح
 لهذه المدن وهو فى طريقه الى طولوشة ، وهذا يتنافى
 مع منطق الأحداث ، إذ سرى السمح ينظم أمور سبتمانية
 الادارية والمالية ويجعل لها حكومة مقرها أربونة ،
 قبل توجهه الى طولوشة عاصمة اكيثانية ، مما يعنى أنه
 فتح سبتمانيا أولا فنظم أمورها ، ثم اتجه الى
 اكيثانية . انظر : المسلمون فى أوروبا فى العصور
 الوسطى ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٦م ،
 ص ١٠٢-١٠٣) .
- (٤) عن فتوح السمح فى سبتمانية ، (انظر : محمد عبد الله
 عنان : دولة الاسلام ، ص ٧٥-٧٦ - حسين مؤنس : فجر
 الأندلس ، ص ٢٤٦-٢٤٧، ٢٩٣-٢٩٤ - محمد زيتون : المسلمون
 فى المغرب والأندلس ، ص ١٩٧-١٩٨) .
- (٥) نفس المرجع والصفحات .
- (٦) نفس المرجع ، ص ٢٩٣-٢٩٤ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ
 الاسلام ، ٣٢٠/١) .

(١)
اقليم بروفانس ، وايغاله شرق الردانة ، بل ووصله شمالا
الى مدينة ليون عاصمة اقليم برغنديا .
(٢)

ويبدو ان هذا الزحف على بروفانس وبرغنديا كان مجرد
اغارات سريعة ، هدفها التهديد ، لئلا يفكر اهلها في الهجوم
على المسلمين في سبتمانيا ، او التحالف مع اهل اكيثانية ،
والتي كان السمع يعتزم فتحها ، وذلك انما لم نجد اشرا يدل
على محاولة المسلمين تثبيت اقدامهم في هذين الاقليمين ،
سوى بعض الحصون الساحلية جنوب البروفانس ، مما يدل على ان
السمع استهدف من هذا الزحف تامين وجود المسلمين في
سبتمانيا من الناحية الشرقية ، باقامة هذه الحصون وارهاب
من ورائها شرقا وشمالا .

ولاشك ان السمع قد فقد جزءا من جنده ابان تلك الحروب
كما ترك بعضا منهم كحاميات اسلامية في المدن والحصون التي
افتتحها ، حفاظا عليها وبقاء للسيادة الاسلامية فيها . ومن
الواضح ان السمع بعد ذلك الجهد العسكري الكبير ، قد عاد
الى اربونة لأخذ قسط من الراحة ، واعداداً للجولة الثانية
من فتوحه ، كما كان عليه تنظيم امر سبتمانية بعد ان اتم
فتحها .

-
- (١) بروفانس : اقليم يقع الى الشمال الشرقي من سبتمانيا
على وادي ردونه (نهر الرون) ، وعاصمته مدينة
"أبينيون" . (السيد عبد العزيز سالم : تاريخ
المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ١٣٧) .
(٢) برغنديا : اقليم يقع غربى نهر الرون ، وعاصمته مدينة
لودون (ليون) . (السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع
والصفحة) .
(٣) محمد زيتون : المسلمون في المغرب والأندلس ، ص ١٩٧ -
١٩٨ .

تنظيمات السمع فى سبتمانية :

عمل السمع بن مالك على تنظيم الامور الادارية والمالية لاقليم سبتمانية ، فوزع الاراضى بين المسلمين واهالى البلاد الاصليين^(١) ، وفرض الجزية على النصارى ، وترك لهم الحرية الدينية ، والاحتكام الى شرائعهم . كما اقام بها حكومة اسلامية ، تتولى شئونها وترعى مصالحها . وهذه الاجراءات ، تبين بلاشك عزم المسلمين على البقاء ، وان فتوحهم لم تكن غارات خاطفة سرعان ما يعودون بعدها الى الاندلس ، بل فتح اسلامى منظم يستهدف فتح ديار الكفر وجعلها اسلامية ، تعلق بها كلمة الله ويطبق بها شرعه . فالسمع اراد بذلك تثبيت اقدام الفاتحين فى البلاد التى استولوا عليها ، واطفاء المبغضة الاسلامية عليها ، الى جانب اتخاذها قاعدة عسكرية ومرتكزا يلجأ اليه بعد الله وقت الحاجة ، مما يبين حنكة السمع وخبرته .

غزو السمع اقليم اكيثانية :

ما ان فرغ السمع بن مالك من فتح اقليم سبتمانية وتنظيم اموره ، حتى اتجه بجيشه غربا نحو مجرى نهر الجارون

(١) تلك سياسة اتبعها الخليفة عمر بن عبد العزيز فى الاندلس ، استهدفت تثبيت جذور المسلمين ، وتعريب الاقاليم المفتوحة ، وايجاد مصالح للمسلمين فيه . (نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى أمية ، ص ٢٩٠) . ويتضح أن السمع الذى نفذها لعمر بن عبد العزيز فى الاندلس ، عمل على تطبيقها فى غالة فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك . (انظر : مناقشتنا لهذه السياسة فى شيء من التوسع ، بعد : الفصل الخامس ، المبحث الثانى ، ص ٥٨٥ وما بعدها) .

(٢) محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٨١ - عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى ، ص ١٨٧ .

قامدا اقليم اكيثانية (أكوتين) ، وبالذات عاصمتها مدينة
 طولوشة^(١) . واتجاه السمع هذا يعنى ان غزوه موجه الى مملكة
 الفرنج ، وان كان الدوق "أودو" أمير اكيثانية قد استقل^(٢)
 بها عند ضعف الملوك الميروفنجيين . وفى طريقه تمدي لزحفه^(٣)
 سكان تلك الانحاء من البشكنس والفسقونييين ، ولقى منهم اشد
 المقاومة ، لكنه تمكن من تمزيق جموعهم والانتصار عليهم ،
 فقمده طولوشة ، وفى طريقه اليها فتح مدينة طرسكونة^(٤) . ثم

- (١) طولوشة : (وتنطق تولوشة ، طولوزه ، تولوز) اخذت شكلها كمدينة فى عهد الرومان ، ثم صارت قاعدة مملكة التكتوارجيين ومركز علم وصناعة ، وبعد سقوط سلطنة روما صارت عاصمة لملوك القوط فى القرن الخامس الميلادى ، ثم أصبحت مركزا لدوقية اكيثانية فى القرن السابع والثامن ، ثم صارت كونتية مستقلة ، ولم تنضم الى مملكة فرنسا الا سنة ١٢٧١م . وقد كان غزو السمع لها لمضى احد عشر سنة على دخول العرب الاندلس . (شكيب ارسلان : غزوات العرب ، ص ٢٧-٢٨-٩٥) .
- لكن عبد الرحمن الحجى ، يجعل عاصمة اكيثانية مدينة برذيل (بورديو) . (انظر : التاريخ الاندلسى ، ص ٢٠٤-٢٠٥) . الا ان شكيب ارسلان يخالفه فى ذلك ، فيقول : ان مدينة بورديو التى يسميها العرب "بورديل" وهى مدينة غرب فرنسه ، هى قاعدة مقاطعة "الجيروند" التى كان العرب يقولون لها "جيونده" . (انظر : نفس المرجع هامش ٣ ، ص ١١٧-١١٨) .
- (٢) كان "أودو" دوق اكيثانية ، واحد افراد الاسرة الميروفنجية ، أقوى أمراء الفرنج فى غاليا واشدهم بأسا ، استقل باكيثانية أثناء الاضطراب الذى ساد مملكة الفرنج ، وبسط حكمه على جميع بلاد الغال الجنوبية من اللوار الى البرشات ، والتف حوله الفرنج والبشكنس (النافاريون) واخذ يعد نفسه لانتزاع ملك أسرته من شارل مارتل ، المتغلب عليه . لكن غزو المسلمين شغله عن مشروعه ، وانصرف لردهم عن أملاكه . (محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٨٠-٨١) .
- (٣) خالد الصوفى : تاريخ العرب فى الاندلس ، ص ٢١٤ .
- (٤) طرسكونة : لم أعثر لها على تعريف . ومن قول حسين مؤنس : يتضح أنها على مقربة من طولوشة ، عند مصب نهر الرون . (انظر : فجر الاندلس ، هامش ص ٢٤٧) .

استمر في زحفه حتى نزل على طولوشة ف ضرب السمع عليها
الحصار ، وجد في قتال أهلها ، مستخدما المنجنيق وسائر آلات
الحصار ، حتى أوشك أهلها على التسليم . لكن الأمير أودو هب
لإنقاذ المدينة ، ففك المسلمون عنها الحصار والتفتوا لقتال^(١)
أودو وجيشه .^(٢)

معركة طولوشة :

روعت فتوحات السمع بن مالك في سبتمانيا ، الأمير أودو
دوق اكيثانية ، الذي كان متجنباً مجابهة المسلمين مادامت
غاراتهم بعيدة عن أمارته ، لكن الأمر بدا له مخيفاً ،
فالقائد المسلم لم تكن فتوحاته غارات خاطفة تستهدف تهديد
العدو واضعاف قوته ، أو لاهداف مادية ، بل إن أودو وجد
نفسه أمام قائد يوطد للمسلمين مافتحه ، وينظم ما استولى
عليه . ويحمي مكتسباته بما يكفل ديمومة السلطان الإسلامي
فيها ، ويهيئها لتكون مرتكزا يلوذون به عند الحاجة ،
وقاعدة ينطلقون منها إلى ماوراءها . بل إن السمع اتبع
سياسة توطين المسلمين في البلاد التي تم فتحها . فقد جاز

(١) ينفرد أحمد العبادي بالقول : أن المسلمين فتحوا
مدينة طولوشة ، ثم توغلوا بقيادة السمع في إقليم
اكيثانية . (انظر : تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٨٧) .
(٢) من أجل زحف السمع على اكيثانية ، وفتحه طرسكونة ،
وحصاره طولوشة . (انظر / حسين مؤنس : فجر الاندلس ،
ص ٢٤٧ - محمد عبد الله عغان : دولة الاسلام ، ص ٧٥-٧٦ ،
٨١ - شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٩٥-٩٦ - ابراهيم
طرخيان : المسلمون في أوروبا ، ص ١٠٣ - السيد عبد
العزیز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ،
ص ١٣٧-١٣٨ - خليل السامرائي : الشجر الأعلى ، ص ١٢٧ -
محمد زيتون : المسلمون في المغرب والاندلس ، ص ١٩٨-
(١٩٩) .

بجندة جبال البرتات وقد احتملوا معهم نساءهم واولادهم ،
 مما يؤكد عزمهم على الاستقرار وضم تلك البلاد الى دولة
 الاسلام .^(١)

وهذا ما ولد الخشية فى نفس اودو الذى اظنه كان على
 يقين بان السمع سيسعى لتأمين سبتمانيا ، بعد ان نظم
 شؤونها ، واقام بها حكومة اسلامية ، باعتبارها قد اصبحت
 جزءا من الممالك الاسلامية ، وهذا مايستلزم تامينه ، وذلك
 عن طريق التوسع فيما حوله . والمسلمون كما يقول هاشم
 الجاسم : اهتموا منذ اللحظة الاولى بتامين ممتلكاتهم ، وقد
 سعوا من اجل ذلك على قاعدة عامة تتمثل فى ان كل توسع
 اسلامى يستدعى تامينه فتحا وتوسعا جديدا .^(٢)

ونحن تاييدا لرايه نقول : ان كان موسى بن نصير قد
 جاز جبال البرتات على امل فتح اوروبا من ناحية الغرب ،
 والوصول الى القسطنطينية وفتحها من ناحية البر الاوروبى ،
 فان السمع بن مالك قد خرج الى بلاد الغال فاتحا ليعلى كلمة
 الله ، وينشر دينه ما استطاع ، وليؤمن فتوحات المسلمين فى
 الاندلس ، بالتوسع فيما وراءها . وهذا مادفع الامير اودو
 الى حشد الجند وتجهيز الجيش ، تحسبا لهجوم المسلمين^(٣)

-
- (١) شكيب ارسلان : غزوات العرب ، ص ٨٥ .
 (٢) دراسات تاريخية عسكرية ، ص ٦٦ . (وقد عنى باللمحة
 الاولى ، فتوح المسلمين فى الشام وما استلزمه الحفاظ
 على سيادة المسلمين فيها من فتح لمصر واطليم الجزيرة)
 انظر ذلك قبل : ص ٤٠ .
 (٣) ان لم يكتب النجاح لحملة السمع فى اجتياح غالة ،
 فانه قد وفق فى كسب ثغر اسلامى متقدم فيما وراء
 البرتات الا وهى مدينة اربونة ، وبعض حصون سبتمانية
 الجنوبية . التى غدت قاعدة انطلاق للفتوحات اللاحقة ،
 ودرءا للمسلمين فى الاندلس فى حالة الدفاع .

المرتقب ، واستعدادا لمدهم عن ممتلكاته .

الا ان الهجوم الاسلامى كان اسرع فيما يبدو مما توقع اودو ، فما انتبه الا وجند الاسلام يطوق طولوشة (طولوزه) بحصار محكم جاد ، وعاصمة امارته تنثن من وقع ضربات المسلمين وصدق قتالهم ، حتى كاد أهلها ان يسلموها . فهب لانقاذ عاصمته ، وسار بجيشه حتى اقترب من طولوشة والمسلمون محاصرين لها ، فلما علموا بمقدمه اضطروا لفك الحصار عن المدينة والتفتوا اليه ، وكان جيشه من الكثرة ماجعل مؤرخو العرب يقولون : "ان العشير المتطايير من زحف اقدامهم كان يغطى عين الشمس من كثرتهم" . وقيل : ان عدده كان عشرة اضعاف عدد الجيش الاسلامى . ومع ذلك فان المراجع لم تزودنا بعدد محدد لكلا الجيشين . فالتقى الجيشان بالقرب من طولوشة وقد اعد السمع جنده معنويا وبث فيهم روح الجهاد الصادق ، وقرا عليهم بعض آيات النصر ، ونشب القتال فى معركة عنيفة غير متكافئة ، صدق فيها المسلمون القتال ، وبلغت من الهول مالا يتصوره العقل ، حتى خيل عند تلاقى الجمعين ، ان الجبال

(١) لم تشر المصادر اين كان اودو عن عاصمته ، ومن اين قدم على المسلمين بجيشه . والمتوقع انه خرج يستنهض الناس لحرب المسلمين ومدهم عن بلاده ، وقد يكون اتخذ منطقة لتجمع الجند ، او عسكر فى موقع ظن ان المسلمين سيأتونه ، ففوجئ بهم وقد حاصروا عاصمته ، فاتجه اليهم .

(٢) شكيب ارسلان : غزوات العرب ، ص ٩٥-٩٦ .

(٣) محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والاندلس ، ص ١٩٨-١٩٩

(٤) يشير حسين مؤنس ان بعض المراجع تذكر ان حدوث هذه المعركة كان عند طرسونة . وقال : ان الاصح ان يقال انها عند طرسكونة على مقربة من طولوشة عند مصب الرون (انظر : فجر الاندلس ، ص ٢٤٧) . والصحيح ان طرسونة مدينة بالاندلس ، من اعمال تطيلة . (ياقوت : معجم ، ٢٩/٤) . وهذا يسند قول حسين مؤنس ويقويه .

تلاطمت . وظل القتال سجالا بين الفريقين ، وقد أبدى المسلمون فيه شروب الشجاعة ، وهم يقتدون بقائدهم ، الذى كان يشدهم بقوله وفعله ، ويجدون له فى كل مكان ، يحمل على الأعداء فلا يقف فى وجهه شيء . غير أن القائد المسلم أصيب برمح فى رقبته خر على أثره صريعا ، ومات شهيدا . فلما رأى المسلمون ما أصاب أميرهم ، فت ذلك فى أعضادهم وأثر فى نفوسهم ، فاختل نظام الجيش ، وحينها ولوا عليهم أحد كبار الجند وهو عبد الرحمن الخافقى الذى تمكن من الانسحاب ببقية الجيش فى مهارة حرمت الفرنج من تعقب المسلمين ، واصابتهم فى حالة التقهقر ، حتى وصل أربونة . وكان حدوث هذه المعركة واستشهاد السمح بن مالك الخولانى فى (٩ ذى الحجة سنة ١٠٢هـ / ١٠ / يونية سنة ٧٢١م) . كما استشهد فيها (٢)

(١) انظر ترجمته قبل : الفصل الثانى ، المبحث الرابع ، ص ٢٥٥ .

(٢) يشذ عن هذا التاريخ المجمع عليه فى جل المصادر الإسلامية والأجنبية ، الذى فى كتابه : بغية الملتصق ، ص ٣٠٣ ، والذهبي : تاريخ الإسلام ، ٨٧/٤ وكوندى المشار الى قوله فى كتاب محمد عنان : دولة الإسلام ، ص ٨١ . حيث أرخ هؤلاء لها ب (سنة ١٠٣هـ) . كما خالفهم المقرئ نفع الطيب ، ١٤/٤ فى اسم المعركة التى استشهد بها السمح بن مالك ، فقال : قتل فى وقعة البلاط (يعنى بلاط الشهداء) . وهذا ليس منه بين استشهاد السمح وعبد الرحمن الخافقى الذى استشهد فى بلاط الشهداء سنة ١١٤هـ . (انظر عن استشهاد الخافقى فى بلاط الشهداء : احمد العبادى : تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٨٨) . وهذا مادفع حسين مؤنس الى اتهام المقرئ بعدم الدقة (انظر فجر الاندلس ، ص ٢٧٢) ، كما أرخ لها كل من شبيب أرسلان غزوات العرب ، ص ٩٦ - وسيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ص ١٣١-١٣٢ - ب (شهر مايو/ايار سنة ٧٢١م/أى ذو القعدة سنة ١٠٢هـ) والأصح ما قدمناه فى المتن . فشه الاجماع بالنسبة للمصادر الإسلامية على ٩ ذى الحجة سنة ١٠٢هـ . وهذا يقابل ١٠ يونيه سنة ٧٢١م . (انظر للتأكد من هذه المقابلة : اللواء محمد باشا : التوفيقات الالهامية ، دراسة وتحقيق وتكملة محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ١/١٣٤) .

عدد كبير من المسلمين ، حتى قيل مبالغة : انهم قتلوا عن
(١)
آخرهم .

ومن الواضح ان عبد الرحمن الغافقي ، ابقى جزءا من
جيوشه في اربونة يحرس فتوح المسلمين في سبتمانيا ويبقى على
سيادة المسلمين هناك ، ثم انصرف عائدا الى قرطبة بما تبقى
معه من الجند ، وظل يدير شئون المسلمين في الاندلس حتى
قدوم الوالى الجديد عنبسة بن سحيم الكلبى . وقد استطاع
(٢)
ابان هذه الفترة الوجيزة ، ان يستبقى الجزية على اربونة
وغيرها من قواعد سبتمانيا ، وان يخمد بوادر الخروج التى
ظهرت فى الولايات الجبلية الشمالية . ويبدو ان خسارة
(٣)
المسلمين امام اودو وجيشه ، واستشهاد قائدهم السمح بن
مالك الخولانى قد اطمع اهل المناطق التى تم فتحها فى
المسلمين ، وحاولوا التمرد على سلطانهم ، والخروج على
طاعتهم . اذ يقول شكيب ارسلان : انه لما شاع خبر انكسار
(٤)
المسلمين فى الواقعة التى حدثت بينهم وبين اودو دوق
اكتانية بالقرب من طولوشة ، هب اهل اللانغدوق والبيرانة

(١) عن معركة طولوشة . (انظر : حسين مؤنس : فجر الاندلس ،
ص ٢٤٦-٢٤٧، ١٤٠، ٢٧٢ - شكيب ارسلان : غزوات العرب ،
ص ٩٥-٩٦ - محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٨١ - محمد
زيتون : المسلمون فى المغرب والاندلس ، ص ١٩٨-١٩٩ -
خليل السامرائى : الثغر الاعلى ، ص ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨ -
السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى
الاندلس ، ص ١٣٧-١٣٨ - سيد امير على : مختصر تاريخ
العرب ، ص ١٣١-١٣٢ - حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ،
٣٢٠/١ .

(٢) عن عودة عبد الرحمن الغافقي الى الاندلس بعد تراجعه
الى اربونة ، (انظر : شكيب ارسلان : نفس المرجع
والصفحة - حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ٢٤٧ - محمد
زيتون : نفس المرجع ، ص ١٩٩) .

(٣) محمد عنان : نفس المرجع ، ص ٨١-٨٢ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٩٦ .

لخلع طاعة المسلمين ، الا أن المسلمين كانوا متمكنين في أربونة ، وجاءتهم نجدات من الأندلس ، فشنوا الغارات على أهل تلك البلاد ، وأعادوهم الى الطاعة .

وعليه نرجح أن يكون عبد الرحمن الغافقى قد باشر بعد مراجعته الى أربونة ، أمر تثبيت أقدام المسلمين فيها واخلاد هذا التمرد ، ثم انصرف الى الأندلس . ومن البديهي أنه قد استعمل على أربونة نائباً عنه ، ومن الأندلس قام بإرسال مدد للمرابطين في شفر أربونة يتقوون به على عدوهم فتولى عامله فيها استكمال فرض السيادة الإسلامية على إقليم سبتمانية ، وإعادة من تمرد الى الطاعة .

وبوقفة نتقصى فيها أسباب خسارة المسلمين في طولوشة والتي كانت أول خسارة يتعرض لها السمع وجنده في بلاد الغال نجد أن السبب المباشر منها هو تفوق جيش العدو عدداً واستعداداً ، ومقتل قائد المسلمين في أرض المعركة ، وهو أمر عظيم الأثر في نفوس المحاربين الأوائل ، وغالباً ما أدى الى هزيمة الجيش الذى يسقط قائده في ساعة القتال .^(١)

وان كان حسين مؤنس اعتماداً على رواية أجنبية ، يشير

(١) من أمثلة ذلك في تاريخ الاسلام ، خسارة المسلمين في موقعة مؤتة أمام الروم وحلفائهم من العرب (سنة ٨هـ) عندما استشهد قادة المسلمين الذين حددتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحة . فعاد بالجيش خالد بن الوليد الى المدينة ، وكذلك خسارة المسلمين في معركة (الجسر) سنة ١٣هـ ، وكانت ضد الفرس ، عندما استشهد قائدهم أبو عبيد الثقفى ومن أوصى به من القادة بعده وكانوا سبعة ، فتراجع المثنى بن حارثة ببقية الجيش الى الحيرة . (انظر عن ذلك : ابن الأثير : الكامل ، ١٥٨/٢ - ٣٠١، ٣٠٣) .

(١)

الى علاقة مصاهرة وتحالف تمت بين مونوسه وبين أودو دوق
اكتانية ، فعمل على ايداء العرب . وهذا ماجعل حسين مؤنس
يظن أن يكون هذا التحالف أحد أسباب هزيمة المسلمين عند
طولوشة .^(٢)

ونحن لانؤكد هذه الرواية ، إذ لم نجد لها ذكرا في
المصادر الاسلامية ، وعلى ذلك لانستطيع موافقة حسين مؤنس في
اتخاذ تلك العلاقة سببا لخسارة المسلمين أمام أودو ، لأن
ذلك مجرد فرض ليس له قرينة تقويه ، وقد اعتمد على رواية
مطعون فيها . ونحن لانستبعد أن يكون من الاسباب المباشرة
التي أدت الى خسارة المسلمين خروج أهل طولوشة بعد فك
الحصار عنهم ، ومشاركتهم في المعركة ، فوقع المسلمون بين
كماشتى جيش أودو من الامام ، وقوة المدينة من الخلف .
ونؤيد حسين مؤنس فيما ذهب اليه ، من أن اعتماد القادة في
فتوحاتهم فيما وراء البركات على البربر ، كان من عوامل
الضعف في الجيش الاسلامي . إذ لم يشترك من العرب الا أعداد
قليلة ، حيث أن من عبر منهم الى الاندلس ، كان بالكاد يكفى
لفرض السيادة على الاندلس ، بعد استقرار العرب فيه ، فكان

(١) كان مونوسه على حد قوله : من الجنس البربرى ، كان
أميرا من قبل أمير الاندلس على المنطقة الشمالية في
الاندلس ، وكان مركزه مدينة خيخون . (انظر : حسين
مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٣١٩، ٣٥١) . لكن خليل
السامرائى يشكك في هذه الرواية من الأصل ، ويؤكد أن
شخصية مونوسه منتحلة ، وأنها من كيد الملبية
الغربية ، التي تستهدف الطعن في الاسلام وتاريخه .
معتمدا في ذلك الى خلط المصادر الاسلامية من هذا الخبر
وبعض الدراسات الحديثة حول هذه التهمة . (انظر :
الشفر الأعلى ، ص ١٠٧-١٠٨) - وكذلك عبد الرحمن الحجى :
التاريخ الاندلسي ، ص ١٩٢-١٩٣ .
(٢) فجر الاندلس ، ص ٢٥١-٢٥٣ .

غيابهم عن الفتوح في بلاد الغال وهم مادة الاسلام وأهل الخبرة ، من أهم الأسباب التي أدت الى فشل الحملات الاسلامية هناك . كما أن بعد المسلمين في الأندلس عن مركز الدولة ، حرصهم من توجيه الحكومة وامداداتها . كما ينفي حسين مؤنس (١) ايعاز ذلك الى الجشع في الغنائم ، أو قوة الدولة الفرنجية .

(٢) فتوحات عنبسة بن سحيم الكلبي في بلاد الغال :

(٢)
استمر عبد الرحمن الغافقي أميراً للأندلس بتقديم أهل الأندلس له منذ استشهاد أميرهم السمع بن مالك الخولاني تاسع ذي الحجة (سنة ١٠٢هـ) ، حتى قدوم عنبسة بن سحيم الكلبي أميراً للأندلس ، من قبل بشر بن صفوان عامل الخليفة يزيد بن عبد الملك على إفريقية والمغرب ، وذلك في (صفر سنة ١٠٣هـ) .
ومن هنا يأتي دور القائد الأمير عنبسة بن سحيم الكلبي في متابعة عمليات الفتح الاسلامي فيما وراء البرتات ، ليصل براية التوحيد الى أقصى حد وصلته الفتوح الاسلامية في وادي

-
- (١) فجر الأندلس ، ص ٢٩٦-٢٩٧ ، وانظر مناقشتنا لما اتهم به الفاتحون المسلمون في بلاد الغال والرد عليه ، بعد ص ٤١٩-٤٢٠ .
(٢) انظر ما سنذكره عن ولاية عبد الرحمن الغافقي الاولى أثناء حديثنا عن سياسة الخليفة يزيد بن عبد الملك الادارية في : الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٥٣٦-٥٣٨ .
(٣) عن ولاية عنبسة بن سحيم على الأندلس ، (انظر : ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢/٢٧ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٤٤ (لكنه لم يؤرخ لها) - محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٨٢ . وكذلك ما سنكتبه عنها خلال حديثنا عن سياسة الخليفة يزيد الادارية في : الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٥٣٨ وما بعده .

(١)

نهر الرون حتى ذلك الحين ، ألا وهى مدينة سانس .

اذ كان عذبة من طراز السمح بن مالك ، رجلا تقيا واداريا بارعا ، وعسكريا فذا . كان حريصا على الاسلام وامينا على دولته . فكان خير خلف لخير سلف .^(٢)

لقد شغل الامير الجديد صدر ولايته بضبط الامور فى الاندلس ، واخماد الفتن فيها ، ومن ذلك توجهه الى المنطقة الشمالية فى الاندلس للقضاء على حركة بلاى ، واخماد التمرد الذى قام به اخيلا بن غيطشة فى مدينة طركونة حتى^(٣) استقام له امرها ، ثم اعد نفسه للجهاد وباشر الفتح فيما وراء البرتات بنفسه .

لكننا نواجه هنا نفس المشكلة التى واجهناها اثناء دراستنا لحملة السمح بن مالك ، وهى بداية خروج عذبة بن سحيم بحملته الى ما وراء البرتات . فغير واضح متى بدأ جهاده فى بلاد الغال ، وكم استغرق من الوقت ، وهل خرج للجهاد مرة واحدة ، ام سبق حملته التى استشهد فيها غزوات اخرى ، وهل قادها بنفسه ام ولاها غيره من القادة ، او كانت بواسطة القوات الاسلامية المرابطة فى شفر اربونة .^(٥)

ونحن لانفتقد التاريخ لتلك الحملة ، ولكننا نجد

-
- (١) سانس : قصبة مقاطعة فرنسية تسمى "يوند" . (انظر : شكيب ارسلان : غزوات العرب ، ص ١٠٦ ، هامش (١) منها) .
 (٢) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى ، ص ١٩٠ .
 (٣) من اجل خروجه للقضاء على حركتى بلاى ، واخيلا ، (انظر ماكتبناه عن الحركتين قبل : الفصل الثانى ، المبحث الرابع ، ص ٢٥٢ ، المبحث الخامس ، ص ٢٦٠) .
 (٤) المقرئ : نفح ، ١٥/٤ - الناصرى : الاستقصاء لآخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق ولديه جعفر ومحمد الناصرى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م ، ١/١٠٣ .
 (٥) عبد الرحمن الحجى : نفس المرجع والمفحة .

الاختلاف على تاريخ خروجها ، فمن المصادر والمراجع مايؤرخ لقيامها ب (سنة ١٠٥هـ) ، وأخرى تجعلها (سنة ١٠٧هـ) .^(٢) وحيث أنا لم نجد تاريخا لما قام به من أعمال داخلية خصوصا جهوده في اخماد فتنتي بلاى وأخيلا ، لنقدر على ضوئها أنسب تلك التسواريخ المشار اليها لخروجه ، فانا مجبرين على تقدير ذلك بالنظر ، الى نهاية الحملة واستشهاد قائدها عنبسة بن سحيم وماتم على اثرها من فتوح ، آخذين في الاعتبار ما قام به من أعمال قبل خروجه ، مستنيرين بما قدره السابقون لنا من المؤرخين .

فبالنظر الى ما قام به عنبسة من أعمال داخلية ، خصوصا جهوده في اخماد حركتى بلاى وأخيلا ، وتنظيماته المالية والادارية . نجد انها ولا بد قد اخذت منه وقتا ليس بالقصير .^(٣) وايضا نجد ان فتوحه التى تمت فى هذه الحملة وما قام به اثناءها من تحميمات وتنظيمات ، كانت كفيلة باستغراق وقت

-
- (١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢٧/٢ - محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٨٢ (وقد حدد خروجها فى أواخر سنة ١٠٥هـ / أوائل سنة ٧٢٤م) - محمد زيتون : المسلمون فى المغرب ، ص ١٩٩-٢٠٠ (نقلا عن : شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص ٨٥) - خليل السامرائى : الشجر ، ص ١٢٨ (نقلا عن رينو : غزوات ، ص ١١٢) .
- (٢) ابن الأثير : الكامل ، ١٩٧/٤ - حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٦ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ١٣٨ - عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٣ .
- (٣) كان لعنبسة دور فى تنظيم الخراج وقسمة الأرض والعشور فيبدو أن السمع قد دفعه حب الجهاد الى الخروج بحملته قبل أن يتم مابداه من تنظيمات مالية وادارية ، فعمل على اتمام ذلك لعنبسة بن سحيم ، كما طاف بمختلف المقاطعات الأندلسية ينظر فى المظالم وينشر العدل بين الناس . (انظر فى هذا الصدد ماأورده : محمد عبد الله عنان : نفس المرجع والمفحة - محمد زيتون : نفس المرجع والصفحات .

ليس بالقليل . وعلى هذا فنحن نرجح التاريخ الاول لخروج هذه الحملة وهو (سنة ١٠٥هـ / ٧٢٣ - ٧٢٤م) . وهو ماأخذ به أكثر المؤرخين الذين تعرضوا لدراستها ، كابن عذارى ، الذى يعد من المصادر القديمة المعتمد عليها فى تاريخ المغرب . ونحن بذلك نستبعد قول من أرخ لخروج عنبسة بحملته ب(سنة ١٠٧هـ) وان كان التاريخ الاخير قد ورد عند ابن الاثير . ان استشهد عنبسة فى (شعبان سنة ١٠٧هـ) جعل من المشكوك فيه ان يكون قد خرج بحملته فى ذلك العام . وقد قام بكل تلك الفتوحات فى ماسبق شعبان من تلك السنة .

ونحن لانعرف على وجه التحديد الشهر الذى خرجت فيه حملة عنبسة الى بلاد الغال من (سنة ١٠٥هـ) ، الا ان محمد عنان يقول بخروجها فى (اواخر سنة ١٠٥هـ / اوائل سنة ٧٢٤م) . وهذا مايجعلنا نرجح خروجها فى اوائل خلافة هشام بن عبد الملك (شعبان سنة ١٠٥هـ / ربيع الثانى سنة ١٢٥هـ) ، ان لم يكن فى اواخر خلافة يزيد بن عبد الملك .

وعطفا على ماوصلنا اليه ، يكون الاعداد والتجهيز لهذه الحملة قد تم فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وقد يكون خروجها قد تم فى اواخر زمنه ايضا . اما ماتم على يد عنبسة من فتوحات فى بلاد الغال فان ذلك قد حدث فى خلافة هشام بن عبد الملك .

-
- (١) البيان المغرب ، ٢٧/٢ .
 (٢) الكامل ، ١٩٧/٤ .
 (٣) دولة الاسلام ، ص ٨٢ .
 (٤) ذهب لمثل هذا القول عماد الدين خليل فى بحثه : دراسة مقارنة ، ص ٣٠٣ .

ومن هنا سنعرض في شيء من الإيجاز لما تم على يد هذا القائد فيما وراء البرتات من فتوحات ، كونها خارج النطاق الزمني لبحثنا ، إلا أن من المهم ذكر ذلك لتوضيح بعض مآزينا إليه ، ولتمام الفائدة .

فتوحات عنبسة بن سحيم فيما وراء البرتات :

مرف عنبسة بن سحيم اهتمامه صدر ولايته الى تنظيم أمر الأندلس ، واخماد الفتن . فلما تم له ذلك ، واستقرت الأحوال في ولايته ، وكان قد أعد نفسه وجهز جيشه ، نهض للجهاد ، والاستمرار في الفتح فيما وراء البرتات ، سيرا منه على خطى سلفه السمع بن مالك ومن سبقهما من الأمراء المجاهدين .^(١)

وقد اتخذ عنبسة مدينة برشلونة قاعدة تجمع للجيش الإسلامي من مقاطعات الأندلس المختلفة ، ثم توجه (سنة ١٠٥هـ) على رأس جيشه الى بلاد الغال ، مخترقا جبال البرتات عبر ممر باربينيان ، حتى وصل الى أربونة ، فاستقر فيها ، وعمل على دعم خط الدفاع الأمامي لها . ونحن هنا نلاحظ أن عنبسة اتبع نفس الخطوات التي سار عليها سلفه السمع بن مالك ، وسار في نفس الطريق ، وذلك أمر طبيعي ، باعتبار أن برشلونة بموقعها القريب من جبال البرتات ناحية ممر باربينيان ، جعلها قاعدة حربية داخلية ، يتجمع فيها الجيش

(١) الى مثل هذا القول ذهب حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٦ - خليل السامرائي : الشجر الأعلى ، ص ١٢٨ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ١٣٨ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢/٢٧ - المقرئ : نفح ، ١٥/٤ - خليل السامرائي : نفس المرجع ، ص ١٢٨ .

الاسلامى من مدن الاندلس المختلفة ، ثم يسير برا او ينقل بحرا الى اربونة ، الثغر الاسلامى المتقدم وراء البرقات .
والتي عمل السمع على تحصينها ، وتحصين ماحولها من المدن
السبتمانية ، لتكون تلك الحصون خطا دفاعيا يمد عن اربونة
(١)
ويحميها .

وبعد ان عزز عنبسة تحصينات اربونة وقوى الخط الامامى
لها ، ابتدا سلسلة فتوحاته ، باعادة السيادة الاسلامية على
سبتمانية ، فيبدو ان المسلمين قد خسروا بعض فتوحاتهم بعد
استشهاد السمع ولم يتمكنوا من استعادتها ، حتى وصلها
عنبسة . ومن تلك المدن قرقشونة ، لذا سارع عنبسة الى
(٢)
فتحها . فاستولى عليها عنوة . لكنه بعد ذلك لم يسر فى نفس
الاتجاه الذى سلكه السمع ، وهو التوغل شمالا نحو اقليم
اكتانية ، بل سار نحو الشرق مع ساحل البحر . وفى طريقه
(٣)
اعاد فتح مدينة نيم ، دون مقاومة ، واخذ من اهلها رهائن
(٤)
ارسلمهم الى برشلونة . ويبدو انه اتخذ هذه الخطوة مع اهل
نيم ليضمن ولاءهم ، وعدم انتفاضهم على المسلمين ، وان ذلك
من شروط الصلح معهم . وبعد ان اتم فتح اقليم سبتمانية ،
واصل زحفه شرقا نحو اقليم بروفانس ، حتى وصل الى نهر
الرون ، ففتح بروفانس ، ثم اتجه شمالا مع نهر الرون حتى
وصل مدينة ليون ، ففتحها ، وتوغل فى اقليم برغندي

-
- (١) انظر ترتيبات السمع العسكرية فى اربونة وماحولها
قبل : ص ٣٩٣-٣٩٤ .
(٢) خليل السامرائى : الثغر الاعلى ، ص ١٢٨ - شكيب ارسلان :
غزوات العرب ، ص ٩٨ . لكن من المؤرخين من قال ان
فتحها تم صلحا . (انظر : ابن الاثير : الكامل ، ١٩٧/٤)
خليل السامرائى : نفس المرجع والمفحة فى رواية اخرى
(٣) انظر تعريفنا لاقليم سبتمانية ومدنه قبل : ص ٣٩٣ .
(٤) شكيب ارسلان : نفس المرجع والمفحة - خليل السامرائى :
نفس المرجع والمفحة .

(برجانديا) فاستولى على مدينة ماسون وشالون ومنها وجه جيشه على قسمين ، الاول سار الى ديجون ولانكر ، والآخر سار حتى بلغ مدينة اوتون ، فى اعالي الرون . بل قيل : ان عنبة (١) (٢) بلغ مدينة سانس شمال اوتون ، والتي تولى اسقفها الدفاع عنها ، ساعده على ذلك وعورة المنطقة التي تحيط بها ، فادرك عنبة ان طول البقاء امام هذه المدينة قد يعرض جيشه للابادة ، اذا ماتهيا للعدو فرصة الهجوم ، فقرر العودة ، وقد صدق ظنه ، اذ هاجمه الاعداء خلال عودته فاصيب بجروح (٤) توفي على اثرها ، وذلك فى (شعبان سنة ١٠٧هـ / ديسمبر - يناير ٧٢٥ - ٧٢٦م) . ومن المؤرخين من يعزو عودة عنبة الى اضطراب الاحوال فى الاندلس . ومامن شك ان التماذى فى الايغال

- (١) اوتون : مدينة على مسافة (١٠٦ كم) الى الشمال الغربى من ماسون . (انظر : شبيب ارسلان : غزوات العرب ، ص ١٠٤ وهامش (٥) فيها) .
- (٢) انظر عن فتوح عنبة فى بروفانس وبرجانديا حتى اوتون ، (احمد العبادى : تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٨٧ - خليل السامرائى : الثغر الاعلى ، ص ١٢٨-١٣٠ - ابراهيم بيضون : ملامح التيارات السياسية ، ص ٣٠٨ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، ١/٣٢٠) .
- (٣) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى ، ص ١٩٠-١٩١ - شبيب ارسلان : نفس المرجع والصفحة - خليل السامرائى : نفس المرجع والصفحة .
- (٤) ليس هناك مكان محدد لهذه الموقعة ، التي استشهد فيها عنبة ، كما ان تاريخ استشهاده مختلف عليه . (انظر بعد : الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٥٤٢-٥٤٣) .
- (٥) خليل السامرائى : نفس المرجع ، ص ١٢٩-١٣٠ (نقلا عن / على المياح : العوامل السوقية والتعبوية واثرها على الفتوح فى فرنسه (بحث) ، ص ١١٦) - ابن الاثير : الكامل ، ٤/١٩٧ - ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢/٢٧ احمد العبادى : نفس المرجع ، ص ٨٧ - عبد الرحمن الحجى : نفس المرجع والصفحة - حسن ابراهيم حسن : نفس المرجع والجزء والصفحة - ابراهيم بيضون : نفس المرجع والصفحة (لكن عزي نهايته الغامضة لاسباب لا ترتبط بحملته العسكرية ، وانما بظروف داخلية فى قرطبة) . وهو بذلك يشير الى انه عاد الى قرطبة وهذا يخالف اجماع جمهور المؤرخين باستشهاده فى بلاد الغال .

دون التوطيد لسلطان المسلمين ، وتأمين ظهورهم ، فيما تم فتحه من مدن ، ساعد الأعداء على التجمع ، وقطع الطريق على المسلمين أثناء عودتهم ، ف خسروا بذلك جل ما فتح على أيديهم فولى الناس بعد استشهاد عنبسة عذرة بن عبد الله الفهرى ،^(١) الذى تراجع بهم الى أربونة . فجاءه المدد من الأندلس ، وشن المسلمون غاراتهم من جديد فى كل جهة ، وبكل قوة ، حتى أعادوا هيبتهم ولم يجدوا لهم مقاوما^(٢) . الا ان سلطان المسلمين فيما يبدو قد اقتصر على اقليم سبتمانيا وقاعدته مدينة أربونة .

ويرى بعض المؤرخين الغربيين أن فتوحات عنبسة ، كانت فتوحات حذق ومهارة لابطش وقوة^(٣) . والحقيقة أن المسلمين فى فتوحاتهم لم يكونوا قط أهل بطش وقوة ، الا عندما يلقون من عدوهم المقاومة ، او نقض العهد . ولايتعدى لجوؤهم الى القوة ، ماأباحه الشرع لهم ، ممسكين عما لايناسب مبادئ دينهم السامية ، وخلقهم الرفيع .

وهذا القول بالنسبة لفتوحات عنبسة ، فيه اشارة الى ان غالبية فتوحه تمت صلحا ، يؤكد ذلك قول خليل السامرائى "وسار عنبسة من نيم متبعاً مجرى نهر الرون حيث وجد الطريق امامه خالية من أية مقاومة"^(٤) . وأنه استخدم الحنكة والحكمة فى تحقيق اهدافه ، قبل استخدام القوة العسكرية التى يقودها

(١) ابراهيم طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ١٠٦ (نقلا عن حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٧-٢٤٨) .
 (٢) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ١٩١ - شبيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٩٨ (أورد الاسم مفردا ومحرفا "حديرة") - ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ١٠٥-١٠٦ .
 (٣) الزركلى : الاعلام ، ٩١/٥ .
 (٤) الشفر الأعلى ، ص ١٢٩ .

(١)

ثم توقف الفتح الاسلامى فى بلاد الغال مايقارب الاربع سنوات حتى تولى امر الاندلس عبد الرحمن الغافقى ، فى ولايته الثانية (١١٢ - ١١٤هـ) ، فكان على يديه تجديد الغزو ومواصلة الجهاد فيما وراء البرقات .^(٢)

(٣) دراسة تحليلية لبعض النقاط الهامة فى هاتين الحملتين

ولاشك ان حملتى السمح وعنبة من اهم الاعمال الحربية التى قامت فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وخاصة ، حملة السمح بن مالك التى تمت احداها فى زمنه ، واوجدت للمسلمين شغرا اسلاميا متقدما ، وهو مدينة اربونة الذى ظل اكثر من نصف قرن رمزا للوجود الاسلامى فى ارض الفرنج ، وقاعدة تنبعث منها جيوشهم الفاتحة فيما وراء البرقات . علاوة على ماحققته من فتوحات فى تلك البلاد .

وليس لدينا نص يدل على اشراف الخليفة وتوجيهه لهذه الحملات ، الا ان ليس لدينا مايشهد عكس ذلك . كما ان خروج عنبة بحملته بعد استشهاد السمح وكثير من جيشه قرب طولوشة لايمكن ان يتم دون امر الخليفة او عامله على افريقية والمغرب ، بعد ان عادت الاندلس ، الى التبعية الادارية لافريقية فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك . ونحن لانستبعد^(٣)

(١) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى ، ص ١٩١ - احمد العبادى : تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٨٧ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، ٣٢٠/١ .
(٢) عن فتوحات عبد الرحمن الغافقى فى بلاد الغال ، (انظر احمد السيد دراج : عبد الرحمن الغافقى ، بحث ، رسالة المسجد ، العدد الرابع ، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٨٥-٨٠ وغيره من المصادر والمراجع الاندلسية) .
(٣) من اجل ذلك ، انظر بعد : الفصل الخامس ، المبحث الاول، ص ٥٣٨-٥٣٩ .

ان خروج عنبة بحملته والاعداد لها جاء بتوجيه من الخليفة يزيد انتقاما لمقتل السمح ، واحياء لهيبة الدولة ، واستمرارا فى الفتح والجهاد فى تلك البلاد . خصوصا اذا عدنا بالذاكرة الى ما حدث من الخليفة فى المواقف المشابهة كتوجيه الجراح الحكى على راس جيش كبير الى ارمينية ، بعد الهزيمة التى تعرض لها اميرها من قبل الخزر . او توجيه الحرشى لاعادة سلطان الدولة على ما وراء النهر ، بعد ان فشلت محاولات اميرها السابق .^(١)

واذا ما تناءلنا عن العوامل التى وقفت فى وجه نجاح الحملات الاسلامية فى بلاد الغال ، وفتح تلك البلاد ، فلنا ان نضيف ان من الاسباب الرئيسية فى فشل تلك الحملات ، كون تلك الحملات خرجت بقيادة ولاية الاندلس ومعتمدة على امكانيات الولاية وحدها ، الى جانب اتباعها اسلوب الهجوم السريع ، وعدم تثبيت اقدام الفاتحين فيما استولوا عليه . فقد كان استشهاد القيادة فى المعركة يؤدى الى ارتداد الجند حتى نقطة البداية ، وتوقف الفتح لسنوات . لان تلك القيادة كانت تتمثل فى شخص الامير ، فعندما يقتل ، يتوقف الفتح حتى ياتى امير جديد ، رافعا راية الجهاد ، وقادرا عليه . كما ان الاعتماد على امكانيات ولاية الاندلس فحسب ، جعل القوة الفاتحة محدودة القدرة مما كبرت ، فالفتح وراء البرتات

(١) من اجل ذلك ، انظر قبل : المبحث الاول ، ص ٣٢٧-٣٢٨ ، ص ٣٥٤ وما بعدها .

كان يعنى حرب عالم كبير ، واسع المساحة ، متعدد القوى ، قوى الشان . ولم يكن فتحه ممكنا الا باشراف الدولة ودعمها وتوجيه القوى الكافية وعلى اكثر من محور حتى يشغل كل بما يواجهه . فقد ادت قلة الجند بقيادة السمع الى خسارته امام جيوش اودو الجرارة ، وساعد ايغال عذبة فيما بعد ، الى قطع الطريق عليه ، كما ادى تحالف شارل واودو الى كسر الجيش الذى قاده عبدالرحمن الغافقى بعد ذلك . اما أسلوب الهجوم السريع وعدم تأمين الفتح فقد وقع فيه ايضا عذبة ومن بعده عبد الرحمن الغافقى ، فخر المسلمون كل ما وصلوا اليه فى حملتيهما . ولولا اهتمام السمع بن مالك بتحسين اربونة وبعض المدن والحصون فى سبتمانيا ، مدركا ما كنا نقول ، لما بقى للمسلمين موطئ قدم فيما وراء البركات عند خسارتهم فى كل مرة ، وظلوا كما هم فى حدود الاندلس .

والحق ان حملة السمع بن مالك ، تمثل البداية الجديدة لحركة الفتوح الاسلامية فيما وراء البركات ، لاتسامها بالتنظيم والعمل على فتح ثابت لبلاد الغال ، يهدف الى نشر الاسلام وادخال تلك البلاد فى رحاب الدولة الاسلامية . يؤكد ذلك ما اشرنا اليه من اعمال السمع التنظيمية والعسكرية فى اقليم سبتمانية ، والتي استهدفت تثبيت اقدام الفاتحين فى ذلك الاقليم واعطاءه المبة الاسلامية وفرض سيادة المسلمين عليه . الى جانب توطيئ جماعات من المسلمين فى مدن

(١) ابراهيم بيضون : ملامح التيارات السياسية ، ص ٣٠٧-٣٠٨
 (٢) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٢٩٧ - شكيب ارسلان :
 غزوات العرب ، ص ٢٩٤ .
 (٣) انظر قبل : ص ٣٩٣-٣٩٤، ٣٩٧ .

سبتمانية كانوا قد خرجوا بأسرهم كمرابطين في ذلك الثغر الجديد .

وهذا ما يدعو الى القول ان فتوح المسلمين في بلاد الغال تعد من امجد الجهود الاسلامية الحربية ، بل ان تضحيات قادتها فاقت كثيرا مما عداها ، وعدت رجالاتها كالسمح وعنبسة والغافقى في طليعة قادة المسلمين العظام . وهذا (٢) ما جعل ذكرها باقيا في الالذهان كانه حديث عهد ، لما فيها من المجد والعظمة . بينما تلاشى تذكارات غزوات النورمانديين وغيرهم ممن غزا تلك البلاد من الالذهان ولم يبق الا في بطون (٣) التواريخ .

(٤) ومع ذلك فان استجابة اهل غاليا للاسلام كانت محدودة ولعل مرد ذلك للنكسات السريعة التي تعرض لها الفاتحون وعدم البقاء بينهم مدة طويلة ، حتى يتعرفوا على الاسلام ويلمسوا سموه وعظمة مبادئه ، فقد اتمف دخول اهل المناطق التي يدين اهلها بدين سماوى في الاسلام بالبطء ، لكننا نجدهم اخيرا يدخلون فيه افواجا ، عندما يعلمون حقيقته (٥) ويرون عدالة اهلهم .

وكما عودنا مؤرخوا الغرب ، بالنيل من الاسلام وتشويه تاريخ المسلمين ، نجدهم هنا يحاولون تهوين شان جهود الفاتحين في غالة ، قائلين انها لم تسر وفق خطة مرسومة ،

(١) من اجل ذلك انظر قبل : ص ٣٩٩-٤٠٠ .
 (٢) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٢٩٧ .
 (٣) شكيب ارسلان : غزوات العرب ، ص ٣٠٣ .
 (٤) شكيب ارسلان : نفس المرجع ، ص ١٠٦-١٠٧ .
 (٥) مثال ذلك : تاخر قبض مصر في الدخول في الاسلام ، وكذلك اهل الاندلس ، واهل ارمينية .

(١)
 وأنهم في البداية وجدوا مقاومة واهية . والحقيقة كما
 أسلفنا في الصفحات السابقة أن المسلمين خرجوا من أجل فتح
 منظم ، ويكفي لنا الرد على ذلك ما أوجده السمع في سبتمانيا
 من تنظيمات وتحصينات لمبغها بالمبغة الإسلامية ، واعتبارها
 شغرا إسلاميا وراء البركات . وإن كنا قد أشرنا إلى أن تلك
 الخطط العسكرية خصوما فيما عدا حملة السمع لم تكن كافية ،
 وتفتقد الأعداد الكافية والقوة الكاملة المدعمة بعون الدولة
 (٢)
 وإرشادها .

أما المقاومة فلم تكن واهية ، صحيح أن إقليم
 سبتمانيا اعتمد في الدفاع عن نفسه على قوته الذاتية
 لتبعيته للقوط الغربيين ، الذين زال ملكهم في الاندلس ،
 أما بقية أقاليم بلاد الغال فقد أبدت من القوة وكان عندها
 من العدة ما يفوق المسلمين وكان كفيلا بردهم ، وهذا
 ما لمسناه في حملتي السمع وعنبسة . أولم يخسر السمع عند
 طولوشة عندما واجهه جيش يفاعفه عشر مرات . والواقع أن ضعف
 الدولة الميروفنجية ، كان مناسبا في حالة توفر الإمكانيات
 الإسلامية الكافية ، إذ من المفيد استغلال انقسام بلاد الغال
 إلى أقاليم ، بفتح كل إقليم على حدة وفي آن واحد ، وذلك
 عن طريق توجيه عدد من الجيوش ضمن خطة شاملة ، لاجتياح بلاد
 الغال وفتح أقاليمها ، مما يفقدها إمكانية تحالف قواها
 ومواجهة المسلمين سواء .

ويلاحظ الدارس تحالف أودو وشارل مارتل من أجل إيقاف

(١) شبيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٠٦-١٠٧ .

(٢) انظر ذلك قبل : ص ٤١٥-٤١٦ .

الغافقى وصمد جيشه ، عندما عجزت قوة اقليم اكيثانية من الوقوف فى وجهه .

ونسلمع اتهامهم بالانغراض المادية على لسان ^(١) حتى الذى يقول : ان غزوات العرب فى بلاد الغال كانت للاستيلاء على النفائس التى اشتهرت بها الادييرة والكنائس فى تلك المنطقة . ونكتفى بقول شكيب ارسلان فى الرد عليه اذ يقول : "ولما جاء المسلمون ودخلوا ارض فرنسه فاتحين لم يكن لهم مقصد سوى نشر دين الاسلام واخضاع فرنسه وكل اوربة لاحكام القرآن ، ولكن فيما بعد ذلك دخل فى تلك الغزوات مقاصد اخرى ، كحب الذهب او الاخذ بالشار ، ومن هذا القبيل نزول العرب فى ^(٢) او اخر القرن التاسع فى ارض بروفنس" .

كما اتهموهم بتهديم بعض الادييرة فى بلاد الغال ، واذا ماصح ذلك ، فان الرهبان قد اعتصموا مع بعض الناس فى تلك الادييرة وقاوموا المسلمين منها ، حتى فتحوها عنوة ، فقاموا بهدمها حتى لايتخذوها معاقل للمقاومة وحرب المسلمين . فلم يكن المسلمون ليهدموها لو سلموا دون مقاومة ، وهذا مايعترف به رينو عندما يقول : "وكان هؤلاء (يعنى المسلمين) لايسيئون معاملة الذين يدخلون فى طاعتهم بدون مقاومة ^(٣) ويكفونهم القتال . وهذه الحقيقة هى مايناسب موقف الاسلام والمسلمين من الاديان وامحابها ، المتمثل فى اعطائهم الحرية الدينية ، والابقاء على دور عباداتهم .

(١) تاريخ سورية ، ٧٨/٢ .

(٢) غزوات العرب ، ص ٢٩٤ .

(٣) محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والاندلس ، ص ١٩٨ .

(١)
والثابت عنهم كما يقول حسين مؤنس أنهم لم يخربوا
كنيسة أو يحرقوا ديرا ، وإذا ما قورنوا بالشعوب التي كانت
تسود بلاد الغال في ذلك الحين ، من فرنجة وقوط غربيين
وشرقيين وبرغنديين لتبيننا أن المسلمين كانوا أعظمهم حضارة
وأبعدهم عن النهب والتخريب ، ومهما بحثنا في حواشي ذلك
العصر قلن نجد بين من ظهروا على مسرح الحوادث في بلاد
الغال خلال النصف الأول من القرن الثامن الميلادي (أي من
٨١هـ - ١٣٢هـ) رجالا نستطيع أن نقارنهم بالسبح بن مالك أو
عنبسة بن سحيم أو عبد الرحمن الغافقي . الذين يعرفون عن
المسيحية أكثر مما يعرفه أمراء الفرنج ، كما أنهم رجال
دولة ذات نظم وقوانين مقررّة ، في حين كانت نظم الدولة
الفرنجية في طور التكوين ، وكانت تعتمد على قوانين
الجرمان الأولى ، وهي شبيهة بقوانين العرب الجاهليين .
فالحرب لم تكن بين الإسلام والنصرانية بقدر ما كانت صراعا
بين حضارة وجاهلية ، وبين نظام وقوضى . وهي صراع بين الحق
والباطل ، والنور والظلام .

(١) فجر الأندلس ، ص ٢٥٨-٢٥٩، ٣٠٤.